

منشورات
شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع

شعر الصراع السياسي
في
القرن الثاني الهجري

الطبعة الأولى
الكويت
١٩٨٤

دكتور: ابراهيم شحادة الخواجة
أستاذ مشارك في جامعتي النجاح الوطنية والملك سعود

شعر الصراع السياسي

في

القرن الثاني الهجري

الطبعة الأولى

الكويت

١٩٨٤

د[illegible] ابرهيم شحادة الخواجة

أ[illegible]ك في جامعتي النجاح الوطنية والملك سعود

إهداء

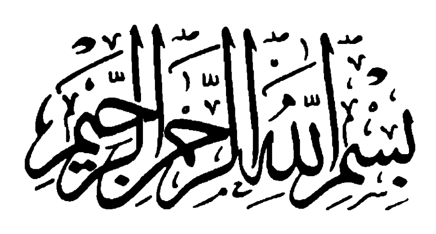
إلى زوجتي ماجدة ..

إلى أخي محمود ....

اللذين تحملا عني أعباء مختلفة في مراحل

إعداد هذا الكتاب

د. إبراهيم شحادة الخواجة


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الذين اصطفى وبعد فإنه بمجرد الانتهاء من حصولي على درجة الماجستير في الآداب سنة ١٩٧٢ من كلية الآداب بجامعة القاهرة، بدأت الجهود لتسجيل موضوع لنيل درجة الدكتوراه، فمضيت أقلب المصادر والكتب والبحوث الجامعية، وخلال ستة أشهر من العمل المتصل وجدتني أسعى الى أستاذى الدكتور يوسف خليف لأعرض عليه ما ظننته صالحا لهذا الغرض من مثل : شعراء الدعوة العباسية، الحياة الأدبية في فترة الدعوة العباسية، الشعر في الصراع بين العباسيين وخصومهم، وغير ذلك، ولكنه ـ حفظه الله ـ أشار عليّ بموضوع آخر هو : شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجري، فاتخذته موضوعا للدراسة نظرا لما شهده هذا القرن من اضطرابات واضحة في الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية، فخلال هذه الفترة كان الصراع محتدما والقلق السياسي سائدا وظهرت آثار ذلك كله في مختلف المجالات .

منذ أوائل القرن الثاني الهجري أصبحت الحالة السياسية للدولة العربية تنذر بحدوث انقلاب كبير، وتنافس على الحلبة أربعة أحزاب سياسية، حزب الدولة الحاكم وهو حزب بني أمية ثم حزب الشيعة، ثم حزب الخوارج وأخيرا حزب الموالي الذي تستر وراء معظم الثورات المناوئة للسلطة الأموية وشارك فيها . وكان لابد للشعر من مواكبة هذه الثورات والتعبير عنها وخلال السبعين سنة الأولى من حكم بني العباس شهد القرن الثاني الهجري صراعا سياسيا على السلطة من عدة أطراف، فشهد صراعا بين العباسيين والأمويين، ثم صراعا بين العباسيين

والعلويين، ثم صراعا بين العباسيين وفلول الخوارج كما شهد أخيراً صراعا بين العباسيين والموالي، وكان لابد للشعر من التعبير عن وجهات نظر هذه الأحزاب المتصارعة .

وأجد لزاما علي وأنا أخطو أولى خطواتي في سبيل دراسة شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجري أن أحدد ما أعنيه بهذا الشعر .

الشعر السياسي : فن من فنون الكلام يتصل بنظام الدول الداخلي وبنفوذها الخارجي، ومكانتها بين الدول الأخرى، ويعبر عن المشكلات السياسية والدينية وما تفرع عنها من فرق وطوائف ولا سيما أن ما اصطلح على تسميته بالأحزاب السياسية لم يتخذ شكلا سياسيا محددا إلا في وقت متأخر ولكنه اصطبغ صبغة دينية قوية بحيث كان كل حزب عبارة عن فرقة من الفرق الدينية ترجع في أصولها إلى آراء سياسية ومن هنا فإن الشعر السياسي هو الذى عبر عن الثورات السياسية والدينية وما تشعب عنها من طوائف وفرق كما عبر عن الجدل السياسي الذى دارت رحاه بين شعراء الفرق المختلفة وعكس لنا شيئا من نظريات وآراء الأحزاب والفرق الاسلامية .

وبعد أن مضيت في العمل في هذه الدراسة تبين لي أنها واسعة شائكة، وبعون الله تعالى وبمساعدة أستاذى المشرف تمكنت من لم أطراف هذا الموضوع بحيث جاءت الدراسة مقسومة في بابين :

الباب الأول : ويتناول دراسة الصراع السياسي وشعره في السنوات الثلاثين الأخيرة من تاريخ الدولة الأموية واتخذت له عنوانا هو : في العصر الأموي، وجاء هذا الباب في ثلاثة فصول، خصصت الفصل الأول للدراسة التاريخية لحركة الصراع السياسي في هذه الحقبة، فوقفت بشكل محدد عند ثورات الشيعة وثورات الخوارج وثورات الموالي ضد الحكم الأموي .

وخصصت الفصل الثاني للدراسة الموضوعية فأوضحت كيف أدى الشعر دوره في الصـراع بين الأمـويـين وكل من الشيعة والخوارج والموالي كما بينت دور الشعر في خدمة السلطة الأموية القائمة .

وأفردت الفصل الثالث من الباب الأول لدراسة أهم الشعراء الذين ظهر على ألسنتهم الشعر السياسي فبدأت بشعراء الشيعة ووقفت بشكل محدد عند كثير بن عبـد الـرحمن ثم الكميت بن زيـد الأسـدي وأتبعتهم بشعـراء المـوالي فوقفت عند اسماعيل بن يسار النسائي ، فيزيد بن ضبة ، ثم بشعراء الحزب الأموي فوقفت عند أبي العبـاس الأعمى فأبي عدى العبـلي ووقفت أخـيراً عنـد الطـرمـاح بن حكيم باعتباره أوفر شعراء الخوارج حظا في هذه الحقبة .

الباب الثاني : ويتنـاول دراسـة الصـراع السياسي وشعره في حوالي السبعين سنة الأولى من عمـر الـدولـة العبـاسيـة واتخـذت له عنـوانـا هو: في العصر العباسي ، ومضيت فيـه كما مضيت في البـاب الأول فجـاء في ثلاثة فصول أخرى، خصصت أولها للدراسة التاريخية فتعقبت الدعوة العباسية حتى انتصارها ثم نظرت في الموقف السيـاسي بعـد نجاح الانقلاب العباسي ، فنظرت في موقف السلطة من الأمويين ثم من الشيعة ثم من الخوارج وأخيرا من الفرس .

وأفردت الفصل الثاني للدراسة الموضوعية فنظرت في دور الشعر في هذا الصراع وكيف عبر عن الأحـداث السيـاسيـة الأخـرى في دوائـر الحزب العلوي ثم حزب الموالي وبينت أسباب تخلفه في دوائر حزبي الخوارج والأمويين .

وخصصت ثالث الفصـول من هذا البـاب لدراسـة أهم الشعـراء فوقفت عنـد شعـراء الشيعـة ، السيـد الحمـيري وسـديف بن ميمـون النمـرى، وديـك الجن الحمصى ، ثم وقفت عند شعراء الحزب الأموي ، أبي نخيلة وأبي عطاء السندي ، ثم وقفت بعد ذلك عند شعراء الحزب العباسي ، مروان بن أبي حفصة وأبي دلامة الاسدي وسلم الخاسر، ووقفت أخيرا عند أهم شعراء حزب الموالي، بشار بن برد وأبي يعقوب الخريمي وأخيرا أبي نواس .

ثم جاءت الخاتمة حيث لخصت البحث وبينت الجديد فيه وجعلتها تحت عنوان بين الأموية والعباسية أو بين التقليد والتجديد فرددت خلالها على النظرية القائلة بضعف الشعر السياسي في القرن الثاني .

ولما كانت مادة هذه الدراسة موزعة في كتب التاريخ القديم والتراجم كالطبري وابن الأثير وابن عساكر والمسعودي والكشي ، وفي كتب الفرق والملل والأهواء والنحل كالنوبختي والأشعري والبغدادي وابن حزم والشهرستاني والمقريزي وابن خلدون ، وكتب الأدب وطبقات الشعراء ومعاجم الأدباء فقد استفدت من تلك المصادر القيمة في تكوين صورة لتلك الفرق الاسلامية وما تشعب عنها من آراء ومذاهب وما استمر بينها من صراع سياسي خلال القرن الثاني الهجري ، كما أفدت فائدة كبرى من بعض الدراسات الحديثة العربية والاجنبية من مثل دراسات الدكتور طه حسين في حديث الأربعاء ومن حديث الشعر والنثر ، ودراسات الاستاذ أحمد أمين في فجر الاسلام وضحاه ودراسات الاستاذ أحمد الشايب في تاريخ الشعر السياسي والعامل السياسي في الأدب العباسي ، ودراسة الدكتورة سهير القلماوي في أدب الخوارج والدكتور شوقي ضيف في العصر الاسلامي والعصر العباسي الاول ودراسة الدكتور يوسف خليف عن حياة الشعر في الكوفة ودراسة الدكتور محمد مصطفى هدارة عن اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ودراسة الدكتور النعمان القاضي عن الفرق الاسلامية في الشعر الأموي وغير ذلك من الدراسات التى أمدتني ببعض الافكار في كثير من الآراء وأخذت بيدي في متاهات هذا القرن .

ومع ذلك كله فان الدراسة لم تكن سهلة لأنها تتناول شعر طائفة من الشعراء ظهروا في فترة زلزلت فيها أقدام الشعراء ، وتغيرت مواقفهم بحيث لا نكاد نجد شاعرا ذا لون ثابت الا نادرا فقد تحكمت في حياتهم الرغبة والرهبة وشاع في شعرهم الاضطراب العقلي والسياسي ، ومن هنا فقد اضطررت الى احترام كل ما وقعت عليه يداي فنظرت فيه بمنظار طالب العلم بعيدا عن الهوى والتعصب .

وانني اذ أرجو أن أكون قد وقفت في هذه الدراسة بمقدار ما بذلت فيها من جهد وما تجشمت من صعوبات فانني أرجو أن تكون خالصة للعلم وحده والله الموفق وله وحده العصمة والكمال .

الكويت في اكتوبر ١٩٨٣

د. ابراهيم الخواجة

استاذ مشارك في جامعتي الملك سعود والنجاح الوطنية

الباب الأول
في العصر الأموي

الفصل الأول :

دراسة تاريخية :

- ثورات الشيعة ضد الحكم الأموي
- ثورات الموالي ضد الحكم الأموي
- ثورات الخوارج ضد الحكم الأموي

الفصل الثاني :

دراسة موضوعية :

- دور الشعر في الصراع بين الأمويين والشيعة
- دور الشعر في الصراع بين الأمويين والموالي
- دور الشعر في الصراع بين الأمويين والخوارج
- دور الشعر في الدفاع عن سياسة الأمويين

الفصل الثالث:

دراسة لأهم الشعراء

- شعراء الشيعة
- شعراء الموالي
- شعراء الحزب الأموي
- شعراء الخوارج

الفصـــــل الأول

دراســـــة تاريخـــــة :

(أ) ثورات الشيعة ضد الحكم الأموي

(ب) ثورات الموالي ضد الحكم الأموي

(ج) ثورات الخوارج ضد الحكم الأموي

الباب الأول
في العصر الأموي

الفصل الأول : دراسة تاريخية :

(أ) ثورات الشيعة ضد الحكم الأموي :

عرف ابن منظور الشيعة فقال : « الشيعة القوم الذين يجتمعون على الأمر، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وكل قوم يتبع بعضهم رأى بعض فهم شيع، وقال الأزهري : ومعنى الشيعة : الذين يتبعون بعضهم بعضا وليس كلهم متفقين، ثم قال : والشيعة أتباع الرجل وأنصاره وجمعها شيع، وأشياع جمع الجمع، ويقال : شايعه كما يقال : والاه وأصل الشيعة الفرقة من الناس ويقع على الواحد والاثنين والجمع، والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، وقد غلب هذا الاسم على من يتوالى عليا وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين حتى صار اسما خاصا، فإذا قيل فلان من الشيعة عرف أنه منهم، وفي مذهب الشيعة كذا : أي عندهم .

ثم قال الأزهري والشيعة قوم يهون هوى عترة النبي صلى الله عليه وسلم ويوالونهم . » (١)

وعرفهم أحد أئمتهم في العصر الحديث فقال : « معنى الشيعة هو ليس حب علي فقط، وإنما الاقتداء به، ومتابعته أيضا » (٢)

فالشيعة لغة هم القوم الذين يجتمعون على أمر من الأمور، وهم أتباع الرجل وأنصاره والشيعة اصطلاحا هم أتباع علي وبنيه، يقولون بإمامتهم ويقتدون بهم ويتابعونهم في سلوكهم . ويختلف الباحثون والمؤرخون في تحديد الوقت الذى نشأ فيه الشيعة .

---

(١) ابن منصور، لسان العرب، فصل الشين حرف العين

(٢) محمد الحسين آل كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، ٧٧

ويذهب بعضهم إلى أن التشيع هو أول مذهب عرف في تاريخ الاسلام وأنه نشأ في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وأن أربعة من كبار الصحابة قد لقبوا باسم الشيعة هم : أبو ذر وسلمان والمقداد، وعمار (١)، وفي هذا يقول أحد أئمتهم : « إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الاسلام ـ هو نفس صاحب الشريعة الاسلامية، يعني أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الاسلام جنبا إلى جنب، وسواء بسواء، لم يزل غارسها يتعاهدها بالسقي والعناية حتى نمت وأزهرت في حياته، ثم أثمرت بعد وفاته » (٢)

وفي تفسير السيوطي شيء قريب من هذا، جاء في تفسير قوله تعالى : « أولئك هم خير البرية » أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبدالله قال : كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فأقبل علي فقال النبي : « والذي نفسي بيده أن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة » (٣)

ولما ارتحل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى دار القرار رأى جمع من الصحابة أن لا تكون الخلافة لعلى، أما لصغر سنه أو لأن قريشا كرهت أن تجتمع النبوة والخلافة لبنى هاشم، زعما منهم أن النبوة والخلافة إليهم يضعونها حيث شاءوا، ولكن جماعة من المسلمين ـ على نحو ما كان من العباس، وأبي سفيان (٤) ـ رأت أن أهل بيته أولى أن يخلفوه، وأولى أهل البيت العباس عم النبي وعلي ابن عمه، وعلي أولى من العباس، وأن العباس نفسه لم ينازع عليا في أولويته للخلافة، وإن نازعه في أولويته في الميراث في فدك . (٥)

---

(١) أحمد عارف الزين، مختصر تاريخ الشيعة، ١٠ فما بعدها
(٢) محمد الحسين آل كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، ١٠٩
(٣) جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في تفسير كتاب الله بالمأثور، سورة البينة
(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧/٦
(٥) أحمد أمين، فجر الاسلام، ٢٦٦ وأحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي، ١٨٤ وجولد تسهير، العقيدة والشريعة في الاسلام، ١٦٩

وذهب صاحب فرق الشيعة إلى أنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أفترقت الأمة ثلاث فرق، فرقة منها سميت الشيعة وهم شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام، ومنهم افترقت صفوف الشيعة كلها . . . » (١)

ويميل ماكدونالد إلى هذا الرأى ويقرر أنه ظهر في اجتماع السقيفة أربعة أحزاب، ثم عد الشيعة من بينها . (٢)

ولما توفي عمر في أواخر سنة ٢٣ هجرية اجتمع خمسة من المهاجرين هم أهل الشورى ومعهم عبدالله بن عمر، ولم يحضر طلحة بن عبدالله اجتماعهم ليتشاوروا فيمن يلي الخلافة، ومنذ اللحظة الاولى ظهر الصراع بين أهل الشورى، فلما لمس عبد الرحمن بن عوف حدة الصراع بين المجتمعين سألهم ان يخرج نفسه من المرشحين ليشرف على انتخاب الخليفة فأقروه على رأيه (٣) وبعد مداولات دعا عليا وقال له : عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده، فتحرج علي من ذلك، وقال: اللهم لا، ولكن على جهدى من ذلك وطاقتى، ثم دعا عبد الرحمن عثمان وقال له مثل ما قال لعلي: فقال عثمان: اللهم نعم، فرفع عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان ثم قال : اللهم اسمع واشهد، إني جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان، فازدحم الناس على عثمان يبايعونه (٤) ومنذ هذه اللحظة أبدى بنو هاشم معارضتهم لهذه البيعة، لأنهم كانوا يأملون أن تؤول الخلافة إليهم، وساندتهم في ذلك جماعة من الصحابة كانت ترى أن عليا أفضل من أبي بكر وعمر وغيرهما، وذكروا أن ممن كان يرى هذا الرأى عمارا، وأبا ذر وسلمان الفارسي، وجابر بن عبدالله والعباس وبنيه، وأبي بن كعب وحذيفة، إلى كثير غيرهم . (٥)

---

(١) النوبختي، فرق الشيعة، ٢

(٢) Mac Donald. Development of Muslim Theology, P. (8 - 10)

(٣) اليعقوبي، ٢ / ١٣٩

(٤) الطبري، ٣ / ٩٧ ، ٣٠١ فما بعدها ، وابن الاثير، ٣ / ٢٧

(٥) أحمد أمين ، فجر الاسلام، ٢٦٧ .

وروى الطبري أن عليا تلكأ في مبايعة أبي بكر ستة أشهر لأنه كان يرى نفسه أحق بالأمر (١) ولكن عليا الذى كان يتطلع إلى الخلافة من قبل أصبح بعد هذا الوقت زاهدا فيها، فلما عرضت عليه في أعقاب الثورة التى انتهت بمصرع عثمان رضي الله عنه في الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ٣٥ هجرية رفضها . (٢)

وما تمضى خمسة أيام على وفاة عثمان حتى يجتمع كثير من أهل المدينة فيأتون عليا ويلحون عليه في قبول امامة المسلمين، وأيدهم على ذلك الثائرون، ولكنه رد عليهم بقوله: « دعوني والتمسوا غيري، فإننا مستقبلون أمرا له وجوه، وله ألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول. » (٣) وما زالوا به حتى اضطر إلى قبول الخلافة خشية الفتنة، ومن هنا جاء رأى فلهاوزن القائل : « إن نشأة الشيعة كانت في أثناء الثورة على عثمان (٤) ورأى الدكتور طه حسين القائل : « ان الشيعة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة عند الفقهاء والمتكلمين ومؤرخي الفرق لم توجد في حياة علي، وإنما وجدت بعد موته بزمن طويل » - (٥) وإلى نفس المعنى أشار الدكتور ضياء الريس حيث اعتقد « أن الشيعة لم تظهر إلا في عهد علي، بل لم تظهر بمعناها الفني التاريخي إلا بعد هذا الوقت بكثير » . (٦)

وعلى الرغم من تباين الآراء، فإنه يمكن للباحث أن يلاحظ أن هذا التباين لم يكن جوهريا، ولكنه كان في تحديد معنى الشيعة، فمن قصد بالشيعة مجرد فكرة الدعوة لعلي وأنه أحق بالخلافة لأنه من آل البيت وأقرب قرابة رسول الله فقد مال إلى الاعتقاد بأن الشيعة ظهرت في اجتماع السقيفة الذي عقدت فيه البيعة لأبي بكر الصديق .

---

(١) الطبري، ٣ / ٢٠٢
(٢) المصدر السابق، ٣ / ٤١١ فما بعدها ، وابن الأثير ٣ / ٦٨ فما بعدها
(٣) ابن الاثير، ٣ / ٧٥
(٤) فلهاوزن، الدولة العربية وسقوطها، ٥٦
(٥) د . طه حسين ، الفتنة الكبرى، ٢ / ١٩٢
(٦) د . ضياء الريس، النظريات السياسية الاسلامية، ٢٧

ومن قصد بالشيعة تلك الفرقة الاسلامية بنظرياتها وآرائها وصبغتها التاريخية فقد مال إلى الاعتقاد بأن الشيعة لم تظهر إلا في أخريات عهد عثمان وعهد علي، حينما خرج الخوارج وأسسوا حزبهم وكونوا نظرياتهم السياسية .

ونشأت فكرة التشيع بسيطة، وقامت على أساس العاطفة القوية تجاه آل البيت والدعوة لعلي بالخلافة باعتباره أقرب الناس من الرسول صلى الله عليه وسلم، وآثرت الشيعة عليا على غيره بأفضليته في قرابة الرسول وفي الجهاد والاحاطة بعلوم الدين، ولزواجه من فاطمة بنت الرسول ولأنه والد الحسنين، ثم لأنه أظهر رغبة في الخلافة فكان بهذا كله رأس دعوة انتهزها أصحابه .

وترجع بوادر صراع المسلمين على الخلافة إلى اجتماع السقيفة حيث اجتمع الأنصار وأعلنوا أحقيتهم بالخلافة لأنهم نصروا الرسول وأعزوا الاسلام (١) أو لأنهم أخضعوا الناس لهذا الدين بأسيافهم (٢) ولكن أبا بكر وعمر وأبا عبيدة تداركوا الأمر وحالوا دون تحقيق ما أراده الأنصار وكسبوا البيعة لأبي بكر استنادا لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن الأئمة من قريش (٣)، غير أن أبا سفيان لم يرض عن بيعة أبي بكر وقال قولته المشهورة : « والله إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا دم يا آل عبد مناف، فيما أبو بكر من أموركم، أين المستضعفان، أين الأذلان علي والعباس (٤) ثم ذهب الى علي بن أبي طالب وعرض عليه البيعة بالخلافة، لكن عليا أبي عليه ذلك وزجره (٥) . ثم خبا الصراع بين الفريقين المتخاصمين، بني أمية وبني هاشم، واستمر الهدوء طيلة عهد الخليفتين أبي بكر وعمر لأنهما لم ينتميا لأي من المتخاصمين (٦) .

---

(١) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ١ / ٥ والطبري، ٣ / ٢٠٧
(٢) الطبري، ٣ / ٢٠٩
(٣) البلاذري، أنساب الاشراف، ١ / ٥٨٤
(٤) الطبري، ٣ / ٢٠٢
(٥) المصدر السابق، ٣ / ٢٠٣
(٦) ابن قتيبة، المعارف، ١٦٧ والمسعودي مروج الذهب، ٢ / ٣٠٥

وبعد وفاة عمر بن الخطاب عادت بوادر الصراع إلى الساحة من جديد حيث رشح بعضهم عليا للخلافة، على حين رشح آخرون عثمان (١) ولا سيما بعد أن تمت البيعة لعثمان حيث روى أن عليا أظهر عدم الرضا لانتخاب عثمان وقال عبد الرحمن ابن عوف : « هذا ليس أول يوم تظاهرتم به علينا » . (٢)

ولقد فتح عثمان البابل لبنى أمية على مصراعيه حتى لقد روى عنه قوله « لو أن بيدى مفاتيح الجنة لأعطيتها بني أمية حتى يدخلوا عن آخرهم . » (٣)

وأحاط بنو أمية بعثمان، ومضوا في تحقيق مأربهم وأطماعهم باسم عثمان من حيث لا يدرى (٤)

ولم يخفوا مطامعهم، روى أن أبا سفيان قال لجمع ضم بني أمية في دار عثمان : يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة . » (٥)

وطارت مقالة أبي سفيان بين المهاجرين والأنصار، فكانت سببا في نقمتهم على بني أمية وعلى خلافة عثمان (٦) ولا سيما بعد أن اتخذ عثمان مروان بن الحكم مستشارا له، وأقرَّ معاوية بن أبي سفيان واليا له على الشام والوليد بن عقبة واليا له على الكوفة، وعبدالله بن أبي سرح واليا له على مصر وبذلك تسلط بنو أمية على رقاب الناس من جراء ضعف عثمان وولعه بأقاربه . (٧) وذكرت الروايات التاريخية أن عليا كان من بين الذين لاموا عثمان على تقريبه بني أمية وتسليطهم على رقاب الناس . (٨)

---

(١) الطبري، ٥ / ٣٧
(٢) المصدر السابق، الصفحة ذاتها .
(٣) ابن الأثير، أسد الغابة، ٣ / ٣٨٠
(٤) الطبري، ٥ / ١٣٠
(٥) المسعودي، مروج الذهب، ٢ / ٣٥١ فما بعدها
(٦) المصدر السابق، ٢ / ٣٥٢
(٧) الطبري، ٣ / ٣٥
(٨) المصدر السابق، ٥ / ١١٢

ولما قتل عثمان وانتخب علي خليفة عارضه الأمويون وامتنعوا عن بيعته في بادىء الأمر، وحملوه تبعة الأحداث التي انتهت بمصرع عثمان (١) ولكنهم خلدوا إلى الهدوء وتظاهروا بالرضا بالأمر الواقع عندما رأوا الخلافة تعقد لعلي بتأييد من الناس على اختلاف طبقاتهم (٢) وسرعان ما اتضح موقفهم على حقيقته عندما خرجوا مع الزبير وطلحة على علي ولما يمض على بيعته أكثر من خمسة أشهر . (٣)

أما معاوية أبي سفيان فقد أعلن امتناعه عن البيعة متذرعا بالمطالبة بدم عثمان .

وقد لاحظ المؤرخون أن معاوية لم يكن حريصا على المطالبة بدم عثمان، والثأر له بمقدار ما كان يسعى إلى مصلحته الخاصة (٤) ولذلك كان يحرض أهل الشام على المطالبة بثأر عثمان (٥)ولذلك أيضا رأينا عليا يدعو أعيان المدينة وبينهم طلحة والزبير ليشاورهم في الامر، ثم جهز قواته تمهيدا لغزو معاوية، لكن تجمع الساخطين عليه في مكة شغله عن غزو الشام، (٦) وكان في مقدمة الثائرين عليه طلحة والزبير وبعض ولاة عثمان ممن كان عزلهم علي من أمثال عبدالله بن عامر ويعلي بن معاوية وكثير من أبناء أمية وفي مقدمتهم مروان بن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة، (٧) كما كانت أم المؤمنين عائشة، التي كانت تقيم بمكة وكان مشهورا عنها أنها تبغض عليا، قد حرضت على الخروج مع الثائرين فأجابت طلحة والزبير على ذلك واقترح عليهم عبدالله بن عامر أن يخرجوا إلى البصرة على زعم أن له صنائع بين أهلها (٨) ثم أعلن أن أم المؤمنين عائشة

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ٢ / ٣٦٢ فما بعدها
(٢) الطبري، ٥ / ١٥٣
(٣) الطبري، ٥ / ١٦٨ والمسعودي، مروج الذهب، ٢ / ٣٦٠
(٤) الطبري، ٥ / ١١٥
(٥) ابن الاثير، ٣ / ١١٠
(٦) المصدر السابق، ٣ / ١٥٦
(٧) الطبري، ٥ / ١٢٠
(٨) ابن الاثير، ٣ / ٨١

وطلحة والزبير خارجون إلى البصرة، فمن كان يريد اعزاز الاسلام، وقتال المحلين والطلب بثأر عثمان، ومن لم يكن له مركب وجهاز فليأت، فحملوا ستمائة رجل على ستمائة ناقة سوى من كان له مركب، ولحق بهم كثير من الناس (١) وبذلك حالوا بين علي وبين غزو الشام، والتقى علي وجنده بأصحاب عائشة وطلحة والزبير في حرب طاحنة في موضع بالبصرة يقال له الخريبة (٢) في موقعة الجمل التى تمخضت عن هزيمة المتمردين على خلافة علي، وانتهت بخضوع البصرة واسناد امورها إلى ابن عمه عبدالله بن عباس، وما أن يفرغ علي من انتزاع بيعة أهل البصرة، واخضاع ثائرتها حتى يرسل الى معاوية يدعوه إلى البيعة والدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار من طاعته(٣) فماطل معاوية فدعا علي أهل العراق لمحاربته وإرغامه على البيعة، وزحف بجيوشه من الكوفة والتقى بمعاوية وجنده في سهل صفين (٤) في ذي الحجة سنة ٣٦ هجرية، وبعد صراع رهيب بين أنصار علي ومعاوية مال الفريقان إلى الموادعة في شهر المحرم من سنة ٣٧ هجرية(٥) وتبودلت الرسل بين الفريقين، ولما لم ينتهوإلى شيء فقد تأهب علي بقواته لمهاجمة جند الشام، ودار بين الفريقين قتال عنيف رجحت فيه كفة جند الشام في بادىء الأمر، (٦) غير أن جند العراق ما لبثوا أن جمعوا شملهم بقيادة الأشتر بن مالك النخفعي وكاد الأمر ينتهي بانتصارهم، وعندئذ فكر عمر بن العاص في تدبير حيلة ينتهي بها القتال، فاقترح على جنده أن يرفعوا المصاحف على الرماح، لتحل السياسة محل الحرب حيث يتم اختيار حكمين، أحدهما يمثل أهل العراق والآخر يمثل أهل الشام، ولكن الحكمين لم يتمكنا من وضع حدود رادعة، للصراع، ولا سيما بعد أن قبل علي التحكيم حيث انقسم انصاره على أنفسهم مما أدى الى ظهور قوة سياسية جديدة هي قوة الخوارج . (٧)

---

(١) المصدر السابق، ٣ / ٨١ فما بعدها
(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان ٣ / ٤٢٦
(٣) الطبري، ٥ / ٩١
(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣ / ٤٢ وهي موقع قرب الرقة على شاطىء الفرات الغربي
(٥) نصر بن مزاحم، صفين ١ / ٣٧ فما بعدها
(٦) ابن الاثير، ٣ / ١١٤ / ١١٨
(٧) المصدر السابق، ٣ / ١٣٥ وابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ٥٣ والبغدادي، الفرق بين الفرق، ٥٨، (٦٠، واليعقوبي، ٣ / ١٥٦

ولما سار علي إلى الكوفة بعد موقعة صفين أتت جماعة من القراء، وغيرهم من أتباعه ممن اعتقدوا أنه أخطأ بقبول التحكيم، فخرج إليهم علي، وقال : ما أخرجكم علينا؟ قالوا : حكومتكم يوم صفين، فبين لهم أنه قبل التحكيم كارها وأنهم اضطروه إلى ذلك، (١) ثم دعاهم إلى دخول الكوفة فدخلوا معه عن آخرهم (٢) ولكن خضوعهم لم يدم وسرعان ما ساءت علاقتهم بعلي حين أخذ يستعد للتحكيم .

وعلى الرغم من اعتراض المعترضين فإن الفريقين المتخاصمين واصلا جهودهما السلمية لبحث مسائل الخلاف بيهما، واتفق الفريقان على أن عثمان قتل مظلوما وعلى أن معاوية ولي دمه، وأن من حقه أن يطالب بأخذ الثأر من قاتليه، واستقر رأيهما على خلع علي ومعاوية وترك الأمر شورى بين المسلمين ليختاروا لخلافتهم من يرضون . (٣)

وهذا في حد ذاته يعتبر انتصارا لبني أمية وهزيمة لبني هاشم لأنه قضى بخلع علي من الخلافة، أما معاوية بن أبي سفيان فلم يضره شيء، وقد تنبه معاوية إلى شيء من هذا حين قال « وحاكمناهم إلى الله، فحكم لنا عليهم، ثم جمع كلمتنا وأصلح ذات بيننا وجعلهم أعداء متفرقين، يشهد بعضهم على بعض بالكفر، ويسفك بعضهم دم بعض . » (٤)

وهكذا لم يتمكن الحكمان من وضع حد للصراع بين علي ومعاوية الذى دأب على إثارة القلاقل في وجه علي نحو ما كان من إرساله الحملات العسكرية التي كانت تغير على أطراف العراق وبلاد العرب، ومن ذلك ما كان من ذهاب معاوية

---

(١) ابن الاثير، ٣ / ١٣٠ فما بعدها، وتضيف بعض الروايات التاريخية أنه كان خائفا على ولديه أو لما أصاب أتباعه من خور وفشل في الحرب .
(٢) المصدر السابق، ٣ / ١٣٠ فما بعدها
(٣) الطبري، ٥ / ٩٤
(٤) الطبري، ٥ / ٩٤ فما بعدها

إلى بيت المقدس لأخذ البيعة سنة ٤٠ هـ(١) وبينما علي يستعد للمسير إلى معاوية لوضع حد لاستفزازاته طعنه أحد الخوارج. (٢) وعندئذ تتم البيعة للحسن بن علي، ويرى الحسن أن ينهض لمحاربة معاوية بنفس الزحف الذى أعده أبوه قبل اغتياله، ولكنه يدرك أنه لا قبل له بمعاوية ولا سيما أن لمس أن أهل العراق غير جادين في السير معه، عندئذ كتب الحسن بن علي إلى معاوية متنازلا عن الخلافة ومطالبا بالصلح حقنا للدماء وتلافيا للفتنة، ولكن أخاه الحسين ومن كان معه اعترضوا على ذلك ولم يدخلوا في بيعة معاوية، وواصلوا قتاله، ولكن معارضتهم لم تستمر طويلا وانتهت بالدخول في طاعة معاوية .

وعندما ينتقل الحسن إلى جوار ربه بعد دخول أخيه الحسين وأنصاره في بيعة معاوية بقليل تتوافد جماعات من الشيعة إلى الحسين لأنه لم يكن راضيا عن بيعة أخيه الحسن لمعاوية .

وما أن تنتقل الخلافة الاموية إلى يزيد حتى يرفض الحسين أن يبايع له، وتجيئه كتب أهل العراق تدعوه وأهل بيته إلى العراق، وتعده بالنصر والانضواء تحت رايته، ويتحرك حشدهم إلى الكوفة ولكن أنباءهم تصل إلى الأمويين فيتجردون لقتالهم . وفي ذات الوقت يتخلى أهل الكوفة عن نصرة الحسين ويخذلونه فتقع مأساة كربلاء، وفيها يفجع المسلمون بمقتل الحسين ومن كان معه من آل البيت، وهي أول مأساة حقيقة يتعرض لها الطالبيون بسبب الخلافة ومن يومها يصبح دم الحسين شعارا يرفعه كل ثائر على سلطان الأمويين، ومن يستقرىء الأحداث يرى أن هذه المأساة قد أضرت كثيرا بالامويين وخلفت سحابات سوداء قاتمة تغلف نفوس المسلمين عامة وأنصار آل البيت خاصة كلما نظروا إلى السلطة الأموية .

---

(١) الطبري، أحداث سنة ٤٠ هجرية

(٢) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ١ / ٢٥٣ - ٢٥٧

ومعنى هذا أن « دم الحسين » قد فتح أبواب الصراع في وجه الأمويين فقامت « حركة التوابين » في الكوفة، وكان شعارها الثأر لمقتل الحسين (١) وقادها سليمان بن صرد الخزاعي، الذي كان على رأس الجماعة التي دعت الحسين إلى الكوفة، واشترك فيها أربعة من رؤساء الشيعة من قبائل فزارة والأزد وبكر وبجيلة (٢) وذلك بعد أن تداولوا في دعوتهم للحسين واستشعروا الندم ورأوا أن عارهم لا يمحوه إلا قتل من قتله (٣) ولم تظل نيران الثورات الشيعية سرية إلى أمد طويل وسرعان ما انطلقت من عقالها في نحو أربعة آلاف (٤) وكانوا مزودين بالسلاح واتجهوا إلى كربلاء حيث مرقد الحسين فأقاموا يوما وليلة ثم صاحوا صيحة واحدة طالبين التوبة والمغفرة من الله لخذلانهم الحسين ولذلك ذكرهم التاريخ باسم التوابين، وخرج هؤلاء بعد ذلك لمحاربة عبيد الله بن زياد لاعتقادهم بأنه كان مسؤ ولا عن تجهيز الجيش الذى قتل الحسين، (٥) وكان ابن زياد قد ارتحل إلى الشام لاعداد جيش يستعيد به نفوذ مروان بن الحكم على بلاد العراق بعد أن امتد إليها نفوذ ابن الزبير، فتلتقى جيوش الشيعة بقيادة سليمان بن صرد بجيوش الشام بقيادة الحصين ابن نمير السكوني في عين الوردة سنة ٦٥ هجرية (٦) وهناك تجرى مفاوضات بين الفريقين، ويتثبت أهل الشام بمبايعة عبد الملك بن مروان بينما يطالب التوابون بخلع عبد الملك وتسليم عبيد الله بن زياد ليقتلوه ثأرا للحسين، واخراج آل الزبير من العراق، واعادة السلطة إلى آل بيت النبي .

---

(١) الطبري، ٧ / ٦٦
(٢) المصدر السابق، ٧ / ٦٠
(٣) ابن الاثير، ٤ / ٦٢
(٤) المسعودي، التنبيه والاشراف، ٣١١ وكذلك فلهوزن، الخوارج والشيعة، ١٩٣
(٥) الطبري، ٧ / ٦٦ فما بعدها
(٦) المسعودي، التنبيه والاشراف ، ٣١١

ورفض كل من الفريقين الاستجابة لطلب الآخر ودارت بينهما معركة انتهت باستشهاد سليمان بن صرد وعدد ممن كانوا معه ولم ينج منهم إلا القليل، (١) ورحلت فلولهم إلى الكوفة، ومهما تكن النتيجة التي انتهت اليها ثورة التوابين فإنها ولا شك تعد كما قال الأستاذ الدكتور يوسف خليف: « أشد ثورة قام بها الشيعة منذ مقتل علي » وانها كشفت الرماد عن جذوة التشيع وأشعلت فيها النار حتى ساعدت في النهاية على الاطاحة بحكم الأمويين » . (٢) كما أنها كانت إرهاصا للثورة التى تزعمها المختار بن أبي عبيد الثقفي، الذى كان معروفا بطموحه السياسي المبكر وبتطلعه إلى السلطة، كما كان معروفا بتذبذبه السياسي بين الأحزاب المختلفة ومن ذلك أنه كان فى صف الامام علي ولكنه انحرف عن ابنه الحسن بعد ذلك، يقول الشهرستاني في المختار « كان خارجيا ثم صار شيعيا كيسانيا . (٣)

وتكتسب ثورة المختار أهمية خاصة نظرا لما قام به الموالي خلالها من دور بارز، حيث عرف المختار كيف يسخرهم لاغراضه، فصار يعطيهم نصيبهم من الفىء (٤) مما جعل أعيان الكوفة ينقمون عليه ويقبلون على مصعب بن الزبير في البصرة يسألونه أن يسير معهم إلى الكوفة لتخليصها من المختار الذى أثار عليهم مواليهم . (٥)

وهكذا استطاع المختار أن يستفيد من هذه العناصر الحاقدة على السلطة الأموية، التي كانت تضغط عليهم وتدوسهم تحت أقدامها فتعاونوا مع الثوار الذين يسعون للقضاء على تلك الدولة . (٦)

---

(١) ابن الاثير، ٤ / ٧٣ وما بعدها وكذلك ترجمة سليمان بن صرد في طبقات ابن سعد ٦ / ١٦
(٢) د . يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة، ٧٣
(٣) الشهرستاني، الملل والنحل، ١ / ٢٣٦
(٤) الطبري، ٧ / ١٢١
(٥) المصدر السابق، ٧ / ١٢١
(٦) خودا بخش، مقدمته لكتاب فون كريمر، الحضارة الاسلامية، ٣٧ فما بعدها

ولم تلبث جيوش مصعب بن الزبير أن داهمت المختار وحزبه وقضت عليه. على أن هذا الفشل الذى منيت به ثورة المختار يجب ألا يصرفنا عن الادعاء بأن ثورته كانت موجهة ضد الأمويين، طالما أنه حاول أن يعمل مع ابن الزبير لتقويض دعائم الحكم الأموي، فحاربت تحت رايته عندما كانت قوات يزيد بن معاوية تحاصر مكة (١) هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الشعار الذى كان يرفعه المختار هو العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والطلب بدماء آل البيت وجهاد المحلين والدفاع عن الضعفاء . (٢)

ويعلل الشهرستاني شهرة المختار بأمرين، فيقول : « وإنما انتظم بأمرين، أحدهما انتسابه إلى محمد بن الحنفية علما ودعوة، والثاني قيامه بثأر الحسين » . **(٣)**

وما يمكن ملاحظته أن مصرع المختار لم يسدل الستار على الدور الفذ الذى لعبته ثورته على مسرح الحياة السياسية والعقيدية، فقد ضربت جذور هذه الدعوة بعيدا في أعماق الحياة الاسلامية، ونستطيع أن نتتبعها في مجالين أساسيين، أما المجال الأول فنراه واضحا في ثورات الموالي الذين مهد لهم المختار التربة عندما أشعرهم بأهمية الدور الذى يمكن لهم أن يمارسوه على مسرح الأحداث فيما بعد بحيث أصبح الموالي اسفين هدم يدق في نعش الدولة العربية ويفت في عضدها، وأما المجال الثاني فيتمثل في تلك الجماعات التي تحالفت مع الموالي، وقامت على أكتافهم، وطبيعي أن يترك هذا التحالف الذى تحقق على يدى المختار فيما بين الموالي والشيعة، آثارا ملتهبة متأججة في أذهان الناس، (٤) ومعنى ذلك أن حركة المختار اكتسبت صفة دينية إلى جانب مظهرها السياسي، لأن التشيع قبل حركة المختار كان مقصورا على العرب، أما في حركة المختار فقد انتشر التشيع بين أتباعه وأنصاره من الموالي، ويبدو أن الأمويين قد فطنوا إلى هذا فسعوا إلى القضاء على

---

(١) الطبري، ٧ / ١٢٠

(٢) ابن الاثير، ٤ / ٨٨

(٣) الشهرستاني، الملل والنحل، ١ / ١٣٦

(٤) Wellhausen; The Arab Kingdom and its Fall; P 226 - 227

ثورات الشيعة بكل ما أوتوا من حيلة لاعتقادهم بأن ذلك من شأنه أن يقضي على أعـداءهم في السياسة - وهم الشيعة وأعداءهم في الجنس - وهم الموالي الذين انضموا إلى المختار واستطاع أن يكون منهم فرقة شيعية عرفت بالمختارية أو الكيسانية . (١) نسبة إلى كيسان الذى اختلفت فيه الروايات فقال بعضها : « إنه كان لقبا للمختار بن أبي عبيد الثقفى ، زعيم هذه الفرقة ومؤسسها . « وقالت روايات أخرى » بل هو اسم لمولى من موالي علي ، وهو الذي حرض المختار على الكلب بدم الحسين» . (٢)

وقالت روايات ثالثة : « وأيا كان الأمر فيه فقد عرفت الشيعة من أصحاب المختار بالانتساب إليه ، كما عرفوا باسم السبأية ، وبالموالي أيضا ، إذ كان السبأية والموالي شيئا واحدا ، وكان السبأية يسمون بالكيسانية » . (٣)

ولقد التقت كلمة الكيسانية عند إمامة محمد بن الحنفية ولكنها اختلفت وتفرقت عند سبب إمامته ، فزعم بعضهم أنه أصبح إماما بعد أبيه علي بن أبي طالب ، واستدلوا على ذلك بأن عليا دفع إليه الراية يوم البصرة ، دون أخويه . (٤)

وقال آخرون « أن الامامة بعد علي كانت لابنه الحسن ثم للحسين ، ثم صارت إليه بوصية أخيه الحسين(٥) وزعم فريق من الكيسانية أن محمد بن الحنفية لم يمت وأنه مقيم بجبل رضوى من أعمال ينبع وسيعود من هذا المكان ليخلص الأمة من المحن والأرزاء ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا . (٦)

---

(١) ابن حزم ، الفصل في الملل والنحل ، وكذلك النوبختي ، فرق الشيعة ٢٠ - ٢٤ ، وفان فلوتن ، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية ترجمة د . حسن ابراهيم حسن ، ٨٢

(٢) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ٢٧

(٣) فلهاوزن ، الخوارج والشيعة ٢٤٠ ، كما عرفوا باسم الخشبية نسبة الى العصى الخشبية التي كان أنصاره من الموالي يستعملونها في قتال أعدائهم ، أو لأن جنود المختار الذين وجههم لنجدة ابن الحنفية حين حبسه ابن الزبير في سجن عارم بمكه ووضع حوله الخشب ليحرقوه أو يبايعه ، وكانوا قد أخذوا الخشب فقاتلوا به فسموا الخشبية . . انظر الأغاني ، ٩ / ١٥

(٤) النوبختي ، فرق الشيعة ، ٢٠ وما بعدها

(٥) الشهرستاني ، الملل والنحل ، ١ / ١٩٧

(٦) المرجع السابق ، الصفحة ذاتها

وزعم فريق آخر بموت محمد بن الحنفية (١) كما كانت الكيسانية أول من نادى بأن لكل شيء ظاهرا وباطنا وبأن لك شخص روحا ولكل تنزيل تأويلا . (٢)

وقد ترك قولهم بالفكرة الباطنية مردودا سيئا وفتح الباب لتسرب كثير من العقائد غير الاسلامية إلى الشيعة ـ تلك العقائد التي انتقلت إليها عن المجوسية والمانوية والبوذية وغيرها من الديانات (٣) ولهذا اضطر محمد بن الحنفية إلى إعلان البراءة من المختار عندما قال ببدع وضلالات منافية للدين وخارجة عنه . (٤)

وبسقوط المختار يخبو صوت الشيعة ولا يظهر لهم أي نشاط ابان عهد الوليد بن عبد الملك وعهد عمر بن عبد العزيز، وكان عمر بن عبد العزيز قد كتب إلى ولاته بمنع سب علي بن أبي طالب على المنابر (٥) وأثمرت هذه السياسة العمرية، المهادنة ثمارا يانعة عندما تولى هشام بن عبد الملك حيث عهد بولاية العراق إلى خالد بن عبدالله القسرى. فأحسن القسري معاملة الشيعة، وأكرم رفادتهم عندما جاءه وفد بني هاشم، (٦) ومع ذلك فقد اضطره منصبه كوال من ولاة بني أمية أن يظهر شتم علي بن أبي طالب تمشيا مع السياسة العامة التي سار عليها العمال والولاة الأمويون ولكن مهادنته لبني هاشم وتعاطفه معهم كان من بين الأسباب التي أدت إلى عزله عن ولاية العراق (٧) ولذلك رأينا خلفه يوسف بن عمر الثقفى لا يدع أحدا يعرف بموالاة بني هاشم ومودة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بعث اليه وحبسه عنده بواسط (٨) وبلغ من نقمة يوسف بن عمر على

---

(٤) البغدادي، الفرق بين الفرق، ٢٧ وما بعدها
(٥) الشهرستاني، الملل والنحل، ١٢ / ٢٠١
(٦) فان فلوتن، السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات، ٨٣ وما بعدها
(٧) الشهرستاني، الملل والنحل، ١ / ٢٣٨ وكذلك فرق الشيعة، للنوبختي، ٢٥
(٨) ابن الاثير، ٥ / ١٦
(١) الطبري، ٨ / ٢٦٤ وما بعدها
(٢) المصدر السابق، ٨ / ٢٦٠ وابن الاثير، ٥ / ٨٨ وابن خلكان، وفيات الاعيان ٢ / ٨، ويستطيع الباحث ان يلتمس عدة أسباب لعزل خالد القسري عن ولاية العراق، ولعل في مقدمتها ما كان من نقص ايرادات ضياع هشام، وما كان من سخائه وعطاياه للناس، وكذلك ازدياد نفوذ النصارى في عهده ومعلوم ان أمه كانت نصرانية وأنه نبى لها كنيسة .
(٣) الدينوري، الاخبار الطوال، ٣٣٩

بني هاشم أنـه بعث إلى هشـام بن عبـد الملك يتهم زيد بن علي بن الحسين بوديعة لخالـد بن عبـدالله القسـري والي العـراق الأسبق، فبعث هشام إلى زيد يستدعيه لمقابلته (١) وسأله عن الوديعة فأنكرها، فأمره هشام بالمسير إلى حيث يوسف بن عمـر حتى يجمـع بينـه وبـين خالـد، وتشير الروايات التاريخية إلى حدوث مشادة عنيفة بين هشام وزيد على نحوما روى اليعقوبي من أن الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك قال لزيد: «لقد بلغني يا زيد أنك تذكر الخلافة وتتمناها ولست هنالك وأنت ابن أمـة. قال زيـد: انـه ليس أحـد أولى ولا أرفـع درجـة عنـد الله من نبي ابتعثـه، وقـد كان اسـماعيل ابن أمة وأخوه ابن صريحة فاختاره الله عليه وأخرج منه خير البشـر ومـا على أحـد من ذلـك إذ كان جده رسـول الله وأبـوه علي بن أبي طالب. (٢)

ويبدو أن هذه التهمة قد لفقت على زيد تلفيقا ولا سيما أن المؤ رخين يرون أنه لما جمع بين خالد وبين زيد في مجلس يوسف ابن عمر قال خالد بن عبدالله القسري ليـوسف بن عمـر: «أتـريـد أن تجمـع مع إثمك في إثما في هذا، كيف أودعه وأنا أشتمـه وأشتم آبـاءه. »(٣) ثم قال: ما لي عنـده قليل ولا كثير. (٤) كما قال: «وما أردتم بإحضاره إلا ظلمة» (٥) وهكذا خرج زيد من هذه التهمة التى لفقت عليـه، وفي يقيني أن هذه الحـادثـة عملت على اشعـال جذوة الصـراع الشيعي الأمـوي، من جديـد حيث أبـدى زيـد بن علي بأنـه أهـل للخـلافة وأحق بها من الأمويين، وليس أدل على ذلك من تلك المشادة التي وقعت بين زيد وهشام.

---

(١) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، (١١٢)
(٢) اليعقوبي، ٢ / ٣٩٠
(٣) ابن الاثير، ٥ / ٩١
(٤) الطبري، ٨ / ٢٦١
(٥) اليعقوبي، ٢ / ٣٩١.

ومع أن الروايات التاريخية تختلف في مجريات الأحداث بعد هذا اللقاء، إلا أنها تكاد تتفق على أن زيد بن علي قد بقي في الكوفة بعد أن خرج من هذه التهمة الملفقة، فعلى حين يروى اليعقوبي أن يوسف بن عمر قال لزيد في نهاية المقابلة: « أن أمير المؤمنين أمرني أن أخرجك من الكوفة ساعة قدومك » . قال: فأستريح ثلاثا ثم أخرج، قال: ما إلى ذلك سبيل. قال فيومي هذا، قال ولا ساعة واحدة. فأخرجه مع رسل من قبله، فتمثل بالأبيات التالية :

منخرق الخفين يشكو الوجى	تنكبه أطراف مرو حداد
شرده الموت وأزري به	كذاك من يكره حر الجلاد
قد كان في الموت له راحة	والموت باق في رقاب العباد

فلما صار « بالعذيب » انصرفوا وانكفأ زيد راجعا إلى الكوفة فاجتمع إليه من بها من الشيعة، (١) يروي الطبري : « أن الشيعة جعلت تختلف إلى زيد بن علي وتأمره بالخروج، ويقولون: إنا لنرجو أن يكون هذا الزمان الذى يهلك فيه بنو أمية، فأقام بالكوفة، فجعل يوسف بن عمر يسأل عنه، فيقال: هو ها هنا، فيبعث إليه : أن أشخص، فيقول: نعم، ويعتل له بالوجع فمكث ما شاء الله ثم سأل عنه أيضا فقيل له: مقيم بالكوفة بعد لم يبرح، فبعث إليه فاستحثه على الشخوص، فاعتل عليه بأشياء يبتاعها وأخبره أنه في جهازه، ورأى جد يوسف في أمره فتهيأ ثم شخص حتى أتى القادسية . (٢)

ثم يروى الطبري مرة أخرى : « أن زيدا أقام بالكوفة أربعة أشهر أو خمسة ويوسف يأمره بالخروج، ويكتب إلى عامله على الكوفة، وهويومئذ بالحيرة، يأمره باخراج زيد، وزيد يذكر أنه ينازع بعض آل طلحة بن عبدالله، فكتب العامل بذلك إلى يوسف بن عمر، فأخره أياما ثم يبلغه أن الشيعة تختلف إليه، فكتب

(١) اليعقوبي، ٢ / ٣٩١

(٢) الطبري، ٨ / ٢٦٣ وما بعدها وانظر كذلك
Wellhausen; The Arab Kingdom and it's Fall P. 337 -338

اليه : « أن أخرجه ولا تؤخره، وإن ادعى أنه ينازع فليجر جرا، وليوكل من يقوم مقامه فيما يطلب . (١)

كما يروى الطبري رواية ثالثة تفيد « أن هشاما كتب إلى يوسف أن أشخص زيدا إلى بلده، فإنه لا يقيم ببلد غيره فيدعو أهله إلا أجابوه، فأشخصه . (٢)

ويبدو أن رواية اليعقوبي أقرب إلى مجريات الأحداث ولا سيما أنها تشير إلى خروج زيد في اثر المقابلة ثم رجوعه سرا إلى الكوفة ليباشر الدعوة سرا ويقوى هذا الرأي أن ابن الأثير يروى « أن زيدا أتى الكوفة من الشام واختفى يبايع الناس » . (٣) ومعنى هذا أن زيدا استقر في الكوفة بعد أن اتخذ الحيطة لنفسه فجعل لا يقيم في منزل واحد حيث دفعه الحذر الشديد إلى التنقل والاختفاء ليصبح بمنجاة عن جواسيس يوسف بن عمر « فتارة في بيت امرأة من الأزد، ومرة في اصهاره السليميين، ومرة عند نصر بن خزيمة من بني عبس، ومرة في بني غبر » . (٤)وهكذا حتى أقام في الكوفة بضعة عشر شهرا . (٥) وكان حريصا على استغلال الأوضاع الملائمة للعمل ضد الدولة الأموية فأرسل إلى أهل السواد والموصل رجالا يدعون اليه . (٦) واستهوت دعوته الناس في المدائن والبصرة وواسط وخراسان والري وجرجان والجزيرة حتى بلغ أتباعه بالكوفة وحدها خمسة عشر ألفا . (٧) هذا عدا عن أهل المدائن والبصرة وواسط والموصل وخراسان والري وجرجان ممن أشرنا إليهم، فبايعه هؤلاء جميعا على العمل بكتاب الله وسنة نبيه، وجهاد الظالمين والدفاع عن آل البيت ضد أعدائهم الذين اغتصبوا حقوقهم (٨) وخلال ذلك كان زيد قد تهيأ للثورة وحدد يوم الاربعاء أول ليلة من صفر سنة

---

(١) الطبري : ٨ / ٢٦٤ وما بعدها
(٢) المرجع السابق، ٨ / ٢٦٥
(٣) ابن الأثير، (٥ / ٩٢) فما بعدها
(٤) انظر الطبري، (٨ / ٢٦٧)
(٥) الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، (١٣٥) وكذلك البلاذري أنساب الاشراف (٣ / ٢٠٢)
(٦) الطبري، (٨ / ٢٦٧)
(٧) ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، (١١٣)
(٨) الطبرى، ٨ / ٢٦٧، وابن الاثير، ٥ / ٩٢

١٢٢ هجرية بداية لها » . (١) وهنا ينطوي عهد السرية لثورة زيد بن علي ويبدأ الدور العملي ولا سيما بعد أن اطمأن زيد إلى تكاثر الأنصار من حوله فأمرهم بالتأهب للخروج .

وهكذا دبرت المؤامرة في الكوفة وما جاورها ولم يكن يوسف بن عمر على علم بشيء من هذا لأنه كان وقتئذ بالحيرة ولكن حدث أن استطاع أحد الأمويين الحصول على بعض أخبارها فأرسل يخبر الخليفة هشام بن عبد الملك، فكتب هشام إلى والي الكوفة يقول: « أنك لغافل وزيد غارز ذنبه بالكوفة، يبايع له، فالح في طلبه . (٢) وهنا يسرع الوالي في طلب زيد ويعد جيشا من جند الشام ولكن أهل الكوفة يعلمون بها أقدم عليه يوسف بن عمر فيجتمع فريق من رؤسائهم إلى زيد بن علي، ويسألونه عن رأيه في أبي بكر وعمر، فقال زيد: رحمهما الله وغفر لهما، ما سمعت أحدا من أهل بيتي يتبرأ منهما ولا يقول فيهما إلا خيرا، قالوا: فلم تطالب بدم أهل هذا البيت إلا أن وثبا على سلطانكم فنزعاه من أيديكم، فقال لهم زيد: ـ أن أشد ما أقول فيما ذكرتم: إنا كنا أحق بسلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس أجمعين وأن القوم استأثروا علينا ودفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرا، قد ولوا فعدلوا في الناس، وعملوا بالكتاب والسنة . (٣)

وكانت ردود زيد نذير شؤم على أصحابه حيث رأى أكثرهم أنه فرط بحق مقدس من حقوقه عندما اعتقد أن أبا بكر وعمر خليفتان شرعيا، ومن ثم انصرفوا عنه ونكثوا بيعته . (٤) ولذلك لم يشترك معه في تنفيذ خطة الهجوم الموحد سوى مائة وخمسين رجلا . (٥) وفي رواية أخرى « أن عدد من اشترك معه بالفعل في هذا الهجوم مائتان وثمانية عشر رجلا، وقد ساء هذا زيدا، لأنه كان يتوقع أن ينضم

(١) البلاذري، أنساب الاشراف، ٣ / ٢٠٢
(٢) الطبري، ٨ / ٢٧٧
(٣) الطبري : ٨ / ٢٧٤
(٤) فلهاوزن : الخوارج والشيعة، ٢٥٧ وما بعدها
(٥) البلاذري : أنساب الاشراف ، ٣ / ٢٠٢

إليه كل من بايعه » . (١) وهم كثيرون على نحو ما روى لنا، على أن قلة عدد من اشترك معه لم تثنه عن عزمه أو تفت في عضده فرأيناه وأنصاره يشتبكون مع جند الشام في عدة معارك ويحققون النصر أول الأمر، وروى المؤرخون أن زيدا أبلى فيها بلاء حسنا وأنه ما رأى الناس قط فارسا أشجع منه، وأن جيشه تمكن من السيطرة على الكوفة مدة يومين، لكنه مني أخيرا بالهزيمة وقتل. (٢) ومع ذلك فقد خلفت ثورة زيد بن علي آثارا خطيرة على تحركات الحزب الشيعي بعد ذلك حيث ظلت فرقة الزيدية ـ « وهم أتباعه ـ موالية له، وخاضت من أجله سلسلة طويلة من الحركات الشيعية أدت آخر الأمر إلى سقوط الأمويين» (٣) وما أن يهزم زيد حتى يفر ابنه يحيى إلى خراسان سنة ١٢٥ هجرية وهناك يلتف من حوله أنصار والده من الشيعة الذين عرفوا بالزيدية ويعملون معا تحت لواء يحيى بن زيد، ويظل يحيى في خراسان حتى وفاة الخليفة هشام ويخلفه الوليد بن يزيد، فيشعل يحيى نيران الثورة في وجه تعسف الأمويين ويثور على الظلم « وما عم الناس من الجور» . (٤)

ويتصدى نصر بن سيار والي الأمويين على خراسان إلى مطاردة يحيى وشيعته فيلتقي بيحيى وصحبه عند الجوزجان فيقاتله يحيى حتى يقتل ويكون مقتله آخر نكبة يمنى بها العلويون فى العهد الأموى، ويرتاح الخليفة الأموى، الوليد بن يزيد لمقتل يحيى بن زيد ارتياحا عظيما حيث يكتب إلى واليه على الكوفة (يوسف بن عمر الثقفى) يقول له : « إذا أتاك كتابي هذا، فانظر عجل العراق (٥) فأحرقه ثم نسفه في اليم نسفا والسلام » (٦) . واستجاب الوالي لأمر خليفته فأحرقه ثم ذراه

---

(١) الاصفهاني : مقاتل الطالبين، ١٣٧

(٢) الطبري : ٨ / ٢٧٦، ٢٧٤، والاصفهاني : مقاتل الطالبين، ، ١٤٢ وما بعدها

(٣) بركلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية، ١ / ١٩٠

(٤) انظر أخبار ثورة يحيى بن زيد في الطبري، ٨ / ٣٠٠ وما بعدها

يشير بذلك الى زيد بن علي حيث كانت جثته ما تزال مصلوبة حتى أيام الوليد بن يزيد انظر الاصفهاني،

(٥) مقاتل الطالبين، ١٤٤

(٦) الاصفهاني : مقاتل الطالبين ١٤٧

في الفرات (١) وقال والله يا أهل الكوفة لأدعنكم تأكلونه في طعامكم وتشربونه في مائكم . (٢)

ومـع أن ثورة يحيى بن زيـد قد منيت بالفشـل إلا أنها أسهمت اسهاما كبيرا في تقـويض سلطـان الدولة الأموية . روى اليعقوبي أنه لما قتل زيد : تحركت الشيعة بخراسان ، وكثر من يأتيهم ويميل معهم ، وجعلوا يذكرون للناس أفعال بني أمية ، ومـا نالـوا من آل الـرسـول ، حتى لم يبق بلد إلا فشـا فيه هذا الخبر ، وظهر الدعاة ورؤ يت المنامات وتدورست الملاحم . (٣)

وبلغ من شدة تعلق أهل خراسان بزيد وولده يحيى أنه لم يولد ولد في تلك السنة الا أسمـوه زيـدا أو يحيى . (٤) وسنـرى بعد ذلك أن دعاة الزيدية الذين ثاروا في أرض خراسـان قد مهـدوا للثـورة العباسية واعتبر وا ارهاصا من ارهاصاتها وبأنهم قاموا بهذا الدور بطريقة غير مباشرة وذلك عندما رفعوا شعار « الثورةعلى الظلم » وتنفيذ أحكام القرآن في دولة يقوم على رأسها « الرضا من آل محمد » . (٥)

ولم تكن ثورتـا زيـد بن علي وابنـه يحيى بن زيـد آخـر ثورات الشيعـة في وجـه الأمـويـين ولا نهايـة المطاف في صراع الشيعة معهم ، فقد ظل الشيعة رغم ما لاقوه من اضطهاد الأمويين وعسفهم يتحينون الفرص للثورة على الأمويين حيث أوغروا صدر (عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب) ودفعوه إلى الخروج والـدعـوة لنفسـه ، قالـوا له : « ادع إلى نفسـك ، فبنـو هاشم أولى بالأمـر من بني مروان . (٦) وصادف قولهم هوى من نفس ابن معاوية فأخذ ينشر الدعوة سرا في

---

(١) الطبري : ٨ / ٣٠١
(٢) اليعقوبي : ٢ / ٣٩١
(٣)
(٤) المسعودي : مروج الذهب، ٣ / ٢٢٥
(٥) Wellhausen, The Arab Kingdom and it's Fall9 P. 385
(٦) الطبري ٩ / ٤٨

الكوفة فبايعه سائر أهلها ثم خرجوا معه لقتال جند الشام الذين كانوا مع عبدالله بن عمر وذلك في المحرم سنة ١٢٧ هجرية (١) ولم يكن ابن معاوية أحسن حظا من أسلافه فقد فر كثير من أهل الكوفة في أثناء القتال ولم يثبت غير ربيعة والزيديية الذين ظلوا يقاتلون حتى أخذوا لأنفسهم ولعبدالله بن معاوية الأمان على أن يرحلوا حيث شاءوا . (٢) فخرج بهم عبدالله بن معاوية من الكوفة قاصدا المدائن حيث بايعه أهلها كما لحق به كثير من الموالي وعبيد الكوفة (٣) وبذلك كثر أتباعه من جديد ، وظل يرتحل منها إلى أصبهان واصطفر والأهواز وكرمان ، كما لحقت به جماعات من بني أمية وبني العباس استترت تحت جناحه طمعا في أن ينال منه صلة أو ولاية (٤) كما فر إليه الخوارج الذين طردهم مروان بن محمد من الموصل في أواخر سنة ١٢٩ هجرية . (٥)

ومن الطبيعي أن تعمل السلطة الأموية على وضع حد لخطره فليس من المعقول أن يتركوه يفعل ما يشاء حتى يقلب لهم ظهر المجن ، ولذلك فإن الخليفة الأموي مروان بن محمد قد عهد إلى يزيد بن عمر بن هبيرة واليه على العراق بمحاربته فيتمكن يزيد من الحاق الهزيمة بعبدالله بن معاوية الذى يفر إلى خراسان حيث أبو مسلم الخراساني طالما أنهما يدعوان إلى « الرضا من آل محمد » ولكن أبا مسلم يخيب آماله ويأمر بالقبض عليه وقتله . (٦)

وهكذا يسدل الستار على آخر ثورات الشيعة ضد الحكم الأموى .

---

(١) المصدر السابق ، الصفحة ذاتها

(٢) ابن الاثير : ٥ / ١٢٧

(٣) الطبري : ٩ / ٤٩

(٤) Wellhausen. The Arab Kingdom and It's Fall P. 371

(٥) وفلهاوزن، الخوارج والشيعة ، ٢٦٢ وما بعدها

(٦) ابن الاثير، ٥ / ١٣٨ وما بعدها .

(ب) ثورات الموالي ضد الحكم الأمــوي :

كانت الـدولـة الأمـويـة عربيـة صرفة ، تمثل ذلك في أشخاص الخلفاء ، وولاة الأمصـار والاقـاليم الاسـلاميـة ، والقواد ، وفيها شاع بين هؤلاء وأولئك من تقاليد اجتـماعيـة وشئون دينية ، وبالغ الأمويون في اعتزازهم بالعروبة ، فاعتبروا أنفسهم طبقـة ساميـة ، وانحـازوا للعرب انحيازا جعل بعض المؤرخين يرى أنهم لم يسووا بينهم وبـين المـوالي في المعـاملة ، (١) واعتـبر وهم دخلاء في الدين والقومية (٢) ولم يجعلوا لهم من الحقوق ما للمسلمين العرب (٣) وترفعوا عنهم ، واعتبروا أنفسهم فوق الموالي جبلة ، وكانوا يسمون الموالي العجم ، والأعجم هو الأخرس ، (٤) وبلغ من شدة تعصب الأمـويـين ضد الموالي أن جعلوا مساجد خاصة بالموالي ، واعتبروا زواج المـولي بالعـربيـة جريمـة (٥) وحرموهم العطاء من الفيء مما ولد في نفوسهم تيـارا عكسيـا نقمـوا به على العـرب (٦) وكونوا عصبية لهم (٧) ، ولكنهم لم يقوموا بأي حركـة منظمـة تعـبر عن عصبيتهم واستيـائهم من سيـاسة الأمويين المتعصبة ضدهم إلا في عهـد يزيـد بن معـاويـة حين علمـوا بخـروج عبـدالله بن الـزبير ، فسـارعـوا إلى بيعته ، وقد لاحظ الدكتور علي حسني الخربوطلي أن مسارعتهم إلى بيعـة عبـدالله بن الـزبـير لم تكن عن اقتنـاع بأحقيتـه في الخلافة بل لأنه كان الثائر الـوحيـد في ذكـل الوقت على الدولة الأموية (٨) ولذلك لم يلبث الموالي أن انحازوا إلى المختار بن أبي عبدالله الثقفي ، وانصرفوا عن تأييد ابن الزبير .

---

(١) Nicholson, Literary History of the Arabs, P. 218 - 219

(٢) بندلي جوزي ، من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ١٤٣

(٣) دوزي ، نظرات في تاريخ الاسلام ٤٠٨

(٤) جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ٤ / ١٤

(٥) فون كريمر ، الحضارة الاسلامية ٤١

(٦) احمد الشايب ، تاريخ الشعر السياسي ٢٢٢

(٧) أحمد أمين ، فجر الاسلام ، ٩٠

(٨) د . علي حسني الخربوطلي ، العراق في ظل الحكم الأموي ١٦٦

وتعرض الموالي للاضطهاد في ابان ولاية الحجاج بن يوسف حيث أرغم حديثي العهد بالاسلام على دفع الجزية، (١) ومن شأن مثل هذه الاجراءات ان تحدث ردود فعل في نفوس الموالي الذين كانوا يطمحون إلى مساواة تامة بالعرب، وفي سبيل ذلك زجوا بأنفسهم في أتون الصراع مع السلطة الأموية فقاوموا الحجاج مقاومة عنيفة، وانضموا إلى ثورة عبد الرحمن بن الأشعث ضد الأمويين . (٢)

واستمرت حركة اضطهاد الموالي في عهود عبد الملك وابنه الوليد مما اضطر كثيرين منهم إلى الرحيل إلى الحجاز حيث كان عمر بن عبد العزيز واليا على المدينة، ولما تنبه الوليد إلى خطرهم عزل عمر بن عبد العزيز عن ولاية المدينة وولى خالد بن عبدالله القسرى مكانه، كما ولى عثمان بن حيان المرى على مكة، فبذل الواليان الجديدان جهودهما لاخراج الموالي من الحجاز (٣)

وفي خلافة سليمان بن عبد الملك اطمأنت نفوس الموالي حيث أحسن معاملتهم، وكذلك الحال في عهد عمر بن عبد العزيز حيث منحهم كثيرا من الحقوق وجعل لهم أرزاقا وأعطيات . (٤)

وفي خلافة يزيد بن عبد الملك، تنبهت السلطة الأموية إلى ما تسببت به سياسة عمر بن عبد العزيز مع الموالي من نقص في ايرادات بيت المال، فعادت السلطة الأموية تفرض الجزية على الموالي من أهل الصفد، فثارت ثائرتهم وخاضوا صراعا داميا استمر حتى خلافة هشام بن عبد الملك حيث رأى والي خراسان، أشرس بن عبدالله السلمي، أن يلجأ إلى سياسة اللين مع الموالي وعهد إلى أبي

---

(١) د . حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام السياسي، ١ / ٢٦٩ فما بعدها
(٢) فان فلوتن، السيادة العربية (٤٢)
(٣) اليعقوبي، ٣ / ٣٤ ، وفلهوزن، تاريخ الدولة العربية ٢٤٣
(٤) الطبري ٧ / ١٤٨ وفلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ٢٨٤ فما بعدها

الصيـداء صالـح بن طريف بالمسـير إلى بلاد ما وراء النهـر لدعـو أهلها إلى الاسـلام، فاشـترط أبـو الصيداء على الوالي ألا تؤخذ الجزية ممن يدخل من أهل تلك البـلاد في الاسـلام فلاقيت دعـوتـه نجـاحا كبيرا . (١) ولكن الدهاقين وهم ملاك الأراضي الحقيقيون بادروا بالمجيء إلى أشرس يسألونه : « ممن نأخذ الخراج وقد صار الناس كلهم عربا؟ (٢) مما حمله على إعادة النظر في قراره تجاه الموالي فعاد إلى اصـدار أوامـره من جديـد بأخذ الجزية ممن أسلم من الموالي فامتنعوا عن دفعها (٣) وفي هذا المجـال يروى الطـبري « أن عمال السلطـة الأمـويـة ألحـوا في جباية الجزية، واستخفوا باشراف العجم وعظمائهم، وعاملوهم معاملة غير كريمة (٤)

ولمـا رأى المـوالي من أهـل الصغـد اصـرار السلطـة الأموية على اجبارهم بدفع الجزية لجأوا إلى الاستعانة بالترك مما اضطر أشرس بن عبدالله إلى الخروج من مرو على رأس جيس عربي سنة ١١٠ هجرية ولكن الترك سدوا الطريق أمامه وقطعوا عنـه المـاء، فأصـابـه وجيشـه عنـاء كبير بسبب العطش، ولكن فرسان تميم وقيس خاطـروا بأنفسهم وقـاتلوا الـترك قتـالا مريرا حتى أجلوهم عن الماء (٥) وفي هذه الحروب يلمع نجم أحد رجالات تميم وهو الحارث بن سريج، حيث يبدى في قتال الامـويـين شجـاعـة نادرة عنـدمـا يأخـذ على عاتقـه اتمـام الحركة التي قام بها أبو الصيداء . (٦)

وقـاد الحـارث بن سريـج المـوالي ووعـدهم بالعمـل على اسقاط الجزية واعادة أعطياتهم ونظم صفوفهم في ثورة عنيفة ضد السلطة الأموية، (٧) واجتاحت قواته

(١) الطبري ٧ / ١٥٢ وكذلك فان فلوتن، السيادة العربية ٥٢
(٢) المصدر السابق ٧ / ١٥٣ وكذلك فلهوزن، تاريخ الدولة العربية ٤٣٤ فما بعدها
(٣) ابن الاثير ٥ / ٥٤
(٤) الطبري ٨ / ٦٨
(٥) ابن الاثير ٥ / ٥٦
(٦) فان فلوتن، السيادة العربية ٦١ فما بعدها
(٧) المرجع السابق (٤٤٢)

منـاطق بلخ والجـوزجـان والغـاريـاب والطالقان ومرو والروذ، وسار الى مرو ولكنه قوبل بمقاومة عنيفة قادها والي خراسان عاصم بن عبدالله وتقابل الجيشان واقتتلا اقتتالا مريرا وحلت الهزيمة بأصحاب الحارث . (١)

ولمـا كانت سنـة ١١٧ هجـريـة عزل الخليفة هشام بن عبد الملك والي خراسان عاصم بن عبـدالله وعـين عليها أسد بن عبدالله القسري، وشرع الوالي الجديد في قتـال الحـارث وتمكن من استعـادة كثير من المناطق التي كان الحارث قد اجتاحها، وبـذلـك اضطـر الحـارث إلى التحالف مع الخاقان صاحب الترك (٢) ولكن هذا التحـالف لم يفت في عضـد والي خراسـان، فقـد غزا طخـارستـان وظـل يتعقب الحليفـين وأصحـابهـا وتمكن من قتـل الخـاقان سنة ١١٩ هجرية (٣) ولم يلبث أن مات في السنـة التـاليـة فعين الخليفة نصر بن سيار سنة ١٢٠ هجرية خلفا له على خراسـان فبـادر نصـر بمحـاولات جادة لوضـع حد لثـائرة أهل خراسان، فأسقط الجـزيـة عمن أسلم من أهلهـا، وخـرج إلى ما وراء النهـر وغـزا أهلها حتى وصل مدينـة الشـاش فبـادر ملكهـا بطلب الصلح، ولكن نصرا اشترط عليه التخلي عن الحارث واخراجه منها فأخرجه الى فاراب. (٤) وفي هذه الأثناء ثارت اليمانية على السلطـة الأمـويـة بقيادة جديع بن على المعروف بالكرماني فما كان من نصر إلا أن قبض عليـه سنـة ١٢٦ هجـرية ولكنه تمكن من الهرب إلى بعض جهات مرو (٥) فخشى نصـر أن يهتبـل الحـارث بن سريـج هذه الفـرصة فبادر بدعوته إلى الصلح وتزامن هذا مع وصول كتاب من الخليفة يزيد بن الوليد يعطيه الأمان ويأمر عبدالله بن عمر بن عبد العزيز برد ما كان اصطفى من أموالهم وذراريهم . (٦)

---

(١) الطبري ٨ / ١٣٦، وابن الاثير ٥ / ٦٧
(٢) فلهوزن، تاريخ الدولة العربية ٤٤٤ فما بعدها
(٣) ابن الاثير ٥ / ٧٥
(٤) الطبري ٨ / ١٤٢، وابن الاثير ٥ / ٨٨ .
(٥) فلهوزن، الدولة العربية ٤٥٩
(٦) الطبري ٨ / ١٤٤، وابن الاثير ٥ / ١١٤

فأقبل الحارث الى مرو في جمادي الأخرة سنة ١٢٧ هجرية فتلقاه نصر وأنزله قصرا وأجرى عليه خمسين درهما كل يوم ورد إليه أمواله وعرض عليه أن يوليه ويفرض له عطاء فلم يقبل، (١) وتمادى الحارث إلى حد أنه بعث إلى نصر يطلب اليه أن يعزل عماله فحقق له مطالبه وعين عاملين على ثغرى سمرقند وطخارستان اختارهما الحارث بنفسه . (٢)

ولما طال أمد الصراع بين الحارث ونصر بن سيار، لجأ الحارث إلى الاستعانة باليمانية وزعيمهم الكرماني مما اضطر الوالي الأموي إلى الخروج إلى نيسابور، ولكن أمد الوحدة بين الحليفين سرعان ما توقف، وحل محله الشقاق ثم الانفصال وإعلان الحرب التى انتهت بمقتل الحارث بن سريج سنة ١٢٨ هجرية وهزيمة أصحابه (٣) فقال نصر بعد مصرع خصمه الحارث :

يا مُدْخِلَ الذُلَّ على قومِه   بُعْداً وسُحْقاً لك من هالكِ
شؤمُكَ أرْدَى نصراً كُلَّها   وغضَّ من قومَك بالحاركِ
ما كانت الأزد وأشياعها   تطمعُ في عَمْرو ولا مالكِ (٤)

ومع ذلك فإن موت الحارث بن سريج لم يضع حدا نهائيا للصراع بين الموالي والسلطة الأموية فرأيناهم ينضمون إلى ثورات الشيعة على نحو ما كان من انضمامهم إلى ثورة زيد بن علي الذي كان يفخر بأنه ابن أمة (٥) وانضمامهم إلى ثورة عبدالله بن معاوية وهي أبرز ثوراتهم في أواخر العهد الأموي . (٦)

---

(١) المصدر السابق ٨ / ١٥٢
(٢) ابن الاثير ٥ / ١٢٧
(٣) الطبري ٨ / ١٥٦
(٤) المصدر السابق ٨ / ١٦٢
(٥) المسعودي، مروج الذهب ٣ / ١٣٤
(٦) الطبري ٩ / ٤٩

كما انضموا في السنة التالية لمصرع الحارث بن سريح إلى صفوف الثورة العباسية وانضموا تحت لواء أبي مسلم حتى لكأنهم رأوا فيه صورة جديدة للحارث بن سريج، واندسوا بين دعاة العباسيين وكان من بين نقباء الدعوة أربعة من الموالي (١) وبذلك احتضنوا الدعوة الهاشمية وساهموا في الدعوة لها سرا في بادىء الأمر اعتقادا منهم بأن انتصار هذه الدعوة من شأنه أن يشعر الهاشميين بأهمية الموالي وبفضلهم في نجاح الدعوة وبذلك يصبح ظاهر الحكم للهاشمين وباطنه للموالي، وقد تنبه في وقت مبكر إلى حقيقة نواياهم نصر بن سيار فراح يصرخ في وجه عرب خراسان من نزارية ويمنية ويحثهم على نبذ خلافاتهم وصراعهم القبلي والتنبه لعدوهم المشترك على نحو ما نرى في قوله :

أبْـلَغْ ربيعةَ في مَرْووإخْوَتَها ... أن يَغْضَبوا قَبْلُ ألَّا يَنْفَعَ الغَضَبُ

ولينصبوا الحَرْبَ إنَّ القَوْمَ قد نَصَبُوا ... حَرْباً يُحَرَّقُ في حافاتها الحَطَبُ

ما بالكم تُلْحِقُونَ الحَرْبَ بينَكُمْ ... كأنَّ أهْلَ الحِجَا عن رأيِكُم عُزُبُ

وتتركونَ عَدُواً قد أظَلَّكُم ... مِمَّا تَأَشَّبَ، لا دِيْنٌ ولا حَسَبُ

قِدْماً يدينونَ ديناً ما سَمِعْتُ بِهِ ... عَنِ الرسُولِ ولم تَنْزِلْ بِهِ الكُتُبُ

فمن يَكُنْ سائِلاً عن أصْلِ دينهمو ... فإنَّ دينَهم أنْ تُقْتَلَ العَرَبُ (٢)

وهكذا وقف الموالي في الثلاثين سنة الأخيرة من حكم بني أمية موقف المعارضة، وانضموا إلى كل ثائر واستتروا وراء ستار المطالبة بالمساواة بالعرب، وخاضوا غمار صراع طويل الأمد، متعدد الوجوه، ولم يخلصوا للاسلام وإن لم يستطيعوا الارتداد عنه، ولذلك راحوا يظهرون كل ما كان كامنا في نفوسهم من عصبية فارسية وأنماط شعوبية على نحوما سنرى في العصر العباسي .

---

(١) المصدر السابق ٩ / ٦٨

(٢) الدينوري، الاخبار الطوال ٣٤٣ ، وابن عبد ربه، العقد الفريد ٢ / ٢٦٥

(جـ) ثورات الخوارج ضد الحكم الأموى :

إذا كان تاريخ الخوارج السياسي يبدأ بحادثة التحكيم المشهورة، إبان حرب صفين، فإن طبيعة المنهج لا تسمح لنا بأن نعود إلى تفاصيل نشأتهم وتتبع ثوراتهم السياسية، فحسبنا إذا، أن نقف عند نظرياتهم في الخلافة وأن نقف عند ثوراتهم السياسية في الحقبة الأموية من القرن الثاني الهجري .

فأما عن نظريتهم السياسية فإنها تقوم أساسا على أن الخلافة الاسلامية حق مشترك بين المسلمين جميعا، ويدعون إلى أن تكون الخلافة شورى بين المسلمين، وجوزوا أن تكون الامامة في غير قريش، وكل من ينصبونه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل واجتناب الجور كان اماما، ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه، وأنه إن غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله، أو قتله، وهم أشد الناس قولا بالقياس وجوزوا ألا يكون في العالم إمام أصلا وإن احتيج إليه فيجوز أن يكون عبدا أو حرا أو نبطيا أو قرشيا . (١)

والخوارج فرق متعددة أهمها : الأزارقة وهم أتباع نافع بن الأزرق الحنفي، والنجدات أتباع نجدة بن عامر الحنفي، ثم الأباضية أصحاب عبدالله بن أباض التميمي، ثم الصفرية، أتباع زياد بن الأصفر، ويرجع هذا التعدد إلى أسس دينية ليس من طبيعة المنهج الخوض فيها . (٢)

وأما عن ثوراتهم في القرن الثاني الهجري ضد السلطة الأموية، فقد اشتدت شوكة الخوارج منذ قيام الدولة الأموية، فواجهوا الخلفاء الأمويين بمعارضة قوية لاعتقادهم أن الأمويين لم ينالوا الخلافة عن اجماع من المسلمين ولأنهم اتخذوا

---

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، ١٧٤

(٢) تفصيل ذلك في : النوبختي، فرق الشيعة، والاشعري، مقالات الاسلاميين، وابن حزم، الفصل في الملل والاهواء والنحل، والشهرستاني، الملل والنحل وغيرها من كتب الفرق الاسلامية

القصور والحرس والحجاب، فعملوا على مناوأة السلطة الأموية في كل من الكوفة والبصرة، (١) وعندما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة خرج في الكوفة أحد رجالات بني يشكر ويدعى شوذبا واسمه بسطام، فلم يشأ الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز أن يقاتله أو يعنف معه حتى يتبين خطورته، فراسل شوذبا وكتب اليه يقول: « بلغني أنك خرجت غضبا لله ولرسوله، ولست أولى بذلك مني، فهلم إلي أناظرك، فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس، وإن كان في يدك نضرنا في أمرنا . »

فأجاب شوذب: « قد أنصفت، وقد أرسلت إليك رجلين يدارسانك ويناظرانك» . (٢) ولما قدم رسولا شوذب سألهما عن سبب خروجهم، فقال أحدهما: رأيناك خالفت أعمال أهل بيتك وسميتها مظالم وسلكت غير سبيلهم، فإن زعمت أنك على هدى وهم على ضلال، فالعنهم وتبرأ منهم، فهذا الذى يجمع بيننا أو يفرق » .

فأجابه عمر: « إني قد علمت أنكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لدينا، ولكن أردتم الآخرة، وأخطأتم طريقها، وإني سائلكم عن أمور: هل علمتم أن أبا بكر حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب قاتلهم، فسفك الدماء وأخذ الأموال وسبى الذراري؟ قالا: نعم: قال: فهل برىء عمر من أبي بكر؟ قالا: لا « قال: أفرأيتم أهل النهروان، اليسوا من أسلافكم ومن تتولون وتشهدون لهم بالنجاة؟ قالا: بلى « قال: هل علمتم أن أهل الكوفة حين خرجوا اليهم كفوا أيديهم فلم يسفكوا دما، ولم يخيفوا آمنا، ولم يأخذوا مالا؟ قالا نعم، وظل عمر بن عبد العزيز يناظرهما حتى اقتنعا بسداد رأيه. وقال له أحد

---

(١) ابن الاثير ٣ / ١٨٣ ، ٢٠٣

(٢) ابن الاثير ٥ / ١٧

الـرجلين : ما سمعت كاليـوم قط حجـة أبـين وأقرب مأخذا من حجتك . أما أنا فأشهد أنك على الحق ، وأنا برىء ممن برىء منك » . (١)

فقال عمر للرسول الآخر : فأنت ما تقول ؟ قال : ما أحسن ما قلت وأبين ما وصفت ولكني لا أفتـات على المسلمـين بأمـر حتى أعـرض عليهم قولك فأنظر ما حجتهم ، ثم مضى إلى شوذب ليطلعه على ما دار في المناظرة ولكن المنية ما لبثت أن عاجلت عمر . (٢)

وفي خلافـة هشـام بن عبـد الملك عاد الخـوارج إلى الظهـور ، حيث خرجوا في احدى قرى الموصل بقيادة خوارجي اسمه بهلول بن بشر الشيباني حيث التف من حولـه أربعـون رجـلا وذلـك بعـد أن أنكروا على خالد بن عبدالله القسرى ـ والي هشـام على العـراق ـ عدة أمـور منهـا : هدمـه المسـاجد وبناء البيع ، والكنائس ، وتـوليـة المجـوس على المسلمين ، وسماحة لأهل الذمة بالزواج من المسلمات ، (٣) فسـير إليهم خالـد جيشا من جند الشام ، وصمد الخوارج وألحقوا بالجيش الأموى هزيمة نكراء وقد دفعت نشوة النصر بهلولا إلى التفكير في غزو الخليفة الأموي في عقـر داره في قصبـة الشـام ، ولكن عمال الخليفة في بلاد العراق وفي مقدمتهم خالد القسري كانوا قد تهيأوا لصده وافشال مخططه ، وتحركت جيوش خالد القسري من العـراق وجيـوش من الجزيرة وجيوش من الشام والتقت الجيوش جميعا عند دير بين الموصل والجزيرة وأطبقت الجيوش على بهلول وجنده وتمكنت من القضاء عليه (٤) وفي هذه الأثنـاء ثار الصحـاري بن شبيب في ثلاثـين رجـلا من آل بكـر في سهـل دجلة ، فوجه إليه خالد جندا قتلوه وقتلوا جميع أصحابه (٥) ولكن ثورات الخوارج

---

(١) ابن الاثير ، ٥ / ١٧
(٢) المسعودي ، مروج الذهب ٣ / ١٣٠ فما بعدها
(٣) ابن الاثير ٥ / ١٢٥
(٤) الطبري ٥ / ٤٥٨ ـ ٤٦٠
(٥) المصدر السابق ، ٥ / ٢٦٤

لم تخمد بعد ذلك، وواصلوا الصراع مع الأمويين، وظلوا يرحبون بكل من ينضم إلى صفوفهم في هذا الصراع، حتى تكاثر عددهم، ولا سيما بعد أن توسعوا في نظرتهم إلى الخلافة، وبعد أن كانوا يرون الخلافة حقا لكل عربي، أصبحوا يرونها حقا لكل مسلم اذا اتصف بالصفات الحسنة، وبذلك استقطبت حركة الخوارج أعدادا هائلة من الموالي فتكاثرت أعدادهم بعد أن كانت قلة العدد طابعا لجيوشهم، وعندئذ تطلعوا الى الحكم بعد أن كانت غايتهم في بادىء الأمر النجاة بأرواحهم من شرور الدنيا. (١)

وتستغل جماعات الخوارج الظروف الطارئة التي عصفت بالبيت الأموي، فعندما بدأ أبناء هذا البيت يعانون الانقسامات الخطيرة التي تمثلت في الفتنة بين الخليفة الأموي الوليد بن يزيد عبد الملك وبين يزيد بن الوليد بن عبد الملك، بتأثير العصبية القبلية حين كان المضريون يناصرون الوليد على حين كان اليمنيون يناصرون اليزيد وحيث أسفرت الفتنة عن مصرع الوليد بن يزيد في جمادي الآخرة سنة ١٢٦ هجرية، (٢) في هذه الاثناء بدأت ثورات الخوارج تتحرك في جموع حاشدة.

وفي خلافة مروان بن محمد بدأت ثورات الخوارج في أرض الجزيرة فثار سعيد بن بهدل الشيباني وزحف بجنوده، باتجاه الكوفة، ولكن المنية أدركته في الطريق فتقاد الخوارج ثائر آخر هو الضحاك بن قيس الشيباني(٣) وانضمت إلى جيوش الضحاك صفرية شهر زور حتى بلغ عدد أتباعه أربعة الآف لم يجتمع مثلهم لأحد من قبله من زعماء الخوارج (٤) وذلك في وقت كان واليان أمويان يتنازعان إمارة

---

(١) فلهوزن، تاريخ الدولة العربية، ٣٧٣
(٢) الطبري، أحداث سنة ١٢٦ هجرية
(٣) ابن الاثير، ٥ / ١٢٥
(٤) الطبري، ٥ / ٦١٢

الكوفة، أما أولهما فهو : عبدالله بن عمر بن عبد العزيز وكان واليا على الكوفة من قبل الوليد بن يزيد، وأما ثانيهما فهو النضر بن سعيد الحرشي من قبل مروان ابن محمد، فكان طبيعيا أن يستغل الضحاك بن قيس هذا الصراع بين الواليين الأمويين، فتحرك بقواته سنة ١٢٧ هجرية .

وعلى الرغم من أن الواليين الأمويين تكاتفا في وجه الضحاك إلا أنهما لم يتمكنا من الصمود لجيوش الخوارج التي يقودها الضحاك، وتقهقرت جيوش الأمويين عن الكوفة، ولاحقتهم جيوش الخوارج بقيادة الضحاك ولحقت بجند عبدالله بن عمر في واسط وحاصرته واضطرته إلى المصالحة والتبعية للضحاك (١) وكافأه الضحاك بأن ثبته واليا على واسط (٢)

وأما عن النضر بن سعيد الحرشي فقد فر إلى الشام، (٣) وبذلك بسطت جيوش الخوارج كامل نفوذها على ولايتي الكوفة وواسط، وربما كان من حسن حظ الضحاك بن قيس أن طلب إليه أهل الموصل القدوم عليهم ووعدوه بالمساعدة على دخولها، فلبى الدعوة وسار إليهم في جماعة من جيوشه في أواخر سنة ١٢٧ هجرية وتمكن من الاستيلاء على المدينة ودحر عاملها (٤) وبلغت جيوش الضحاك عندئذ مائة وعشرين ألف مقاتل . (٥)

وبالرغم من انشغال الخليفة الأموي مروان بن محمد بثورة أهل حمص إلا أن ازدياد نفوذ الضحاك وما كان من أمر زحفه على الموصل قد أقض مضجعه فكتب إلى ابنه عبدالله والي الجزيرة يأمره بالخروج إلى نصيبين ولكن الضحاك بن قيس كان على ما يبدو محيطا بما يدبر له فسارع بمحاصرة عبدالله بن مروان والي

---

(١) ابن الاثير ٥ / ١٢٦

(٢) فلهوزن، الخوارج والشيعة ١٣٢

(٣) الطبري ٥ / ٦١٣ فما بعدها

(٤) ابن الاثير، ٥ / ١٣٠

(٥) فلهوزن، الخوارج والشيعة ١٣٣

الجـزيـرة ، كما أرسل بعض فصائل جيشه الى الرقة والتقت تلك الفصائل بجيوش الخليفة نفسه حيث كان الخليفة قد تمكن من احباط ثائرة أهل حمص ، وبعد معركة عنيفة تمكنت جيوش مروان بن محمد من قتل الضحاك . (١)

ولم يضع مصرع الضحاك بن قيس حدا لثورات الخوارج ضد السلطة الأموية ، فقـد خلفـه على قيادة جيوشهم شيباني آخر هو الخيبري ، الذي عاود الهجوم على جيـوش الأمـويـين واقتحم معسكـرهم حتى فر مروان وتمكن الخيبري من اقتحام حجـرة مروان وجلس على فراشـه ولكن عبيـد مروان تكـاثروا عليه وضربوه بعمد الخيمـة ولقي مصـرعـه في أواخـر سنـة ١٢٨ هجـرية ، فبايع الخوارج ثائرا آخر هو شيبان بن عبد العزيز اليشكري ، فعسكر بقواته على الضفة الشرقية من نهر دجلة ، على حين عسكـر الخليفـة الأموي مروان بن محمد قبالتهم على الضفة اليمني من النهر وفي نفس الوقت الذي كانت المعركة تدور رحاها بين الخوارج والأمويين حول دجلة كانت قوات يزيـد بن هبـيرة تقاتل الخوارج في كل من ولايتي الكوفة وواسط وبعد قتال مرير تمكنت قوات يزيد من انتزاع الولايتين من يد الخوارج ، وتمكن يزيد من انفاذ جيش لشد أزر الخليفة على الضفة اليمنى من دجلة ، وما أن توافي أواخر سنـة ١٢٩ هجـريـة حتى تتمكن جيـوش الخليفة الأموي من دحر الخوارج وتتجه فلولهم تجاه الاهواز وفارس . (٢)

ويبدو أن الخوارج لم يستطيعوا بعد هذه الهزائم المتلاحقة الحفاظ على قوتهم مما جعـل زعيمهم شيبـان يفر إلى عمان حيث يلقى مصرعه أبان قتاله مع بني جلندي سنة ١٣٤ هجرية . (٣)

---

(١) ابن الاثير ٥ / ١٣٠ وفلهوزن ، تاريخ الدولة العربية ٣٧٥ فما بعدها .

(٢) الطبري ٦ / ١٩ فما بعدها

(٣) فلهوزن ، الخوارج والشيعة ١٣٥

وهكـذا خاض الخـوارج صراعـا داميا مريراً في وجه السلطة الأموية في الثلاثين سنـة الأولى من القـرن الثـاني الهجـري ، ومنـذ بدايـات هذا القرن كثر أنصارهم وتطـورت أفكـارهم ، وحـاولـوا اقناع الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز بآرائهم ، وبعد أن كانوا مجرد مجموعة من الثائرين على علي لقبوله التحكيم ، أصبحوا حزبا له مبـادؤه ونظـريـاته السياسية في الخلافة والامامة ، وانقسموا إلى عدة فرق ، كان من أشهرها : الأزارقة والنجدات والصفرية والاباضية ، ولكن تعدد فرقهم لم يقلل من خطرهم ، ولم يمنعهم من مواصلة الصراع مع الأمويين ، وظلوا شوكة في حلق الدولة ، وكانوا عاملا من عوامل ضعفها وسببا من أسباب زوالها .

الفصـــــل الثانـــــي

دراسة موضوعيـــة :

(أ) دور الشعر في الصراع بين الأمويين والشيعة
(ب) دور الشعر في الصراع بين الأمويين والموالي
(جـ) دور الشعر في الصراع بين الأمويين والخوارج
(د) دور الشعر في الدفاع عن سياسة الأمويين

الباب الأول
الفصل الثاني : دراسة موضوعية

(أ) دور الشعر في الصراع بين الأمويين والشيعة :

في الدراسة التاريخية رأينا أن الشيعة ناوأوا السلطة الأموية عداء بعداء، ورأينا السلطة الأموية الحاكمة تنظر إليهم نفس النظرة وتعتبرهم ثوارا متآمرين، ولما كان الشعر شديد الالتصاق بالحياة فقد أصبح من أهم وسائل الدعاية السياسية، التي يعتبرها الجميع ضرورية وفعالة، ومن هنا كان طبيعيا أن يساهم شعراء الشيعة بقسط وافر من هذه الدعاية الحزبية، فمضوا يشعلون نيران الصراع المحتدم بين حزبهم السياسي وبين الحزب الأموي الحاكم، وهكذا اقترن نشاط الشيعة السياسي بنشاطهم الشعري حيث مضى شعراؤهم ينادون بآرائهم السياسية ويدعون إلى استرداد الخلافة من الأمويين، وبأن الخلافة حقهم السليب فينبغي أن ترد إلى آل البيت، وزعموا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى بالولاية لعلي يوم الدوح عند غدير « خم » على نحو ما جاء في قول شاعرهم الكميت بن زيد :-

وأصْفاهُ النبيُّ على اختيارٍ ... بما أعْيَا الرَّفوضَ له المذيعا
وَيَومَ الدَّوحِ، دَوْحِ غَديرِ خُمَّ ... أبانَ لَهُ الوِلايَةَ لَوْ أطِيعَا
ولَكِنّ الرّجَالَ تَبايَعُوهَا ... فَلَمْ أرَ مِثْلَهَا خَطَراً مَبيعَا (١)

فالخلافة إذاً حق العلويين وإنْ سلبه غيرهم، وفي سبيل ذلك مضى شعراء الشيعة يستنبطون الحجج والبراهين المؤيدة لنظريتهم في الخلافة، ليمهدوا الطريق أمام إعادة الحق إلى نصابه على نحو ما نرى في قول الكميت أيضا :

---

(١) شرح الهاشميات، ٨١ وما بعدها .

بِخَـاتَـكُـمْ غَصْبـاً تَجُوزُ أمـورهُمْ فَلَمْ أرَ غَصْبـاً مِثْـلَهُ يُتَـغَصَّبُ (١)
وجَـدْنـا لَكُـم في آلِ حَامِيـمَ آيَـةٍ تَأولَهـا مِنّـا تَقـيٌّ وَمُـعْـرِبُ
وفي غيرِهـا آيـاً وآيـا تتـابَـعَـتْ لَكُم نَصَبٌ فيها لِذِي الشَّكِّ مُنْصِبُ
بِحَقِكُـمْ أمْسَتْ قُرَيْشٌ تقـودُنـا وبـالفَـذِ مِنْهـا والـرَّديفَيْنِ نُرْكَبُ

ثم يقول :

وقَـالُـوا : وَرْثَنـاهَـا أبـانَـا وأمَّنَـا وما وَرَّثَـتْـهُـمْ ذَاكَ أمٌّ ولا أبُ
يَرَوْنَ لَهُمْ حَقـاً على النـاسِ واجِبـاً سَفَـاهَـاً وحَقُّ الهـاشميـينَ أوْجَبُ
ولـكِـنْ مَواريـثُ ابن آمِنَـةَ الـذي بِهِ دَانَ شَرْقِـيٌّ لكـم ومُـغَـرِّبُ
فِدي لكَ مَوْروثـا أبـي وأبـو أبـي ونَفْسِي ونفسـي بَعْـدُ بالناسِ أطْيَبُ
وأنْـتَ أمـينُ اللهِ في النَّـاسِ كُلِّهِمْ ونُـعْـتِـبُ لو كُنّـا على الحَقِ نُعْتَبُ
يَقُـولُـونَ : لم يُوْرَثْ ولـولا تُراثُـهُ لقـد شَرِكَـتْ فيـه بَكيـلُ وأرْحَبُ
وعَـكٌ ولَخْمٌ والـسَّكُـونُ وحِمْـيَرٌ وكِـنْـدَةُ والحَيّـان بكْـرُ وتَـغْـلِبُ
وَلانْـتَـشَلَتْ عُضْـوَيْنِ مِنْهَـا يُحابَـرُ وكـانَ لِعَبْـدِ القَيْسِ عِضْـوٌمُؤرَّبُ
وَلانـتـقَـلَتْ مِنْ خِنْـدفٍ في سِواهُمُ وَلاَقْـتَـدَحَـتْ قَيْس بها ثُمَّ أثْـقَبُـوا
ولا كانَـتِ الانـصَـارُ فيـهـا أذلَّـةً ولا غُيَّبـاً عَنْهـا إذْ النَّـاسُ غُيَّبُ
فإنْ هِيَ لَمْ تَصْـلُحْ لِقَـوْمٍ سِوَاهُـمُ فإنَّ ذَوِي القُـرْبَـى أحَقُّ وأقْـرَبُ(٢)

وهكذا احتج الكميت للعلويين على بني أمية ومضى يستغل النصوص الدينية التي تنص ـ تصريحا أو تلميحا ـ على حق بني هاشم في الخلافة فذكر الخاتم، واستدل بالقرآن الكريم وبآيات سورة (حم) وغيرها يقصد قوله تعالى : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت، ويطهركم تطهيرا » ، أو قوله : لا

(١) الخاتم من شارات الخلافة وعلاماتها، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم صنع خاتما حينما بعث خطابه المشهور الى كسرى فارس، وكان من الفضة منقوشا عليه « محمد رسول الله » وانتقل الخاتم الى أبي بكر ثم الى عمر ثم الى عثمان، ولكن الخاتم سقط من أصبع عثمان، ولكن الخاتم سقط من أصبع عثمان في بئر آريس فاصطنع عثمان خاتما مثله .

(٢) شرح الهاشميات، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣ .

أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى وقوله « وآت ذا القربى حقه » . أوقوله : « فإن لله خمسه وللرسول، ولذي القربى » وهي آيات تنطق بحق بني هاشم وليس في مقدور الأمويين تأويلها وصرفها عن وجهها الصحيح، وإذا كان الأمويون قد ابتدعوا نظرية الوراثة في الحكم مستندين إلى أنهم ورثوها عن عثمان رضي الله عنه ،با وأما فإن الكميت قد مضى يسفه حقهم في الخلافة، كما مضى يقرر أنها أوجب في بني هاشم مستندا إلى حديث شريف يقول : « الائمة من قريش . . (١) لقرابتها من الرسول صلى الله عليه وسلم، ولولم ترث قريش الخلافة عن الرسول لكانت الخلافة حقا مشاعا، غير مقصور على قبيلة بعينها، وعندئذ تكون من حق (بكيل) وأرحب) و (عك) و (لخم) و (السكون) و (حمير و (كندة) ثم (بكر) و (تغلب) و (يحابر) و (الأنصار) .

والكميت يتسلسل في أمر الخلافة تسلسلا منطقيا وينتهي إلى القول بأن أهلها الحقيقيين هم بنو هاشم، لأن الخلافة تركة الرسول، وبني هاشم هم أقرباؤه الأدنون .

وهكذا استغل الكميت عدة عناصر وأقام دعواه على عدة أسس، لقد أقام الحجة اعتمادا على القرآن والسنة، قارنا إلى هذا وذاك أسلوب الجدال المنطقي بحيث ينتهي إلى تقرير مذهب الشيعة في الخلافة، فهي في اعتقاده منصب موروث عن قرابة العلويين برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو بذلك يفند دعاوي الأمويين التي رددها شعراؤهم منذ خلافة الوليد بن عبد الملك والتي تدور حول إرث عثمان لتثبيت حق الامويين في الخلافة وللتدليل على شرعية السلطة الأموية القائمة على نحو ما كان من قول الفرزدق :

تُراث عثمان كانوا الأولياءَ له سِرْبَالَ مُلْكٍ عليهم غَيْرَ مسلُوبِ (٢)

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء ٦ .
(٢) ديوان الفرزدق، ١ / ٢٥ .

وقوله أيضا : ـ

توارثها بنو مَرْوانَ عَنْهُ　　　وعن عثمان بعد تأي كبير (١)

كما أرجع شعراء الأمويين حقهم في الخلافة إلى أجدادهم القدماء، وأنهم ورثوها كابرا عن كابر على نحو ما جاء في قول الفرزدق :

وِرِثْتُم قَناةَ المُلْكِ غير كلالةٍ　　　عن ابْنَيْ مَنافٍ عَبْد شَمْسٍ وهاشِمِ (٢)

وكان شعراء الحزب الاموى الحاكم يكثرون من ترديد فكرة نيل الخلافة بقضاء الله و على نحو ما كان من قول جرير :

الله طَوَّقَكَ الخلافةَ والهُدَى　　　والله لَيْس لما قَضَى تَبْدِيل (٣)

وعلى نحو ما كان من قول الفرزدق :

فالأرْضَ لله وَلَّاها خليفَتَه　　　وصاحِبُ الأمْرِ فيها غَيْرُ مَغْلُوبِ (٤)

كما أكثر هذان الشاعران الأمويان من تسمية الخليفة « خليفة الله » و « أمين الله » و

---

(١) المصدر السابق، ١ / ٢٨٥ .

(٢) ديوان الفرزدق ٢ / ٣٠٩ وكذلك ١ / ٥١ و ٨٠، ٢١٥، ٢٦٥، ٢ / ١٥٠ (٢٠٩، (٢١١، (٢١٥)، (٢٣١)، (٢٨٢)، (٣٥٣) وكذلك ديوان جرير (١٠٧، ١٠٨، ١١٤، ٢١١، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٤٧، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤١٠) .

(٣) ديوان جرير (٣٨٠) .

(٤) ديوان الفرزدق، (١/ ٢٤) .

« داعى الله » وغير ذلك من الألقاب المذهبية (١) التي كانت لغة مشتركة بين الشعر وبين تلك الأحزاب التي تناولت قضية الخلافة على أسس سياسية أو دينية أو على الأساسين معا في بعض الأحيان أو على أسس وضعية أخرى في وقت لاحق فرأينا شعراء الحزب الأموى يدعون أن الخلافة وصلت اليهم بطريق الشورى على نحو ما نرى في قول الفرزدق في الوليد بن عبد الملك :

خلافة لم تكن غَصْبا مشورَتُها — أرْسَى قواعِدَها الرحمنُ ذو النِعمِ (٢)

وطبيعى أن أحداث التاريخ لا تؤيد ما يزعمه الفرزدق لأن المعروف أن الوليد عين فى الخلافة تعينا وهذا يجعلنا نعيد النظر في قول الفرزدق الذى مضى يذيعه في الناس من أن بني أمية ورثوا الخلافة عن عثمان وهنا لا يسعنا إلا أن نظن بأن الفرزدق في هذا البيت إنما أراد « بالمشورة » اقتراح عمر بن الخطاب بانشاء مجلس الشورى لاختيار خليفة من بعده فكان أن اختاروا عثمان بن عفان، الذى ورث الأمويون عنه الخلافة .

في مقابل هذا مضى شعراء الحزب الشيعي في تعداد ما يشترط في الخليفة من شروط العلم والزهد والشجاعة والكرم واحقاق الحق وانفاذ العدل وكلها صفات دينة وسنرى أنماطا كثيرة لها في الصفحات التالية :-

ومن يستقصى شعر الشيعة يجده ومتناولا لمختلف نظرياتهم السياسية، كما يلاحظ أن هذا الشعر استطاع أن يواكب المذهب الشيعي مواكبة تامة فلا تكاد حادثة تخلو من اشارة الشعراء الشيعيين لها أو معالجتها، ولن نكون مبالغين إذا

---

(١) انظر في هذه الالقاب المذهبية ديواني الفرزدق، ١ / ٢٨٦ ، (٢ / ٩) ، (٣٠١) . وجريره (١٩٥، ٢١٠، ٢١١، ٢٧٨، ٣٠٣) .

(٢) ديوان الفرزدق، (١ / ٢١٠) .

زعمنا أن الشعر الشيعي استطاع أن يتناول تفاصيل المذهب السياسي الشيعي ، حتى غذا سجلا حافلا لما حفلت به حياتهم من أحداث وملابسات ويمكن للدارس لهذا الشعر أن يتخذ منه قرينا على نفي أو اتمام ما أوردته كتب الفرق الاسلامية عن المذهب الشيعي ، بحيث نجد شعراء الحزب الشيعي يدافعون عن أحقية بني هاشم في الخلافة ، ويمضون في هذا المجال نحو تخصيص العلويين بهذا الحق .

منذ القديم تنازع العلويون والامويون على الخلافة ، ولم يتخلف الشعر عن التعبير عن هذا النزاع ومن ذلك قول الوليد بن عقبة أخي عثمان :

بَني هاشم إيـة فما كان بَيْنَـنا ... وسيف ابن أرْوى عندكم وحَرائِبُهْ
بني هاشم رُدُّوا سِلاحَ ابنِ أخْتِكُم ... ولا تُنْهِبوهْ لا تَحِلُّ مَناهِبُهْ
بني هاشم كيف الهَوادة بيننا ... وعِنْدَ عَليّ دِرْعُهُ ونجائبُهْ
لعَمْرُكَ لا أنسى ابن أروى وقتلَهُ ... وهل يَنْسَين الماءَ ما عاش شارِبُهْ
غدَرْتُم بِهِ كيما تكونوا مكانَهُ ... كما غَدَرَتْ يَوْماً بِكِسْرَى مَرازِبُهْ (١)

فأجابه من بني هاشم الفضل بن العباس بن أبي لهب عن هذا الشعر الذى رمى به بني هاشم بقوله :

فلا تسألونا سيفكم إنَّ سيفَكُم ... أضِيعَ وألْقَاهُ لدَى الرَّوعِ صاحِبُهْ
سلوا أهل مصر عن سلاح ابن أخْتِنا ... فهم سَلَبُوهُ سَيْفَه وحرائِبُهْ
وكانَ وليَ العَهْدَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... عَليٌّ وفي كُلِّ المواطِنِ صاحِبُهْ
عَليٌّ وَليُّ الله أظْهَرَ دينَهُ ... وأنْتَ مَعَ الأشقَيْنَ فيما تُحارِبُهْ
وقد أنْزَلَ الرّحْمَنُ أنّكَ فاسِقٌ ... فمالكَ في الاسْلامِ سَهْمٌ تُطالِبُهْ (٢)

---

(١) شرح الهاشميات، ٧ .
(٢) المرجع السابق، (٨) .

ويبدو أن هذا الحجاج والجدال هو الذى بلور فكرة التشيع وأذكى نيران الصراع بين البيتين الأموى والعلوى على الخلافة، فمضى الشعر الشيعي يملأ الأفئدة حماسة لأهل البيت النبوي، ويفعم النفوس حنقا وموجدة على الأمويين، لما مارسوه من ضروب العسف والشدة والاضطهاد مع الهاشميين وآل البيت، على نحو ما كان من قتالهم لزيد بن علي بن الحسين ثم قتله، كما سبق لهم أن قتلوا الحسين بن علي، وعلى نحو ما كان من مطاردتهم لمحمد بن الحنفية ثم حبسه مع سائر من كان معه من بني هاشم حتى ليمتلىء السجن بهم، وعلى نحو ما كان من مطاردة الأمويين لسائر أقطاب البيت النبوى ولكل من دعا بدعوتهم أو تعاطف معهم من الشعراء، حتى أولئك الشعراء الذين عرفوا بأمويتهم على نحو ما كان منهم مع أبي عديّ العبلى الذى كان يعرف أيضا بأبي عدى الأموي (١) حين لم يرض عن سياسة السلطة الأموية سب علي بن أبي طالب على المنابر، فمضى يعلن إنكاره لهذه السياسة ويقول :

شَرَّدوا بي عند امتداحي عَلياً ... ورأوا ذاك فيَّ داء دَوِيّا

فوربي لا أبْرَحُ الدَّهْرَ حَتّى ... تَختلي مُهْجَتي بحبي عليا

وبنيه لِحُبِّ أَحْمَدَ إِنّي ... كُنْتُ أَحْبَبْتُهم بحُبّي النَّبِيّا

حُبُّ دينٍ لا حُبُّ دنيا وشَرُّ الـ ... حُبّ حُبٌ يكون دُنْياوِيّا

صَاغَني الله في الذؤابَةِ مِنْهُم ... لا زُنيما ولا سَنيدًا دَعِيّا

عَدَويا خالي صريحاً وجَدّي ... عَبْدُ شَمْسٍ وهاشِمٌ أَبَوَيّا

فسواءٌ عَلَيَّ لَسْتُ أبالَي ... عَبْشَمِيّا دُعِيتُ أَمْ هاشِمِيّا(٢)

وعندما صلب هشام بن عبد الملك زيد بن علي بعد أن أحبطت ثورته قال بعض شعراء بني أمية يخاطب آل البيت وشيعتهم :

---

(١) الأغاني، ١١ / ٢٩٣

(٢) الأغاني، ١١ / ٣٠٣ .

صلبنـا لكم زَيْـداً على جذع نَخْلَةٍ ولم أر مَهْـديّـا على الجـذع يُصْلَبْ

وإنما أقدم الأمو .ن على هذا الأسلوب الارهابي تمسكا منهم بأهداب الخلافة وحذرا من ضياعها من أيديهم للناس من تأييد آل البيت ولكن إرهاب السلطة الأموية لم يكمم الأفواه حيث راح أحدها يردد :

قد كُنْتُ أطْمَـعُ أنْ أمـوتَ ولا أرَى فَوْقَ المنـابـر مِنْ أمَيـة خاطبـا
فالله أخَّـرَ مُدَّتِي فتطـاوَلَـتْ حَتى رأيْتُ من الـزمـان عَجَـائِبـا
في كُلِّ يَوْمٍ للزّمـانِ خطـيـبـهـم بَيْنَ الجميـع لآل أحْمَـدَ عائبَـا (١)

فعندما أمر الخطباء والولاة بسب علي في أدبار كل صلاة وعلى المنابر لم تملك الألسنة التي لهجت بحب الهاشميين والقلوب التي أشربت مودتهم إلا أن ترد على الاجراء، على نحو ما كان كثير بن عبد الرحمن الذى صعد المنبر وقال :

لَعَـنَ الله مَنْ يَسُـبُّ عَلِيّـاً وَبـنِـيـه من سُوقَـةٍ وامَـام
أيَسُـبُّ المُطَـهّـرونَ أصُـولاً والـكـريـمُ الأخـوالِ والأعْـمام
يَأمَـنُ الطـيرُ والحَـمامُ ولا يَأ مَنُ آلُ الـرسـول عِنْـد المُـقَـام
رَحْمَـةُ الله والـسـلامُ عليـهـم كُلما قامَ قائِـمُ الأسْـلام (٢)

ولكن خلفاء بني أمية يواظبون على لعن علي في دبر كل صلاة وعلى المنابر حتى كانت خلافة عمر بن عبد العزيز حيث أمر ولاته وعماله بترك سب علي، وكتب بذلك إلى عماله على الأمصار حتى قال كثير :ـ

---

(١) مقدمة شرح الهاشميات
(٢) ديوان كثير عزة، ٢٦٦

وَلِـيـتَ فلم تَشْـتُـمْ عَلِيّـا ولم تُخِفْ بَرِيّـاً ولم تَـتْـبَـعْ مقـالَـةَ مُجْرِمِ
وقُلْتَ فَصَـدَّقْتَ الـذى قُلْتَ بالـذى فَعَلْتَ، فأضْحَى راضيا كُلُّ مُسْلِمِ
ومـا زِلْـتَ سَبّـاقـاً إلى كُل غايَـةٍ صَعِـدْتَ بها أعلى البنـاء المُقَـدَّمِ
ومـالَـكَ أنْ كُنْتَ الخليفَـة مانـع سوى الله مِنْ مالٍ رغـيـبٍ ولا دَمِ
فما بَيْنَ شَرْقَ الأرْضِ والغَـرْبِ كُلِّها مُنَـادٍ يُنـادى من فصيـح وأعجم
يقـولُ : أمـيرَ المـؤمنين ظلمْتَني بأخْـذٍ لديـنـارٍ ولا أخْـذِ دِرْهِـمِ
فلويستطيـعُ المسلمـونَ تقسّمـوا لَكَ الشَّطْـرَ مِنْ أعـمارِهم غَيرَ نُدَّمِ
فعِـشْـتَ به ما حَجَّ لله راكِـبُ مُغِـذٌ مُطِـيـفٌ بالمقـامِ وزَمْـزَمِ
فأرْبِـحْ بها من صَفْـقَـةٍ لمبـايَـعٍ وأعظَـمْ بها أعظَمْ بها ثُمّ أعْظِمِ (١)

ولا يخفى ما يشيع في هذه الأبيات من صدق في العاطفة تجاه الأمويين وتجاه عمر بن عبد العزيز بالذات لأنه أمر بمنع الخطباء من تخطئة علي وبغضه أو سبه .

ولكن السلطـة الأمـويـة عادت إلى التصـدى لأشراف بني هاشم في شدة وعسف، وتمـادت في هذا بحيث أدت غلظتهم مع العلويـين إلى ردود فعـل عكسية، فزادت من قوة العلويين حيث انضم إليهم مزيد من الأتباع والأشياع ودفعتهم دفعا إلى رص الصفوف في استراتيجية جديدة على نحو ما كان من مذبحة كربلاء التي انتقلت بالتشيع نقلة عظيمة إلى أمام. قبل كربلاء كان التشيع رأيا سياسيا وحسب، أما بعدها فقد أصبح التشيع عقيدة دينية ايمانية توحد بين فصائل الشيعة على تباين هذه الفرق .

ومع تعدد فرق الشيعة يستطيع الباحث أن يصنفها في صنفين :

---

(٣) الأغاني، (٩ / ٢٥٨) وما بعدها وكذلك ابن قتيبة : الشعر والشعراء (١ / ٥٠٥) وما بعدها .

أمـا الصنف الأول فهم الشيعـة المعتـدلـون، الذين ذهبوا في اعتقادهم إلى أن الامـامـة تكـون بالنص وليس بمجـرد الاختيـار وبأنهـا لا تكون الا في آل علي وفي مقدمة هؤلاء المعتدلين، الزيديون الذين ظهروا مع أواخر العهد الأموى . (١)

وأمـا الصنف الثـاني فهم غلاة الشيعـة وقد تعددت فرقهم وأشهر هذه الفرق , السبئية، أتباع عبدالله بن سبأ ومنها تشعبت عدة فرق كالجعدية، أنصار الجعد بن درهم، والبيـانيـة أتباع بيان بن سمعان والمغيرية أتباع المغيرة بن سعيد العجلى، والخنـاقين والرافضين والجناحية والبشيرية والخطابية والعميرية والبزيغية والمفضلية والمعمرية، (٢) وقد تعددت هذه الفرق غلوا وتطرفا، مما دفع آل البيت الى اعلان البراءة منهم، يقول هارون بن سعيد العجلى وكان رأس الزيدية :

أَلَمْ تَرَ أنَّ الـرافِـضِـينَ تَفَـرَّقُـوا ... فَكُـلَّهُـمْ في جَعْـفَـر قالَ مُنْكَـرَا
فطـائـفـةٌ قالُـوا : إلـهُ ومـنْهـمُ ... طوائِـفُ سَمَّـتْـهُ الامـامَ المُطَـهَّـرَا
فإن كان يَرْضَى ما يقـولـون جعْفَـرٌ ... فإني إلـى رَبِّـي أفـارِقُ جَعْـفَـرَا
ومِنْ عَجَبٍ لَمْ أقْضِـهِ جلدُ جَفْـرِهم ... بَرِئْـتُ إلـى الـرّحمـنِ ممن تَجَفَّـرَا
بَرِئْـتُ إلـى الـرحمن من كلِّ رافِضٍ ... بصير بباب الكُفْرِ فى الدينِ أعْورَا
إذا كَفَّ أهْـلُ الحَقِ عنْ بَدعـةٍ مَضِى ... عليهـا وإن يَمْضـوا على الحَقِ قَصَّرَا
ولَـو قالَ : إن الفيـلَ ضَبٌّ لصَـدَّقُوا ... ولَـو قال : زِنْـجِـيٌّ تَحَوّلَ أحْمَـرَا
وأخْـلَفَ مِنْ بَوْل الـبـعـيرِ فإنّـه ... إذا هو للاقـبـال وُجِّـه أدْبَـرَا
فُقِـبِّـحَ أقْـوامٌ دَمَـوْه بِفِـريَـةٍ ... كما قال في عيسى الفِرى مَنْ تَنَصَّـرَا (٣)

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ٢ / ١٤٤ والشهرستاني : الملل والنحل، (١ / ٣٠٢) والأشعري : مقالات الاسلاميين (١ / ١٤٩) والبغدادي : الفرق بين الفرق ٢٢٧ وما بعدها .

(٢) الملل والنحل (١ / ٢٨٩) وما بعدها، وابن حزم : الفصل في الملل والنحل (٤ / ١٧٩ وما بعدها والفرق بين الفرق للبغدادى (٢٢٧) وما بعدها .

(٣) ابن قتيبة : عيون الأخبار : ٢ / ١٤٥

فالغلاة إمامهم جعفر الصادق وأبوه محمد الباقر والأئمة عندهم آلهة كما تقضى نظرية الحلول التي آمنوا بها، ومن أعجب الأشياء أن الخطابية زعمت أن جعفرا الصادق قد أودعهم جلدا فيه علم كل ما يحتاجون إليه من الغيب وسموا ذلك الجلد جفرا وزعموا أنه لا يقرأ ما فيه إلا من كان منهم .(١)

ومن هؤلاء الغلاة أبو منصور العجلي الذى ادعى أن الله عز وجل عرج به اليه فأدناه منه وكلمه ومسح يده على رأسه، وذكر أنه نبي ورسول وأن الله اتخذه خليلا، (٢) وكان أبو منصور قد وصف نفسه في البداية بأنه من أتباع أبي جعفر محمد بن علي المعروف بالباقر، إلا أن الباقر لما عرف طويته وتحقق من سوء ما يفعل تنصل منه وطرده، فاضطر على ما يبدو أن يزعم أنه هو الامام، ودعا الناس إلى نفسه وأسعفه الحظ بأن مات الباقر سنة ١١٧ هجرية فأعلن أن الامامة انتقلت اليه بالوصية . (٣)

وزعم أنه يتولى سبعة أنبياء من قريش وسبعة من بني عجل، ثم ادعى النبوة زاعما أنه عرج به إلى السماء فمسح معبوده على رأسه بيده ثم قال له: أى بني اذهب فبلغ عني ثم نزل إلى الارض فكانت معجزته بين أصحابه واتخذوها يمينا للحلف، يقولون : ألا والكلمة التي هي : « أي بني اذهب فبلغ عني . »

وطلب خالد القسرى أبا منصور العجلي أشد الطلب حتى أعياه ذلك (٤) فقد اختفى أو هرب حتى عزل خالد ثم تابع العجلي نشاطه في العلن بعد عزل خالد حتى تمكن يوسف بن عمر الثقفي من القبض عليه وعلى أصحابه فقتله وصلبه .

---

(١) البغدادي : الفرق بين الفرق ٢٣٩

(٢) النوبختي : فرق الشيعة ٣٤

(٣) المرجع السابق، الصفحة ذاتها .

(٤) المرجع السابق، ٣٥

وقد اتبع العجلي وأتباعه أساليب إرهابية شتى من أجل أن يبسط سلطانه على الناس وفي هذا يقول الجاحظ « إن الخناقين يظاهر بعضهم بعضا فلا يكونون في البلاد إلا معا ولا يسافرون إلا معا، فربما استولوا على درب بأسره أو على طريق بأسره، ولا ينزلون إلا في طريق نافذ ويكون خلف دورهم إما صحارى وإما بساتين وإما مزابل وأشباه ذلك، وفي كل دار كلاب مربوطة ودفوف وطبول ولا يزالون يجعلون على أبوابهم معلم كتاب منهم فإذا خنق أهل دار انسانا، ضرب الناس بالدفوف وضرب بعضهم الكلاب فسمع المعلم فصاح بالصبيان « صيحوا » وأجابهم أهل كل دار بالدفوف والصنوج كما يفعل نساء أهل القرى، وهيجوا الكلاب، فلو كان المخنوق حمارا لما شعر بمكانة أحد . » (١) وإلى هؤلاء الغلاة أتباع أبي منصور العجلي يشير أبو معدان الأعمى الشميطى وهو شيعي فيقول :

خشبي وكافر سبياني ... كربي وناسخ قتال
تلك يتمية وهاتيك صممت ... ثم دين المغيرة القتال
خَنْقٌ مَرّةً وَشَمٌّ بُخارٍ ... ثُمَّ رَضْخٌ بالجَنْدَلِ المُتَوالي
انَّ ذا الكسف بَدآلَ كَميلٍ ... وكميلٌ رَذْلٌ من الارْذالِ
تركا بالعَراق داءً دَوِيّا ... ضَلَّ فيه تَلَطُّفُ المُحْتالِ (٢)

ولم تكن أساليب هؤلاء الغلاة لترضي حتى الشيعة أنفسهم ولذلك رأينا بعض الشعراء يلفت أنظار الأئمة أنفسهم إلى هذه الافتراءات التي تحمل عليهم على نحو ما كان من أبي هريرة العجلي الذى يقول للامام محمد الباقر :

---

(١) الجاحظ؛ الحيوان، ٢ / ٢٦٤ وما بعدها .
(٢) المرجع السابق؛ ٢ / ٢٦٨ - ٢٧١ .

أبــا جَعْــفَــرٍ أنْـتَ الــوَليُّ أ حِبُّــهُ ... وأرْضَـــى بما تَرضَـــى به وأتــابِــعُ
أتَــتْنــا رِجـــالٌ يَحْمِـلُون عليْـكُـمُ ... أحــاديثَ قَدْ ضاقتْ بِهِنَّ الأضـالِـعُ
أحــاديثُ أفْشــاهــا المغــيرةُ فيهِمُ ... وشَـرُّ الأمـورَ المحدثاتُ البدائعُ (١)

والمغيرة الذى تشير اليه الأبيات السابقة هو المغيرة بن سعيد العجلي الذى يعتبر من أكثر غلاة الشيعة تطرفا، وكان لخروجه مناديا بعقيدته المتطرفة خطر عليهم أزعج خالـدا القسري وجعله يصيح وهو على المنبر : « أطعموني ماء » فكان هذا الموقف مما يعيره به خصومه، وفي هذا قال يحيى بن نوفل : -

تَقُـولُ منَ الـنـواكَـةِ أطْعِمُـوني ... شَرَابـاً ثم بُلْتَ على الـسَّـريـرِ
لا علاجٍ ثمانــيــةٍ وشَــيْـخٍ ... كليــلِ الحَـدِّ ذى بَصَـرٍ ضَرِيْـرِ (٢)

كما صور لنـا أعشى هَمْدَان بعض ما كان يمارســه أتبـاع أبي منصور العجلي من تعذيب الناس بالخنق والتشميم والنبح والقتل فقال :

إذا سِرْتَ في عَجْـلٍ فَسِـرْ في صَحَابَةٍ ... وكِنْـدَةَ فاحـذَرْهـا حذارك للخَسْفِ
وفي شيعـــة الأعـمـى زيـــاد وغيلة ... وكسب وأعــمال لجنــدلــة القـذفِ
وكُــلهُــمُ شَرٌ على أنَّ رأسَــهُــم ... حميــدةُ والمَيْــلاءُ حاضِنَــةُ الكَسْفِ
متـى كُنْتَ في حَيّ بُجَيْلَةَ فاستَمِــعْ ... فإنَّ لَهُمْ قَصْــفَــاً يَدُلُّ على حَتْــفِ
إذا اعتــزَمُــوا يومـا على قَتْـلِ زائـرٍ ... تداعوا عليه بالنُّباحِ وبالعَزْفِ (٣)

---

(١) ابن قتيبة؛ عيون الأخبار، ٢ / ١٥١ .
(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢ / ٤٠٥
(٣) ابن قتيبة، عيون الأخبار(٢ / ١٤٦ فما بعدها، والأعمى هو المغيرة بن سعيد العجلي، زياد : يعني الخفق، الكسب : السم، وأعمال لجندلة القذف، يريد رضخهم رؤوس الناس بالحجارة، حميدة: كانت من أصحاب ليلى الناعطية ولها رياسة في الغالية، والميلاء : حاضنة أبي منصور العجلي، والكسف : هو أبو منصور العجلي وسمي بذلك لأنه قال لأصحابه في نزل « وان يروا كسفا من السماء ساقطا » انظر في هذا الحيوان ٦ / ١٣٠ ، وعيون الأخبار (٢ / ١٤٦) وهامشه .

وهكذا مضى الشعر في ركاب مذاهب الشيعة المختلفة معبرا عما تجيش به صدور الشيعة من القضايا الفكرية والسياسية والعقيدية، مضى يتحدث عن فرق الشيعة المتطرفة كما مضى يتحدث عن الشيعة المعتدلين، وبذلك كثر شعراء الشيعة كما كثر شعراء الفرق الأخرى واتخذوا من الشعر سلاحا يجرد للذود عن كياتهم السياسي ونشر مبادئهم .

ولعل أبرز شعراء الشيعة في هذه الحقبة من القرن الثاني الهجرى شاعران كبيران هما : كثير بن عبد الرحمن شاعر الشيعة الكيسانية والكميت بن زيد الأسدى شاعر الشيعة الزيدية .

وربما كان كثير أشهر الشعراء تعبيرا عن آراء الشيعة الكيسانية حيث راح يستحث إمامه على الخروج ويكثر من ترديد فكرة المهدى المنتظر ومن هذا القبيل قوله :

هُدِيْتَ يامَهْدِيَّنا ابن المُهْتَدَى ... أنْتَ الذى نَرْضَى بِهِ ونَرْتَجِي
أنْتَ ابنُ خَيْرِ الناسِ مِنْ بَعْدِ النبي ... أنْتَ إمامُ الحَقِّ لَسْنا نَمْتَرِى
يا بنَ عَلِيّ ومَنْ مِثْلُ عَلِيّ ... حَتّى تَحُلَّ أرْضَ كَلْب وَبَلِيّ (١)

فهو في الأبيات السابقة يردد فكرة المهدى المنتظر وهو الذى تؤمن طائفة الشيعة الكيسانية بأنه سيعود ليملأ الأرض عدلا وعلما ونورا بعد أن ملئت جورا .

وكثير عزة من الشعراء الشيعة الذين أكثروا من وصف الامام بالمهدى على نحو ما نرى في قوله :

---

(١) طبقات ابن سعد، ٥ / ٧٨ .

هو المَهْـدِيُّ خَبرْنـاهُ كَعْـبُ أخـو الأحْبَـار في الحِقَبِ الخوالي (١)

ومن شعر كثير المتصل بآراء الشيعة الكيسانية قوله :

بَرِئْـتُ إلـى الالـه من ابـنِ أرْوى ومـن ديـنِ الخـوارج أجْمَـعينـا
ومـن عُمَـر بَرِئْـتُ ومِـنْ عَتـيقٍ غَداةَ دُعِـى أمـيرَ المُـؤمِنينـا (٢)

وبسبب هذا الشعر نسبه ابن قتيبة إلى الرافضية، وهو ينكر خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، ولا يكتفي بإنكار خلافتهم ولكنه يعلن براءته منهم ومن الخوارج .

ويسجل شعر كثير بن عبد الرحمن اعتقاد صاحبه بأن محمد بن الحنفية قد استحق الامامة بموجب وصية النبي صلى الله عليه وسلم عند غدير خم، كما يسجل غيبة الامام محمد بن الحنفية في جبل رضوى ويعرب عن إيمانه بعودته ليقود ألوية الحق والعدل على نحو ما نرى في قوله :

سَمـيُّ الـنبيِّ المُصْطَفى وابنُ عَمِّـهِ وفـكـاكُ أغـلالٍ ونـفـاعُ غَارِمِ
أبِيٌّ فَهْـوَلا يَشْـرِى هُدًى بضَـلالَـةٍ ولا يَتَـقـي في الله لَوْمَـةَ لائِـمِ
ونـحـنُ بِحَـمـدَ الله نتـلو كتـابَـه حُلولاً بهذا الخـيفِ خيفِ المَحَـارِمِ
بحـيثُ الحـمامُ آمِنُ الـرَّوْعَ ساكنٌ وحيثُ العَـدُوُّ كالصَـديقِ المُسَـالِمِ
فما فَرَحُ الـدُّنْـيـا بِبـاقٍ لأهـلِهِ ولا شِدّة الـبَلْوى بِضَـرْبَـةِ لازمِ
تُخَبِّرُ مَنْ لاقَـيْـتَ أنـكَ عائـذُ بل العـائِذُ المَظْلومُ في سِجْنِ عَارِمِ (٣)

---

(١) الأغاني، ٩ / ١٦ .
(٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ١٠ / ٥٠٣ .
(٣) الأغاني، ٩ / ١٥ فما بعدها، وكان ابن الزبير يسمى العائذ ويزعم أنه يعوذ بالبيت وحرمه، وهو هنا يشير الى ما كان من ابن الزبير الذى كان دعا محمد بن الحنفية إلى مبايعته فأبى ذلك، فما كان منه الا أن أودعه سجن عارم، وهو سجن بمكة بعد أن جمع معه رهطا من بني هاشم .

ومن شعره المعبر عن رأيه في الامامة قوله :-

ألا إنَّ الأئِمـةَ من قُرَيْشٍ	ولاةُ الحَـقِّ أرْبـعَـةٌ سواءُ
عليٌّ والـثـلاثـة مِنْ بَنـيـه	هُمُ الأسـبـاطُ لَيْس بهمْ خَفَـاءُ
فسـبْـطٌ، سِبْـطُ إيـمانٍ وَبِـرٍّ	وسِـبْـطٌ غَيَّـبَـتْـهُ كَرْبـلاءُ
وسِـبْـطٌ لا تراهُ الـعَـيْنُ حَتَّـى	يقـود الخـيـلَ يَقْـدمهـا الـلِّواءُ
تَغَـيَّـبَ لا يُرى عَنْهُـم زَمَـانَـاً	بِرضـوَى عِنْـدَه عَسَـلُ ومَـاءُ (١)

فهو يؤمن أن الأئمة هم علي وأبناؤه الثلاثة، الحسن والحسين ومحمد، ويسجل اعتقاد الكيسانية بالرجعة بعد الموت، وبأن محمد بن علي بن أبي طالب حي لم يمت وبأنه مقيم في جبل رضوى حيث العسل والماء، وبأنه سيظل على هذه الحال إلى أن يخرج من هناك عائدا إلى الدنيا حاملا اللواء ممتطيا جواده ليرد الناس إلى الأيمان الصحيح .

وما حملته أبيات كثير السابقة من معاني الرجعة بعد الموت هي التي جعلت فلها وزن يعتقد أن إيمان الكيسانية برجعة محمد بن الحنفية يشير إلى دخول الأفكار الأجنبية إلى تعاليم الشيعة، وبأن اعتقادهم هذا يذكره بما ورد في سفر أشعيا . (٢)

ولعل من أشد المواقف تعقيدا مزج كثير بين ما ذهب إليه من انكار خلافة بعض الخلفاء على نحو ما رأينا وبين اعترافه بخلافة بعض الأمويين كمروان بن الحكم وابنه عبد الملك بن مروان على نحو ما جاء في قوله :-

---

(١) الأغاني، ٩ / ١٤

(٢) فلها وزن، الخوارج والشيعة، ٢٤٧ .

وكان الخلائف بعد الرسو ... ل لله كلهم خاشعا
شهيدان من بعد صديقهم ... وكان ابن خولى لهم رابعا
وكان ابنه بعده خامساً ... مطيعا لمن قبله سامعا
ومروانُ سادسُ من قد مضى ... وكان ابنه بعده سابعا (١)

وأول ما يتبادر إلى الذهن أنه أراد بقوله (شهيدان من بعد صديقهم) أي عمر وعثمان بعد أبي بكر، ولكن شارح ديوانه قال : انه يعني بالشهيدين الحسن والحسين، وبابن خولي محمد ابن الحنفية، وبمروان، مروان بن الحكم وبابنه عبد الملك بن مروان، فكأنه يخرج عن سرد الخلفاء : عمر وعثمان ـ عليا، وهذا موقف غريب حقا، لأن الكيسانية تعترف بخلافة علي، على نحو ما قرره كثير نفسه في مجموعة الأبيات الهمزية التي سبقت الاشارة اليها (٢) وفيها يعرب عن غلوه في التشيع ويردد أن ابن الحنفية غائب بجبل رضوى، وأنه لم يمت، ويؤكد أنه سيعود على رأس جيش ليكتب نهاية الظلم الأموى . وهكذا اتهم كثير بالانحراف عن حدود التقية المتعارف عليها في دوائر الشيعة، بحيث مضى بعض الباحثين يتهمونه بالنفاق السياسي على نحو ما رأينا عند الدكتور طه حسين (٣) مع أن محمد بن الحنفية ذاته كان قد دخل في هذه الاثناء في بيعة عبد الملك، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن من يدقق النظر في أشعار كثير يمكنه أن يجد دليلا على أن عبد الملك نفسه كان يتملق كثيرا ويحتال عليه بأهل الدهاء حتى استماله في النهاية إلى جادتهم ومن هذا القبيل قوله :ـ

---

(١) ديوانه، ٤٩٥ .

(٢) وهذه الأبيات تنسب لكثير في مجموعة من خمسة أبيات في الأغاني : ٩ / ١٤ فما بعدها، وفي عيون الأخبار، (٢ / ١٤٤) في مجموعة من سبعة أبيات، كما تنسب للسيد الحميرى في مجموعة من اثنى عشر بيتا، الأغانى (٧ / ٢٤٥) فما بعدها وما أحسبها إلا للسيد الحميرى، ولا سيما أنها رويت في المرة الأولى في أعقاب مجموعة هي من شعر السيد الحميري .

(٣) د . طه حسين، حديث الأربعاء (١ / ٢٩٠) وكذلك الحال عند أحمد الربيعي في كثير عزة، حياته وشعره، (١٥٩) .

وَمَـا زالَـتْ رُقَـاكَ تَسُـلُّ ضِغْـني ... وتُخْـرِجُ مِنْ مَكَـامِـنِهـا ضِبَـابِـي
ويَـرْقِـيـنِي لَكَ الحَـاوونَ حَتّـى ... أصـابَـكَ حَيّـةٌ تَحْتَ الحِجَـابِ (١)

ومعنى ذلك أن عبد الملك ظل يتملق كثيرا ويستل حقده ويسلط عليه الحاوين حتى أجابه إلى ما يريد من مديح كما تجيب الحية الحاوى إذا نفث فيها ورقى لها، ولعله صادق في زعمه ولا سيما أن عبد الملك كان يعرف مكانة آل البيت من نفسه، روى أن كثير بن عبد الرحمن « دخل على عبد الملك بن مروان فقال له : نشدتك بحق علي بن أبي طالب : هل رأيت قط أحداً أعشق منك ؟ قال : يا أمير المؤمنين، لو نشدتني بحقك أخبرتك (٢) فبنوا أمية إذا كانوا يغضون عن تشيعه للعلويين. ولعل المقابلة الأولى بين عبد الملك بن مروان وبين كثير تلقي ضوءا على هذه القضية وتحل لنا شيئا من هذا الغموض حيث تروى الأخبار أن عبد الملك كان يتمنى أن يرى كثيرا، فلما دخل عليه فاذا هو قصير دميم، تقتحمه العين وتزدريه فقال : تسمع بالمُعَيْدِي خيرٌ من أن تراه، فقال كثير : مهلا يا أمير المؤمنين، فإنما المرء بأصغرية، قلبِه ولسانِه، إنْ نطق نطق ببيان، وإن قاتل قاتل بحنان، وأنا الذى أقول :

تَرَى الـرَجُـلَ النحيفَ فتـزدَريـه ... وفي أثـوابـه أسَـدٌ هَصُـورُ
ومـا عِظَـمُ الـبعـير لَهم بفَـخْـرٍ ... ولـكـنْ فَخْـرُهُـم كَرَمٌ وخـيرُ
بُغَـاثُ الطَـيْرِ أطـولُهـا جُسـومَـاً ... ولم تَطُـلِ الـبُـزَاةُ ولا الـصـقُـورُ
وقـد عَظُـمَ الـبعـيرُ بِغَـيْرِ لُبٍّ ... فلم يَسْـتَـغْـنِ بالـعِظَـمِ الـبعـيرُ
فيُرْكَـبُ ثم يُضْـرَبُ بالهـراوِي ... فلا عُرفٌ لديـه ولا نَكـيرُ
يُجَرِّرهُ الـصّـبـيُّ بكُـلِّ أرْضٍ ... ويَحْبِـسـه على الخَسْفِ الجَـريـرُ
وعـودُ الـنَّبْـعِ يَنْبُتُ مُسْتَـمِـرّاً ... ولـيْس يَطُـولُ والـقَـصْبـاءُ خُورُ
لَئِـنْ أكُ في شرارِكُـمُ قليـلاً ... فإنّي في خيـارِكُـمُ كَثـيرُ

---

(١) أساس البلاغة مادة رقي، وطبقات الشعراء الجاهليين والاسلاميين ١٨٥ طبعة مكتبة الثقافة .
(٢) ابن قتيبة؛ الشعر والشعراء، (١ / ٥٠٩) .

فاعتذر إليه ورفع مجلسه . (١) فربما كان هذا الموقف متعمدا من عبد الملك الغاية منه أن يجرر كثيرا ويستحثه إلى الدفاع عن نفسه والحفاظ على كرامته، ومن هنا فقد أراد كثير أن يثبت للخليفة بالطريق العملي أنه قادر على الدفاع عن كرامته كما أنه قادر على مجاراة كبار شعراء زمانه وبأن مديحه أسمى مكانة من مديحهم له، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية فإن من يدقق النظر في مدائحه لعبد الملك سيجد فيها كثيرا من التمويه فقد جعل الأمويين حيات وعقارب ومن هذا القبيل قوله لعبد الملك :

يُقَلِّبُ عَيْنَي حَيَّةٍ بِمَحَارَةٍ ... إذا أمْكَنَتْهُ شِدّة لا يُقِيلُها (٢)

فعبد الملك كالحية ما تزال تلدغ إذا هي وجدت الفرصة لذلك وقد لاحظ القدماء ذلك، ذكر المرزباني أن « كثيرا قال في عبد الملك أنه شجاع، والشجاع اسم للثعبان، وأنه أسد والأسد اسم للكلب » . (٣) ومن هذا القبيل أيضا أنه ذكر عبد الملك ضمن الخلفاء الذين لا تقر الشيعة الكياسنية خلافتهم، وتعتقد بأنهم اغتصبوها من أصحابها الشرعيين فأعتبره سابع الخلفاء فى وقت أسقط اسم علي من سرد أسمائهم لأن خلافته هي الصحيحة بين تلك الخلافات المغتصبة، وقد تنبه الطرماح بن حكيم شاعر الخوارج الى تمويه كثير على عبد الملك، روى صاحب الأغاني أن الطرماح جلس في حلقة فيها رجل من بني عبس فأنشده العبسي قول كثير في عبد الملك :

فَكُنْتَ المُعَلَّى إذْ أجيلَتْ قِدَاحُهم ... وجَالَ المنيحُ وَسْطَها يَتَقَلْقَلُ

---

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، (١٦ / ٧٦٦) وهي مخطوطة بدار الكتب المصرية .
(٢) المرزباني، الموشح ، (١٤٤)
(٣) المصدر السابق ، الصفحة ذاتها

فقال الطرماح : أما إنه ما أراد أنه أعلاهم كعبا ولكنه موه عليه في الظاهر وعنى في الباطن أنه السابع من الخلفاء الذين كان كثير لا يقول بامامتهم لأنه أخرج عليا عليه السلام منهم فإذا أخرجهم كان عبدا الملك السابع ، وكذلك المعلى السابع من القداح فلذلك قال ما قاله وقد ذكر ذلك في موضع آخر فقال :

وكــان الخــلائِفُ بَعْــدَ الــرسُــو ... ل ِ لله كُلُّهــم تابِـعَــا
شَهــيــدَانِ من بَعْــدِ صديـقـهــم ... وكــانَ ابــنُ حَرْبِ لهم رابــعــا
وكــان ابــنــه بَعْــدَه خامِــســاً ... مُطِـيــعــا لِمَنْ قَبْـلـه سامِـعَــا
ومــروانُ سادِسُ مَنْ قَدْ مَضــى ... وكــان ابــنُــه بَعْــدَه سابِـعَــا (١)

فليست القضيـة إذاً قضيـة نفـاق سياسي ولكنها لون من ألوان التقية ونمط من أنـماط التمـويـة وحسن التخلص ، وليس أدل على ذلك من اخلاصه المديح لعبد العزيز بن مروان وابنه أبي بكر ابن عبد العزيز بن مروان وهو المديح الذى لم يتطرق خلالـه لأحـاديث السيـاسة وكذلك مديحه لعمر بن عبد العزيز الذى نوه فيه بعدله وتقواه وحبه لعلي بن أبي طالب وآله واقدامه على خطوة جريئة حين أمر بمنع سب علي والعلويين على المنابر ومنه قوله :

وَلِــيــتَ فَلَمْ تَشْتُــم عَليــاً ولم تُخِفْ ... بَرِيّــاً ولَمْ تَقْــبَــل إشــارَةَ مُجْرِم ِ
وأظـهَــرْتَ نورَ الحَــقِّ فاشــتــدّ نورُه ... على كُل لَبْس ٍ بارقِ الحَــق مُظـلِم ِ
وقــد لَبِسَــتْ لبسَ الهَلوكِ ثيــابَهــا ... تراءى لَكَ الــدنْـيَــا بِكَف ومعصَم ِ
وتــومض أحيــانــا بعــين مريضــة ... وتـبـسـم عن مثــل الجـمان المنظم ِ
ومــالــك أنْ كُنْتَ الخليفــةَ مانِــعٌ ... سوى الله مِنْ مال ٍ رغــبــت ولا دَم ِ

---

(١) الأغاني (١٢ / ٤١) .

فما بَيْنَ شَرْقِ الأرْضِ والغَـرْبِ كُلّها ... منــادٍ ينــادى من فصيــحٍ وأعجمِ
يقــولُ : أمــيرَ المــؤمنـين ظَلَمْتَني ... بأخــذٍ لديـنــارٍ ولا أخْــذِ دِرْهَـمِ
ولو يستطيــعُ المسلمــونَ تقسّمــوا ... لك الشَّطْــرَ من أعــمارِهم غَيْرَ نُدمِ
فَعِــشْــتَ به ما حَجَّ لله راكِــبٌ ... مُغِــذٌ مطيفٌ بالمقــامِ وَزَمْـزَمِ (١)

فهو يمدحه ويخلص في مديحه، بعد أن رأى بعينى رأسه أن الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز يكرم آل البيت، ويصدر أوامره إلى ولاته على الأقاليم الاسلامية يمنعهم من سب علي على المنابر، هذا بالاضافة إلى ما لمسه من التزام عمر لمبدأى الحق والعدل .

وفي ظلال هذه العدالة والتقوى التي تفيأها كثير في عهد عمر بن عبد العزيز رأيناه يصرح من جديد بحبه لآل البيت، ويدعو إلى إنصافهم، ويعرض بالغاصبين، على نحو ما رأينا في قوله :

لَعَــنَ الله مَنْ يَسُــبُّ عَلِيّــا ... وبــنـيــه من سُوقَــةٍ وإمــامِ
أيُســبُّ المطــهــرونَ جُدُودا ... والــكــرامُ الأخْــوالِ والأعــمامِ
يأمَــنُ الطــيرُ والحــمامُ ولا يَأ ... مَنُ آل الــرســولِ عِنْــدَ المُــقــامِ
رَحْمَــةُ الله والــســلامُ عليــهِــمْ ... كُلّما قامَ قائِــمُ الاســلامِ (٢)

ويظل كثير على عقيدته واخلاصه لمذهبه، ويثبت على كيسانيته ويردد في آخر ما نظمه من شعر قوله .

---

(١) ابن ميمون، مخطوطة منتهى الطلب من أشعار العرب، ٣٤١ .
(٢) الجاحظ، الحيان ٣ / ١٩٤ .

بَرِئْتُ إلى الالهِ من ابن أَرْوَى ... ومن دين الخَوارجِ أجْمَعِينَا
ومِنْ عُمَرٍ بَرِئْتُ ومِنْ عَتيقٍ ... غَدَاةَ دُعِي أميرَ المُؤمنينَا (١)

فلم يرض عن خلافة أحد غير علي وبنيه ويعتبر كل من تسنم هذا المنصب سواهم غاصبا مدعيا ولا يجيز لأحد خلافهم أن يحمل لقب « أمير المؤمنين ». ولذلك قدمه صاحب الأغاني على أنه « كان شيعيا غاليا في تشيعه، ويذهب مذهب الكيسانية . » (٢) وبأنه « كان يزعم أن الأرواح تتناسخ، وأنه كان يحتج بقول الله تعالى : « في أى صورة ما شاء ركّبك » (٣) » وبأنه كان مؤمنا بالرجعة بعد الموت » (٤) ولذلك قال عمر بن عبد العزيز : إني لأعرف صلاح بني هاشم من فسادهم بحب كثير : من أحبه منهم فهو فاسد، ومن أبغضه فهو صالح، لأنه كان خشبيا يقول بالرجعة، (٥) ولعل أبياته التي نظمها في إمامة محمد بن الحنفية التي مضى ذكرها تؤيد ذلك كله، حيث مضى فيها يذكره ويلقبه بالمهدى المنتظر وينعته بأنه حي لم يمت ولكنه متغيب في جبل رضوى، وبأنه سوف يخرج من غيبته عندما تمتلىء الأرض جورا وفسادا ليملأها عدلا وصلاحا .

وكما لقب كثير محمد بن الحنفية بالمهدى، لقبه أيضا بأمين الله على نحو ما نرى في قوله :

أَقَرَّ الله عَيْني إذْ دَعاني ... أمينُ الله يَلْطُفُ في السؤالِ
وأثْنَى في هَوَيَ عَلَيَّ خَيْراً ... وساءَلَ عَن بَنِيّ وكيفَ حالي
وكَيفَ ذَكَرْتُ حالَ أبي خُبَيْبٍ ... وزلّةَ فِعْلِهِ عِنْدَ السُّؤالِ
هو المَهدِيُّ خَبَّرناه كَعْبٌ ... أخُو الأحبارِ في الحِقَبِ الخَوالي (٦)

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد، ٢ / ٤٠٦، وابن أروى: عثمان بن عفان، أروى أم عثمان، وعتيق : أبو بكر الصديق .
(٢) الأغاني، (٩ / ٤) .
(٣) المصدر السابق (٩ / ١٧)
(٤) المصدر السابق، الصفحة ذاتها .
(٥) المصدر السابق، (٩ / ١٩)
(٦) المصدر السابق، (٩ / ١٦) .

وأبـو خبيب هو عبـدالله بن الـزبـير ، وقـولـه في البيت الأخير (خبرناه كعب) يذكـرنـا بها ألفـه غلاة الشيعـة ، الـذين كانـو يستبيحـون من أجل غلوهم الكذب وطبيعي أن كثـيرا لم يلق كعبـا ولـذلك قيل له : « ألقيت كعبا ؟ » قال : لا ، قيل : فلم قلت خبرناه كعب » قال : بالتوهم . (١)

وهكـذا استطـاع كثير عزة أن يعبر في شعره عن معتقدات الشيعة الكيسانية في الامـامـة والخـلافـة ، كما استطاع أن يعطى صورة واضحة عن هذه الفرقة الشيعية الغالية في تشيعها وفي ميلها إلى التقية حينا والتمويه حينا آخر .

ولا يسعني في نهايـة المطـاف مع شعر كثير السياسي إلا القول : أن حبه للامام علي وآلـه حب أصيـل وعقيـدة راسخـة وأن ما توجـه به نحـو بني أمية من مدائح أو مراث إنما كان شعبتين ، فأما أولاهما فهي أشعاره في عبد الملك وابنه اليزيد وهي لا تعـدو أن تكـون تقيـة وتمـويها لاشباع تملق عبد الملك إليه ، وأما الشعبة الثانية فهي إشعاره في عبد العزيز وابنه عمر وهي أشعار تصدر عن قناعة بما امتاز به هذان من تعاطف مع بني هاشم وما اشتهر عنهما من حب لعلي بن أبي طالب وآل بيته . (٢)

وتكتفي طائفـة من شعـراء الشيعـة بمجـرد الافصاح عن كامن إيمانها بطهر آل البيت وصدق ايمانهم على نحو ما كان من شعر الفرزدق في مديح علي بن الحسين الذى يقول فيه :

هذا الـذى تَعْـرِفُ البَطْحَـاءُ وطأتَـه ... والـبَـيْتُ يَعْـرِفُـه والحِـلُّ والحَـرَمُ

هذا ابـنُ خَيْرِ عبـادِ الله كُلِّهـم ... هذا الـتَـقـيُّ الطـاهِـرُ الـعَـلَمُ

---

(١) الأغاني ، (٩ / ١٦) .

(٢) انظر في ذلك ما جاء في الكامل في التاريخ لابن الاثير حوادث سنة ٩٩ هجرية والأغاني ، (٩ / ٢٦٣) .

هذا ابنُ فاطمـــةٍ إنْ كُنتَ جاهِلَه بَجِـدِّه أنـبـيـاءُ الله قَدْ خُتِمُـوا

ولـيس قَوْلُـكَ مَنْ هذا بضـائِـره العُـرْبُ تَعْـرِفُ مَنْ أنْكَـرْتَ والعَجَمُ

إذا رأتـه قريشٌ قال قائِـلُهـا إلـى مكـارِمِ هذا يَنْـتـهِي الكَـرَمُ

الله شَرّفـه قِدْمَـا وعَظّـمـهُ جَرى بذاك لَه في لَوْحِـهِ الـقَـلَمُ

أيُّ الخـلائـقِ لَيْسـت في رقـابهِـمُ لأوليَّـةِ هذا، أوْ لَهُ نَعَـمُ

من يَشْـكُـرِ الله يَشْـكُـرْ أولـيـةَ ذا فالـديـنُ مِنْ بَيْـتِ هذا نالَـهُ الامَمُ

مِنْ مَعْشَـرٍ حُبُّـهـم ديـنٌ وبُغْضُهُمْ كُفْـرٌ وقُـرْبُهُـمْ مَنْـجَـىً ومُـعْـتَصَمُ

إذا عُدَّ أهْـلُ الـتُقَى كانـوا أئِمَتُهم أو قيل من خَيرُ أهْلِ الأرضْ؟ قيل هم (١)

روى صاحب الأغاني أنه لما حج هشام بن عبد الملك في أيام أبيه، طاف بالبيت وجهد أن يصل الى الحجر الأسود ليستلمه فلم يقدر على ذلك لكثرة الزحام، فنصب له كرسي وجلس عليه ينظر إلى الناس ومعه جماعة من أعيان بني أمية، فبينما هو كذلك إذ أقبل الامام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فطاف بالبيت، فلما انتهى إلى الحجر الأسود تنحى له الناس كلهم وأخلوا له الحجر الأسود ليستلمه هيبة واجلالا له، فغاظ ذلك هشاما وبلغ منه فقال رجل لهشام: من هذا أصلح الله الأمير؟ قال: لا أعرفه، وكان به عارفا، ولكنه خاف أن يرغب فيه أهل الشام ويسمعوا منه. فقال الفرزدق وكان لذلك كله حاضرا: أنا أعرفه، فسلني يا شامي. قال ومن هو؟ (٢) فاندفع الفرزدق يعرف الناس بالامام زين العابدين ويشرح لهم مكانته ومكانة آل بيته من الناس فتفيض عاطفته حبا لهم وعطفا عليهم واجلالا لملقاهم مما غاظ هشاما ودفعه إلى سجن الفرزدق بسببها، (٣) فقال الفرزدق في هذا:

(١) ديوان الفرزدق، (٢ / ١٧٨ وما بعدها والأغاني، ١٥ / ٣٢٦ ومن الناس من يروى هذه الأبيات لداود بن سلم في قثم بن العباس، ومنهم من يرويها لخالد بن يزيد فيه، وما أظنها إلا للفرزدق.

(٢) الأغاني، (١٥ / ٣٢٦، فما بعدها.

(٣) المصدر السابق، (١٥ / ٣٢٧).

أيُجيبني بَيْنَ المدينة والتي إليها قلوبُ الناسِ يَهْوِى مُنِيبُها
يُقلِّب رأسا لم يَكنْ رأسَ سَيِّدٍ وعَيْناً له حَوْلاءَ بادٍ عيوبُها

فبعث إليه هشام فأخرجه، ووجه إليه علي بن الحسين عشرة آلاف درهم وقال: أعذر يا أبا فراس فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به، فردها وقال: ما قلت ما كان إلا لله، وما كنت لأرزأ عليه شيئا فقال له: قد رأى الله مكانك، فشكرك، ولكنا أهل بيت إذا أنفذنا شيئا ما نرجع فيه، فأقسم عليه فقبلها. (١)

وإذا كانت ثلة من الشعراء المتشيعين قد اكتفت بمجرد الاعراب عن صدق عواطفها تجاه آل البيت، فإن ثلة أخرى لم تقف عند هذا الحد ولكنها مضت تخاصم من خاصم آل البيت وتجادل من جادلهم، وتصب جام غضبها جدالا وحجاجا على خصومها.

ولعل الكميت بن زيد الأسدى يظل في مقدمة هؤلاء الشعراء الذين فنوا فناء يكاد يكون تاما في عقيدة التشيع لآل البيت حتى ليمضي في الهجوم علي بني أمية في جرأة قل مثيلها على نحو ما نرى في قوله :-

فَقُلْ لبني أمَيةَ حَيْثُ حَلُّوا وإن خِفْتَ المُهَنَّدَ والقَطيعا
ألا أفٍ لِدَهْرٍ كُنْتَ فيه هَداناً طائعاً لَكُم مُطيعا
أجاعَ الله من أشبعتموه وأشْبَعَ من بجَوْرِكُمُ أجيعا
ويَلْعَنُ فَذ أميّة جِهاراً إذا ساسَ البَرِيَّةَ والخَليعَا
بمَرْضيّ السياسةِ هاشِميّ يكون حَيَا لأمتِه ربيعَا
ولَيْثاً في المشاهِدِ غير نِكْسٍ لتقويم البَرِيّةِ مُسْتَطيعَا
يقيمُ أمورَها ويذبُّ عَنْها ويَتْرُكُ جَدْبَها أبَدًا مَرِيعَا (٢)

---

(١) المصدر السابق، الصفحة ذاتها.
(٢) شرح الهاشميات، (٨٢)، والأغاني، (١٥ / ٢٧١).

وهكذا لم تقف عاطفة الكميت عند حد اظهار الولاء لآل البيت أو إظهار الجزع والأسى لما مني به هؤلاء الهاشميون من عسف على يد بني أمية، ولكنه مضى يخاصمهم في عنف وجراءة، وتمنى على الله أن يذيل ملكهم على يد هاشمي مرضي السياسة يكون كالربيع يعم الرعية بالخيرات بعد أن هبت عليها رياح القحط والجدب على أيدى الأمويين. وقد روى صاحب الأغاني أن هذه الأبيات كادت تورد الكميت الهلاك على يد هشام بن عبد الملك (١) ولعل خير ما يصور شدة حبه للهاشميين قصيدته البائية التي يقول فيها :

طَرِبْتُ وما شَوْقاً إلى البِيْضِ أطْرَبُ ... ولا لَعِباً مِنّي وذو الشَّوْقِ يَلْعَبُ
ولَمْ يَلْهِني دَارٌ ولا رَسْمُ مَنْزِلٍ ... ولم يَتَطَرَّبْني بَنَانٌ مُخَضَّبُ
ولكنْ إلى أهْلِ الفضائِلِ والنُّهَى ... وخَيْرُ بني حَواءَ والخَيْرُ يُطْلَبُ
إلى النَّفَرِ البِيْضِ الذين بِحُبهم ... إلى الله فيما نالَني أتَقَرَّبُ
بني هاشمٍ رَهْطِ النبي فإنَّني ... بِهِمْ ولَهُمْ أرْضَى مِرَارا وأغْضَبُ (٢)

وهكذا لم يعد يشغله الغزل ولا الحب، لأن هوى الهاشميين قد ملك عليه فؤاده حتى لينقطع له، فهم وحدهم المستأثرون بحبه وهو لا يرضى إلا بما يسرهم ولا يغضب إلا مما يحزنهم، وهو يعلن هذا الحب في غير خفاء غير مبال ببطش السلطة الأموية .

وهو لا يمل تكرار هذا الحديث عن حبهم بل يجد فيه متعة ولذة شأن المحبين والعاشقين حتى لنراه يصر على هذا الحب ويقصره عليهم .

ويمضى الكميت في تصوير حبه ومودته للهاشميين ويبين أسلوبه في تأييدهم فيقول:

---

(١) الأغاني، (١٥ / ٢٧١) .
(٢) شرح الهاشميات، ٣٦

خَفَـضْـتُ لَهُم مِني جَنـاحـي مَوَدّةٍ إلى كَنَفٍ عِطْفـاهُ أهْـلٌ ومَـرْحَبُ

وكُـنْـتُ لَهُم من هَؤلاءِ وهـؤلا مِجَنّـاً على أنيّ أذَمُّ وأقْـصَـبُ

فَقُـلْ للذى في ظِلِّ عَمْيـاءَ جَوْنَـةٍ تَرى الجَـوْرَ عدلاً أيْنَ ـ لا أيْنَ تَذْهَبُ ؟

بأي كِتـابٍ أمْ بأيـةِ سُنَّـةٍ تَرى حُبَّـهـم عاراً عَلَيّ وتَحْـسَـبُ

يعيبـونَـني مِنْ خِبـهم وضَـلالهِم على حُبكم ، بَلْ يَسْخَرونَ وأعْجَبُ (١)

إنه يتحدث عن حبه ومودته لبني هاشم ، ويصور مواقفه في تأييدهم غير حافل بما يلقاه من عنت في سبيلهم ، ويعلن في صراحة أنه يحب آل البيت ويتواضع لهم ، لأنه يلقى في رحابهم خير أهل ، يكرمونه ويرحبون به ولذلك فهو يهب نفسه للدفاع عنهم ، غير مبـال بما يصيبـه من أذى ، ويعلن سخطـه على أعـدائهم ويدعو على خصومهم بعدم الرشد ويقول لهم : إنكم ضللتم ضلالا بعيدا حتى لقد تصورتم البـاطـل حقـا والظلم عدلا ، وهـا أنتم سادرون في طريق خاطىء . ثم يتحـدى الكميت من يلومـه من خصـومـه على حبه الهاشميين بأن يأتى بدليل من كتاب أو سنـة على أنـه مخطىء في هذا الحب لآل البيت . ثم يسخـر من سفاهة خصومهم وضـلالهم وهكـذا كشف الكميت عن تعلقـه الشـديـد بآل البيت وتضحيتـه من أجلهم ، ونضاله عنهم ، وتحديه لخصومه .

ويتحدث الكميت عن الخلافة فيقول :ـ

وقـالـوا : وَرِثْنـاهـا أبَـانَـا وأمّنَـا ومـا وَرَّثَـتْـهُـمْ ذاكَ أمٌّ ولا أبُ

يَرَوْنَ لَهُمْ حَقّـاً على النـاس واجِبـا سَفَـاهَـاً ، وحَق الهـاشميـينَ أوْجَبُ

يَقُـولـون : لَمْ يُورَثْ ، ولـولا تُراثُـه لقـد شَرِكَـتْ فيـه بَكِيـلُ وأرْحَبُ

فإنْ هِيَ لَمْ تَصْـلُحْ لِحَيٍّ سِواهُـمُ فإن ذوي القُـرْبى أحَق وأقْـرَبُ (٢) .

---

(١) المصدر السابق ، (٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩) .

(٢) شرح الهاشميات (٤١ ، ٤٢ ، ٤٣) .

يقـول : إنَّ بني أميـة يدعـون أنهم ورثوا الخلافة عن أبيهم وأمهم ، وهذا محض افتراء وادعاء باطل ، فلم يكن لأبيهم وأمهم شيء حتى يرثه من بعدهما أبناؤهما . ثم يقرر أن الأمويين قد فرضوا طاعتهم على الناس فرضا ، وأنهم ادعوا بعد ذلك أن هذه الطاعة حق لهم على الرعية ، وهذا زعم باطل ، فالهاشميون أحق بها لأنهم عشيرة النبي وأقرب الناس اليه وأولادهم بتراثه ، وإذا كان الأمويون يحتجون بأن النبي لا يورث ، وأن الخلافة للقبائل كلها فإن حجتهم باطلة ، لأنه لو صح زعمهم لسعى إلى الخلافة أدنى قبائل العرب شأنا وهذا لم يحدث ولن يحدث ، وإذا كانت الخلافة مقصورة على قريش وحدها لا لشيء إلا لأنهم عشيرة الرسول فقد وجب أن تكـون الخـلافـة لنبي هاشم لأنهم أقـرب النـاس نسبا من رسول الله . وهكذا ناقش الكميت الأمـويـين في نظامهم الوراثي وقرر أنهم لا يدلون للرسول كما يدلي آل بيته وأن الهاشميين هم ورثته الشرعيون .

وإذا كان كثـير قد عبر عن عقيـدة الشيعـة الكيسانية فإن الكميت بن زيد خير من يمثل عقيدة الشيعة الزيدية الذين اعتقدوا أن النبي صلى الله عليه وسلم وإن لم ينص على خلافـة علي إلا أن عليـا كان أفضـل الصحابة بعد الرسول ، وجوزوا إمـامـة وخـلافـة المفضـول مع وجود الافضل ، وبذلك جوزوا استخلاف أبي بكر وعمر وعثمان مع وجود علي ، يقول الكميت :

أهْـوَى عَليّـاً أمـيرَ المـؤمنينَ ولا ... أرْضَـى بِشَتْم أبي بَكْـر ولا عُمَـرا
ولا أقـولُ وإنْ لَمْ يُعْطـيـا فَدكَـاً ... بِنْتَ الـرسـولِ ولا ميراثـه كَفَـرا
الله يَعْـلَمُ ماذا يأتـيـانِ بِهِ ... يَوْمَ الـقيـامَـةِ مِنْ عُذْرٍ إذا اعتَـذَرا
إنَّ الـرسـولَ رسـولَ الله قالَ لَنـا : ... إنَّ الامَـامَ عَلِيٌّ غَيرَ ما هُجُـرِ (١)

---

(١) الهجر، القـول القبيـح ، وهـو مضاف اليه ، وهذا يسمى الاصراف وهو اختلاف المجرى بفتح أوغيره ، فيقال أصرف الشاعر اذا أقوى فيه وخالف بين القافيتين .

في مَوْقِفٍ أوْقَفَ اللهُ الرسولَ به لم يُعْطِهِ قَبْلَهُ مِنْ خَلْقِهِ بَشَرَا (١)

ويمضي شعر الكميت في الدفاع عن آل البيت وإثبات حقهم في الخلافة ومعارضة السلطة الأموية وإتهامها بالجوز في الأحكام والابتعاد عن الالتزام بالقرآن الكريم على نحو ما نرى في قوله:

وهَل أمةٌ مُسْتَيْقِظُون لِرُشْدَهم فيكشف عَنْهُ النَّعسَةَ المتزمِّلُ

فقد طالَ هذا النومُ واستَخْرَج الكَرَى مساوِيَهم لو كانَ ذا الميلِ يُعْدَلُ

وعُطِّلَت الأحكامُ حَتَى كأننا على مِلَّةٍ غَيْرِ التي نَتَنَحَّلُ

فتلك أمورُ النّاسِ أضْحَتْ كأنّها أمورُ مُضِيعٍ آثَرَ النَّوْمَ بُهَّلُ

فيا ساسَةً هاتُوا لَنَا مِنْ حديثِكُمْ ففيكم لَعمْرى ذو أفانينَ مقْوَلُ

أ أهْلُ كِتابٍ نَحْنُ فيه وأنْتُمُ على الحقِ نَقْضي بالكتابَ ونَعْدِلُ

فتَلْكَ ملوكُ السُّوْءِ قَدْ طالَ مُلْكُهم فَحتى مَ، حَتّى مَ العَناءُ المُطَوَّلُ

رَضُوْا بفِعَال السُّوء مِنْ أمْرِ دينِهم فَقَدْ أيتَموا طَوْرا عَدَاء وأثْكَلُوا

لَهُمْ كُلَّ عامٍ بِدْعَةٌ يُحْدِثُونها أزلّوا بِهَا أتْبَاعَهُم ثُمَّ أوْجَلُوا

كما ابْتَدَعَ الرُّهْبانُ ما لَمْ يَجِيء بِهِ كتابٌ ولا وَحْيٌ مِنَ اللهِ مُنْزَلُ

تَحِلُّ دَماءُ المُسلِمينَ لَدَيْهِمُ ويَحْرُمُ طَلْعُ النَّخْلةِ المُتَهَدِّلُ

فيا رَبِّ هَلْ إلاّ بِكَ النَّصْرُ يُرْتَجَى عليهم وهَلْ إلاّ عليكَ المُعَوَّلُ (٢)

وهكذا لهج لسان الكميت باطلاق الأماني في أن تستيقظ هذه الأمة بنفسها وتهب من سكونها وغفوتها لتذب عن حياضها ما لحق بها من الجور والظلم على

(١) شرح الهاشميات ٨٣ وما بعدها، وفدك قريه روى أن النبي تصدق بها على فاطمة، وأما منع الخليفتين فاطمة فان أبا بكر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة». بالرفع ولكن الشيعة يروونه ما تركناه صدقة بالنصب، فنصبوا صدقة على الحال والتقدير لا نورث ما تركناه حال كونه صدقة.

(٢) شرح الهاشميات، (٦٧) وما بعدها.

أيـدى السلطـة الأموية الحاكمة بعد أن طال سكوتها على الظلم وإغماضها العيون على القذى، فإلى متى تظل هذه الأمة لا تتحرك مطالبة بحقوقها الضائعة فكأنها الابـل المهملة تسـرح ولا راعي لها يحفظها من الضياع . وربما كان يعني هشام بن عبـد الملك الـذى آثـر الـدعـة والرفاهية على النظر في أمور دينه ورعيته كما آثر هذا المضيـع على تضييـع ابله وغنمـه بإهمالهـا، ولـذلـك رأينـاه يهيب بسـاسـة الأمـة والقـابضـين على زمام الأمور بأن يجيبوه عن أسباب هذا الجور والظلم، وإلى متى ستكف سيـاطهم عن إلهـاب ظهـور الـرعية بتعطيلها الأحكام وباستحداث أنماط البدع والضلال، ثم هو في النهاية يلوذ بباب الله طالبا منه العون على الظالمين فهو نعم المـولى ونعم النصـير وهـو هنـا يبر ر الثـورة زيد بن علي الذى ثار على السلطة الأمـويـة التي أضاعت هيبة الخلافة حتى غدت الديار الاسلامية مسرحا للأوضاع الفاسدة، فكان هدف زيد احياء الشريعة والعمل بكتاب الله وسنة نبيه .

وهذه الأبيات وغيرها كثير في شعر الكميت تشعرنا بأنه كان معتدلا في تشيعه، وتتلخص عقيـدتـه بأن الهـاشميـين هم أحق النـاس بالخـلافـة وبأن بني أميـة قد اغتصبوا هذا الحق، فمن واجب المسلمين أن يعملوا على إعادة الحق إلى أصحابه ولذلك رأيناه يمضي في معارضته للأمويين واتهامهم بالجور والظلم ليلفت الأنظار من خلال هذا كله إلى عدل بني هاشم ومن هنا رأيناه يقارن بين عدل هؤلاء وظلم أؤلئك على نحو ما جاء في قوله :ـ

بَلْ هِوايَ الـذى أجُـنُّ وأبْـدِى	لبـني هاشِـم فروع الأنـام
للقـريـبـينَ مِنْ نَدَىً والـبَعِيـدِيْن	مِنَ الجَـوْرِ في عُرَى الأحْـكَـام
والـولاةِ الـكُـفـاةِ للأمْـرِ إنْ طَرَّ	قَ يَتْـنَـا بِمُـجْـهِضٍ أو تَمَام
راجـحـي الـوَزْن كامـلي العَـدْلِ في	السِّـيرْةِ طبـينَ بالأمـورِ العِظَـام
ساسَـةَ لا كَمَن يرى برعيـة النَّـاسَ	سَواءً وَرِعْـيَـةِ الأنْـعَـام
لا كعَـبْـدِ المـليـكِ أو كولـيْـدٍ	أو كسُـلَيْـمانَ بَعْـدُ أو كَهِـشَـام

رأيـه فيـهـم كرأي ذوي الـثـلة في الـتـائـجـات جُنْح الظـلام
جَزُّ ذِي الصّوف وانْتقاءً لذي المخة نعْـقـا ودعْـدعـا بالـبـهـام
فهُمُ الأرأفـون بالنّـاس في الـرّأ فة والأحْـلمُـون في الأحْـلام
بسطُوا أيـدى الـنـوال وكَـفُّـوا أيْـدي البَغْـي عَنْهُمْ والعُـرام
أخـذوا القصـد فاستقـامُوا عليـه حين مالت رواملُ الاثـام (١)

وهكـذا لم يكتف الكميت ذم سياسـة بني أميـة ولكنـه يخوض في الحـديث عن مكـانـة بني هاشم، فهم أرفـع الأنام وأسماهم، وهم سادة القوم جميعا وأهل الكرم والعـدل، وأربـاب النظـر في احقـاق الحق تزينهم عقول كبيرة راجحة، وهم أسوة حسنـة للنـاس في حسن السلوك، وهم بعـد ذلـك خبيرون بما يهم من الأمـور الخطـيرة، ويتعهـدون الناس بحسن السياسة فهم إذاً مختلفون كل الاختلاف عن حكام بني أمية الذين يدعون الناس هملا كالأنعام، فلا يراعون الحق والعدل، ولا يميلون إلى الانصـاف في الـرعيـة، على حين ترى أئمـة بني هاشم يرعون حقوق النـاس ويـرأفـون بهم فيعطـونهم من النـوال ما يستحقون ولا يدعون للظلم سبيلا عليهم، يكفـون أيـدى الظـالمين ويكبحـون جماح المتسلطـين عن الـرعيـة لأنهم استقاموا على القصد والاعتدال في الأمور، على حين كثرت آثام الأمويين حتى لكأنها الجبال التي تنوء بالأحمال الثقال من الأوزار والآثام .

ومثـل هذه المقـارنات كثير في شعر الكميت فهاشمياته مرجل يغلي بالثورة على بني أميـة وهـو كالفـدائى الـذي يحمل على يده في سبيل مبدئه أو كما يقول الاستاذ الدكتور شوقي ضيف : « يحمل في سبيل مذهبه أو زيديته روحه على يده يريد أن يضحى بنفسه، بحيث بدت هاشميات الكميت طرفة نفيسة من طرف عصر بني أمية، لا لأن شاعرها شاعر شيعي فحسب، بل لأنه اتخذها دفاعا عن حقوق بني

---

(١) شرح الهاشميات، ٢٢ وما بعدها .

هاشم كما تصورها زيد بن علي وأتباعه . »(١) ولكن الملفت للنظر أن الكميت لم يشارك في ثورة الامام زيد بن علي مشاركة فعلية، فقد روى الرواة أنه لما خرج زيد بن علي كتب إلى الكميت أن أخرج معنا يا أعيمش، ألست القائل :

ما أبـالي إذا حُفظْـتَ أبـا الـقـا   سمَ فيـكـم ملامَـةَ الّـلوامِ

فكتب إليه الكميـت :ـ

تَجُودُ لَكُـم نَفْـسي بما دونَ وَثْبَـةٍ   تَظَـلُّ لها الغِـرْبـانُ حَوْلِيَ تَحْجُلُ (٢)

فكأنما اكتفى الكميت بالمجاهرة بحبهم وهذا الحب وحده ـ كان في هذا الوقت ـ جناية تستحق العقاب أو عارا يحاذر من أجله الناس يقول :ـ

أَلَمْ تَرَني مِنْ حُبِّ آلِ مُحَمَّـدٍ   أَرُوحَ وأَغْـدُو خائِـفَـاً أَتَـرَقَّـبُ
كأني جَانٍ مُحْدِثٌ وكأنَّـمَا   بِهِم أَتَّقي مِنْ خَشْيَـةِ العَـارِ أَجْـرَبُ
على أيِّ جُرْمٍ أَمْ بأيَـةِ سيرَةٍ   أُعَـنَّفُ في تَقْـريظِـهم وأؤنَّبُ (٣)

وانطـلاقـا من هذا الايمان بحب آل محمد ظل الكميت حزينا بسبب تخلفه عن اللحاق بجحافل الثورة التي قادها الامام زيد بن علي يقول في ذلك :

دَعـاني ابْنُ الـرسُـولِ فَلَمْ أُجِبْـهُ   أَلَهْـفِـي لَهْفَ للقَـلْـبِ الـفَـرُوقِ
حِذارَ مَنِـيَّـةٍ بُدَّ مِنْهَـا   وهـلْ دونَ المَنِـيَّـةِ مِنْ طَرِيقِ (٤)

---

(١) د . شوقي ضيف؛ التطور والتجديد في الشعر الأموي، ٢٩٠
(٢) الأغاني؛ (١٧ / ٣٤ ط لجنة نشر كتاب الأغانى .
(٣) شرح الهاشميات؛ ٤٦
(٤) المصدر السابق؛ ٨٤

فلقد فاضت نفس الكميت حزنا وأسفا لتخاذله عن نصرة إمامه ولا سيما بعد أن تروى في الأمر وبعد أن أدرك أن الموت لابد منه فهو نهاية كل حي وأن تأخر يومه، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا تخلف الكميت عن الخروج مع امامه زيد بن علي؟ .
إن الكميت نفسه يجيب على هذا السؤال فيقول : إن خشيته من الموت هي السبب في تخلفه، لأنه كان واثقا بأن بني مروان لن يتركوه دون عقاب إن هو شارك في الثورة ولكن الحسرة أكلت قلبه بعد أن رأى إمامه يلقى مصيرا تقشعر لهوله الأبدان، عندئذ فقط بهت الكميت وتولى آسفا ونعى على نفسه نكوصه وتخلفه عن الدفاع عن إمامه ومعنى هذا أن ما نعته به الأستاذ أحمد الشايب بقوله : « إن تشيعه كان محدودا من الناحية العملية » (١) لا يفسر شيئا من أسباب تخلفه وفي اعتقادي أن الكميت لم يكن مقتنعا بجدوى إلى مزيد من النيران لكي تنضج طعاما سائغا يشبع البطون الجائعة، فعلى حين نجده يصرح بأن نفسه تجود لبني هاشم بالعواطف الصادقة جهد طاقتها وبأن القعود عن نصرتهم عار، نجده في نفس الوقت يتلمس خطى السابقين من بين هاشم على نحو ما نلاحظ في قوله :

تَجُودُ لَهُمْ نَفْسي بِما دُونَ وَثْبَةٍ ... تَظَلُّ لها الغِرْبانُ حَوْلِي تَحْجِلُ
وقُلْت لها : بِيْعي مِنَ العَيْشِ فانِيَاً ... بباقٍ أعزيّها مِراراً وأعْذِلُ
وقالَتْ : فَعُدَّ أنْتَ نَفْسَكَ صابِراً ... كما صَبَروا أيُّ القَضاءيْنِ يَعْجَلُ
فإنْ كَانَ هَذَا كَافِياً فَهُوَ عِنْدَنا ... وإنّي مِنْ غَيْرِ اكْفاءٍ لأوْجَلُ
ولَكِنَّ لِيْ في آلِ أحْمَدَ أسْوَةً ... ومَا قَدْ مَضَى في سالِفِ الدَّهْرِ أطْوَلُ(٢)

فهو يعلنها صريحة فيقول : إن نفسي تجود لبني هاشم بكل ما أوتيت من قدرة، بالقلب واللسان، غير أنه لا يرضى بأن يقدم نفسه للقتل فيصرفها عن هواها في خوض الحرب لاعادة دولة الهاشميين، وإذا كان القعود عن نصرتهم كافيا فإن

---

(١) أحمد الشايب؛ تاريخ الشعر السياسي، ١٩٥ .
(٢) شرح الهاشميات، ٧٤

نفسه تأبى أن تبتعد عنهم وتعد الاكتفاء والقعود عن نصرتهم عارا . وهو يخشى أن يقال عنه بأنه تقاعس عن نصرتهم ، ولكن مما يخفف عنه قسوة هذا الشعور تأسيه بأئمته السابقين الذين آثروا التقية ، وظلوا يدعون إلى مبادئهم في سرية تامة ، وإذا ما أضفنا إلى ذلك كله أن الكميت أيام ثورة زيد بن علي قد جاوز الستين من عمره وليس من المعقول أن يشارك شيخ في العقد السابع من العمر مشاركة عملية في ثورة مسلحة ، ولو كان الكميت شابا ، ما كنا نظن أنه سيتخلف عن المشاركة في القتال لنصرة آل البيت طالما أنه مؤمن بأن حبهم سيكون وسيلته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومما يقوى هذا الاحساس عندى أن الكميت لم يعاصر أيا من ثورات الشيعة العملية وهو في سن تؤهله للمشاركة فيها ، ففي ثورة الحسين كان ما يزال طفلا ، وأما في ثورتي المختار والتوابين فكان صبيا لم يجاوز السابعة من عمره ، وأما في ثورة زيد بن علي فكان شيخا لا يصلح للمشاركة في هذه الثورة مشاركة فعالة ولذلك رأيناه يذوب أسفا وتكاد الحسرة تفتك به عندما أخفقت الثورة ، ومن هنا فقد لجأ إلى التقية مع الأمويين تأسيا بما فعله الأئمة السابقون يقول :-

تَضَحْحتُ أديمَ الودِّ بَيْني وبَيْنَهم ... بآصِرَةَ الأرْحَامِ - لَوْ يَتَبَلَّلُ
فما زادَها إلا يُبُوسَاً ومَا أرَى ... لَهُمْ رَحِماً والحَمْدُ لله تُوصَلُ
ويُضْحى أناة والتقياتِ مِنْهُمُ ... أداجِى عَلى الدّاءِ المُريب وأدْمُلُ
وإنيّ على أنيّ أرىَ في تَقِيَّةٍ ... أخَالِطُ أقْواماً لِقَوْمٍ لَمِزْيَلُ
وإنيّ على إفْضَاءِ عَيْني لَمُطْرِقٌ ... وَصَبْرِ ى عَلَى الأقذاءَ وَهْيَ تَجَلْجَلُ
وإنْ قيلَ لَمْ أحْفَلْ ولَيسَ مُبالِيَاً ... لَمُحْتَمِلُ ضَبّاً أبَالِي وأحْفِلُ (١)

إنه يصرح بحرصه على فتح الجسور بينه وبين بني أمية ، فهو ينضح أديم الود لهم طالما أنه لا يستطيع أن يظهر لهم حقيقة ما يجيش بصدره ، ومع أنه يخالطهم

---

(١) شرح الهاشميات ، (٧٦) وما بعدها .

ويحضر مجالسهم إلا أنه مبتعد عنهم وعن آرائهم، فهو في حذر وتقية منهم، وهو صابر على الضيم واجم مع أن عينه تكاد من الغم تنطق بما تنطوى عليه الحنايا من الحقد والضغينة ومع ذلك فهو لا يظهر لهم إلا أواصر المودة .

وهذا يقودنا إلى مدائح الكميت في بعض بني أمية على نحو ما كان من مديحه لهشام بن عبد الملك وفيه يقول :-

أَوْرَثَتْهُ الحصانُ أمُّ هِشَامٍ ... حَسَبَاً ثاقِبَاً ووَجْهَاً نَضِيرا
وتعاطَى به ابنُ عائشةَ البَدْ ... رَ فأمْسى لهُ رقيباً نَظِيرَا
وكسَاهُ أبو الخَلائِفِ مَرْوا ... نُ سَنِيَّ المكارم المأْثُورَا
لم تَجهَّم له البِطاحُ ولكنْ ... وَجَدتها له مَغاراً ودُورا (١)

وعلى نحو ما يروى من قوله في الاعتذار إلى هشام ومديح بني أمية :-

فالآن صِرْتُ إلى أمَيَّةَ ... والأمورُ إلى المَصَائِرْ
أبني أمَيةَ إنكُمْ ... أهْلُ الوسائِلِ والأوامِرْ
ثِقَتي لِكُلِّ ملمّةٍ ... وعشيرَتي دون العَشَائِرْ
أنتم معادن للخِلا ... فَةِ كابِرًا مِنْ بَعْدِ كابِرْ
وإلى القيامةِ لا تَزالُ ... لشافِع مِنْكُمْ وواتِرْ (٢)

ولقد أغنانا الكميت في هذا المجال عن وعثاء البحث عن تبرير لهذا الموقف الذى قد يبدو غريبا وذلك عندما صرح بأنه يحتمل الحقد والضغينة ولا يظهر لهم إلا المودة، ولكنها - على أى حالة - ليست مودة حقيقية، فهو مضطر لأن يصانعهم ويتظاهر بمودتهم إبقاء على حياته، فإذا مدحهم إذاً فإنما يمدحهم تقية وحسب، ويبدو أن الأمويين أو بعضهم أدركوا هذه الحقيقة فحينما أنشد لهشام بن عبد الملك قول الكميت :-

---

(١) الأغاني، (١٧ / ١٤) وكذلك شرح الهاشميات ٩٣

(٢) شرح الهاشميات ٩١ وما بعدها .

فبـــهـــمْ صِرْتُ للبَعـيــد ابـنَ عَمٍ   واتّهــمْــتُ الـقَــريـبَ أيَّ اتهــامِ
مُبْــدِيــا صفحتي على المـوقف المُعْـ   لَمِ ، بالله قوتَــي واعــتــصــابــي

قال : « استقتل المرائي . » (١)

كما روى : أن الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك قال له : ويلك يا كميت من زين لك الغـوايـة ودلاك في العـمـايـة؟ قال : الـذى أخرج أبانا من الجنة وأنسـاه العهد، فلم يجد له عزما، فقال له : ايه : أنت القائل :

فيــا موقــدا نارا لغــيرك ضوءهــا   ويــا حاطبــا في غير حبلك تحطب

فقال بل أنا القائل :ـ

إلــى آل بَيْــتِ أبــي مالِــكٍ   منــاخٌ هو الأرْحــبُ الأسْــهَــلُ
نَمُــتُّ بأرْحــامِــنَــا الــدّاخِــلا   تِ مِنْ حَيْــثُ لا يُنْـكِــرُ المَــدْخَــلُ
ببَرَةَ والــنــضْــرَ والمــالــكــيْـ   نَ رَهْــطٌ هُم الأنــبَــلُ الأنْــبــلُ
وبــابْــنَيْ خزيــمــةَ بَدْرَ الــســما   ءِ والــشــمس مفــتــاح ما نَأمِــلُ
وجَــدْنَــا قُرَيْشَــاً قُرَيْشَ البِطَــاحِ   على ما بَنَــى الأوّلُ الأوّلُ
بِهِمْ صَلُحَ الــنــاسُ بَعْــدَ الـفســادِ   وحــيِصَ من الــفَــتْــقِ ما رَعْـبَـلُوا

قال له : وأنت القائل :ـ

لا كعَــبْــدِ المــليــكِ أو كولــيــدٍ   أو سليــمانَ بَعْــدُ أو كَهِــشَــامِ
من يَمُــتْ لا يَمُــتْ فَقيــدا ومَنْ يَحْـ   يَ فلا ذو إلٍّ ولا ذو ذِمَــامِ

---

(١) الأغاني؛ ١٧ / ٣٤

ويلك يا كميت جعلتنا ممن لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة (١) .

وكما أدرك بعض حكام بني أمية حقيقة مشاعر الكميت تجاه بني هاشم، فان بعض بني هاشم كانوا ـ كما يبدو ـ يقبلون منه أن يتوجه بالمديح نحو بني أمية عن تقية، يروى أن الكميت بن زيد دخل على أبي جعفر محمد بن علي، فقال له : يا كميت أنت القائل :

فالآن صِرْت إلى أميةَ والأمورُ إلى المصايِرْ

قال نعم، قد قلت ، ولا والله ما أردت إلا الدنيا، ولقد عرفت فضلكم. قال: أما إن قلت ذلك فإن التقية لتحل . » (٢)

وروى كذلك أن الكميت أرسل وردا ابن أخيه إلى أبي جعفر محمد بن علي وقال له : إن الكميت أرسلني إليك وقد صنع بنفسه ما صنع فتأذن له أن يمدح بني أمية؟ قال : نعم هو في حل فليقل ما شاء . » (٣) كما روى أنه دخل على أبي جعفر محمد بن علي فأعطاه ألف دينار وكسوة، فقال له الكميت: والله ما أحبتكم للدنايا ولو أردت الدنيا لأتيت من هي في يديه، ولكني أحببتكم للآخرة، » (٤) وللكميت موقف مشابه أيضا مع فاطمة بنت الحسين فقد رفض أن يأخذ منها ما وهبته من مال ومركب، وهملت عيناه، وقال : لا والله لا أقبلها، إني لم أحبكم للدينا . » (٥)

---

(١) الأغاني؛ ١٧ / ١٣٠
(٢) الأغاني؛ ١٧ / ٣٣
(٣) الأغاني؛ ١٧ / ٣١
(٤) الأغاني؛ ١٧ / ٢٤
(٥) المصدر السابق؛ ١٧ / ٢٤

وفي اعتقادي أن حب الكميت لبني هشام واحتجاجه لهم على خصومهم كان يملأ عليه حواسه ولا سيما أنه أظهر هذا الحب حين ضن به الآخرون وأظهره حين كتموه وما كان ليفعل هذا لولا إيمانه العميق بأن هذا الحب سيكون وسيلته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد روى المستهل بن الكميت قال : حضرت أبي عند الموت وهو يجود بنفسه، ثم أفاق ففتح عينيه، ثم قال : اللهم آل محمد، اللهم آل محمد اللهم آل محمد - ثلاثا ، (١) وروى مولى الكميت قال : - دخلت معه على علي بن الحسين، فقال : إني قد مدحتك بما أرجو أن يكون وسيلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى أيضا قال : دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي، عليهما السلام فأنشده الكميت قصيدته التي أولها : « من لقلب متيم مستهام » فقال اللهم اغفر للكميت، اللهم اغفر للكميت » . (٢)

وهكذا يتضح أن الكميت كان يحب آل البيت ويتشيع لهم بعيدا عن عرض الدنيا وأنه لم يكن يكتم هذا الحب مع علمه أن المجاهرة بهذا الحب وفي هذا الوقت تعتبر جناية تستحق العقاب ولذلك وجد الكميت نفسه مضطرا إلى أن يصانع الأمويين ويمدحهم مديحا جيدا وبذلك استطاع أن يجلي في ميدانين متناقضين، استطاع أن يقول في بني هاشم فيحسن القول وأن يقول في بني أمية فيأتي بالأحسن، وعندما سئل الكميت عن هذا أجاب : « إني إذا قلت أحببت أن أحسن » . (٣) ثم يزيد القضية وضوحا عندما يسأل عن شيء من مديحه في بني أمية فيقول : « إني لا أحفظ منه شيئا، إنما هو كلام أرتجلته . » (٤)

ومعنى هذا أن شعر الكميت في هشام وولده، بل وفي بني أمية عامة إنما هو شعر صادر عن لسانه دون قلبه وطبيعي أن ما يصدر عن اللسان دون القلب سيكون

---

(١) المصدر السابق؛ ١٧ / ٤٠ .
(٢) المصدر السابق؛ ١٧ / ٢٤ .
(٣) الأغاني؛ ١٧ / ٣٦
(٤) المصدر السابق؛ ١٧ / ٧

خاليـا من صدق العـاطفـة ، ومـع ذلك فقد استطاع أن يعمل بكلتا يديه ، فأما ما تصنعـه يمنـاه فمن أجل بني هاشم الذين أحبهم فأحبوه وهو يصدر فيه عن عاطفة صادقـة ، وأمـا ما تصنعـه يسـراه فمن أجـل هشام وولده وهو يصدر فيه عن ارتجال وتقية ومع ذلك فإن كلتا يديه آتت شعرا سائغا يعجب ويطرب ، ومما يلاحظ أن ما حفظتـه كتب الأدب من شعـر الكميت في بني هاشم أكثـر بكثـير من شعره في بني أمية ، وبينما نجد له ديوانا خاصا في الهاشميين وهو المعروف بالهاشميات لا نجد له إلا قصـائـد محدودة ، لا بل أبيـاتا بعينها يمدح فيها بني أمية بعد إن كان هجاهم . وقـد يبـدو الأمـر طبيعيـا إذا علمنـا أن مبلغ شعـر الكميت حين مات خمسـة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتا . »(١) ولكن ما يؤسف له أن هذا الشعر قد ضاع أكثره ولم تحفـظ لنـا الكتب منـه إلا هاشميـاتـه وعـددهـا خمسمائة وثلاثة وستون بيتا (٢) تضـاف إليهـا مجمـوعة قليلة أخرى ترويها مصادر الأدب العربي التي تحدثت عنه ، وهي لا تزيد عن مائة بيت . (٣)

ومن حول هذه الهاشميات تثار قضية هامة تتعلق بالزمن الذى نظمت فيه هذه الهـاشميـات ، وهـل كان نظمهـا ابان ثورة زيد بن علي أم بعدها؟ وفي الصفحات السابقة من هذا البحث أوردنا ما روى من أن زيد بن علي نفسه طلب من الكميت أن يخرج معه وذكره بقوله في بني هاشم :-

ما أبـالِي - إذا حُفِظـتَ أبـا الـقـا   سمِ - فيـكـم ملامـةَ الُّـلوَّامِ

فكتب إليه الكميت يقول :-

---

(١) المصدر السابق؛ ١٧ / ٤٠

(٢) انظر ديوانه في بني هاشم المعروف باسم « الهاشميات » .

(٣) اختار له المرحوم محمد محمود الرافعي شارح الهاشميات ثمانين بيتا، وهي كما يروى مجموعة اختارها من بليغ شعر الكميت، وقد جعلها في باب مستقل أثبته في نهاية شرحه للهاشميات، وشغل الصفحات من ٨٥ - ٩٤ .

تَجُودُ لكُــم نَفْــسـي بما دون وَثْبَــةٍ   تَظَـلُّ لها الغِـرْبَـانُ حَوْلِيَ تَحْجُلُ (١)

وهـذا دليـل واضـح على أن بعض هذه الهـاشميات كان مشهورا ويتردد على ألسنة بني هاشم قبل خروج زيد. وسواء كانت هذه الهاشميات قد نظمت أو نظم بعضها على الأقل قبل أو إبان ثورة زيد بن علي أم بعدها فإنها تظل صورة صادقة لذلـك الصـراع السياسي الذى كان محتدما بين بني هاشم والأمويين، وسواء وقف الكميت من الثـورة موقف المعـبر عنهـا أو الداعي لها فإن هذا لن ينقص من الدور الطليعي الخطـير الـذى قامت به هذه المجمـوعـة الشعـريـة الفـريـدة من التوعية السيـاسيـة وتعبئـة الجـماهير ولفت أنظارهم إلى حقائق الأمور ومجريات الأحداث السيـاسيـة، وليس من شك ـ كما يقـول الأستاذ الدكتور يوسف خليف في أن هذه المجمـوعـة من هاشميـات الكميت كانت تحدث تأثـيرهـا في نفـوس أهـل الكوفة وتعمل على تهيئة الجو وتمهيد الظروف لخروج زيد » (٢) ومما يقوى هذا الرأى أن الكميت كما هو معـروف وقف في نهايـة هذه الثـورة ليعـرب عن حسرته وبالغ تأثره بسبب تخلفه عن الخروج مع إمامه زيد بن علي .

ومما يلفت نظر الدارس لشعر الكميت السياسي ذلك التناقض الذى يبدو بين تشيع الكميت لبني هاشم وبـين مضـريته بحيث نستطيع القول : إنه كان من المفروض أن يتخلى الكميت عن تعصبه لمضر خدمة لتعصبه السياسي لبني هاشم، وبإمعان الـدرس يجد الجـواب ويـدرك أن تعصب خصمـه السيـاسي، خالد القسرى والي العـراق على زمنـه جعله يتعصب بدوره لمضـر إمعـانـا في خصـومته فمضى يؤلب النـاس على خالـد فكأنـما كان يريـد أن يحدث بشعـره ـ كما يقول الأستاذ الدكتور

---

(١) الأغاني؛ ١٧ / ٣٤ وشرح الهاشميات؛ (٧٤) .

(٢) د . يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة (٤٢٤)، ويرى الأستاذ الدكتور شوقي ضيف ان نظم الهاشميات كان محدودا بالمدة التي ولي فيها خالد القسري على العراق من سنة ١٠٥ هجرية الى سنة ١٢٠ هجرية لأن الكميت قبل هذه المدة كان يفد على يزيد، التطور والتجديد (٢٧٠) .

شوقي ضيف ـ لونا من الفوضى في العراق بين اليمنية والمضرية، فينفذ من خلال ذلك إمامة زيد إلى ما يريد من ثورة أو انتقاض على الدولة » . (١) وخير ما يمثل ذلك قصيدته « المذهبة » التي بلغت أكثر من ثلاثمائة بيت وفيها يهجو اليمن ومطلعها :

ألا حُيِّيت عَنّا يا مَدينَا وهل بَأسٌ بقولٍ مُسْلِمِينَا

ولم يترك فيها حيا من أحياء اليمن إلا هجاهم » (٢) ومعنى ذلك أن الكميت استطاع أن يستغل العصبية القبلية في خدمة زيد بن علي وتمهيد الأجواء لثورته بعد ذلك .

وهكذا أسدى شعر الكميت الشيعي خدمة جليلة في بث التوعية السياسية ولفت الأنظار إلى مفاسد الحكم الأموى عن طريق الحجاج العقلي والاستدلال المنطقي فكانت أشعاره من أقوى العوامل في نهاية دولة الأمويين .

(١) د . شوقي ضيف : التطور والتجديد في الشعر الأموى (٢٦٩) .
(٢) الأغاني؛ ١٦ / ١٨ .

الباب الأول :

الفصل الثاني : دراسة موضوعية :

(ب) دور الشعر في الصراع بين الأمويين والموالي :

في دراستنا لحركة الصراع السياسي بين الأمويين والموالي من الوجهة التاريخية لاحظنا أن الموالي بدأوا يدركون أنهم أصبحوا فئة مضطهدة أومظلومة ، وأن السلطة الأموية قد عملت على تكريس هذا الاضطهاد بمختلف الوسائل ، فهي ما تزال تنظر إليهم على أنهم دخلاء في الدين والقومية ، (١) ومن ثم اعتبرت نفسها فوقهم جبلة وفضلا وأن من سداد الرأى أن تعمل على كبح جماح هذه الفئة المسحوقة ضمانا لاخضاعها بشكل نهائي .

وظل هذا الصراع يزداد عمقا كلما ازداد اتصال العرب بغير العرب ، فالعناصر العربية تزداد سخطا وغضبا بسبب ما تؤمن به من حرص على عدم افساد نقائهم العنصرى ، والعناصر غير العربية تزداد مرارة وسخطا بسبب تلك المظالم المسلطة على رقابهم ، وفي سبيل ذلك مضت السلطة الأموية في فرض سلسلة من مظاهر الاذلال والمهانة على هؤلاء الموالي . (٢)

وتظهر دلائل هذا الصراع السياسي بين الأمويين والموالي على السنة الشعراء ، من هجاء أومدح أو رثاء لخصومهم السياسيين أو في أحد قادتهم السياسيين أو في فخر فئة أخرى تنتمي إلى أحد الخصمين المتصارعين ، ظهرت دلائل هذا على المستويين الفردى والجماعي ، ومما يلاحظ أنَّ حدة هذا الصراع كانت تخف وتخبو

---

(١) بنلي جوزي ، من تاريخ الحركات الفكرية في الأسلام ، ١٤٣

(٢) انظر ما جاء في العقد الفريد بهذا الصدد ، ٣ / ٣٦٤ - ٣٦٨ ، وقد سبقت الأشارة إليه في الدراسة التاريخية .

عندما يصل إلى سدة الحكم الأموى خلفاء أمهاتهم أمهات أولاد، ممن ينتمين إلى عناصر غير عربية على نحو ما كان من يزيد بن الوليد، الذى كانت أمه شاه آفريد بنت فير وز بن يزد جرد وكان يزيد يفتخر بنسبه هذا ويقول :

أنـــا ابـــنُ كِسْـــرَى وأبـــي مَرْوانُ وقَيْصَـرُ جَدِّى، وجَـدّى خَاقَـانُ (١)

ومعلوم أن العرب كانوا يأنفون من اختلاط الدم وفساد النقاء العربي حتى من ناحية الأم على نحو ما هو معلوم من قول الفرزدق في مدح عباد بن عباد بن علقمة :

صَلْتُ الجَبـــينِ كريمُ العُـودِ مُنْتَجَبُ لم يَدْرِ ما طَعْـمُ ثَدْبَـيْ أمِّ أوْلادِ (٢)

حيث أراد بقوله : ثدبي أم أولاد أن أمه، أم بنين، حرة لا أم ولد، أى ليست أمـة، ويبـدو أن هذه الأمـة لم تكن ذات مركـز اجتـماعي ولذلك فقد مضى ينوه بها عندما شكا له الناس شراسة خلق ابنته « مكية » التي كانت أمها جارية حيث كتب إليهم يقول :

كَتَبْـتُـمْ زَعَـمْـتُـمْ أنهّـا ظَلَمَـتْـكُمْ كَذَبْتُمْ، وبَيْتَ الله، بَلْ تَظْلِمُـونَهَـا
فإلا تَعُـدّوا أمَّـهـا من نِسَـائِكُـمْ فإن ابـنَ لَيْـلَى والِـدُ لَنْ يَشِينُهَـا
وإنَّ لها أعـمامَ صِدْقٍ وإخـوَةً وشَيْخَـاً إذا شِئْتُم تَنَمَّـرَدُ دُونَهَـا (٣)

---

(١) الطبرى، (٩ / ٤٦)
(٢) ديوان الفرزدق، ١١ / ١٧٠
(٣) المصدر السابق، ٢ / ٣٤٢

وكـان زواج المـوالي من العـربيات نادرا في البادية، تحفه المخاطر وتحوطه ردود فعل عنيفة على نحو ما روى عندما تزوج عبدالله بن عون من عربية حرة فجلده بلال بن أبي بردة (٤) وعلى نحو ما روى من إرغام عبد الملك بن مروان للحجاج على تطليق زوجتـه القـرشيـة لأن الحجـاج كان متهما في نسبه، (١) وبلغت الأمور حدا خطـيرا عنـدما جعلت مساجد خاصة بالموالي، ولم يكن من المعقول أن يلوذ هؤلاء المـوالي بالصمت بعـد كل هذه المظـاهـر المتـواتـرة من موجـات الاضطهاد ومظاهر الاذلال والمهـانـة، فكـان من الطبيعي أن يقف المـوالي من السلطـة الأموية موقف المعـارضـة وأن يلقـوا بكـل ثقلهم مع كل خارج على الحكم الأموى فكان اقبالهم شديـدا على حزبي الشيعـة والخـوارج لأن هذين الحـزبـين أتـاحـا للموالي فرص المسـاواة مع العـرب، ومن هنـا كانت ملاحظـة فلهـا وزن بأنهم قد صادفـوا مجالا أرحب في حزب الشيعـة. (٢) ومن هذه الـزاويـة كان العداء شديدا بين الأمويين والشيعـة، لأن الشيعـة كانـوا يضمون إلى صفوفهم أعدادا كبيرة من الموالي، ومن هنـا أيضـا كان الصـراع بينهما ينطوى على كثير من النوايا المبيتة من كلا الطرفين، فأما الأمويون فقد ناصبوا الشيعة عداء مريرا لانهم آمنوا بأن القضاء على الشيعة خصـومهم السيـاسيـين إنـما يؤدى بالتـالي إلى القضـاء على أعدائهم من الناحية العنصـريـة ولـذلـك رأينـا في الـدراسـة التـاريخيـة أن الخلفاء الأمويين المشهورين بالانصـراف إلى اللهـو والخمـر على نحو ما كان مشهورا من سيرة الخليفة الأموى الـوليـد بن يزيـد يسلكـون أبشـع الأسـاليب للتنكيـل بالشيعة، وأما الموالي فظلوا يكتـوون بتلك السيـاط الملتهبـة ولذلك عاشوا حالة من التوثب والتر بص، وزجوا بأنفسهم في سلسلة طويلة من الثـورات والفتن فخـرجـوا لبيعـة عبـدالله بن الزبير وانحازوا إلى المختار بن أبي عبيدالله الثقفي، وساهموا في ثورة الحسين بن علي كما ساهموا من قبـل في الحجـاج وثـورة يزيـد بن المهلب وظـل هذا حالهم حتى ساهموا

---

(١) طبقات ابن سعد، ٢ / ٢٦

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد ١ / ٣٠٢

Wellhausen:The Arab Kingdom and it's Fall P. 68.

وبشكل مؤثر في الثورة العباسية التي قامت على أنقاض السلطة الأموية الغاشمة .

وفي العهد الأموى ظل الصراع محتدما بين الموالي وبين الأمويين، وتمخض الصراع عن وجود ما يعرف بالشعوبية، ويهمنا هنا أن نلاحظ كيف استطاع الشعر أن يعبر عن هذا الصراع؟

لقد رأينا الشعراء الموالي يدورون في فلك الأحزاب السياسية المتنافسة، فرأينا منهم من يدور في فلك حزب الخوارج على نحو ما كان من عمرو بن الحصين، ومن يدور في فلك حزب الشيعة على نحو ما كان من ابن المولى، ومن يدور في فلك الزبيريين على نحو ما كان من إسماعيل بن يسار النسائي، ومن يدور في فلك الحزب الأموى الحاكم على نحو ما كان من نصيب ويزيد بن ضبة والحسين ابن مطير وغيرهم، وهذا التوزيع كان في الحقيقة منسجما مع توزعهم عندما ساهموا في معظم الثورات التي قامت في وجه السلطة الأموية على نحو ما رأينا في الدراسة التاريخية .

على أن هذا التوزيع كان في الغالب احتماء وانتفاعا لانه لم يفرغ أكثرهم لحزب من الأحزاب وظل حزبهم الحقيقي الذي ينتمون إليه مخلصين هو الفارسية أو الكسروية. (١) وقد دفع هذا الاخلاص بعضهم إلى تلقين أبنائه كره العرب فظهر من أصلابهم من يترسم خطاهم في التعصب على العرب على نحو ما كان من اسماعيل بن يسار الذي كان له ولدان وكلاهما يقرظ الشعر، فكان هو وأبناه يتعصبون للفرس على العرب، كما دفع هذا التعصب فئة أخرى من الشعراء الموالي إلى استغلال الظروف للايقاع بين أبناء الحزب الواحد على نحو ما كان من يزيد بن ضبة حين احتمى بالوليد بن عبد الملك متحديا الخليفة هشام عم الوليد،

---

(١) أحمد الشايب : تاريخ الشعر السياسي ٢٢٦

روى الأصفهاني أنه لما أفضت الخلافة إلى هشام أتاه يزيد بن ضبة مهنئا بالخلافة، فلما استقر به المجلس ووصلت إليه الوفود وقامت الخطباء تثني عليه، والشعراء تمدحه، قام يزيد بن ضبة بين الشماطين، فاستأذنه في الانشاد، فلم يأذن له، وقال عليك بالوليد فامدحه وأنشده، وأمر باخراجه . (١) ولما بلغ الوليد خبره، بعث اليه بخمسمائة دينار، وقال له : لو أمنت عليك هشاما لما فارقتني، ولكن اخرج إلى الطائف وعليك بمالي هناك، فقد سوغتك جميع غلته، ومهما احتجت اليه من شيء بعد ذلك فالتمسه مني . فخرج إلى الطائف وقال يذكر ما فعله هشام به :

أرَى سَلْمَى تَصُدُّ وما صَدَدْنَا ... وغَيرَ صُدُودِها كُنّا أرَدْنَا

لَقَدْ بَخِلَتْ بَنائِلِهَا عَلَيْنَا ... ولو جادَتْ بنائِلِهاَ حَمِدْنَا

وقَدْ ضَنَّتْ بها وَعَدَتْ وأمْسَتْ ... تُغَيِّرُ عَهْدَها عَمَّا عَهِدْنَا

ولو عَلِمَتْ بِهَا لاقَيْتُ سَلْمَى ... فَتُخْبِرُني وتَعْلَمُ ما وَجَدْنَا (٢)

وفيها يقول :

أَلَمْ تَرَ أنَنَّا لَمّا وَلِينَا ... أمُوراً خُرِّقَتْ فَوَهَتْ سَدَدْنَا

رأيْنَا الفَتْقَ حِينَ وَهَى عليْهِم ... وكم مِنْ مِثْلِه صَدْعٌ رَأبْنَا

إذا هابَ الكَرِيْهَةَ مَنْ يَلِيهْنَا ... وأعْظَمَها الهَيُوبُ لها عَمِدْنَا

وجَبّار تَرَكْنَاهُ كَلِيلاً ... وقائِدِ فِتْنَةٍ طَاغٍ أزَلْنَا

فلا تَنْسَوا مواطِنَنَا فإنّا ... إذا ما عادَ أهْلُ الجُرْمِ عُدْنَا

وما هِيضَتْ مَكَاسِرُ مَنْ جبرْنَا ... ولا جُبِرتْ مُصِيبَةُ مَنْ هَدَدْنَا

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عَنّي هِشَاماً ... فما منا البَلاءُ ولا بعُدْنَا

---

(١) الأغاني ٧ / ٩٥

(٢) الأغاني ٧ / ٩٥

وما كُنّا إلى الخلفاءِ نَفْضِي ... ولا كُنّا نُؤخَّرُ إنْ شَهِدْنَا
أَلَمْ يَكُ بالبلاءِ لنا جَزاءُ ... فنُجْزَى بالمَحاسِنِ أمْ حُسِدْنَا ؟
وقد كان الملوكُ يرونْ حقّاً ... لِوافِدِنَا فنُكْرَمُ إنْ وَفَدْنَا
وَلِينا الناسَ أزْمانا طِوالا ... وسُسْناهم ودُسْناهُم وقُدْنَا
ألم تَرَ مَنْ ولَدْنا كيف أشْبَى ... وأشْبَيْنَا وما بِهِمُ قَعَدْنَا
نكونُ لِمَن ولَدْناهُ سَماءً ... إذا شِيمَتْ مَخايِلُنَا رَعَدْنَا
وكان أبوكَ قد أسْى إليْنا ... جسيمةَ أمْرِه وَبِه سَعِدْنَا
كذلك أوّل الخلفاءِ كانوا ... بنا جَدّوا كما بهم جدَدْنَا
هُمُ آباؤنا وهُمْ بنونَا ... لنا جُبِلُوا كما لهم جُبِلْنَا
ونُكْوِى بالعداوةِ مَنْ بَغانا ... ونُسْعِدُ بالمودّة مَنْ وَدِدْنَا
نرى حَقّاً لسائِلِنَا علينا ... فنَحْبُوه ونُجْزِلُ إنْ وعَدْنَا
ونَضْمَنُ جارَنا ونراه مِنّا ... فنَرْفِدُه فنُجْزِلُ إنْ رَفَدْنَا
وما نَعْتَدّ دون المَجْدِ مَالا ... إذا يغلى بمكرمة أفدنا
وأتلدُ مَجْدِنَا أنّا كِرَامٌ ... بِحَدّ المَشْرَفِيّةِ عَنْهُ ذُدْنَا (١)

وهو فيها يلجأ إلى الرمز عن طريق الكناية بكلمة سلمى فلعلها رمز للخليفة الأموى هشام أو لحاله في هذه الحكومة الاسلامية (٢) وفيها فخر بعشيرته وفخر من مثله بالفرس على الأمويين .

وكان الموالي يكنون في شعرهم عن العرب بكلمات : مثل هِنْد وجُمْل ، وأمامة ، ونحوها حين يفخرون عليهم يقصدون بذلك الجنس جميعه (٣) ومعنى ذلك أن

---

(١) الأغاني ٧ / ٩٥ - ٩٧
(٢) أحمد الشايب : تاريخ الشعر السياسي ٢٣١
(٣) أحمد الشايب ، تاريخ الشعر السياسي (٢٢٨ .

صوت الشعر الصادر عن هؤلاء الموالي لم يكن في هذه الأثناء من القوة بحيث يرد بطريقة صريحة أو مباشرة نظرا لما مارسه الأمويون من أساليب القهر مع هؤلاء الموالي، وفي خفوت بعيد مضى الشعر يعبر عن موجات الاضطهاد ومظاهر المهانة والاذلال التي عانى الموالي منها، وقد جاء هذا الشعر على شكل أبيات متفرقة وفي ثنايا موضوعات أخرى، حتى بدت وكأنها فلتات لسان يؤتى بها على سبيل الاستشهاد أو المقارنة، ومع ذلك فإن الموالي كانوا قد أثروا في الحياة الأموية العامة وفي البلاط الأموى بشكل خاص ويبدو أن تأثيرهم قد ترك بصماته واضحة في هذا المجال على نحو ما يلاحظ من شعر جرير الذي يقول فيه :-

وأبْناءَ إسحق الليوثُ إذا ارتَدوا ... محامِلَ مَوْتٍ لابسين السَّنَوَّرا

فيَوْمًا سرابيلُ الحديد عَليْهِمُ ... ويوماً ترى خزّا وعَصْباً مُسيَّرا

إذا افتَخَروا، عَدّوا الصَّبَهْبَذَ مِنْهُم ... وكِسْرى وآل الهرْمُزانِ وقَيْصَرا

تَرَى مِنْهُمُ مُسْتَبْصرينَ على الهُدَى ... وذا التاجُ يُضْحي مَرْزُبا مُسَوَّرا

أغَرّ شبيهاً بالفَنيق إذا ارتَدَى ... على القَبْطرىّ الفارسِيّ المُزَرَّرا

وكان كِتابٌ فيهم وبنُوّةٌ ... وكانوا باصْطَخْرَ الملوكَ وتُسْتَرا

لقد جاهَدَ الوَضّاحُ بالحَقِّ مُعْلِماً ... فأوْرَثَ مَجْداً باقِياً أهْلَ بَرْبَرا

أبونا أبو إسْحَق يَجْمَعُ بَيْنَنا ... أبٌ كان مَهْدِيّا نَبِيّاً مُطَهّرا

ومِنّا سليمانُ النبيُّ الذى دَعا ... فأعْطِيَ بُنْياناً ومُلْكاً مُسَخَّرا

وموسى وعيسى والذى خَرّ ساجِداً ... فأنْبَتَ زَرْعاً دَمْعُ عَيْنَيْهِ أخْضَرا

ويَعْقُوبُ مِنّا زادَه الله حِكْمَةً ... وكانَ ابنُ يَعْقُوبٍ أميناً مُصَوَّرا

فيَجْمَعُنا والغُرَّ أبْناءَ سارَةٍ ... أبٌ لا نُبالي بَعْدَهُ مَنْ تَعَذَّرا

أبونا خليلُ الله، والله رَبُّنا ... رضينا بما أعْطى الألهُ وقَدَّرا

بَنى قِبْلَةَ الله التي يُهْتَدَى بها ... فأوْرَثَنا عِزّاً ومُلْكاً مُعَمَّرا (١)

---

(١) ديوان جرير، (١٨٦) وما بعدها .

فالأبيات وإن كانت في مديح هلال بن أحوز المازني والفخر بأبناء إسماعيل وإسحق إلا إنها تضمنت فخرا بالموالي الذين كان منهم القادة من أمثال وضاح وهو أحد الموالي، بربري استبسل ابان إخماد فتنة يزيد بن المهلب سنة ١٠٢ هجرية، ولا يخفى ما في الأبيات من الألفاظ والأسماء الفارسية من مثل : الصبهبذ وكسرى والهرمزان ووضاح البر برى ولا أظنها جاءت عفو الخاطر ولا سيما أن الشاعر مضى في إعلان مساواة الموالي بالعرب عندما قرر أن العرب والفرس يرجعون بأصولهم إلى سيدنا إبراهيم خليل الله، الذى بنى قبلة واحدة يهتدى بها الناس جميعا، ولذلك سر الموالي من جرير والتفوا من حوله، وليس هذا الموقف بمستهجن على جرير الذى روى أنه كان متزوجا من امرأة فارسية وفيها يقول :

إذا أعْرَضُوا أَلْفَينْ مِنّها تَعرّضَتْ ... لأمُ حكيم حاجَةُ في فُؤاديَا
لقد زِدْتِ أهْلَ الرَّىِّ عِنْدِى مَلاحَةً ... وَحبَّبْتِ، أضْعَافاً، إليَّ مَوالِيَا (١)

وأم حكيم هي نفسها أم نوح ابنه وكان له ابن آخر منها اسمه بلال وفيه يقول :

إنّ بلالاً لَمْ تَشِنْهُ أمُّهُ ... لَمْ يَتَنَاسَبْ خالُه وعَمُّهُ
يَشْفي الصُّداعَ رَيحُهُ وشَمُّهُ ... ويُذْهِبُ الهمومَ عَنِّي ضَمُّهُ
كأنَّ ريحَ المِسْكِ مُسْتَحَمُّهُ ... ما يَنْبَغِي للمسلمينَ ذَمُّهُ (٢)

ولكن بلالا هذا ما لبث أن شب على الطوق ومضى يفخر بأخواله الفرس على نحو ما يلاحظ في قوله لأحد إخوانه من جهة أبيه :

---

(١) ديوان جرير (٤٩٦) وأم حكيم هي زوجته أم نوح ابنه .
(٢) المصدر السابق ٤٣٧

يا رُبَّ خالٍ لي أغَرَّ أبْلَحَا من آل كِسْرَى يَغْتَدِي مُتَوَّجَا
لَيْسَ كَخالٍ لَكَ يُدْعَى عَشْنَجَا (١)

والغريب ان لجرير موقفا مغايرا لهذا الموقف وذلك عندما نزل بقوم من بني العنبر بن عمر بن تميم فلم يقروه حتى اشترى منهم القرى فقال :

يا طُعْمَ يا بنَ قُرَيْطِ إنَّ بَيْعَكُمُ رِفْدَ القِرَى ناقِصٌ للدينِ والحَسَبِ
لولا عِظَافُ طَرِيفٍ ما غَفَرْتُ لَكُم يَوْمي بأودٍ ولا أنْسَأتُكُم غَضَبِي
قالوا : اشتَرُوا جَزَراً مِنَّا، فَقُلْتُ لَهُم بيعُوا المواليَ واستَحْيوا من العَرَبِ (٢)

حيث حطهم واحتقرهم ورأى أن الاساءة إليهم لا تحتسب عيبا ولذلك غضبت الموالي عليه .

ولم يكن من الممكن أن يستمر صوت الشعر المعبر عن هذا الصراع في خفوته وكان لابد من أن يظهر على السطح ومن هنا فقد مضى شعراؤهم بأمجادهم القديمة على نحو ما جاء في قول إسماعيل بن يسار :-

يا رَبْعَ رامةَ بالعلياءِ مِنْ ريمِ هلْ تَرْجِعَنَّ إذا حَيَّيْتُ تَسْليمِي
ما بالُ حَيٍّ غَدَتْ بُزْلُ المَطِيِّ بِهِمْ تَخْدِى لغُرْبَتِهِم سَيْراً بتقحيمِ
كأنَّني يوم ساروا شاربٌ سَلَبَتْ فؤادَهُ قَهْوَةٌ من عَهْدِ داروم
إنيّ وَجَدِّكَ ما عُودى بِذِى خَوَرٍ عِنْدَ الحِفَاظِ ولا حَوْضي بمَهْدُومِ
أصْلي كريمٌ ومَجْدى لا يُقاس به ولي لسانٌ كَحَدِّ السَّيْفَ مَسْمُومِ

---

(١) المبرد، الكامل، ٥ / ٥١ بشرح السيد علي المرصفي والمسمى رغبة الأمل من كتاب الكامل (٨ أجزاء القاهرة سنة ١٩٢٣) .
(٢) ديوان جرير، ٤٦

أحْمِـي به مَجْدَ أقْـوامٍ ذَوِي حَسَـبٍ ... من كُلِّ قَرْم بتـاجِ المُلْكِ مَعْمُـومِ

حجـاجِـجٍ سادَةٍ بُلْجٍ مَرازِبَـةٍ ... جُرْدٍ عِتـاقٍ مَسـامِيـح مطـاعيمِ

مَنْ مِثْـلُ كِسْـرَى وسـابورِ الجنودَ مَعًا ... والهُـرْمُـزانِ لِفَـخْـرٍ أو لتَـعْظِـيمِ

أسْـدُ الكتـائِبَ يَوْمَ الرَّوْعِ إنْ زَحَفُوا ... وهُمْ أذَلّـوا ملوكَ الـتُّرْكِ والـرومِ

يمـشُـونَ في حَلَقِ المـاذِيِّ سابِغَـةً ... مَشْيَ الضـراغِمِـةِ الأسـدِ اللهاميمِ

هنـاك إنْ تَسْألِي تُنْـبَـيْ بِأنْ لَنـا ... جُرْثُـومَـةً قَهَرَتْ عِزَّ الجراثِيمِ (١)

وهي أبيـات أنشـدت في حضـرة الخليفة الأموى هشام بن عبدالملك بن مروان وكان من المفروض أن ينشد مديحا للخليفة ولذلك غضب هشام على إسماعيل بن يسـار غضبـا شديـدا وقـال له : يا عاض بظر أمه : أعلي تفخر وإياي تنشد قصيدة تمدح بها نفسـك وأعـلاج قومـك؟ ثم قال لحرسـه غطـوه في الماء ، فغطوه في البركة حتى كادت نفسـه تخرج ، ثم أمـر بإخـراجـه وهـو بشـر ونفـاه من وقته فأخرج من الرصافة منفيا إلى الحجاز . (٢)

وكـان إسـماعيـل بن يسـار شديد التعصب للعجم والفخر بهم ، ولذلك كان لا يزال مضروبا محروما مطرودا ومن شعره الذى يتعصب فيه للعجم ويفخر فيه على العرب قوله :

رُبَّ خالٍ مُتَـوَّجٍ لي وعَـمٍّ ... ماجـدٍ مُجْتَـدًى كريـم الـنِّصَـابِ

إنَّـما سُمِـي الـفـوارسُ بالـفُـرْ ... سِ مضـاهـاةَ رِفْعَـةَ الأنْسَـابِ

فاتـركـي الـفَخْـرَ يا أمـامَ علينـا ... واتـركي الجَـوْرَ وانْطِقي بالصَّـوابِ

واسألِي إنْ جَهِـلْتَ عَنّـا وَعَـنْـكُـمْ ... كيـفَ كُنـا في سالِفِ الأحْـقَـابِ

إذْ نُربِّـيَ بنـاتِـنـا وتـدسُّـو ... نَ سَفَاهـا بناتِكُمْ في التُّرابِ (٣)

---

(١) الأغاني ، ٤ / ٤٢٢ وما بعدها

(٢) الأغاني ٤ / ٤٢٣ فما بعدها

(٣) المصدر السابق ، ٤ / ٤١١

ويروي أن إسماعيل بن يسار أنشد هذه الأبيات في مجلس فيه أشعب فقال له أشعب صدقت والله يا أبا فائد، أراد القوم بناتهم بغير ما أردتموهن له . قال : وما ذاك ؟ قال : دفن القوم بناتهم خوفا من العار، وربيتموهن لتنكحوهن . ثم ضحك القوم وبالغوا في الضحك فخجل إسماعيل حتى لو قدر أن يسيخ في الأرض لفعل . (١)

ويبدو أن إسماعيل بن يسار قد ربى أبناءه على التعصب للعجم، روى صاحب الأغاني أنه كان لاسماعيل بن يسار ابن يقال له إبراهيم، شاعر أيضا وهو القائل :

مَضَى الجَهْلُ عَنْكَ إلى طِيبَّتِهْ ... وآبَكَ حِلْمُكَ من غَيْبَتِهْ
وأصْبَحْتَ تَعْجَبُ مما رأيْـ ... ـتَ من نَقْضِ دَهْرٍ ومِنْ مِرَّتِهْ

وهي طويلة يفتخر فيها بالعجم كرهت الأطالة بذكرها . (٢)

روى أن أحد الأعاجم تزوج أعرابية من بني سليم فذهب محمد بن بشير الخارجي إلى المدينة وشكا إلى واليها إبراهيم بن هشام بن المغيرة واستعداه عليه، فأرسل هذا إلى المولى وإلى النفر من المسلمين وفرق بينه وبين زوجته وضربه مائتي سوط، وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه فأنشد ابن بشير قصيدة طويلة يقول فيها :

شَهِدْتُ غداةَ خَصْمِ بني سُلَيْمٍ ... وجوهاً من قضائكَ غير سود
قضيتَ بِسُنةٍ وَحَكَمْتَ عَدْلاً ... ولم تَرِثِ الحكومةَ منْ بعيدِ
وفي المائتينِ للمَوْلى نَكَالٌ ... وفي سلْب الحواجب والخُدود

(١) المصدر السابق، ٤ / ٤١٢
(٢) الأغاني ٤ / ٤٢٧

إذا كافأتَهُم ببناتِ كِسْرَى ... فهل يَجِدُ الموالي من مَزيدِ ؟
فأيُّ الحَقِّ أنْصَفُ للموالي ... مِن أصهارِ العبيدِ إلى العبيدِ (١)

ولعل من أهم ما توحي به هذه القصة، أن مظاهر المهانة والاذلال التي جوبه بها الموالي لم تكن لتعبر عن وجهة نظر المواطنين العرب وحسب ولكنها تعبر في نفس الوقت عن وجهة نظر الحكام والولاة ويبدو أن أوار هذا الصراع كان يزداد اشتعالا بفعل عمليات التحريض التي كانت تصدر عن حكام الأقاليم والولاة في الأمصار الاسلامية على نحوما كان من نصر بن سيار الذى وجه خطابا إلى النزارية واليمنية يطلب فيه نبذ ما بينهم من خلافات، وأن يتوجهوا إلى الخطر المشترك وهم الموالي ومن ذلك قوله :

أبْلِغْ ربيعَةَ في مَرْو وإخْوَتِها ... فَلْيَغْضَبُوا قَبْلَ ألّا ينفع الغَضَبُ
ما بالكم تُلْقِحون الحَرْبَ بينكم ... كأنّ أهْلَ الحِجَا عن رأيِكُم عُزُبُ
وتتركونَ عدّواً قد أظَلُّكم ... مما تأشَّبَ، لا دينُ ولا حَسَبُ
قوماً يدينون ديناً ما سَمِعْتُ بِهِ ... عن الرسولِ ولا جاءَتْ بِهِ الكُتُبُ
فمن يكن سائلاً عن أصل دينهمو ... فإنَّ دينَهم أنْ تُقْتَلَ العَرَبُ (٢)

وليس غريبا في دنيا الشعر أن نجد نفرا من شعراء الموالي يظاهرون بني أمية على نحوما كان من أبي العباس الأعمى الذى مدح مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ومن هذا المديح قوله :

لَيْتَ شَعْرِى أفَاحَ رائحة المِسْـ ... ـك وما إنْ إخال بالخَيْفِ إنْسي
حين غابت بنو أمية عنه ... والبهاليلُ من بني عَبْدِ شَمْسِ

(١) الأغاني، ١٦ / ١٠٦ فما بعدها
(٢) الدينورى، الأخبار الطوال، ٣٦٠

خطبــاءَ على المــنــابــر فُرْســا   نَ عليــهــا وقــالــةٌ غير خُرْسِ
لا يُعــابــون صامــتــين وإنْ قا   لوا أصــابــوا ولم يقــولــوا بلَبْس
بحــلوم إذا الحــلوم تقــضَّــتْ   ووجــوهٍ مثــل الــدنــانــير مُلْسِ (١)

وهي الأبيـات التى روى صاحبهـا أن مروان كان أعطـاه عليهـا حتى أفنـاه أن يسأل أحـدا غيره، كما روى أن جوائـز بني أميـة كانت تأتيـه من الشـام وأن قريشا كانت تبره للسانه وتقربا لبني أمية ببره . (٢)

وعلى نحـوما كان معـروفـا من إسماعيل بن يسار الذى قال فيه مديح الغمر بن يزيد بن عبد الملك .

نَماه إلــى فَرْعَــيْ لُؤَيِّ بن غالــبٍ   أبــوه أبـو العـاصي وحَـرْبٌ وعـامِـرُ
وخمــســةُ آبــاءٍ له قد تتــابــعــوا   خلائــفُ عَدْلٍ مُلْكُــهُـم متــواتِــرُ
بهالــيــلُ سَبَّــاقــونَ في كلّ غايــةٍ   إذا استبقت في المَكْـرُمـاتِ المَعَـاشِـرُ
هُمُ خيرُ مَنْ بَيْنَ الحَجـونِ إلى الصَّفَا   إلى حَيْثُ أفْضَتْ بالبِطــاح الحـزاور
وهمْ جمعـوا هذا الأنـام على الهُـدَى   وقـد فَرّقَتْ بَيْنَ الأنـامِ البصـائِرُ (٣)

فأعطـاه الغمـر ثلاثـة آلاف درهم وأخـذ له من أخيـه الـوليد ثلاثة آلاف درهم وهكـذا بسـط خلفـاء بني أميـة أيديهم بالعطاء لكل من دار في فلكهم من الشعراء على حين كانوا يتر بصون بخصومهم وبذلك انتجعهم شعراء من أولئك الخصوم خوفا وطمعا .

---

(١) الأغاني، ١٦ / ٢٩٩ فما بعدها، والمسعودى، مروج الذهب (٣ / ٢٠٩) .
(٢) المصدر السابق، ١٦ / ٣٠٠ ـ ٣٠٤
(٣) الأغاني (٤ / ٤٢٥)

(جـ) دور الشعر في الصراع بين الأمويين والخوارج :

سجل شعر الخوارج معظم نشاطهم السياسي في الحقبة الأموية، وعلى الرغم من أن الشعر الذى وصلنا لشعرائهم عبارة عن مقطوعات قصيرة إلا أنه يتضمن إشارات إلى النهروان، وموقعة صفين، ويشير إلى آرائهم في المحكمة، ويخلد أسماء شهدائهم من أمثال عبدالله ابن وهب الراسي، وزيد بن حصن الطائي، ومالك بن الوضاح، ويمتدح صنيع عبد الرحمن ابن ملجم قاتل علي بن أبي طالب، ويسجل أن قتل علي كان ثأرا بقتلى النهروان .

وليس من طبيعة منهجنا أن نتتبع نشاط الخوارج الشعرى منذ بداية الحقبة الأموية لأن عدة دراسات رائدة قد تناولت ذلك بالتفصيل على نحوما كان من الدكتورة سهير القلماوى في أدب الخوارج، والأستاذ أحمد الشايب في تاريخ الشعر السياسي والدكتور النعمان القاضي في الفرق الاسلامية في الشعر الأموى، وكل ما يهمنا من ذلك هو الثلاثين سنة الأخيرة من عمر الدولة الأموية، والتي تبدأ بخلافة عمر بن عبد العزيز، تلك الخلافة التي أشار إليها شعراء الخوارج على نحوما كان من شاعرهم عمرو بن ذكينة الربعي الذى كتب إلى عمر ابن عبد العزيز عندما استخلف :

قُلْ للمُوَلّى على الاسلام مُؤْتَنِفاً ... وقد يرى أنّه رَثُّ القِوى واهِ
أزرى به مَعْشَرٌ غذّوه مأكلةً ... بنَخْوَةِ العِزِّ والأتراف والباهِ
إنّا شرينا بدينِ الله أنْفُسَنا ... نبغي بذاك إليه أعْظَمَ الجاهِ
نَنْهي الولاةَ بِحَدِّ السَّيْفِ عن سَرَفٍ ... كفى بذاكَ لَهُم من زاجرٍ ناهِ
فإنْ قَصَدْتَ سبيلَ الحَقِّ يا عمرٌ ... آخاكَ في الله أمْثالي وأشْباهي
وإنْ لَحِقْتَ بِقَوْمٍ كُنْتَ واحِدَهُمْ ... في جَوْرِ سيرتهم فالحكْمُ لله (١)

(١) المرزباني : معجم الشعراء، (٥٤) فما بعدها مع تصحيح لما جاء فيها من أخطاء .

وهكذا مضى ابن ذكينة في تحذير عمر بن عبد العزيز من مغبة السير على نهج أسلافه من الجور والظلم ، فأنكر على حكام بني أمية ـ من قبل عمر ـ أسرافهم في سوس الناس ، وما لم يقصد عمر سبيل الحق فإن الخوارج الذين باعوا أنفسهم لله دائبون على ردع الحكام الظالمين بحد السيف ، وأما إن سعى في ركاب الحق وازهاق الباطل فالخوارج إخوان له .

وفي دراستنا لتاريخهم السياسي في هذه الحقبة رأينا عمر بن عبد العزيز يهادنهم ، وقد أشار أحد شعرائهم إلى هذه المهادنة عندما خاطب هلال بن أحوز قائد جيش عمر بن عبد العزيز بقوله :

خَرَجْتَ إلى الشراةِ وأنْتَ حرب	لقد غَرَّرْتَ يا بنَ أبي هِلالِ
وإنا مَعْشَرٌ قتلوا عَلِيّا	وَعبّاد بنَ أخْضَر في الضّلالِ
وإنَّ بصيرتي لما تَبَدّلْ	وإنّ الدينَ دينُ أبي بِلَالِ (١)

وهي تذكرنا بما كان من عمر بن عبد العزيز عندما كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب واليه على الكوفة بما كان بينه وبين الخوارج ، ويأمره أو يكف عنهم ما كفوا ويجاهدهم إن قاتلوه ، فبعث عبد الرحمن جيشا بازائهم ، وبعث عمر ألفا بقيادة هلال بن أحوز فظلت الطائفتان دون قتال حتى مات عمر بن عبد العزيز، كما تذكرنا بما دأب عليه الخوارج من الزهو بقتلهم عليا ثأرا بقتلاهم في النهروان ، وبأنهم ثابتون على عقيدتهم .

ويسجل حسان بن جعدة شيئا من نشاط الخوارج في عهد يزيد بن عبد الملك في مقطوعة شعرية له يرثي فيها بسطاما اليشكرى الملقب بشوذب ، وهو زعيم

(١) البلاذرى : أنساب الأشراف (٣ / ٥٩) .

الخوارج أيام عمر ابن عبد العزيز وأوائل أيام اليزيد، كما يرثي رفاق بسطام الذين قتلوا معه والذين ذكرت المصادر التاريخية بأن من بينهم الريان بن عبدالله اليشكرى، وهدبه اليشكرى وأبا شبيل مقاتل بن شيبان، يقول حسان في رثائهم :

يا عَينُ أذْرَى دموعَاً مِنْكِ تَسْجَاما — وابكي صحابَة بُسْطام وبُسْطاما

فَلَنْ تَرَيْ أبَدًا ما عِشْتِ مِثْلَهُمُ — أتقى وأكمل في الأحلام أحْلاما

بِسيِّهم قد تأسوا عند شَدَّتهم — ولم يُريدوا عن الأعداءِ إحجاما

حتّى مضوا للذى كانوا له خرجوا — فأورثونا مناراتٍ وأغْلاما

إني لأعْلَمُ أنْ قد أنزلوا غُرَفَاً — من الجنانِ ونالوا ثَمَّ خدّاما

أسقي الالهُ بلاداً كان مصرَعُهم — فيها سحاباً من الوَسْمِيِّ سَجَّامَا (١)

بمثل هذه الروح الاسلامية مضى حسان بن جعدة في رثائه لبسطام ورفاقه، فإذا هو ورفاقه عقلاء، شجعان، مقتدرون في جهادهم بالسلف الصالح، وإذا كانت تلك صفاتهم فإنهم سيدخلون أعلى مراتب الجنة حيث الاخوان الأتقياء الذين سبقوهم على الطريق، ومن هنا رأينا الشاعر يستمطر لهم السماء، وهكذا أعلن حسان بن جعدة عن اعتقاده بأن ثوار الخوارج شهداء ومثل عليا، جديرون بالرثاء .

وفي رثاء هدبة اليشكرى أحد أصحاب بسطام يقول أيوب بن خولى البجلي :

تَرَكْتُ تميمَ بنَ الحبابُ مَلجَّبَاً — تبكي عليه عِرْسُه وقرائِبُهْ

وقد أسْلَمَتْ قَيْسٌ تميماً ومالكاً — كما أسْلم الشحَّاجَ أمْس أقارِبُهْ

وأقْبَلَ من حَرانَ يحملُ رايةً — يغالِبُ أمْرَ الله والله غالِبُهْ

---

(١) الطبري ٥ / ٣٢٧

فإن يَكُ خِلّي هُذْبَــةُ اليَـوْمَ قد مَضى ... فإني بالآءِ الـفـتـى أنـا نادِبُــهْ
فيـا هُذْبُ للهيجـا ويـا هدبُ للندى ... ويــا هدبُ للخَصْمِ الألـدِّ يحاربُـهْ
ويـا هُذْبُ كم من مُلْحمٍ قد أجَبْتَـه ... وقــد أسْلَمَتْــه للرمـاح جوالِبُــهْ
وكــان أبــو شيبـان خيرَ مقــاتـلٍ ... يُرَجَّى ويَخْشَى بأسَــهُ مَنْ يُحارِبُــهْ
ففـاز ولاقـى الله بالخَـيْرِ كُلِّهِ ... وخَــذَمــه بالـسيفِ في الله ضارِبُــهْ
تزَوّد من دنـيـاه دِرْعــاً ومـغْـفَـراً ... وغَضْبَـاً حُسَـاماً لم تَخُنْـهْ مضـاربُـهْ
وأجْـرَدَ محبـوكَ الـسَّـراةِ كأنَّـه ... إذا انقَضَّ وافي الـريش حُجْنٌ مخالِبُـهْ (١)

إنـه يذكـر بما كان من صنيعـه وصنيـع هدبه اليشكرى مع قادة الأمويين، وبنوه بقتلهم ثميم ابن الحبـاب الـذى كان انتـدب لحرب بسطـام ويـذكر تمثيلهم بجثته وكيف تركـوه مقطعـا، كما يتحـدث عن مقتـل مالك بن عمر أخي تميم بن الحباب ومقتـل الشحـاج بن وداع الأزدى، وهـو الـذى كان أرسله عامـل الجـزيرة لمحاربة بسطام، ولا يفوت الشاعر أن يتحدث عن أسلحتهم، لأنها الوسيلة التي تحقق لهم النصـر على خصـومهم ولا سيـما بعـد أن أشار إلى قوة رفاقه وثباتهم على عقيدتهم وصدق إيمانهم .

وفي أواخـر أيـام يزيـد بن عبـد الملك قتل مصعب بن محمد ومالك بن الصعب وجابر بن سعد وهم جميعا من رؤساء الخوارج، وفي رثاء هؤلاء يقول أحد الخوارج :

فتيـة تعـرف الـتـخـشُّـع فيـهـم ... كُلُّهـم حَكَـمَ الـقـرآن غُلامَـا
قد بَرىَ لحمــه الـتــهـجــدُ حتّـى ... عاد جِلْداً مُصَـفّـراً وعظـامــا
غادَروهــمْ بقــاعِ حُرَّة صرْعــى ... فسقَـى الـغيْثُ أرْضهم يا أمـامـا (٢)

---

(١) المصدر السابق، (٥ / ٣٢٧)

(٢) البلاذرى ، أنساب الأشراف (٨ / ٢٣١)

فهم زاهــدون في الحيـاة الـدنيـا، وليس لهم من هم سوى التعبـد والتهجـد، والاخلاص للعقيدة والجهاد ثم الاستشهاد في سبيل ما آمنوا به .

وتلك هي الصـورة التي أخـذ بها الخـوارج أنفسهم، فبـاعوا الذى يفنى بالذى يبقى وكـرروا هذه الصـورة في كثـير من أشعـارهم على نحوما نرى عند أيوب بن خولي البجلي الذى يقول في رثائه لجابر بن سعد :

كفــى جَزَنــا أني تذكــرتُ جابِــراً ... على جابــرٍ صَلّتْ خيــارُ الملائـكِ
قتيــل مضى إذ عاهَــدَ الله نَحْبَــهُ ... ولم ينتَظِـرْ إذْ قيـل : إنَّـكَ هالِكُ (١)

وفي أسلوب قصصي راح بعض شعـراء الخـوارج يحكـون شيئـا من صفحـات جهـادهم، وصراعهم الطويل مع السلطة الأموية، وينوهون بتضحيتهم بأنفسهم وأموالهم وأهاليهم، طمعا في الخلود في جنان الدار الآخرة على نحوما نرى في قول الصحارى بن شبيب :

لَمْ أرِدْ منــه الــفــريـضَــةَ إلاّ ... طمــعــاً في قَتْـلِهِ أنْ أنــالا
فأريــح الأرضَ مِنْــهُ ومِمــن ... عاشَ فيــهــا وعــن الحَـقِّ مالا
كلَّ جَبّــارٍ عنــيــدٍ أراهُ ... تَرَكَ الحَــقَّ وسَــنَّ الــضَّــلالا
إنّــني شارٍ نفــســي لربــي ... تارَكٌ قيــلا لَدَيْهــم وقــالا
بائِــعٌ أهْــلي ومــالِي أرجــو ... في جنــان الخُـلْدِ أهــلاً ومــالا (٢)

هكذا مضى الصحارى بن شبيب الشيباني ينظم قصته مع والي الأمويين خالد ابن عبـدالله القسـرى، وكـان الصحـارى أتى خالـد بن عبـدالله القسـرى يسأله الفـريضـة، فلم يفـرض له، فخـرج إلى نفـر من بني تيم الـلات بن ثعلبـة كانوا

(١) المصدر السابق . (٨ / ٢٣١)
(٢) الطبرى . (٥ / ٢٦٤)

بجبل، فقالوا له : وما كنت ترجو بالفريضة ؟ فأخبرهم أنه إنما تقدم إلى خالد ليقتله. ثم دعاهم الصحارى إلى الخروج، فخرج بعضهم وقعد آخرون، فوجه إليه خالد جندا قتلوه وقتلوا جميع أصحابه . (١)

ويسجل شعراء الخوارج سخرية من التشبث بالأموال والأهل والديار، على نحو ما نرى في قول البهلول بن بشر الشيباني حين بكى صاحبه أثال أهله وولده .

بكى حَزَناً بِعَبْرَتِه أثالُ ... وليس بحين مَبْكىً للرجالِ
فما أهْلُ الديار لنا بأهْلٍ ... ولا المالُ المُراحُ لنا بمالِ (٢)

ولذلك كان الموت أشهى إلى نفوسهم من العسل على نحو ما يرى في قول البهلول أيضا :

من كان يَكْرَهُ أنْ يلقى منِيَّتَه ... فالموتُ أشْهى إلى قَلْبي من العَسَلِ
فلا التقدّمُ في الهَيْجاءِ يُعْجلني ... ولا الحِذارُ ينجيني من الأجَلِ (٣)

وإذا كان للموت مثل هذا المذاق الشهي على ألسنة الخوارج فليس غريبا أن « يصبح رفض الحياة وطلب الموت هدفا يطلب لذاته، لا يعتوره حزن أو أسف، ولا يسلم إلى يأس، حتى لنشعر أن الموت عندهم على هذه الصورة لون من ألوان الأمل وضرب من الأماني لأنه لا يعني لديهم غير دخول الجنة، ولقاء الاخوان الأبرار الأتقياء الذين تقدموهم على الطريق » (٤) ولا عجب إذاً أن يكثر ثوارهم، وأن تتسبب حتى بعض الأمور العادية والفردية أحيانا في خروجهم وثورتهم على

---

(١) المصدر السابق، الصفحة ذاتها
(٢) البلاذرى، أنساب الأشراف، (٨ / ٢٦٤)
(٣) المصدر السابق، الصفحة ذاتها .
(٤) د. نعمان القاضي : الفرق الاسلامية، ٤٣٧

نحـو ما كان من البهلول الشيبـاني الذى ثار لأنه كان أرسل خادمه ليشتر ى له خلا فبـاعـوه نبيـذا ولمـا لم يستطـع أن يحمـل البائع على استبداله ولا أن ينال جوابا من المـوظف الـذى شكـا إليه شكايته، أتى الموصل فاتبعه قوم من أهلها وأهل الجزيرة فكـون منهم عصـابـة، وبـدأت عمليـاتهم بقتـل ذلـك المـوظف الذى لم يستجب لشكـواه، وجـرت بينه وبين جيوش الخلافة عدة وقائع، وأرسل إليه خالد القسرى جيشين فحاصرهما، ولكنه لم يلبث أن هزم في معركة الكحيل قرب الموصل، وبعد مقتله ولى الخـوارج عليهم دعـامـة بن عبدالله الشيباني بوصية من البهلول نفسه، وعلى نحـوما كان من الصحـارى بن شبيب حين أتى خالـد بن عبـدالله القسرى يسأله الفريضة، فلم يفرض له، فخرج الصحارى إلى نفر من بني تيم اللات بن ثعلبـة ودعـاهم إلى الخـروج، فخـرج قوم وتأخـر آخـرون . ومن هنـا فقـد سئم الخـوارج من طول العيش وضنـك الحيـاة، وتمنـوا الاستشهـاد واللحـاق، برفـاق السلاح على نحو ما نرى في قول أحدهم :

يا نَفْسُ مِنْ طول الحيـاةِ ملّي
وعـيـشـك المُـنْـقَطِـعِ المـولّي
عَلّيَ ألْـقَـى عاصِـمَاً لَعَـلّي
في جَنّـةٍ عالـيـةٍ وظِـلّ
وبَـيْـهَـسَـا وكَـهْـمَسَ المُصَـلّي (١)

وعيبـوا من الفـرار من ساحـات القتـال خوفـا على متـاع الحيـاة الدنيا، وطال افتخـارهم بالتأهب للقتـال، يقـول الخيـبر ى وهـو من أصحـاب الضحـاك :

---

(١) البلاذرى : أنساب الأشراف ٨ / ٣٥٩

إيهـاً بني شَيْبـانَ طَعْنَـاً تَتْرَى
طَعْنَـاً يُرَى منـه الـقـنـا مُحْمَـرّا
يَتْرُكُ ذا الـضـغْـنِ به مُزْوَرّا
يركَـبُ ردعـاً للردى مُقِـرّا
فلَعْـنَـةُ الله عَلى مَنْ فَرّا (١)

وسجـل شعـر الخـوارج حادثـة اقتحامهم قصر الخلافة الأموية على مروان بن محمد بقول حبيب بن خدرة الهلالي :

فلم أنْسَـهُم يوم الخميسِ وكَـرّهم — عليـه ويَـوم القَصْـر إذْ حُرِسَ القَصْرُ
ودَفْـععهُمُ الجَعْـدِيَّ إذْ يطـردونَـه — وأدركه التحكيمُ والقَصَبُ الشُّمْرُ (٢)

وبقول الخيبر ى الذى يخاطب فيه مروان بن محمد ومنه :

إنْ تَكُ مروانَ فإني الخَـيْـبَرِ ى
أضْـرِبُ بالـسـيـفِ على حُكْـم النبيّ
سابِغَـةُ دِرْعي حَصِـينٌ مَغْفَـرِي (٣)

وعندما يقتحم الخيبر ى معسكر الأمويين يفر مروان بن محمد، ويصل الخيبر ى إلى حجرة مروان فيجلس على فراشه ويقول :

---

(١) البلاذرى، أنساب الأشراف (٨ / ٣٦٦)
(٢) المصدر السابق ، (٨ / ٣٦٩)
(٣) المصدر السابق ، (٨ / ٣٦٧)

قَدْ فَرَّ مَرْوانُ عن الـرّواقِ
نَجّـاهُ مِنّـا أعْـوجَـيٌّ باقِ
يَظَـلُّ يَمْـريـهِ بعِظْـمِ الـسّـاقِ (١)

وتتمثـل لنـا صورة الخـارجي الثائر في هذه الأبيات التي رثى فيها الخيبري أحد القادة البارزين في جيش الضحاك بن قيس، وهو عبد الملك بن علقمة فيقول :

وقـائـلةٍ ودَمْـعُ الـعَـيْنِ يَجْري ... على روح ابـن علقمـة السـلامُ
أأدْرَكَـكَ الحِـمامُ وأنـتَ سارٍ ... وكُـلُّ فَتَـىً لِمَصْـرَعِـهِ حِمامُ
فلا رَعِشُ الـيـديـن ولا هدانٌ ... ولا وكِـلُ الـلقـاءِ ولا كَعـهـامِ
ومـا قَتْـلُ على شارٍ بِعـارٍ ... ولـكـن يُقْـتَـلونَ وهُـمْ كِرامُ
طغـامُ الـنـاسِ لَيْسَ لهم سبيـلٌ ... شجـاني يا بنَ عَلْقَمـةَ الطغـامُ (٢)

إنه يرثي في رفيق السلاح صفات البطولة والشجاعة والحماسة والاقدام، وينفي عنه صفات الكسل والضعف والحمق والبطء عن معالي الأمور .

ويسجل شعر الخوارج في هذه الفترة تسابقهم إلى الجهاد، وغبطتهم لمن يسبق إلى الشهادة على نحو ما نرى في قول حبيب بن خدرة الهلالي الذي يقول في رثاء ملحان بن معروف وعبد الملك بن علقمة :

كائن كملحـانَ فينـا من أخي ثقـةٍ ... أو كابنِ علقمـةَ المستشهـد الشـاري
من صادق كُنْـتُ أصْـفيـه مخالَصَتي ... فبـاعَ داراً بأغـلى صَفْـقَـةِ الـدّارِ

---

(١) البلاذري : أنساب الأشراف ٨ / ٣٦٧
(٢) الطبري : ٥ / ٦١٦

إخــوانُ صِدْقٍ أرَجيّـهم وأخــذلُهُمَ ... أشْكــو إلى الله خِذْلاني لأنْصـارِي

فَصِـرْتُ صاحِبَ دُنيـا لَسْتُ أمْلِكُها ... وصــارَ صاحِبَ جَنّـاتٍ وأنْهـارِ (١)

وهو القائل في رثاء قتلى الخوارج من رفاق الضحاك :ـ

أبكي الــذين تبـؤوا الغُـرَفَ العُلَى ... فَجَـرَتْ لَهُم من تَحْتِـهـا أنْهَـارُ

أبـكـي لنـفـسـي لا لَهُمْ أبـكـيـهـمُ ... لا صَبْرَ حَيْثُ تعـارَفَ الأبْـرَارُ (٢)

وكما آمن بعض شعراء الشيعة بمبدأ التقية فإن نفرا من شعراء الخوارج قد آمن بهذا المبدأ على نحو ما يرى في قول شبيل بن عزرة :

حمِدْنــا الله ذا الــنـعــماءِ أنّــا ... نُحَـكِّــم ظاهـريــنَ ولا نُبــالي

بَرْغــم الحـاسـديَــن لنــا وكُـنّـا ... نُسِــرُّ الـدينَ في الحَجــجِ الخَـوالِي

مخافَــةَ كُلِّ جَبـار عنـيــدٍ ... غَشــومٍ من جبـابِـرَةِ الـرجـالِ

نَديــنُ بديــنِ ضَحّــاكِ بن قَيْسٍ ... ومــســكــينٍ وديــن أبــي بلالِ

ومــروانَ الـضـعـيـفِ وخَـيْـبَري ... أولائِــكَ مُنْتَهى النَّفَــرِ النِّبَـالِ (٣)

حيث رأيناه يصرح بما كان يضمره من إيمان بعقيدة الخوارج، وبأنه كان خلال هذه الفترة يخشى الاضطهاد الفظيع والتسلط البشع من السلطان المتجبر، ويبدو أنـه ظل يضمـر العقيـدة الخارجة لعدة سنوات، وأنه لم يجهر بعقيدته إلا في أعقاب انتصار الضحاك بن قيس على ابن عمر والي العراق ولذلك رأيناه يفصح عن بالغ سروره بالنصـر الـذى انتزعه الضحاك عندما صلى عبدالله بن عمر بن عبد العزيز وسليمان بن هشام خلف الضحاك على نحو ما نرى في قوله :

---

(١) أمالي المرتضى، ١ / ٦٣٩

(٢) البلاذرى، أنساب الأشراف ٨ / ٣٦٨

(٣) المصدر السابق، ٨ / ٣٦٥

أَلَمْ تَرَ أنَّ الله أنْـزَلَ نصـرَه وصَلّتْ قريشُ خَلْفَ بَكْـرِ بنِ وائِـلِ (١)

وتتردد في شعر الخوارج أمنيات كثيرة بأن يلحق الواحد منهم برفاق القافلة من الشهداء، فكلما سقط شهيد من الخوارج رثاه شاعر آخر من شعرائهم، وابتهل إلى خالقه أن يلحقه به على نحو ما نرى في قول الضحاك بن قيس الذى قاله في رثاء سعيد بن بهدل:

سقـى الله خوصـاءُ قَبْراً وحَـشْـوَهُ إذا رَحَـلَ الـشـارون لَمْ يَتَرَحَّـلِ
فيا مُلْحِقَ الأرواحِ هل أنْتَ مُلْحِقي بَمْـوتَى مضى فيهم سعيـدُ بنُ بَهْدَل (١)

وقوله في رثاء بهلول وصحبه :ـ

بُدّلْـتُ بَعْـدَ أبـي بِشْـرٍ وصَحْبَتِـه قومـاً عليَّ مع الأحْـزابِ أعْـوانـاَ
كأنهـم لم يكـونـوا من صحـابَتِنَـا ولم يكـونـوا لنـا بالأمس خِلاّنَـا
يا عَينُ أذْرِى دمـوعـاً مِنْـكِ تَهْتَـانـا وأبكي لنـا صُحْبَـةً بانـوا وإخْـوانـا
خَلّوا لنـا باطِنَ الـدنيـا وظـاهِـرَهـا وأصبحوا في جنان الخُلْدِ جيرانا (٣)

وعنـدمـا توفي الضحـاك بن قيس رثـاه أحد الخوارج كما رثى الخيبرى ويعقوب فقال:

هـم ضربـوا الجنـودَ بِكَـفْـرِ توثـا وهـم نزلـوا وقـد كُره الـزحَـامْ
سقـى بَلَداً تَضَـمَّـن خيـبَرِيّـا وسـكـينـا ويـعـقـوب الـغـمامْ
هـم ضربـوا على فرع المـنـايـا ولم يقـرعـهـم الجيش اللُّهـامْ (٤)

---

(١) المصدر السابق، الصفحة ذاتها والطبرى في أحداث ١٢٧ هجرية.
(٢) البلاذرى: أنساب الأشراف، ٨ / ٢٣١
(٣) الطبرى: أحداث سنة ١٢٦ هجرية
(٤) البلاذرى: أنساب الأشراف، ٨ / ٣٦٧

وتطـالعنـا في هذا المجـال قصيدة لعمرو بن الحصين العنبر ى وهي على جانب كبـير من الأهميـة وفيهـا يرثي أبـا حمزة وغـيره من الشراة وهي إحدى مختارات شعر العرب، رواها صاحب الأغاني في ستة وخمسين بيتا ومطلعها :

هَبّـتْ قبـيـل تَبـلّج الـفَـجْـرِ ... هِنْـدٌ تقـول ودَمْـعُـهـا يَجْرِي
إذْ أبْـصـرتْ عيـني وأدمـعَـهـا ... يَنْهَـلُّ وأكـفـهـا على الـنّحْـرِ

وتـؤ رخ هذه القصيـدة ليـوم قديد، الذى دارت رحاه قرب المدينة بين الخوارج من أتباع أبي حمزة الشارى وبين جيش أموى قاده عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، وقد استشهد في هذا اليوم خلق كثير من الأنصار والقبائل والموالي ودخل فيه الشراة المدينة دون قتال، وبعد دخولهم خرج أبو حمزة إلى مكة ولكن جنود الدولة داهمته وقهرته وقتلت أتباعه، ثم أقبل من صنعاء طالب الحق عبدالله بن يحيى شيخ أبي حمزة فهزم وقتل، فقال عمرو قصيدته هذه فبكى مصارعهم، وتضرع إلى الله أن يسلكه سبيل رفاقه الذين سبقوه إلى الشهادة فقال:

أنّي اعـترِاك وكـنـت عهـدى لا ... سربَ الـدمـوع، وكـنـت ذا صَبْرِ
أقـذى بعـيـنـيـك ما يفـارِقُـهـا ... أم عائِـر أم مالهـا تَذْرِى
أم ذِكْـرُ إخـوان فُجـعْـتَ بِهِم ... سلكـوا سبـيـلهـم على قدر
فأجـبْـتُـهـا بل ذِكْـرُ مَصْـرَعَـهـم ... لا غيرهُ عبراتهـا يُمْـرى
يا رَبِّ أسـلكـني سبـيـلهـم ... ذا العَـرْشِ، واشدُدْ، بالتقى أزْرِى

ونوه بتقواهم ووصف خشوعهم وذكر بتعبدهم وتجنبهم اللذات فقال :-

كم من أخٍ قد فُجِعْتَ به ... قَوَّام ليلته إلى الفَجْرِ
متأوّهاً يتلو قوارع من ... أي الكتابُ مُفَرَّحُ الصَّدْرِ
نَصِبٌ تجيشُ بناتُ مُهْجَتِه ... م الخوفِ جيشَ مشاشِة القِدْرِ
ظمآن وقدَة كُلِّ هاجِرَةٍ ... تَرّاك لذتِه على قَدْرِ
تَراك ما تهوى النفوسُ إذا ... رغبُ النفوسِ دعا إلى المُرْزى
ومبرأ من كُلِّ سَيئةٍ ... عفّ الهوى ذا مِرة شَزْرِ

وتحدث عن ثباتهم في القتال وحبهم للشهادة، وأشار إلى بعض أدوات القتال ونوه ببعض رؤسائهم فقال :

والمُصْطَلِي بالحَرْبِ يُسْعِرُها ... بغبارها في فِتْيَة سعرِ
يَجْتَاحُها بأفَلَّ ذى شُطَبٍ ... عضْبِ المضاربِ قاطعِ البَتْرْ
لا شَيْءَ يلقاه أسرَّ لَهُ ... من طعنةٍ في ثَغْرةِ النَّحْرِ
نجلاء منهرة تجيشُ بما ... كانت عواصي جَوْفِهِ تجرى
كخليلك المختارِ أزْكِ به ... من مغتدٍ في الله أو مُسْرِى
تَرّاكِ ذى النخواتِ مختضباً ... بنجيعه بالطعنةِ الشزْرِ
وابنِ الحُصَيْنِ وهل له شَبَهٌ ... في العُرْفِ أنّي كانَ والنكرِ
ومخالطي بلْجٍ وخالصتي ... سَمُّ العدوِّ وجابرُ الكَسْرِ
نِكلِ الخصوم إذا هُمُ شغبوا ... وسدادُ ثلمةِ عَوْرَةِ الثَّغْرِ
والخائض الغمراتِ يَخْطُر في ... وسطِ الأعادِي أيَّما خطْرِ
بِمُشَطَّبٍ أو غير ذى شُطَبٍ ... هامَ العِدَى بذُبابِهِ يفرِى
وأخيك أبرهة الهجان أخي الحر ... اب العوان وموقد الجمر
بمرشَّةٍ فرْغٍ تثجُّ دَماً ... ثجَّ الغَوِيِّ سلافَة الخَمْرِ
والضارب الأخْدودِ ليس لها ... أحدُ يُنَهْنِهُها عن السَّحرِ
ووليُّ حكمهمْ فجعتُ به ... عمرو فواكَبِدى على عمرو

ومسّيب فاذكرْ وصيته | لا تَنْسَ إمّا كنتَ ذا ذِكْرِ
فكلاهما قد كان محتسبا | لله ذا تقوى وذا بر
في مخبتينَ ولم أسَمِهمُ | كانوا يدي وهم ألو نصْرِي (١)

ولعمرو بن الحصين العنبري هذا قصيد بائية طويلة أخرى يذكر فيها وقعة قديد وأمر مكة وهي في ثمانية وعشرين بيتا ومطلعها :

ما بالُ هَمِّكَ ليس عَنْكَ بِعَازِبِ | يمري سوابِقَ دَمْعِكَ المتساكِبِ
وتبيتُ تكتَلِي ء النجومَ بُمِقَبةٍ | عبرى تسرُّ بكلِّ نَجْمٍ دائِبِ

وفيها يسجل بعض ما دار بين الخوارج وبين جيوش الأمويين، ويصف رفاق السلاح ولا يفوته أن يفخر بنفسه ويصف فرسه فيقول :ـ

فأقود فيهم للعدا شَنْجَ النسا | عَبْلَ الشوى أشْرَانَ ضمر الحالِبِ
متحدرا كالسيدِ أخْلصَ لونه | ماءُ الحسيكِ مع الجلالِ اللاتبِ
أرمي به من جمع قومي مَعْشَراً | بوراً أولي جَبْرِيّةٍ ومعايِبِ
في فِتْيَةٍ صبرٍ ألفهُمُ به | لَفَّ القداح يَدَ المفيضِ الضَّارِبِ
فندور نحن وهم وفيما بيننا | كأسُ تقولُ هَلْ مِنْ شارِبِ
لنظَلَّ نسقيهم ونشرب من قنا | سُمْر ومرهفةِ النصولِ قواضِبِ

ويمضي في قصيدته ضارعا إلى الله أن تناله طعنة تكتب له الشهادة ليلحق بإخوانه ممن سبقوه إليها، ويلتفت إلى رفاقه فيسجل لهم صدق تمسكهم بأهداب الدين من بكاء وتضرع وركوع وسجود فيقول :ـ

---

(١) القصيدة في الأغاني، ٢ / ١١١ وعددها ستة وخمسون بيتا . « طبعة الساسي » .

يا رَبِّ أوْجِبْها ولا تَتَعَلَّقَنْ نفسي المنون لدى أكفٍّ قوائِبِ
كم من أولى مِقَةٍ صَحِبْتَهُم شَرَوا فَخَذَلْتُهُم ولَبِئْسَ فِعْلُ الصاحِبِ
متأوهينَ كأنَّ في أجوافِهِم نارا تُسَعِّرُها أكفُّ حواطِبِ
تلقاهُمُ فتراهُمُ من راكِعٍ أو ساجِدٍ متضرِّعٍ أو ناحِبِ

ثم يشير إلى ما التزمه هؤلاء الرفاق من إرتياد للمسالك الصعبة وما أخذوا به أنفسهم من دربة وما أعدوه من عدة وسلاح فيقول :

ناطوا أمورَهُم بأمْرِ أخٍ لَهُم فرمَى بِهِم قُحم الطريق اللاحبِ
مُتَسَرْبلي حِلَق الحديد كأنهم أسدٌ على لحقِ البطون سلاهِبِ
قيدت من أعلى حضرموت فلم تزل تنفي عداها جانباً عن جانِبِ
تحمي أعِنَّتَها وتَحْوي نَهْبَها ولله أكرمَ فتيةٍ وأشايبِ
حَتّى وردنَ حياض مكةَ قُطباً يحكينْ وارِدَةَ اليمامِ القارِبِ
ما إن أتينَ على أخي جَبْرِيَّةٍ إلا تركنَهم كأمْسِ الذاهِبِ
في كُلِّ معترك لها من هامهم فلقٌ وأيْدٍ عُلقت بمناكِبِ
سائِلْ بيومٍ قدَيْدَ عن وقعاتِهَا تُخْبِرْكَ عن وقعاتها بِعَجائِبِ (١)

وهكذا استطاع شعر الخوارج أن يواكب معظم الأحداث التاريخية وأن يصور أخصب فترة في نشاطهم السياسي وهي الثلاثين سنة الأخيرة من فترة الحكم الأموى، كما استطاع أن يواكب معظم الأحداث السياسية منذ معركة النهروان وحتى معركة قديد بحيث بدا وكأنه شعر حرب وليس شعر سياسة ، أو على وجه أدق بدا وكأنه شعر حرب تتخلله السياسة بين حين وآخر، ومما يلاحظ على شعرهم أنه لم يتطرق إلى الخلافة ولم يبحث أى شأن من شئونها ، ولكن الدارس

(١) الأغاني، ٢٣ / ١٢٦ فما بعدها (طبعة ساسي) .

يستطيع أن يلمس ذلك من خلال حديثهم عن أنفسهم وعن رفاقهم ومن خلال رثائهم لشهدائهم ، ومن هنا جاء شعرهم شعرا زهديا ثوريا جامحا متحمسا للعقيدة فدار معظمه حول الحرب والقتال وأدواته والاستشهاد في سبيل الله ، كما يدور حول الزهد ورفض الحياة والاكثار من ذكر الموت .

(د) دور الشعر في الدفاع عن سياسة الأمويين :

وكما واكب الشعر حركة الصراع بين الشيعة والأمويين فقد واكب السياسة الأموية ومضى يعبر على وجهة نظرها في العديد من القضايا السياسية ومن هنا فقد استقطبت السلطة الأموية عددا ضخما من الشعراء المجيدين ، وجاء الشعراء من كل حدب وصوب ينتجعون الأمويين ويدافعون عن شرف الخلافة الأموية ويلهجون بعظمة الخلفاء ويذيعون في الناس سياسة الخليفة وأخذه البيعة لولى العهد فرأينا شعراء الحزب الأموى يذيعون فى الناس أن الخلافة حق سماوى على نحو ما كان من مديح الفرزدق لعبد الملك بن مروان (١) حيث مضى في دعوة الناس إلى عبد الملك ، خليفة الله الشرعي على أرضه ، ومضى في أبيات أخرى يعلن أن يريد بن عبد الملك خليل الله وأنه لو جاز أن تكون هناك نبوة من بعد محمد المصطفى لكانت من حق يزيد وهو في هذا يتفوق على شعراء الشيعة الأمامية الذين رددوا فكرة أن الأئمة أوصياء الأنبياء وفي هذا يقول الفرزدق :

ولو كان بَعْدَ المُصْطَفَى من عبادِهِ ... نبيٌّ لهمْ مِنْهُمْ لأمرِ العزائِمِ
لكُنْتَ الذى يختارُه الله بَعْدَه ... لِحَمْلِ الأماناتِ الثقالِ العَظائمِ
ورِثْتُم خليلَ الله كُلَّ خِزانَةٍ ... وكُلَّ كتابٍ بالنبوّةِ قائِمِ
بحُكْمِ الذى فَوْقَ السموات عَرْشُه ... بها في ثَرَى سَبْعٍ من الأرْضِ عالِمِ

(١) ديوانه ، ١ / ٢٤ وما بعدها وقد سبقت الاشارة إليها

وحَبْلُكَ حَبْلُ الله مَنْ يَعْتَصِمْ بِهِ إذا نالَه يأخُذْ بِهِ حَبْلَ سَالِمِ (١)

وهي صفات فيها كثير من المبالغة لأن يزيد بن عبد الملك كان معروفا باستهتاره وبأنه جعل قصر الخلافة مسرحا للهو والغناء، ومع ذلك فقد رأينا الفرزدق ينافقه بهذا المديح، كما ينافق بني مروان في أبيات أخرى، مضى فيها ليصفهم بأنهم حجر الدين ولينعت هشام بن عبد الملك بأنه أمين الله في الأرض، وبأنه إمام الهدى، وعصا الدين التي تضع حدا لمزاحمة الموالي، وبأنه منبر النبي، وبأنه لو أرسل الروح الأمين إلى إنسان سوى الأنبياء لأرسل إلى هشام بن عبد الملك على نحو ما نرى في قوله :-

رأيتُ بني مَرْوان إذ شَمَّرتْ بهم من الحَرْب جَدْبَاءُ القَرا غَيْرُ دائِمِ
لهم حَجَرُ للدين يَرْمونَ من رَمَوا بِهِ دَمَغَتْ أيْديهِمُ كُلَّ ظالِمِ
هشامُ أمينُ الله في الأرض والذى به تَمْنَعُ الأيامُ ذات المحارِمِ
بِهِ عَمَدُ للدين استقلت وأثْبَتَتْ على كُلِّ ذى طَوْدَيْنِ للدينِ قائِمِ
وما النَاسُ لولا آل مَرْوانَ بالقنا إمامُ الهُدَى والضاربـاتُ الجَماجِمِ
وما بَيْنَ أيْدِى آلِ مروانَ مِنْهُمُ وبين الموالي ناكِثاً مِنْ تَزاحُمِ
عصا الدّينِ والعودَيْنِ والخاتم الذى به الله يُعْطِى مُلْكَهُ كُلَّ قائِمِ
ولو أرْسِلَ الرُوحُ الأمينُ إلى امرىء سوى الأنبياءِ المُصْطَفَينَ الأكارِمِ
إذا لأتَتْ، كَفَّىْ هشامٍ رسَالَةٌ مِنَ الله فيها مُنْزَلاتُ العواصِمِ
ولو كانَ حَيٌّ خالِداً أو مُمَلَّكُ لكان هشام ابن الملوكِ الخَضَارِمِ (٢)

وعلى نفس النمط مضى جرير في مديح خلفاء بني أمية، فوصفهم بأنهم أمناء الله على أرضه، يرعون أحكامه على نحو ما يرى في قوله في عبد الملك :

(١) المصدر السابق، ٢ / ٢٨٢

(٢) ديوان الفرزدق، ٢ / ٣٠١ وما بعدها. والقرا : الظهر، يريد حربا شديدة واستعار لها الناقة الحدباء التي لا تعطف على ولدها. والعودان : منبر النبي انظر لسان العرب مادة (عود).

لولا الخليفةُ والقرآنُ يقرَؤهُ ما قامَ للنّاسِ أحْكامٌ ولا جُمَعُ
أنْت الأمينُ، أمينُ الله لا سَرِفٌ فيها ولَيت ولا يَابة وَرِعُ
أنتَ المباركُ يَهْدِي الله شيعَتَه إذا تَفَرّقَتِ الأهْواءُ والشِّيَعُ

ثم يقول :

يا آل مَرْوانَ : إنَّ الله فَضَّلَكُم فَضْلاً عَظِيماً على مَنْ دينه البِدَعُ (١)

فعبد الملك بن مروان ركن الدين، باسمه تخطب الخطب وتصلى الصلوات وهو أمين الله وخليفته على الأرض، وبنو مروان هم سادة الناس لأن الله فضلهم على من سواهم :

ويقول جرير في الوليد :-

إنّ الوليدَ خليفةُ لخليفةٍ رَفَعَ البناءَ على البِناء الأعْظَمِ
إنَّ الوليدَ هو الامامُ المُصْطَفَى بالنَّصْرِ - هُزَّ لواؤُهُ - والمغْنَمِ
ذو العَرْشِ قَدّر أنْ تكون خليفةً مُلِّكْتَ فاعْلُ على المنابِرِ واسْلَمِ
ولقد سَمَوْتَ إلى النصارى سَمْوَةً رَجَفَتْ لَوقْعَتِها جبالُ الدَّيْلَمِ
إنَّ الكنيسةَ كان هَدْمُ بنائِها قَسْراً، فكان هزيمةً للأخْرَمِ
فأراكَ رُّبكَ إذْ كَسَرْتَ صليبَهُمْ نورَ الهُدَى وعَلِمْتَ ما لم نَعْلَمِ (٢)

فالوليد إمام اصطفاه الله بالنصر واختاره للخلافة وكتب على يديه النصر، ثم يسجل له موقفا مشهودا عندما يتحدث عن كنيسة ماريوحنا التي حولها إلى مسجد عرف بالمسجد الأموى، والأخرم الذى يشير إليه هو أحد ملوك بيزنطة .

---

(١) ديوان جرير، ٢٧٨ .
(٢) ديوان جرير، ٣٩٦ وما بعدها

ويتحدث الفرزدق عن سياسة عمر بن عبد العزيز فيقول في رثائه :-

أقــولُ لَمّا نَعى النــاعــونَ لي عُمَـراً ... لقــد نَعَـيتـم قوام الحَـق والــديـنِ
قد غَيَّبَ الـرامسـون اليـومِ إذْ رَمَسوا ... بديـر سَمْعَـانَ قِسْطَـاسَ المـوازينِ
لم يُلْهِــهِ عمــرَه عَينٌ يُفَــجِّـرُهُـا ... ولا النَخيـلُ ولا رَكْضُ البراذينِ (١)

ويقول عدى بن الرقاع العاملي في الوليد :-

ولَـقَـدْ أرادَ الله إذْ وَلاّكَـهـا ... من أمـةٍ إصْـلاحَهـا ورشـادَهـا
أعْـمَـرْتَ أرْضَ المسلمـين فأقبَلَتْ ... وكـفَفْتَ عَنْهـا من يرومُ فَسـادَهـا
وأصَبْتَ في أرْضِ العَـدُوِّ مصيبـةً ... عَمّتْ أقـاصي غَوْرِهـا ونجـادِها
ظَفَـراً ونَـصْـراً ما تنـاول مثـله ... أحــدٌ مِنَ الخُلَفـاءِ كانَ أرادَهـا (٢)

وفيه يقول أيضـــــا :

صلّى الـذى الصلواتُ الطيبـاتُ لَهُ ... والمـؤمنـونَ إذا ما جُمّعـوا الجُمَعَـا
على الـذى سَبَقَ الأقـوامَ ضاحِيَـةً ... بالأجـرِ والحَمْـدِ حَتى صاحَبَاه مَعَا
هو الـذى جَمع الـرحْمَـنُ أمـتَـه ... على يَدَيْـهِ وكـانـوا قَبْـلَهُ شِيَـعَـا
عُذْنَـا بذى العَـرْش أنْ نَحْيَا ونفْصِدَه ... وأنْ نكـونَ لراعٍ بَعْـدَهُ تَبَـعَـا
إنَّ الـولـيـدَ أمـيرُ المـؤمـنـين له ... مُلْكُ عليـه أعـانَ الله فارتَفَعَـا (٣)

فعـدى بن الـرقـاع هنا يجعل الوليد بن عبد الملك في منزلة محمد صلى الله عليه وسلم، ويجعـل الله والمـؤمنـين يصلون على الـوليد، ويشير إلى أن الله جمع الأمة

---

(١) ديوان الفرزدق
(٢) الأغاني، ٩ / ٣٠٩ .
(٣) الأغاني، ٩ / ٣١٢ .

على يديه بعد أن كانوا من قبل شيعا وأحزابا وهي معان لم ترد بهذا الشكل المبالغ فيه إلا في شعر متطرفي الشيعة ومتعصبيهم .

ويقول جرير في عبد الملك بن مروان :ـ

اللهُ طَوَّقَـكَ الخِـلافَـةَ والهُـدَى ... واللهُ لَيْسَ لِما قَضَـى تَبْـديْـلُ
إنَّ الخـلافـةَ بالـذى أبْـلَيْـتُـهمُ ... فيـكـم فلَيْسَ لِمُلْكِهـا تَحْويـلُ (١)

وهكـذا مضى جريـر يذيـع في النـاس أن عبد الملك بن مروان لم ينل الولاية إلا بقضاء الله وقدره ، كما أن بني أمية لم يتسنموا ذراها إلا بما عملوه وبما بذلوه من جهد في سبيلها ومن أجل ذلك فإنها باقية فيهم ولن تتحول لغيرهم .

ويقول جرير في سليمان :

سليمـانُ المبـاركُ قد عَلِمْتُـمْ ... هو المَهْـدِيُّ قَدْ وَضَـحَ السبيـلُ
أجَـرْتَ من المظـالم كُلَّ نَفْسٍ ... وأدَّيْتَ الـذى عَهِـدَ الرسـولُ (٢)

ويقول في عمر بن عبد العزيز :

أنْـتَ المبَـارَكُ والمَهْـدِيُّ سيرتـه ... تَعْصِى الهَوَى وتقـوم الليـلَ بالسـوَر
نالَ الخـلافَـة إذ كانَـتْ لَهُ قَدَرَاً ... كما أتـى رَبَّـه موسـى على قَدَرِ (٣)

---

(١) ديوان جرير، ٣٨٠ .
(٢) ديوان جرير، ٣٤٧ .
(٣) المصدر السابق، ٢١١ .

كنا قال جرير في عمر بن عبد العزيز أيضا :

إنّ الــذى بَعَــثَ الــنبـيَّ مُحَمَّــدَاً   جَعَـلَ الخِلافَـةَ في الامـامِ العـادِلِ
ولـقــد نَفَـعْـتَ بما مَنَـعْـتَ تَحَرُّجَـاً   مُكَسَ العُشُورِ على جسورِ الساحِلِ
قد نالَ عَدْلُــكَ مَنْ أقــامَ بأرْضِنَــا   فإليْـكَ حاجَـةُ كُلِّ وَفْـدٍ راحِـلِ (١)

فجـريـر في الأبيات السابقة يصف الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز بأنه إمام عادل وهـو لم ينـل الخـلافـة وراثـة ولا صدفة ولكنها قدر الله ، تماما كما قدر الله لنبيه موسى عليه السلام أن يكلمه وبنفس هذه المعاني قال جرير في هشام :

أمـير المـؤمـنـين قضـى بِعَـدْلٍ   أحَـلَّ الحِـلَّ واجـتَنَبَ الحَـرامَـا
وثـقِـنـا بالـنَّجـاحِ إذا بَلَغْـنَـا   إمـامَ الـعَـدْلِ والمَلِكِ الهُـمَامَـا
إلــى المهـدىِّ نَفـزع إنْ فَزِعْـنَـا   ونَـسْـتَـسْـقي بغُـرَّتِـه الغَـمَامَـا
وحَـبْـلُ الله تَعْـصِـمُـكُـم قِوَاه   فلا تَخْشَـى لِعُـرْوتِـهِ انـفِـصـامَـا
رَضِـيْـنَـا بالخِـلافَـةِ حين كُنّـا   له تَبَـعَــاً وكــان لنــا إمَـامَـا
تبـاشَـرَت البِـلادُ لكـم بِحُكِمٍ   أقَـامَ لنـا الفـرائضَ واستقـامَـا (٢)

ومـا جاء في هذه الأبيـات والأبيـات السابقة من معان إنما هومقتبس من المعاني التي مدح بها شعـراء الشيعـة أئمتهم ، ألم يردد جرير والفرزدق وعدى بن الرقاع أن خلفـاء بني أميـة اصطفاهم الله لخلقه وجعلهم الأمناء في أرضه فهم يسير ون على هدى الشـريعـة الاسلامية في عبادتهم وفي أساليب حكمهم؟ ، فهم إذاً يتعصبون لبني أمية ويتشيعون لهم تماما كما كان تشيع شعراء الشيعة لأئمتهم ، وهم متطرفون

(١) المصدر السابق، ٣٣١ .
(٢) ديوان جرير، ٤١٠

في تشيعهم لبني مروان كما تطرف بعد ذلك شعراء الشيعة في تشيعهم للأئمتهم وهم بذلك يمهدون الطريق لشعراء يأتون من بعدهم سيبلغ التطرف عندهم مداه على نحو ما كان من قول أحدهم :

وكان الخلائِفُ بَعْدِ الرسولِ ... لله كلُّهم خاشِعَا
شهيدين من بَعْدِ صِدّيقهم ... وكان ابنُ صَخْرٍ هُوَ الرّابِعَا
وكان ابنُه بَعْدَه خامِسَاً ... مُطِيعَا لِمَنْ قَبْلَهُ سامِعَا
ومروانُ سادِسُ مَنْ قَدْ مَضَى ... وكان ابنُه بَعْدَه سابِعَا (١)

وهكذا بلغ التطرف أقصى حدوده عند قائل الأبيات السابقة حيث أعلن إنكاره لخلافة علي بن أبي طالب فلم يذكره عند ذكر الخلفاء على حين جعل معاوية خليفة رابعا وابنه يزيد خليفة خامسا ومروان وابنه سادسا ثم سابعا .

وكان أبو عدى العبلي أحد شعراء بني أمية الذين يتشيعون لآل البيت وله أبيات مشهورة في استشراف ما سيؤول إليه حال بني أمية بعد أن دبت فيهم الفرقة ويبدى لهم فيها حبه وتفانيه من أجلهم ومنها قوله :-

واعتادها ذكر العشيرة بالأسى ... فصباحها ناب بها ومساؤها
شَركوا العِدَا في أمْرِهم فتفاقَمَتْ ... منها الفُتُون وفُرِّقَتْ أهواؤهَا
ظَلَّتْ هناك وما يُعاتبُ بَعضُها ... بَعْضَا فينفَعَ ذا الرّجاءِ رجاؤها
إلا بِمُرْهَفَةِ الظُّباتِ كأنَّها ... شُهُبٌ تَقِلُّ - إذا هَوَتْ - أخْطاؤها
ماذا أؤمل إنْ أمَيةَ ودَعَتْ ... وبقاءُ سُكّانِ البلاد بقاؤها
أهْلُ الرياسةِ والسياسةِ والنَّدَى ... وأسودُ حَرْب لا يَخيمُ لِقاؤها

(١) الجاحظ : البيان والتبيين، ٣ / ٨٦ وقد نسبت مثل هذه الأبيات لكثير عزة في ديوانه، ٤٩٥ مع اختلاف في رواية الأبيات .

غَيْثُ، البلادِ هُمُ وهُمُ أمراؤها
سُرُجٌ يضيءُ دُجى الظَلامِ ضِياؤها

فلَئِنْ أمَيةَ ودّعتْ وتتابَعتْ
لغَوايَةٍ حَمِيَتْ لها خُلَفاؤها

ليُوَدِّعَنَّ من البرية عِزُّها
ومِنَ البلاد جمالُها ورجاؤها

ومن البليةِ أنْ بقيتَ خلافَهم
فَرْدا تهيجُكَ دورُهم وخلاؤها

لَهَفي على حَرْبِ العشيرةِ بينها
هَلاّ نَهَى جهالَها حُلَماؤها

هَلاّ نُهىً تَنْهَى الغَوِيَّ عن التى
يُخْشَى على سلطانِها غَوْغاؤُها

وتُقًى وأحْلامُ لها مُضَرِيَّةٌ
فيها إذا تَدْمَى الكلومُ دواؤها

لما رأيتُ الحَرْبَ تُوقَدُ بيْنَها
ويشُبُّ نارَ وقودها إذْكاؤها

نَوَّهْتُ بالمَلِكِ المُهَيْمِنِ دعوةً
ورواحُ نَفْسِي في البَلاءِ دعاؤها

لِيَرُدَّ أُلْفَتَها ويَجْمَعَ أمْرَهَا
بخِيَارِها فخيارُها رُحماؤها

فأجابَ ربي في أمية دَعْوتي
حمى أمَيَّةَ أنْ يُهَدَّ بناؤها

وحَبَا أمَيَّةَ بالخِلافَةِ إنَّهُمْ
نورُ البلادِ وزَيْنُها وبَهاؤها

فبنو أمَيَّةَ خيرُ مَنْ وَطِيءَ الثَّرَى
شَرَفاً وأفْضَلُ ساسَةٍ أمراؤها (١)

وهي قصيدة طويلة اقتصر منها الأصفهاني على واحد وعشرين بيتا صافها أبو عدى العبلي في تحذير العشيرة مما تورطت فيه من خلاف بين رجالها وفي تصوير مشاعره المتشائمة بالمصير (٢) ولكن نصائح العبلي وغيره ممن كان لهم دور في لفت الأنظار إلى الأخطار التي تهدد السلطة الأموية لم تؤخر السلطة من مواجهة مصيرها المحتوم حيث بدأ وميض نيران الثورة يضطرم، وقد نبه نصر بن سيار الخليفة الأموى مروان ابن محمد الذى كان مشغولا بقتال الخوارج في أرض الجزيرة حيث كتب إليه من خراسان يقول :

(١) الأغاني، ١١ / ٣٠٧ فما بعدها
(٢) د. مصطفى الشكعة، رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، ٣٢٩ .

أرَى بَيْنَ الـرَّمَـادِ ومـيضَ نَارٍ ... ويـوشِـكُ أنْ يكـونَ لها ضِرَامُ
فإنَّ الـنـارَ بالـعـودَيْـنِ تُذْكَـى ... وإن الحَـرْبَ أوّلُهـا الـكـلامُ
أقـولُ من الـتـعجُّب لَيْتَ شِعْـرِى ... أ أيْـقـاظُ أمَـيـةُ أمْ نِيـامُ (١)

وعندما انهارت الدولة الأموية كتب نصر إلى مروان بن محمد يقول :

كُنّـا نُرَفـيّـهـا فقـد مُزِّقَـتْ ... واتـسـع الخَـرْقُ على الـرّاقِـعِ
كالـثـوبِ إذ أنْهَـجَ فيـه الـبِلَى ... أعْيـا على هذى الحيلة الصانِعِ (٢)

وهكـذا كانت مسـاهمة الشعـر في الـدفاع عن السياسة الأموية مساهمة رحيبة، تعددت موضوعاتها وتنوعت أساليبها، وكثر شعراؤ ها بحيث يصعب على الباحث أن يحصى كل ما قيل في هذا الصدد نظرا لطول الحقبة التاريخية التي حكم خلالها بنـو أميـة، ولمسـاهمة الكثـير ين من الشعـراء على نحـو ما كان من فرسـان الشعـر الأموى، جرير والفرزدق والأخطل وعلى نحو ما كان من عدد من شعراء الشيعة، ولكن مساهمة هؤلاء الشعراء في الدفاع عن سياسة بني أمية ومعالجة أمورها تتفاوت من شاعر لآخر صدقا ومداراة، أو خوفا وطمعا، وقد تكون مساهمة بعض الشعراء نكاية بأعداء شخصيين للشاعر على نحو ما كان من أمر الكميت بن زيد مع خالد القسـرى، ومـا كان بينهـا من منـافـرة . روى صاحب الأغانى أن خالد القسرى احتال على الكميت وحاول إثارة هشام عليه، ومع أن الكميت امتدح خالدا من قبـل إلا أنـه ظل يتحـين الفـرص ليثأر لنفسه منه، فما هي إلا فترة من الزمن حتى يتهم خالـد القسـرى عنـد هشام بأنه يعمل على خلع الخليفة حتى يهب الكميت لينذر هشاما ويوغر صدره على خالد فيقول:

---

(١) المسعودى : مروج الذهب، ٣ / ١٧٠ وكذلك الدينورى، الأخبار الطوال، ٣٥٦ .
(٢) المصدر السابق، ٣ / ١٧٣

تألَـقَ بَرْقٌ عِنْـدَنـا وتـقـابَـلَتْ أثـافٍ لِقَـدرِ الحَـرْب أخْشَى اقتِبَـالَها
فدونَـك قدَر الحَـرْب وهـي مُقِـرَّةٌ لِكَفَّيْـك واجْعَـلْ دُونَ قدْر جِعَـالَهـا
ولَـنْ تَنْتَـهـي أو يَبْلُغَ الأمـرُ حَدَّه فنَلْهَـا برِسْـلٍ قَبْـلَ أنْ لا تَنَـالَهـا
فَتَجَشَّمَ منهـا ما جَشَمْتَ مِنَ التي بسَـوْراءَ هَرَّتْ نَحْـوَ حَالـكٍ حالَهـا
تَلافَ أمُـورَ النَّـاسِ قَبْـلَ تَفَـاقُمٍ بعُـقْـدَةِ حَزْمٍ لا يَخَافُ انْحِـلالَهـا
فما أبْـرَم الأقـوامُ يَوْمـا لحِيـلَةٍ من الأمْـر إلا قَلَّدُوكَ احـتـيـالَهـا
وقـد تُخْبِرُ الحَـرْبُ العَـوَانُ بِسِرِّهـا ـ وإنْ لَمْ تُبِحْ ـ مَنْ لا يُريدُ سُؤالَها (١)

فالكميت كما هو واضح من الأبيات ينذر هشاما بما كان من عزم خالد القسرى على حربه ويحذره من خطره ويطالبه بأن يتدبر في العاقبة ويحتاط للأمر ـ في حكمة وتـروٍ ـ قبـل حدوثهـا فالعـاقل من يعد لها عدتها ويحتاط لنفسه، وهكذا مضى يوغر صدر هشـام ويغـريـه بخالد، وهذه الدعوة تذكرنا بدعوة مشابهة لها رفعها الفرزدق إلى مقام الخليفة يقول فيها :

أبْـلِغْ أمـيرَ المـؤمـنـين رسـالـةً فَعَجِّـلْ هَدَاكَ الله نَزْعَـكَ خالِـدَا
بني بَيْعَـةً فيـهـا الـصليبُ لأمِّـهِ وهَدَّم من بُغْضٍ الاله المساجِدَا (٢)

وكما انتجع الشعراء خلفاء بني أمية خوفا وطمعا انتجعوهم عن تقية ابقاء على النفس لعلهـا تستطيـع عن هذا الطـريق أن تمضى قدمـا في تيـارهـا السيـاسي المعروف، وقد مرت بنا في الصفحات السابقة من هذا البحث عدة مواقف شعرية لكل من الكميت بن زيد وكثير عزة وغيرهما من شعراء الشيعة ممن مضوا يشيدون ببني أميـة ويـدافعـون عن أقطـاب الحـزب الأمـوى دفـاعا ظاهره فيه المدح والثناء وبـاطنـه فيـه الـترقب والتربص إلا في بعض المواقف على نحوما رأينا من حديث

---

(١) شرح الهاشميات ، ٨٩ فما بعدها .
(٢) ابن منظور : مختار الأغاني ٥ / ٨٨ .

هؤلاء الشعراء عن سياسة عمر بن عبد العزيز وعن سياسة أبيه من قبل (١) وقد رأينا من قبل أن حديث شعراء الشيعة عن عمر بن عبد العزيز إنما كان صادرا عن قناعة هؤلاء الشعراء بحبه لعلي بن أبي طالب وآل بيته ومن ذلك قول كثير في عمر بن عبد العزيز :

لَقَدْ كُنْتَ للمَظْلوم عِزاً وناصِراً ... إذا ما تَعَيّا في الأمور حصونُها
كما كان حِصْنَا لا يُرامُ مُمَنَّعاً ... بأشْبَالِ أسْدٍ لا يُرامُ عرينُها
فمن لليتامى والمساكين بَعْدَه ... وأرملَةٌ باتَتْ شديد أنينُهَا
وليس بها سُقْمٌ سوى الجوع لم تَجِدْ ... على جوعها من بَعْدِهِ من يُعينُها

ثم يقول :

إذا ما بكى شَجْواً حَمامُ مُغَرِّدُ ... على أثْلَةٍ خَضْراءَ دانٍ غُصُونُها
بَكَتْ عُمَرَ الخَيْراتِ عَيْني بِعَبْرَةٍ ... على إثْر أخْرَى تَسْتَهِلُّ شُؤونَها
تذكَرْتُ أياماً خَلَتْ ولياليَا ... بها الأمنُ فيها العَدْلُ كانت تكونُها

إلى أن يقول :

فإنْ كان للدنيا زوالُ وأهْلُها ... لِعَدْلٍ إذا وَلَّى فقد حانَ حينُها
سَقَى رَبُّنا مِنْ دَيْرِ سَمْعَانَ حُفْرَةً ... بها عُمَرُ الخَيْراتِ رَهْنَاً دفينُها(٢)

وهو يشير إلى ما كان عليه آباء الخليفة من قبل من كمال الخلق وجميل الاستقامة ونصرة المظلوم، كما يشير إلى سير الخليفة على منهاج الآباء والأجداد فيقول :

---

(١) من هذا ميمية كثير التي سبق الحديث عنها في دور الشعر في الصراع بين الأمويين والشيعة، انظرها في الأغاني ٩ / ٢٥٨ وشرح ديوان كثير ٢ / ١٢٣ ـ ١٢٧ .

(٢) محمد بن مبارك بن ميمون: منتهى الطلب من أشعار العرب، ٣ / ١٧٥ وما بعدها .

فأنْـت على مِنْهـاجِهِم تَقْتَـدِى بِهِمْ ... أمـامـك ما سَدّوا وأنْـتَ عقيـبُ
فأصْبَحَت تحذو من أبيـك كما حذا ... أبـوك أَبَـاهُ فِعْـلَه فتـصـيـبُ
وأنـت المُـنَقّى من هُنَـا ثُمَّ مِنْ هُنَـا ... ومِـنْ هَا هُنَـا والسّعْـدُ حين تَؤوبُ
ومـا النـاسُ أعْطَـوكَ الخِلافَةِ والتُّقى ... ولا أنْـتَ فاشكـرهْ يُثْبِـكَ مُثيبُ
ولـكِـنّـما أعطـاكَ ذلِـكَ عالِمٌ ... بما فيـكَ مُعْـطٍ للجزيلِ وَهوبُ (١)

ومـدائـح كثير بن عبـد الرحمن في عمر بن عبد العزيز تفيض بمعاني الاستقامة والعقيدة الصادقة وجلال التقوى وحسن الاقتداء بسيرة السلف الصالح واجتناب زخـرف الحيـاة الـدنيا وشدة التمسك بالعمل من أجل الآخرة وإذا كانت تلك هي صفات عمر، فإن الخلافة هبة الله له لأنه العالم بهذه الصفات والمثيب عنها .

ولعـل السـائب بن فروخ الشهير بأبي العباس الأعمى يظل في مقدمة الشعراء الذين داروا في فلك السياسة الأموية نظرا لما روى من مدائحه الكثيرة في بني أمية ولا سيما أن حبه إياهم لم يكن على ما يبدو طمعا في عطاياهم وهباتهم ولكنه نتيجة حتميـة وثمـرة صالحـة لايمانـه بهم وحبـه إيـاهم، وفي هذا المجال تقابلنا قصيدته السينية التي كان نظمها في بني أمية بعد أن بدأت الفتنة تطل برأسها، يوم أن كان مروان ابن محمـد خليفـة أمـويـا في دمشق فسعى إليـه أبـو العبـاس الأعمى بهذه القصيدة التي يقول فيها :

لَيْـتَ شِعْـرى أفَـاحَ رائِحَـةُ المِسْـ ... ـكِ، ومـا إن إخـالُ بالخَيفِ إنْسِي
حين غابَـتْ أمـيـةَ عَنْـهُ ... والبهـاليـلُ من بَني عَبْـدِ شَمْسِ
خطـبـاءُ على المـنـابـرِ فُرْسَـا ... نُ عليـهـا وقـالَـةٌ غَيْرُ خُرْسِ
لا يُعـابـونَ صامـتـين وإنْ قا ... لوا، أصـابـوا ولم يقـولـوا بِلَبْسِ

(١) محمد بن مبارك بن ميمون : مخطوطة منتهى الطلب من أشعار العرب، ٣/١٧٥

بِحُلوم إذا الحلوم تَفَضّتْ ووجوهٍ مثلِ الدنانيرِ مُلْسِ (١)

وأجمل من هذه الأبيات ما أنشده أبو العباس الأعمى أيضا عندما لقيه المنصور بعد أن أفضت الخلافة إليه وخرج حاجا وبعد أن ذكره المنصور بأنه كان رفيقه في السفر يوم أن كان يريد الشام أيام حكم مروان بن محمد ومنه قوله :

آمَتْ نساءُ بني أمية مِنْهُم وبناتُهم بِمَضيعةٍ أيْتَامُ
نامَتْ جدودُهم وأسْقِطَ نَجْمُهُم والنجْمُ يَسْقُطُ والجدودُ تَنَامُ
خَلَتْ المنابُرُ والأسْرَخة مِنْهُم فعليهم حَتّى المماتِ سَلاَمُ (٢)

وتستمد الأبيات جمالها وجلالها من إنشادها في وقت توارت فيه شيعة الأمويين عن الأنظار، كما يأتيها ذلك من إنشادها أمام المنصور وقد أصبح خليفة للمسلمين .

ولم تقف مساهمة أبي العباس الأعمى عند حدود التأييد لبني أمية بل تجاوزت ذلك إلى تحريض بني أمية على عبدالله بن الزبير على نحو ما رأينا في قوله :

أبني أميّة لا أرى لكم شِبْهاً إذا ما التفّتِ الشِّيَعُ
سَعَةً وأحْلاما إذا نَزعَتْ أهلُ الحلوم فضرَّها النَّزَعُ
الله أعْطَاكُم وإنْ رَغِمَتْ من ذاك أنْفُ معاشِرٍ رَتَعُوا
أبَني أميّة غير أنكم والناسُ فيما أطْمِعُوا طَمِعُوا
أطْمَعْتُمُ فيكم عَدُوَّكُمُ فسما بهم في ذاكُمُ الطَّمَعُ

---

(١) الأغاني، ١٦ / ٢٩٩ فما بعدها، وتنسب هذه القصيدة لعبيد الله بن قيس الرقيات، انظر ديوانه في دار صادر ص ٥٨ وما أظنها إلا لأبي العباس الأعمى كما في الأغاني والبيان والتبيين، ١ /٢٣٢، ونكت الهيمان : ١٥٤
(٢) المصدر السابق، ١٦ / ٣٠٠

فلو أَنَّكم لقولِكُمُ مثل الذى كانوا لكم رَجَعُوا
عَمّا كَرِهْتُم أو لَرَدَّهُمُ حذُر العقوبَة إنّها تَزَعُ (١)

ولما غلب ابن الزبير على مكة نفاه إلى الطائف، فهجا أبو العباس الأعمى الزبيريين ورماهم باللؤم والبخل وضعف المكانة عن قريش .

ويحظى بنو أمية بعدد آخر من الشعراء يتعصبون لهم ويدورون في فلكم ويحتطبون بحبالهم على نحو ما كان من أعشى ربيعة والنابغة الشيباني عدى بن الرقاع وأبي صخر الهذلي وعبدالله بن الزبير الأسدى وغيرهم ولكن مساهمة هؤلاء لم ترق إلى نفس المكانة التي سمت إليها مساهمة أولئك ممن سبق التنويه بهم، ومع ذلك فقد مضى الشعر في موكب الصراع السياسي خلال الحقبة الأموية من القرن الثاني الهجرى فحظى كل طرف من أطراف الصراع بنخبة من الشعراء، وكان لكل حزب شعراؤه الذين ينتمون إليه ويفضلونه على غيره، يتحدثون عن مآثره ويشيدون بفضله، وقد يتعرضون لخصومهم لثلبهم وبيان أخطائهم، فهذه طائفة منهم تدور في ركاب التشيع وتلك طائفة تسير في ركاب الخوارج وطائفة ثالثة تمضي في أهداب الحزب الأموى الحاكم وطائفة خامسة تخدم مصالح الموالي وطائفة سادسة تصانع أكثر من طرف من أطراف الصراع رغبة أو رهبة .

---

(١) الأغاني، ٦ / ٣٠١ فما بعدها

الفصل الثالث

دراسة لأهم الشعراء

أولا : شعراء الشيعة

ثانيا : شعراء الموالي

ثالثا : شعراء الحزب الأموى

رابعا : شعراء الخوارج

أولا : شعـــراء الشيعـــــة :

أشهـر شعـراء الشيعـة في الحقبـة الأمـويـة من القرن الثاني الهجرى كثير عزة، والكميت بن زيد .

فأما كثير فهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود (١) وقد أخطأ كثير ون ممن ترجموا لكثـير في نسبـه وقد حققه الأستاذ أحمد الربيعي في دراسته الأكاديمية لحياة الشاعر وشعره . (٢)

ولـد كثـير في كليـة احـدى قرى الحجـاز بين مكة والمدينة . (٣) ونشأ في رعاية عمـه[٤]، ومن أسف أن أخبـار طفـولته وصباه قليلة، روى صاحب الأغاني أن كثيرا شب في حجر عم له صالح، فلما بلغ الحلم أشفق عليه أن يسفه، وكان غير جيد الرأى ولا حسن النظر في عواقب الأمور، فاشترى له قطيعا من الابل، فسرح بها ولكن جيرانه ضيقوا عليه وأساءوا جواره فانتقل عنهم وقال :

أبَـــتْ إبــلي ماءَ الــرّداة وشَــفَّـهـا ... بنـو العَمِّ يحمـون النضيحَ المُـبَرَّدا
ومـــا يمـنعـــون المـــاءَ إلا ضنـــانَـــةً ... بأصـلاب عُشْـرى شوكهـا قد تَحَدَّدا
فعـادت فلم تُجْهَـدْ على فَضْـل مائةٍ ... ريـاحاً ولا سقيا ابن طلب بن أسْعَدَا

---

(١) الأغاني، ٩ / ٣، المرزباني، الموشح ٢٤٢

(٢) أحمد الربيعي، كثير عزة، حياته وشعره، ١٦ حيث أخطأ كثير ون ممن ترجموا لكثير في نسبه حين اعتقدوا أن الأسود لقب لجد كثير لأبيه مع أنه اسم جد كثير لأبيه وليس لقبا لجده أبي أمه كما توهموا، وأبو جمعة جد كثير لامـه واسمـه الأشيم بن خالـد ويكنى بابنتـه جمعـة أم كثـير، ومن هؤلاء ابن قتيبة في الشعر والشعراء، ١ / ٥٠٣، والحصـرى في زهـر الآداب، ١ / ٣٥٢، وابن منظـور، لسـان العـرب ضيف في العصر الاسلامي، ٣١٩، د. النعمان القاضي، الفرق الاسلامية، ٥٦٤ .

(٣) البكرى، معجم ما استعجم، ٣ / ٩٥٤ .

(٤) الأغاني، ٩ / ٢٣ .

ويروى أنه أول شعر قاله . (١)

يكني كثير أبا صخر (٢) وكان شديد القصر، روى صاحب الأغاني أن كثيرا لم يكن يزيـد على ثلاثـة أشبـار وأن عبـد العـزيـز بن مروان كان إذا دخل عليه كثير يقـول : طأطيء رأسـك لا يصبـه السقف (٣) وكـان يعـرف بحمقـه ولذلك كان الناس يسخرون منه . (٤)

كما كان كثير أحد عشاق العرب المشهورين، وقد نسب إلى صاحبته عزة وهي من ضمـرة (٥) فقيـل كثـير عزة لاشتهـاره بالغـزل فيها ولعل أروع أشعاره في عزة قصيدته التائية التي مطلعها :

خليـــلي هذا رَسْـــمُ عَزَّةَ فاعــقِـــلاَ قَلُوصَـيْـكُـــما ثُمّ ابكيــا حَيْثُ حَلَّتِ
ومـــا كُنْتُ أدْرِى قَبْـــلَ عَزّةَ ما البُكَـا ولا مُوجعَاتِ القِلْبِ حَتّى تَوَلّتِ (٦)

وقد لاحظ ابن سلام أن كثيرا كان يتقول ولم يكن عاشقا، ولا صادق الصبابة (٧) ومع ذلك فقد جعله مع فحول شعراء الاسلام وفي الطبقة الأولى منهم وقرن به جريرا والفرزدق والأخطل والراعي .

روى صاحب الأغـاني أن كثـيرا كان شيعيـا غاليـا، يذهب مذهب الكيسـانية ويقول بالرجعة والتناسخ، (٨) وأن كثيرا كان يتشيع تشيعا قبيحا، يزعم أن محمد ابن الحنفية لم يمت، وقال كثير في ذلك:

(١) الأغاني، ٩ / ٢٣ فما بعدها .
(٢) المصدر السابق، ٩ / ٤، والمرزباني، الموشح، ٢٤٢ .
(٣) المصدر السابق، ٩ / ٦ .
(٤) المصدر السابق، ٩ / ٤، ٦، ٢٠، ٢٣، وابن قتيبة : الشعر والشعراء، ١ / ٥٠٣ .
(٥) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١ / ٥٠٧ فما بعدها، والأغاني، ٩ / ٢٤ .
(٦) الأغاني، ٩ / ٢٩ فما بعدها .
(٧) ابن سلام : طبقات الشعراء، ٣٥ ، والأغاني، ٩ / ٣٢
(٨) الأغاني، ٩ / ٤ .

ألا إنَّ الأئمـةَ من قُرَيْشٍ ولاة الحق أربَـعَـةُ سَواءُ
عَليٌّ والـثـلاثـةُ من بنـيـه هم الأسـبـاطُ لَيْسَ بِهِم خَفَـاءُ
فسِـبْـطٌ سِبْـطُ إيـمانٍ وبـرٍّ وسـبـط غَيـبَّـتُـه كَرْبـلاءُ
وسـبـط لا تراه الـعـينُ حَتّـى يقـود الخـيـلَ يقـدُمُـهـا الـلّواءُ
تغـيـب لا يُرَى عنهـم زمـانـا بِرَضْـوى عنـده عَسَـلٌ ومـاءُ (١)

وعنـدمـا أغـرى عبـدالله بن الـزبـير ببني هشـام وتتبعهم بكل مكروه فأودعهم ومعهم ابن الحنفية سجن عارم قال كثير :ـ

مَنْ يَرَ هذا الـشيـخَ بالخَيْف من مِنَىً من الـنـاس يعـلم أنّـه غير ظالمِ
سَمِـيُّ الـنبيِّ المُصْطَفى وابن عَمِّـه وفـكّـاكُ أغْـلالٍ وَنـفّـاعُ غارِمِ
أَبِي فهـو لا يَشْـرى هدًى بضَـلالَـةٍ ولا يَتَّـقِـي في الله لَوْمَـةَ لائِـمِ
ونَـحْـنُ بِحَـمْـدِ الله نَتْلُو كتـابَـه حُلُولا بهذا الخَيْفِ خَيْفِ المحـارِمِ
بحيثُ الحـمام آمِنُ الـرَّوْع ساكِنٌ وحَيْثُ العَـدوّ كالصـديق المُسـالِمِ
فما فَرَحُ الـدنـيـا بـبـاقٍ لأهـلِهِ ولا شَدّةُ الـبَلْوى بِضَـرْبَـةِ لازِمِ
تُخَبِّرُ مَنْ لاقـيْـتَ أنّـكَ عائِـذٌ بَلْ العـائِذُ المظلومُ في سِجْنِ عارِمِ (٢)

وكان كثير شيعيا غاليا يزعم أن الأرواح تتناسخ ويحتج بقول الله تعالى : « في أي صورة ما شاء ركبك»، ويقول : ألا ترى أنه حوله من صورة في صورة (٣) ويـروى أن بني مروان كانـوا يعلمـون مذهبـه فلا يغـيرهم ذلك لجلالته في أعينهم ولطف محله في أنفسهم (٤) ومن هنـا جاء مديحه لعبـد الملك وارتحـالـه إلى مصـر ليمـدح أخـاه عبـد العزيز الذى كان واليا عليها ثم كان مديحه لعمر بن عبد العزيز

---

(١) الأغاني، ٩ / ١٤، وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١ / ٥١٦ فما بعدها .
(٢) المصدر السابق، ٩ / ١٥ فما بعدها .
(٣) المصدر السابق، ٩ / ١٧ ، ولعلها من صورة إلى صورة .
(٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء، ١ / ٥٠٩ فما بعدها .

وهي المدائح التي جعلت الدكتور طه حسين يتهمه بالنفاق السياسي (١) والتي رأينا فيها لونا من ألوان التقية التي كانت تجيزها الشيعة في الظروف الغاشمة خشية على أنفسها من السلطة الحاكمة، (٢) ومن هنا رأينا فيه شاعر الكيسانية الأول الذى استطاع أن يعبر في شعره عن كثير من آرائها ومعتقداتها في الامامة والخلافة، حيث وقف إلى جانب الامام محمد بن الحنفية ودعا إلى مناصرته وهاجم خصومه الذين غصبوه حقوقه الشرعية، ولذلك فقد أعجب به إمامه إعجابا شديدا مما جعل كثيرا يسجل هذه المودة المتبادلة بقوله :

أَقَرَّ الله عَيْني إنْ دعاني ... أمينُ الله يَلْطُفُ في السؤالِ
وأثْنى في هوايَ عليَّ خَيْرا ... وساءلَ عَنْ بَني وكيفَ حالي
وكيفَ ذكَرْت حالَ أبي خُبَيْبٍ ... وَزلّة فِعْلِهِ عِنْدَ السؤّالِ
هو المَهْدِيُّ خبّرناهُ كَعْبٌ ... أخو الأحبارِ في الحِقَبِ الخوالي (٣)

روى ابن قتيبة أنه لما حضرته الوفاة قال :

بَرِئْتَ إلى الالـه من ابن أرْوى ... ومن دين الخوارج أجمعينا
ومن عُمَرٍ بَرِئْتُ من عتيق ... غداةَ دُعِي أميرَ المُؤمِنينا (٤)

ومات كثير سنة خمس ومائة في ولاية يزيد بن عبد الملك وكان موته مع عكرمة ولى ابن عباس في يوم واحد وأخرجت جنازتاهما ولم يتخلف عن جنازتيهما رجل ولا إمرأة، وقيل يومها، مات اليوم أشعر الناس وأعلم الناس . (٥)

---

(١) د . طه حسين، حديث الأربعاء، ١ / ٢٩٠ .
(٢) انظر ما دوناه في الدراسة الموضوعية لشعر كثير، فصل « دور الشعر في الصراع بين الأمويين والشيعة .
(٣) الأغاني، ٩ / ١٦ .
(٤) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١ / ٥٠٣ .
(٥) الأغاني، ٩ / ٣٧ .

وروى صاحب الأغاني أنه بكى بعض أهل كثير عليه حين نزل به الموت . فقال له كثير : لا تبك، فأنك بي بعد أربعين ليلة تسمع خشفة نعلي من تلك الشعبة راجعا إليكم . (١)

وأما الكميت فهو الكميت بن زيد بن خنيس (٢) من بني أسد، ولد بالكوفة سنة ستين للهجرة أيام مقتل الحسين بن علي (٣) ويكنى أبا المستهل وكان معلما للصبيان في الكوفة، (٤) التقى الكميت بالفرزدق وهو صبي فقال له الفرزدق : يا غلام، أيسرك أني أبوك : فقال : لا، ولكن يسرني أن تكون أمي : فحصر الفرزدق، فأقبل على جلسائه وقال : ما مر بي مثل هذا قط (٥) وكان بينه وبين الطرماح من المودة والمخالطة ما لم يكن بين اثنين على تباعد ما بينهما في الرأى والدين، لأن الكميت كان شيعيا رافضيا، وكان الطرماح خارجيا صفريا، وكان الكميت عدنانيا عصبيا، وكان الطرماح قحطانيا عصبيا، وكان الكميت متعصبا لأهل الكوفة وكان الطرماح يتعصب لأهل الشام، فقيل لهما : ففيم اتفقتما هذا الاتفاق مع اختلاف سائر الأهواء ؟ قالا : اتفقنا على بغض العامة (٦) وعرف الكميت بالتشيع لبني هاشم، (٧) وروى الأصفهاني أنه لما قال الكميت بن زيد الشعر كان أول ما قال الهاشميات، فسترها، ثم أتى الفرزدق بن غالب، فقال له : يا أبا فراس، إنك شيخ مضر وشاعرها، وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد الأسدى . قال له : فما حاجتك ؟ قال ونفث على لساني فقلت شعرا، فأحببت أن أعرضه عليك، فإن كان حسنا أمرتني بإذاعته، وإن كان قبيحا أمرتني بستره،

---

(١) المصدر السابق، ٩ / ٣٦ .
(٢) المصدر السابق، ١٧ / ١ « طبعة دار الكاتب العربي »، والذهبي، تاريخ الاسلام، ٥ / ١٢٧ والمؤتلف والمختلف، ١٧٠ .
(٣) الأغاني، ١٧ / ٤٠ .
(٤) المصدر السابق ١٧ / ٢، ٢١ وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٥٨١ .
(٥) الأغاني، ١٧ / ٢٣ وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٥٨٢ .
(٦) ابن قتيبة، الشعر والعشراء، ٢ / ٥٨١، والأغاني ١٧ / ٢ .
(٧) الأغاني، ١٨ / ١، ١٦ .

وكنت أولى من ستره علي فقال له الفرزدق : أما عقلك فحسن، وإني لأرجو أن يكون شعرا على قدر عقلك، فأنشدني ما قلت، فأنشده :

طَرِبْتُ وما شَوْقَا إلى البيْض أطْرَبُ

قال : فقال لي : فيم تطرب يا بن أخي ؟ فقال :

ولا لَعِباً مِنِّي وذو الشَّيْبِ يَلْعَبُ

فقال : بلى يا بن أخي ، فالعب، فإنك في أوان اللعب، فقال:

ولم يُلْهِني دارٌ ولا رَسْمُ مَنْزِلٍ ولم يَتَطَرَّبْنِي بنانٌ مُخَضَّبُ

فقال : ما يطربك يا بن أخي ؟ فقال : -

ولا السانحاتُ البارِحاتُ عِشيّةً أمَرَّ سليمُ القَرْنِ أمْ مَرّ أعْضَبُ

فقال : أجل لا تتطير ، فقال : -

ولكنْ إلى أهْلِ الفضائِلِ والنُّهى وخيرِ بني حَوّاءَ والخيرُ يُطْلَبُ

فقال : ومن هؤلاء ؟ ويحك : فقال :

إلى النَّفَرِ البيضِ الذين بِحُبِّهم إلى الله فيما نابَني أتَقَرَّبُ

قال : أرحني ويحك : من هؤلاء قال :

بني هاشِـــم رَهْـــطِ الـــنبـيِّ فإنّـني	بهم ولهـــم أرْضَـــي مرارا وأغْـضَـبُ
خفَــضْــتُ لهم مني جَنــاحَـيْ مودَّةٍ	إلى كنف عِطْفَـــاه أهْـــلُ ومَــرْحَبُ
وكـــنـــتُ لَهُم من هؤلاء وهــؤلا	مجَنّــاً، على أنّي أذمُّ وأقْــصَـــبُ
وأرْمَى وأرمـي بالـعَــداوَةِ أهْـلَهــا	وإنّي لأوذَى فيــهُــمُ وأؤنَّـــبُ

فقــال له الفــرزدق : يا بن إخي ، أذع ثم أذع ، فأنت والله أشعــر من مضى وأشعر من بقى . (١)

وقيل إن الكميت دخل على أبي عبدالله جعفر بن محمد في أيام التشريق بمنى فقال له : جعلت فداك إني قلت فيكم شعرا أحب أن أنشدكه . فقال : يا كميت اذكـر الله في هذه الأيـام المعـدودات، فأعـاد عليه القول فرق له أبو عبدالله فقال : هات : وبعث أبو عبدالله إلى أهله فقرب فأنشده فكثر البكاء حتى أتى على قوله .

يُصيبُ به الـرامونَ عن قَوْس غيرهم	فيــا آخــراً سَدّى له الـغَـــيّ أوّلُ

فرفع أبو عبدالله يديه فقال : اللهم اغفر للكميت . (٢) ودخل أيضا على أبي جعفر محمد بن علي فأعطاه ألف دينار وكسوة . فقال له الكميت : والله ما أحببتكم للدنيـا ولـو أردت الـدنيـا لأتيت من هي في يديـه . ولكني أحببتكم للآخـرة . أما الثيـاب التي أصـابت أجسـامكم فأنـا أقبلهـا لبركتها وأما المال فلا أقبله فرده وقبل الثياب (٣) .

---

(١) الأغاني، ١٧ / ٢٨ فما بعدها .
(٢) الأغاني، ١٧ / ٢٤ .
(٣) المصدر السابق، ١٧ / ٢٤ .

وحكى صاعـد مولى الكميت قال : دخلت معـه على علي بن الحسين فقال : إني قد مدحتك بما أرجو أن يكون لي وسيلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أنشده قصيدته :

مَنْ لِقَلْبٍ مُتَيَّمٍ مُسْتَهـــامِ

فلما أتى على آخرها قال له : ثوابك نعجز عنه ولكن ما عجزنا عنه، فإن الله لا يعجز عن مكافئتك وأراد أن يحسن إليه فقال له : إن أردت أن تحسن إلي فادفع إلي بعض ثيـابـك التي تلي جسـدك أتبرك بها فنزع ثيابه ودفعها إليه ثم قال : اللهم إن الكميت جاد في آل رسول الله وذرية نبيك بنفسه حين ضن الناس وأظهر ما كتمه غيره من الحق فأحيـه سعيـدا وأمتـه شهيـدا وأره الجـزاء عاجـلا فإنا قد عجزنا عن مكافأته . قال الكميت : ما زلت أعرف بركة دعائه (١)

ووفد الكميت على فاطمة بنت الحسين ـ عليهما السلام ـ فقالت : هذا شاعرنا أهـل البيت، وجـاءت بقداح فيه سويق، فحركته بيدها وسقت الكميت، فشربه ثم أمرت له بثلاثين دينارا ومركب، فهملت عيناه، وقال : لا والله لا أقبلها، اني لم أحبكم للدنيـا (٢) . وحـدث نصـر بن مزاحم المنقـرى، أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وبين يديه رجل ينشده :

من لقلب متيم مستهام .

قال : فسألت عنه، فقيل لي : هذا الكميت بن زيد الأسدى، قال : فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول له : جزاك الله خيرا وأثنى عليه (٣) ولما خرج زيد بن علي كتب إلى الكميت : اخرج معنا يا أعيمش، ألست القائل :

---

(١) شرح الهاشميات، ١٩

(٢) الأغاني، ١٧ / ٢٥ .

(٣) المصدر السابق، ١٧ / ٢٧ .

ما أبـالي ـ إذا حُفِظْـتَ أبـا القـا سم ـ فيـكـم ملامـةَ الـلُّوامِ

فكتب إليه الكميت : ـ

تجودُ لهم نَفْـسِـي بما دون وَثْـبَـةٍ تَظَـلُّ لها الغِرْبـانُ حَوْلِيَ تَحْجِلُ (١)

ومـع أن نكـوصه عن الخروج مع إمامه زيد يتفق مع سابق اعتقاده بعدم الثورة والخروج على نحوما رأينا في قوله :

تجودُ لهم نَفْـسـي بما دون وَثْـبَـةٍ تَظَـلُّ لها الغِـرْبـانُ حَوْلِيَ تحجـل

إلا أن الدارس يستطيع أن يلاحظ أن الكميت ـ كما يبدو ـ كان أعلم من إمامة بما انطوت عليه نفوس أهل الكوفة من التخاذل والأحجام ، كما كان يعتقد بأن الوقت لم يحن بعـد لمثـل هذه الثـورة على نحـوما قررناه من قبل ، (٢) وذلك خلافا لما رآه أستاذنا الدكتور شوقي ضيف حيث رأى أن الكميت إنما خالف إمامه زيد بن علي في القعـود عن عمـد ، لأنـه لم يكن يرى الخـروج عن إيـمان واقتناع متأسيا في ذلك بكثـير من الأئمـة السـابقـين ، ونفس زين العابدين والد زيد لم يخرج ، وكان أخوه محمد الباقر يرى عدم الخروج (٣) ومن ثم يقول الكميت :

تجودُ لهم نفـسـي بما دون وثـبـةٍ تَظَـلُّ لها الغِـرْبـانُ حَوْلِي تَحْجِـلُ
ولـكـن لي في آل أحمـد أسـوة ومـا قد مضى في سالف الـدهـر أطْوَلُ (٤)

---

(١) المصدر السابق ، ١٧ / ٣٤ .
(٢) انظر ما قلناه بهذا الصدد في فصل الدراسة الموضوعية للشعر في دور الشعر في الصراع بين الأمويين والشيعة .
(٣) د . شوقي ضيف ، التطور والتجديد ، ٢٧٥ .
(٤) شرح الهاشميات ، ٧٤ فما بعدها .

فالكميت لم يخرج عن قصد وإيمان بوجهة نظر بأن الوقت لم يحن بعد للخروج فلا بأس إذاً من استمرار السرية والتقية، وقد لاحظ الدكتور النعمان القاضي أنه لم يقعد عن عقيدة وقناعة وإلا كانَ رافضيا شأنه في ذلك شأن الشيعة الذين رفضوا زيدا وفارقوه إلى أخيه محمد الباقر وابنه جعفر، لأن الخروج أساس من أسس المذهب الزيدي . (١)

ولما خرج زيد وقتل جزع الكميت عليه جزعا كبيرا وراح يبكيه بكاء مرا ويعلن سخطه على السلطة الأموية ويهجو عاملهم يوسف بن عمر الثقفي ويحرض الناس على خلعه حيث يقول :

دَعاني ابنُ الرسولِ فلم أجِبْهُ ... أَلَهْفي لَهْفَ للقَلْبِ الفَرُوقِ
حِذارَ مَنِيَّةٍ لا بُدَّ منها ... وهل دون المَنِيَّةِ من طريقِ (٢)

وقوله :

يُعَزُّ على أحْمَدَ بالذى ... أصَابَ ابنَه أمْسِ من يوسُفِ
خَبيْثُ من العُصْبَةِ الأخْبَثِينَ ... وإنْ قُلْتُ زانينَ لَمْ أقْذِفِ (٣)

ومنذ بلغ شعره في مديح بني هاشم وهجاء بني أمية ـ خالدا القسرى والي الأمويين على الكوفة أمر أن يؤتى بشيء من شعره، فأتى بقصيدته اللامية التي أولها :ـ

الا هَلْ عَم في رأيه مُتَأَمِّلُ ... وهل مُدْبِرٌ بعد الاساءَةِ مُقْبِلُ
وهل أمةٌ مُسْتَيقِظونَ لِرُشْدِهم ... فيكشِفَ عنه النَّعْسَةَ المُتَزَمِّلُ
فقد طال هذا النومُ واستَخْرَجَ الكَرَى ... مساويَهُم لو كان ذا المَيْلُ يُعْدَلُ

(١) د . نعمان القاضي، الفرق الاسلامية، ٥٩٩ .
(٢) شرح الهاشميات، ٨٤ .
(٣) المصدر السابق، الصفحة ذاتها .

وعُطِّلَتِ الأحكامُ حَتَّى كأننا على مِلَّة غَيرِ التي نَتَنَحَّلُ
كلامُ النبيينَ الهُدَاتِ كلامُنَا وأفْعَالُ أهْلِ الجاهليةِ نَفْعَلُ

وفيها يقول :ـ

فتلك أمورُ الناس أضْحَتْ كأنَّها أمورُ ضُيعِ آثَرَ النَّوْمَ بُهَّلُ
فيا ساسةٍ هاتوا لنا من حديثكم ففيكم لعمري ذو أفانين مِقْوَلُ
أأهْلُ كتابٍ نَحْنُ فيه وأنْتُمُ على الحَقِّ نَقْضي بالكتاب ونَعْدِلُ
فكيفَ ومِنْ أنّي وإذ نَحْنُ خِلْفَةٌ فريقان شَتى تَسمنونَ ونَهْزِلُ
فتِلْكَ ملوكُ السّوءِ قد طالَ مُلْكُهُم فحتّى م حتى م العَنَاءُ المُطَوَّلُ (١)

فكتبها خالد وأدرجها في كتاب إلى هشام، يقول : هذا شعر الكميت، فلما قرئت على هشام اغتاظ، واشتد غيظه، فكتب إلي خالد يأمره أن يقطع يدى الكميت ورجليه ويضرب عنقه ويهدم داره ويصلبه على ترابها(٢) فلم يشعر إلا والخيل محدقة بداره، فأخذ وحبس . وكان أبان بن الوليد البجلي عاملا على واسط وصديقا للكميت فبعث إليه بغلام وقال له أنت حر إن لحقته، وكتب إليه : بلغني ما صرت إليه وهو القتل إلا أن يدفع الله، وأرى أن تبعث إلى حبي (٣) فإذا دخلت إليك تنقبت نقابها ولبست ثيابها وخرجت فإني أرجو أن لا يؤ به لك، فبعث إلى حبي وقص عليها القصة وفعل بما أشار به عليه وخرج هاربا . فمر بالسجان فظن أنه المرأة فلم يعرض له فنجا وأنشأ يقول:

خَرَجْتُ خروجَ القِدْحِ قِدْحِ ابنِ مُقْبِلِ على الرَّغْمِ من تلك النوابح والمُشْلي
عَليَّ ثيابُ الغانياتِ وتَحْتَها عزيمةُ أمْرٍ أشْبَهَتْ سَلّةَ النَّصْلِ (٤)

---

(١) الأغاني، ١٧ / ١٦، وشرح الهاشميات، ٦٦ ـ ٦٩ .
(٢) المصدر السابق، ١٧ / ٤، ١٦ فما بعدها .
(٣) حبي زوجة الكميت وهي ممن يتشيع أيضا .
(٤) الأغاني، ١٧ / ١٧ فما بعدها .

وإنما دبر له خالد بن عبدالله القسرى عامل هشام على العراقيين مكيدة السجن انتقاما بما كان الكميت هجاه به من شعر، وظل الكميت متواريا إلى أن أيقن أن الطلب قد خف، فسار في جماعة من بني أسد إلى الشام وقدم اعتذاره إلى هشام وطلب منه الأمان من القتل ولم يزل به حتى أجاره وعفا عنه . (١)

وروى الأصفهاني أن الكميت أرسل وردا ابن أخيه زيد إلى أبي جعفر محمد بن علي وقال له : إن الكميت أرسلني إليك وقد صنع بنفسه ما صنع فتأذن له أن يمدح بني أمية، قال : نعم هو في حل فيقل ما شاء، (٢) ولما دخل الكميت على هشام سلم ثم قال : يا أمير المؤمنين غائب آب، ومذنب تاب محا بالانابة ذنبه . وبالصدق كذبه . والتوبة تذهب الحوبة . ومثلك حلم عن ذى الجريمة وصفح عن ذى الريبة فقال له : ما الذى نجاك من خالد القسرى؟ قال صدق النية في التوبة . قال: ومن سن لك الغي وأورطك فيه؟ قال : الذى أغوى آدم فنسي ولم يجد له عزما، فإن رأيت يا أمير المؤمنين تأذن لي بمحو الباطل بالحق بالاستماع لما قلته فأنشده :

ذَكَر القلبُ إلْفَه المَهْجُورا وتلافى من الشباب أخِيرا
أوَرثَتْه الحَصانُ أم هِشَامٍ حَسَبَاً ثاقِبَاً ووجَهَاً نضَيرا
وكساه أبو الخلائِفِ مَرْوا نَ سَنِيَّ المكارِمِ المأثُورَا
لم تجَهَّم له البطاح ولكن وجدتها له معاناً ودورا

وكان هشام متكئا فاستوى جالسا وقال هكذا فليكن الشعر . ثم قال : قد رضيت عنك يا كميت . فقال الكميت : يا أمير المؤمنين إن أردت أن تزيد في

(١) المصدر السابق، ١٧ / ١٩ ، ٢١ .
(٢) المصدر السابق، ١٧ / ٣١ .

تشـريفي لا تجعـل لخالـد علي إمـارة ففعل . (١) وهكذا قال الكميت في بني أمية فأحسن وقال في بني هاشم أفضل ولما سئل عن ذلك قال : إني إذا قلت أحببت أن أحسن . (٢)

وكما بلغت مدائحه للهاشميين وأهاجيه لبني أمية خالدا القسرى، بلغت مراثيه وبكـائيـاتـه لزيـد بن علي وأهـاجيـه للأمويين مسامع يوسف بن عمر فظل يرصده ويشـدد في رصـده حتى وافت سنـة ست وعشـرين ومـائـة هجـرية (٣) حين وفد الكميت على يوسف بن عمـر بعـد خالد القسرى عن العراق في خلافة مروان بن محمد فلما دخل عليه أنشده قوله فيه :ـ

خَرَجْـتُ لهم تمشي الـبَراحَ ولم تَكُنْ ... كمن حِصْنُـه فيـه الـرِّتَـاجُ المُضَبَّبُ
ومـا خالـدٌ يَسْتَطْعِمُ المـاءَ فاغِـراً ... بَعْـدِلِـكَ والدّاعي إلى المَوْتِ يَنْعَبُ

قال ذلـك والجنـد قيـام على رأس يوسف بن عمـر وهم يمانيـة، فتعصبوا لخالد وسـاءهم تعـريض الكميت به، فوضعـوا سيـوفهم في بطن الكميت فوجئـوه بها، وقالوا : أنشد الأمير ولم تستأمره : فلم يزل ينزفه الدم حتى مات . (٤)

ثانيا : شعراء الموالي :

وأشهـر شعـراء المـوالي في الحقبـة الأموية من القرن الثاني الهجرى اسماعيل ابن يسار النسائى ويزيد بن ضبة .

---

(١) الرواية من الأغاني، ١٧ / ٨، والأبيات من شرح الهاشميات، ٩٣ فما بعدها .
(٢) الأغاني، ١٧ / ٣٦ .
(٣) الأغاني، ١٧ / ٤٠ .
(٤) المصدر السابق: ١٧ / ٢٠

فأما أولهما فهو إسماعيل بن يسار النسائى (١) مولى بني تيم بن مرة، تيم قريش (٢) وبنو يسار ثلاثة : اسماعيل وسليمان ومحمد وهم مدنيون وأصلهم من العجم من سبي الكوفة وهم من موالي كنانة . (٣)

وكان إسماعيل بن يسار النسائى منقطعا إلى آل الزبير، فلما أفضت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان، وفد إليه مع عروة بن الزبير ومدحه، دخل ذات يوم على عبد الملك بن مروان لما أفضت إليه الأمور بعد مقتل عبدالله بن الزبير، فسلم ووقف موقف المنشد واستأذن في الانشاد فقال له عبد الملك: الآن يابن يسار : إنما أنت امرؤ زبيرى، فبأى لسان تنشد؟ فقال له : يا أمير المؤمنين، أنا أصغر شأنا من ذلك، وقد صفحت عن أعظم جرما وأكثر غناء لأعدائك مني، وإنما أنا شاعر مضحك . فتبسم عبد الملك فأنشد قوله :

ألا يا لَقَومي للرُّقاد المُسَهَّدِ	وللماءِ ممنوعا من الحائم الصَّدِى
وللحالِ بَعْدَ الحالِ يَرْكَبُها الفتى	وللحب بَعْدَ السَّلْوَةِ المتمرِّدِ

حتى انتهى إلى قوله :

إليك إمامَ الناسِ من بطن يثرب	ونعم أخو ذى الحاجة المُتَعَمَّدُ
رَحلْنا لأنَّ الجودَ مِنْكَ خليقةٌ	وأنَّكَ لم يَذْمُم جناحَكَ مُجْتَدِى
ملكتَ فزِدْتَ الناسَ ما لم يَزِدْهُمُ	إمامٌ من المعروف غيرُ المُصَرَّدِ
وقُمْتَ فلم تَنْقُضْ قضاءَ خليفَةٍ	ولكن بما ساروا من الفعل تَقْتَدِى
ولما وليت المُلْكَ ضارَبْتَ دونَه	وأسندتَه لا تأتَلي خير مُسْنَدِ
جَعَلْتَ هِشاما والوليدَ ذخيرةً	وَلِيَّينِ للعهد الوثيق المؤكَّدِ (٤)

---

(١) الأغاني، ٤ / ٤٠٨ .
(٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها .
(٣) المرزباني، معجم الشعراء، ٣٤٦ .
(٤) الأغاني، ٤ / ٤٢١ فما بعدها .

فنظر عبد الملك إلى هشام والوليد مبتسما، والتفت إلى سليمان فقال : أخرجك إسماعيل من هذا الأمر، فقطب سليمان ونظر إلى إسماعيل نظر مغضب، فقال إسماعيل يا أمير المؤمنين، إنما وزن الشعر أخرجه من البيت الأول، وقد قلت بعده :

وأمْضَيْتَ عَزْماً في سليمان راشِداً ومن يَعْتَصِمْ بالله مثلَكَ يَرْشُدِ (١)

وكان إسماعيل بن يسار وأبوه من قبله كارهين لبني مروان كرها بغيضا، يروى أنه استأذن يوما على الغمر بن يزيد بن عبد الملك فحجبه ساعة، ثم أذن له، فدخل يبكى، فقال له الغمر : مالك يا أبا فائد تبكي ؟ قال : وكيف لا أبكي وأنا على مروانيتي ومروانية أبي أحجب عنك، فجعل الغمر يعتذر إليه وهو يبكي، فما سكت حتى وصله الغمر بجملة لها قدر . وخرج من عنده فلحقه رجل فقال له : أخبر ني ويلك يا إسماعيل، أى مروانية كانت لك أو لأبيك ؟ قال : بغضنا إياهم، امرأته طالق إن لم يكن يلعن مروان وآله كل يوم مكان التسبيح، وإن لم يكن أبوه حضره الموت، فقيل له : قل لا إله إلا الله، فقال : لعن الله مروان، تقربا بذلك إلى الله تعالى وإبدالا له من التوحيد وإقامة له مقامه . (٢)

وقصيدته البائية التي فخر فيها بالعجم على العرب والتي أولها :

ما على رَسْمِ مَنْزِلٍ بالجنابِ لو أبانَ الغداةَ رَجْعَ الجواب

لم يخل منها كتاب من كتب الأدب مما ذكر النسائي أو ذكر تعصب العجم على

(١) الأغاني، ٤ / ٤٢٢
(٢) المصدر السابق، ٤ / ٤١٠ .

العرب حيث كان إسماعيل بن يسار شعوبيا شديد التعصب للعجم وله شعر كثير يفخر فيه بالأعاجم (١) ومن هذا الشعر قصيدته الميمية التي أولها :

يا رَبْعَ رامةَ بالعلياءِ من ريم — هل رَرْجِعَنّ إذا حَيّيْتُ تَسْليمي

وهي قصيدته التي كان أنشدها عندما وفد على هشام بن عبد الملك أيام خلافته وهو بالرصافة جالس على بركة في قصره، فاستنشده وهو يرى أنه ينشده مديحا له فلما أن انتهى إلى قوله :

إنّي وَجِّدك ما عودى بذى خَوَرٍ — عند الحِفَاظِ ولا حَوْضي بِمَهْدومِ
أصلي كريمٌ ومَجْدِي لا يُقاسُ به — ولي لسانٌ كَحَدِّ السيفِ مَسْمُوم
أحمي به مَجْدَ أقوامٍ ذَوى حَسَبٍ — ومن كُلِّ قَوْمٍ بتاجِ المُلْكِ مَعْمُومِ (٢)

حتى غضب هشام وبذلك ظل مبتلى بالعصبية للعجم والفخر بهم فكان لا يزال مضروبا محروما مطرودا .

وكان لاسماعيل بن يسار ابن يقال له إبراهيم وهو شاعر أيضا، وهو القائل :

مَضَى الجهلُ عَنْكَ إلى طِيّتِه — وآبَكَ حِلْمُكَ من غَيْبَتِهْ
وأصبحتَ تَعْجَبُ مما رأيْـ — ـتَ من نَقْضِ دَهْرٍ ومن مِرّتِه

وقد ذكر صاحب الأغاني أنها من قصيدة طويلة يفتخر فيها بالعجم ولكنه كره الاطالة بذكرها . (٣)

---

(١) الأغاني، ٤ / ٤١٢ .
(٢) الأغاني، ٤ / ٤٢٣، وقد سبقت الاشارة إلى هذه القصة في فصل الدراسة الموضوعية عن الشعر في الصراع بين الأمويين والموالي .
(٣) المصدر السابق، ٤ / ٤٢٧ .

وروى المرزباني أن إسماعيل بن يسار كان له ابن آخر اسمه دعبل بن إسماعيل ابن يسار وهو القائل :

راح الشقيُّ على رَبْع يُسائِلُه — ورُحْتُ أسْأَلُ عن خَمَّارَةِ البَلَدِ
تبكي على طَلَلِ الماضينَ من أسَدٍ — ...... قُلْ لي مَنْ بنو أسَدِ
ومَنْ تميمٌ ومن عُكْلُ ومن يَمَنُ — ليس الأعارِيْبُ عِنْدَ الله من أحَدِ (١)

وعاش إسماعيل بن يسار النسائى عمرا طويلا إلى أن أدرك آخر سلطان بني أمية، ولم يدرك الدولة العباسية . (٢)

وأما ثانيهما فهو يزيد بن ضبة وهو يزيد بن مقسم (٣) وضبة أمه غلبت على نسبه لأن أباه مات وخلفه صغيرا، فكانت أمه تحضن أولاد المغيرة بن شعبة ثم أولاد ابنه عروة بن المغيرة فكان ينسب إليها لشهرتها (٤) كان يزيد بن ضبة مولى لثقيف، وكان منقطعا إلى الوليد بن يزيد في حياة أبيه متصلا به لا يفارقه فلما أفضت الخلافة إلى هشام أتاه يزيد مهنئا بالخلافة فلما استقر المجلس ووصلت إليه الوفود وقامت الخطباء تثني عليه والشعراء تمدحه مثل يزيد بن ضبة بين السماطين فاستأذنه في الانشاد، فلم يأذن له، وقال : عليك بالوليد فامدحه وأنشده . وأمر باخراجه، وبلغ الوليد خبره فبعث إليه بخمسمائة دينار وقال له : لو أمنت عليك هشاما لما فارقتني ولكن اخرج إلى الطائف، وعليك بما لي هناك فقد سوغتك جميع غلته ومهما احتجت إلي من شيء بعد ذلك فالتمسه مني . فخرج إلى الطائف وقال يذكر ما فعله هشام به :

---

(١) المرزباني، معجم الشعراء، ٣٤٦، وقد رويت مثل هذه الأبيات مع اختلاف يسير لأبي نواس في ديوانه، ٤٦ فما بعدها .
(٢) الأغاني، ٤ / ٤٠٨ .
(٣) الأغاني، ٧ / ٩٥ .
(٤) المصدر السابق، ٧ / ٩٥ .

أرَىَ سَلْمَى تَصُدُّ وما صَدَدْنا وغير صدودِها كُنّا أرَدْنا
لقد بَخِلَتْ بنائِلها علينا ولو جادَتْ بنائِلها حَمِدْنا
وقد ضَنَّتْ بها وَعَدتْ وأمْسَتْ تُغَيِّرُ عَهْدَها عما عَهِدْنا
ولو عَلِمَتْ بما لا قَيْتُ سلمى فتخبر ني وتعلم ما وجدنا
أَلَمْ تَر أننا لما وَلِينَا أموراً خُرِّقَتْ فَوَهَتْ سَدَدْنَا
رأينا الفَتْقَ حين وَهَى عليهم وكم من مِثلِه صَدْعٌ رأبنا (١)

وهو في هذه القصيدة يفخر بكل وضوح بقومه الفرس على الأمويين ويعتب عتبا شديدا على هشام، ولم يزل يزيد بن ضبة مقيما بالطائف إلى أن ولي الوليد بن يزيد الخلافة فوفد إليه مهنئا بالخلافة فأدناه الوليد وضمه إليه، وقبل يزيد بن ضبة رجلي الوليد والأرض بين يديه ثم قال الوليد لأصحابه : هذا طريد الأحول لصحبته إياى وانقطاعه إلى، فاستأذنه يزيد في الانشاد وقال له : يا أمير المؤمنين هذا اليوم الذى نهاني عمك هشام عن الانشاد فيه قد بلغته بعد يأس والحمد لله على ذلك، فأذن له فأنشده قصيدته التي مطلعها :

سُلَيْمَى تِلْك في العير قِفي أسْألْك أو سيرى
إذا ما بِنْتِ لَمْ تأوِى لِصَبِّ القَلْب مَغْمُورِ
وقد نانَتْ ولم تَعْهَدْ مهاةُ في مَهاً حُورِ (٢)

وهي قصيدة روى الأصفهاني أن عدد أبياتها بلغ خمسين بيتا أعطى يزيد على كل بيت ألف درهم، فكان أول خليفة عد أبيات الشعر وأعطى على عددها لكل بيت ألف درهم ثم لم يفعل ذلك إلا هارون الرشيد فإنه بلغه خبر يزيد بن ضبة مع الوليد فأعطى مروان بن أبي حفصة ومنصورا النمرى لما مدحاه وهجوا آل أبي

---

(١) الأغاني، ٧ / ٩٥ فما بعدها وقد سبقت الاشارة إلى هذه القصيدة في مجال الحديث عن دور الشعر في الصراع بين الأمويين والموالي .

(٢) الأغاني، ٧ / ٩٧ فما بعدها .

طالب لكل بيت ألف درهم (١) وروى جماعة من مشايخ أهل الطائف وعلمائهم أنه كان ليزيد بن ضبة ألف قصيدة فاقتسمنها شعراء العرب وانتحلتها فدخلت في أشعارها . (٢)

وهناك طائفة أخرى من الشعراء الموالي من أمثال زياد الأعجم وابن المولى والحسين بن مطير وعمرو بن الحصين الخارجي وداود بن مسلم وموسى شهوات وغيرهم من الشعراء الذين ترددت في أشعارهم أنغام شعوبية خافتة ولكنها لم ترق إلى تلك الدرجة التي رأيناها عند اسماعيل بن يسار ويزيد بن ضبة .

ثالثا : شعراء الحزب الأموى:

وأشهر شعراء السلطة الأموية في القرن الثاني الهجرى أبو العباس الأعمى وأبو عدى العبلي ربيعة وعدى بن الرقاع ، وهناك ثلة أخرى من الشعراء سايرت الأمويين انتفاعا بمدائحهم وبما تدره عليهم تلك المدائح من أعطيات وهبات أو خوفا مما قد تلحقه بهم السلطة القائمة من ظلم ، وقلما يصدر عن أمثال هؤلاء شعر ينم عن اقتناع بمذهبهم السياسي وسنقف عند أبرز هؤلاء الشعراء .

فأما أبو العباس الأعمى فهو السائب بن فروخ (٣) مولى بني الليث ، وقيل إنه مولى بني الديل (٤) وكان من شعراء بني أمية المعدودين ، المقدمين في مدحهم والتشيع لهم ، وانصباب الهوى إليهم وهو الذى يقول في أبي الطفيل عامر بن واثله ، صاحب علي بن أبي طالب عليه السلام . :

---

(١) المصدر السابق ، ٧ / ١٠٠ .
(٢) المصدر السابق ، ٧ / ١٠٣
(٣) الأغانى ، ١٦ / ٢٩٨
(٤) المصدر السابق ، ١٧ / ٢٩٨

لعـمـرك إنَـني وأبـا طُفَـيْـل ‏ لَمُخْـتَـلِفَـانِ، والله الـشـهـيـدُ
أرَى عُثْـمان مُهْـتَـدِيـا ويأبـى ‏ متـابـعَـتي وآبـى ما يُريـدُ (١)

وكـان السـائب بن فروخ يكنى أبا العباس، وكان ضريرا، واشتهر بكنيته ولقبه معا فقيل أبو العباس الأعمى كان مقيما بمكة لا يكاد يفارقها .

روى أبو العباس الأعمى عن صدر من الصحابة الحديث فروى عن عبدالله بن عمـر وعن سعيـد بن المسيب وروى عنـه عطـاء وعمرو بن دينار وحبيب بن ثابت، وفي نكت الهميان للصفدى أن البخارى ومسلم وأبا داود والترمذى والنسائى وابن ماجه رووا عنه . (٢)

وجـاء في أخبـاره التي رواهـا صاحب الأغـاني أنـه كان منغمسـا في الشهـوات ويعشق النسـاء على السـماع، (٣) وكـان أبو العباس الأعمى يحض بني أمية على عبدالله بن الزبير على نحو ما نرى في قوله :

أبَـني أمَـيّـةَ لا أرَى لكـم ‏ شِبْـهَـاً إذا ما الـتفَّـتِ الـشِّـيَـعُ
سَعَـةً وأحـلامـاً إذا نَزَعَـتْ ‏ أهْـلُ الحـلوم فَضَـرَّهـا الـنَّـزَعُ
وحـفـيظَـةً في كل نائِـبَـةٍ ‏ شَهْـبَـاءَ لا يُنْهَـى لها الـرُّبَـعُ
الله أعْطـاكُـم وإنْ رَغِـمَـتْ ‏ من ذاك أنْـفُ معـاشَـرٍ رَتَـعُـوا
أبَـني أمـيّـةَ غَيْرَ أنَّـكُـمُ ‏ والـنـاس فيـها أطْـمِعُـوا طَمِعُـوا
أطْـمَـعْـتُـمُ فيـكـم عَدُوَّكُـمُ ‏ فسـما بهم في ذاكُـمُ الطَّـمَـعُ
فلو أنَّـكـم كنـتـم لِقَـوْلـكُـمُ ‏ مِثْـلَ الـذى كانـوا لكـم رَجَعُـوا
عما كَرِهْـتُـم أوْ لَرَدَّهُـمُ ‏ حَذَرُ الـعـقـوبـة إنَّهـا تَزَعُ (٤)

---

(١) المصدر السابق، الصفحة ذاتها .
(٢) الصفدى، نكت الهميان، ١٥٣ فما بعدها .
(٣) انظر ما رواه الأصفهاني في هذا الصدد، ١٦ / ٣٠٠ فما بعدها .
(٤) الأغاني، ١٦ / ٣٠٢ .

ولأبي العباس الأعمى أشعار كثيرة في مدائح بني أمية وهجاء آل الزبير، وأكثرها في هجاء عمرو بن الزبير، وكانت قريش كلها تَبَرَّأ بالعباس الأعمى للسانه وتقربا إلى بني أمية ببرة.

ولما غلب عبدالله بن الزبير على الحجاز جعل يتتبع شيعة بني مروان فينفيهم عن المدينة ومكة، حتى لم يبق بهما أحد منهم، ثم بلغه عن أبي العباس الأعمى الشاعر نبذ من كلام وأنه يكاتب بني مروان بعوراته، ويمدح عبد الملك وتجيئه جوائزه وصلاته، فدعا به، ثم أغلظ له، وهم به، ثم كلم فيه، وقيل له: رجل مضرور - فعفا عنه، ونفاه إلى الطائف فأنشأ يهجوه ويهجو آل الزبير:

نبي أَسَدٍ تَذْكُروا الفَخْرَ إنكم ... متى تذكوره تَكْذِبوا وتُحَمَّقوا
بُعَيْداتِ بَيْنَ خيركم لصديقكُم ... وشرُكُم يَغْدو عليه ويَطْرُقُ
متى تُسْألوا فَضْلا تضِنّوا وتَبْخَلُوا ... وميزانكم بالشرِّ فيها تُخَرَّقُ
إذا استبقَتْ يَوماً قُرَيْشٌ خَرَجْتُمُ ... بني أسدٍ سَكْتا وذو المَجْدِ يَسْبِقُ
تجيئونَ خَلْفَ القَوْمِ سوداً وجوهكم ... إذا ما قريش للاضاميم أصفقوا
وما ذاك إلا أن للّؤم طابَعا ... يلوح عليكم وسمُه لَيْس يَخْلُق (١)

ولعل أشهر قصائده السياسية قصيدته السينية التي كان أعدها لينشدها في حضرة الخليفة الأموى مروان بن محمد يوم أن كان الخلاف يمزق أشلاء البيت الأموى، وأنشدها المنصور عندما لقيه في طريق السفر إلى الشام ومنها قوله:

لَيْتَ شِعْري أفاحَ رائحة المِسْـ ... ـكَ وما إن إخالُ بالخَيْفِ إنْسِي
حين غابَتْ بنو أمَيةَ عَنْه ... والبهاليلُ من بني عَبْدِ شَمْسِ (٢)

---

(١) الأغاني، ١٦ / ٣٠٥.

(٢) انظر القصة والأبيات في الأغاني، ١٦ / ٢٩٩ فما بعدها، والحصري، زهر الآداب، ١ / ٣١٣، وقد سبقت الاشارة إليهما في فصل الدراسة الموضوعية في مجال الحديث عن الشعر في الصراع بين الأمويين وخصومهم.

وهي القصيدة التي قال فيها الدكتور مصطفى الشكعة « أصبحت أنموذجا فيما بعد للشعر الذى ترثى به الأمم ، فعلى منوالها نسج الشاعر الأموى الأمير المخضرم أبـو عدى العبـلي ، وعلى منوالها أيضا نسج الشاعر الأموى الأمير المخضرم آدم بن عبـد العـزيـز حين وقف على إيـوان كسـرى ، وعلى نفس المنـوال نسج البحتر ى سينيته الطويلة النفيسة في الايوان (١) .

ويظـل أبـو العبـاس الأعمى على صدق عهـده مع الأمويين حتى بعد غروب شمسهم ويـرثيهم بعـد زوال ملكهم وسقـوط دولتهم وفي مجلس الخليفـة العباسي أبي جعفر المنصور ينشد قوله فيهم :ـ

آمَـتْ نسـاءُ بني أمـيـةَ منهـم ... وبـنـاتُهـم بمـضـيعَـةٍ أيْتَـامُ
نامـت جدودهـم وأسْـقِـطَ نَجْمُهم ... والـنَّـجْـمُ يَسْـقُـطُ والجـدودُ تَنَـامُ
خَلَتِ المـنـابِـرُ والأسِـرَّةُ مِنْهُـمُ ... فعـليـهـم حَتَّـى المـماتِ سلامُ (٢)

وهكـذا تشيـع أبـو العبـاس الأعمى لبني مروان وظل على تشيعه لهم حتى بعد أن دالت دولتهم وبنيت على أنقاضها دولة خصومهم .

وأمـا العبـلي فهـو عبـدالله بن عمـر بن عبدالله بن علي بن عدى (٣) ويكنى أبا عدى (٤) وكان واحدا من شعراء قريش المجيدين ومن مخضرمي الدولتين .

روى أنه كان يكره ما يجرى عليه قومه بنو أمية من ذكر علي بن أبي طالب وسبه على المنـابـر ويظهـر الانكـار لذلك فشهد عليه قوم بني أمية بمكة بذلك ونهوه عنه فانتقل إلى المدينة وقال في ذلك :

---

(١) د . مصطفى الشكعة، رحلة الشعر. ٢٨١
(٢) الأغاني، ١٦ / ٣٠٠
(٣) المصدر السابق، ١١ / ٢٩٣
(٤) المصدر السابق، ١١ / ٢٩٤

شَرَدوا بي عنـد امتـداحي عَلِيّـا ... ورأوا ذاك فيَّ داءَ دَوِيّـا
فوربـي لا أبْـرَحُ الـدَّهْـرَ حتّـى ... تُخْتَـلَى مُهْـجَـتي بِحُـبّي عَلِيّـا
وبَـنـيْـه لِحب أحمـد إني ... كنت أحْبَبْتُهم لِحُبّي النبيّـا
حُبُ ديـنٍ لا حُبُّ دُنْيّـا وشَـرّ الـ ... ـحب حُبٌ يكـون دُنْيـاوِيّـا (١)

وبسبب تشيعه للعلويين ظل مجفوا في أيام الأمويين حتى عندما وفد على هشام ابن عبد الملك وقد امتدحع بقصيدته التي يقول فيها :

عَبْـدُ شَمْسٍ أبـوكَ وهـو أبـونـا ... لانـنـادِيْـك مِنْ مكـانٍ بَعـيـدِ
والـقـرابـاتُ بَيْنَنـا واشِـجَـاتٌ ... محكـماتُ القُـوى بِحَبْـلٍ شديـدِ

وأقـام ببـابـه مدة حتى حضر بابه وفود قريش فدخل فيهم، وأمر لهم بمال فضل فيه بني مخزوم أخواله، وأعطى أبا عدى عطية لم يرضها فانصرف وقال :

خَسَّ حظي أن كُنْتُ من عَبْدِ شَمْسٍ ... ليـتَـني كُنْـتُ من بني مَخْزومِ
فأفـوزَ الـغـداةَ فيـهـم بِسَـهْـمٍ ... وأبيـعَ الأبَ الـكـريـمَ بِلومٍ (٢)

ومـع ذلـك فلما أتـاه قتـل عبـدالله بن علي من قتل من بني أمية وكان متواريا مع آخـرين لحقـه من الجـزع ما يلحق الرجل على عشيرته فقال قصيدته السينية التي اشترك فيها آخران معه وهي :

تقـول أمَـامُـة لما رأتْ ... نُشـوزى عن المَضْـجِـعِ الأنفَسِ
وقِـلّة نَوْمـي على مَضْـجَـعـي ... لدى هَجْـعَـةِ الأعـينِ الـنّـعَّسِ

(١) المصدر السابق، ١١ / ٣٠٣ .
(٢) الأغاني، ١١ / ٣٠٣ .

أبـي : ما عراكَ ؟ فقـلتُ : الهمـومَ ... عرونَ أبـاك فلا تُبْـلِسـي

عَرَوْنَ أبـاك فَحـبَّـسـتَـه ... من الـذلِّ في شَرٍّ ما مَحْبِسِ

لِفَـقْـدِ الـعـشـيرةِ إذ نالَهـا ... سِهـامٌ من الحَـدَثِ المُـبْئِسِ

فصَـرْعـاهُـمُ في نواحـي الـبِـلا ... دِ تُلْقَـى بأرضٍ ولم تُرْمَسِ (١)

ويروى أنه أنشد هذه القصيدة في مجلس ضم محمد بن عبدالله بن حسن وعمه الحسن بن حسن بن علي عليهم السلام فلما أتى أبو عدى العبلي على آخر القصيدة بكى محمد بن عبدالله بن حسن . فقال له عمه الحسن بن حسن : أتبكي على بني أمية وأنت تريد ببني العباس ما تريد : فقال : والله يا عم لقد كنا نقمنا على بني أمية ما نقمنا ، فما بنو العباس إلا أقل خوفا لله منهم ، وإن الحجة على بني العباس لأوجب منها عليهم . ولقد كان للقوم أخلاق ومكارم وفواضل ليست لأبي جعفر . (٢)

وتظل قصيدته التي رثى فيها قومه الأمويين بعد زوال دولتهم قمة في عالم الشعر السياسي لم تصل إلى مرتبتها إلا قصيدة أبي العباس الأعمى السينية التي رويناها من قبل في رثاء دولة الأمويين ، وفيها يرثي أبو عدى العبلي قومه الأمويين ، روى الأصفهاني أن الخليفة المنصور استقدم العبلي واستنشده بعض ما قاله في مدح قومه الأمويين فاستعفاه ولكن الخليفة لم يعفه ، فاستأمنه فأعطاه المنصور الأمان فأنشد :

ما بَالُ عَيْنِـكَ حائـلا أقـذاؤهـا ... شَرِقَتْ بعَـبرَتِهـا فطـال بُكاؤهـا

وما أن يصل إلى قوله :-

---

(١) المصدر السابق، ١١ / ٢٩٨ .

(٢) الأغاني، ١١ / ٣٠٠ .

فبنــو أميــة خيرٌ من وَطِيءَ الثَّــرى شَرَفــا وأفْضَــلُ ساسَــةٍ أمــراؤ هــا

حتى يطـرده المنصـور شر طردة ويقـول له : اخرج عني لا قرب الله دارك ، (١) وعندئذ يتجه العبلي إلى المدينة فيلتقي محمد بن عبدالله بن حسن وقد خرج فيبايعه وبـذلـك يعـود سيرتـه الأولى متشيعـا للعلويين وما أن يغلب محمد بن عبدالله بن حسن على بلاد الحجـاز حتى يكـافئـه ويجعله واليـا لَه على الطائف . (٢) ولكن الحسن بن معاوية والي مكة من قبل أبي جعفر غلب على مكة وتوجه إلى الطائف وعنـدئـذ رأى العبـلي أن يلتقي والي العبـاسيـين بالعـرج ولكن الحسن ركب البحر فمضى أبو عدى هاربا على وجهه إلى اليمين (٣)ثم تنقطع أخباره بعد ذلك .

رابعا : شعراء الخوارج :

كثـر شعـراء الخـوارج في الحقبـة الأمـويـة من القـرن الثاني الهجرى كثرة فائقة وترددت في مواقعهم الحزبية أسماء عمرو بن ذكينة الربعي وحسان بن جعدة وأيوب ابن خولي البجـلي وشمـر بن عبدالله اليشكرى والصحارى بن شبيب والبهلول بن بشـر الشيبـاني والخيـبر ى وشبيـل بن عزرة وحبيب بن خدرة الهـلالي والضحاك بن قيس الشيباني وغيرهم من الشعراء المجهولين والمغمورين رجالا ونساء، ومع هذه الكثرة يظل صوت الطرماح بن حكيم أقوى أصوات الشعر الخارجي في هذه الحقبة لا لأنـه شعـر سيـاسي خارجي ، فليست تلك صفـة شعر الطرماح ولكن لأنه كان صاحب الحـظ الأوفـر بين شعـراء الخوارج في هذه الحقبة فهو الشاعر الوحيد الذى وجد له ديوان شعر مطبوع (٤) مع أن حياته لم تكن أوفر من حياة غيره من شعراء الخـوارج الـذين لم ترولنـا المصادر عنها إلا القليل ، فقد ضاعت أخبار كثير ين من

(١) المصدر السابق، ١١ / ٢٩٥ .

(٢) الطبري ، أحداث سنة ١٤٥ هجرية والأغاني، ١١ / ٣٠١ .

(٣) الأغاني، ١١ / ٣٠١ .

(٤) نشر ديوانه كرنكو في لندن سنة ١٩٢٧ وحققه في دمشق عزة حسن سنة ١٩٦٨ .

شعـراء الخـوارج كما ضاعت أشعـارهم حيث كانت شفـوية في معظمها فتعرضت للضياع كلما جدل فارس من فرسانهم الذين كانوا فرسان كلام كما كانوا فرسان ميدان .

والطـرمـاح هو الطرماح بن حكيم بن الحكم (١) من طبيء (٢) ويكنى أبا نفر (٣) وأبا ضبينة . (٤)

وكان الطرماح بن حكيم يلقب الطراح لقوله :

ألا أيُّهـا الليـلُ الطـويـلُ ألا ارتـح   بِصُبْحٍ ومـا إلا صَّبـاحَ منك بأرْوَحِ
بَلَى إنَّ للعَيْنَـيْنِ في الصبـح راحـةً   بِطَـرحِهـا طَرْفَيْهـما كُلَّ مَطْرَحِ (٥)

والطرماح : الطويل . وكل شيء طولته فقد طرحته (٦)

وكـان الطـرمـاح من فحـول الشعراء الاسلاميين وفصحائهم (٧) وقد اختلف الـرواة في المكـان الـذى نشأ فيـه الطرماح ، فذهب بعضهم إلى أنه نشأ بالشام ثم انتقـل إلى الكـوفـة بعـد ذلـك مع من وردهـا من جيـوش أهل الشام (٨) وذهب آخرون إلى أنه نشأ بالسواد . (٩)

وكـما اختلفـوا من مكان نشأته اختلفوا في المذهب الخارجي الذى كان يعتقده ،

---

(١) الأغاني، ١٢ / ٣٥، وابن قتيبة ، الشعر والشعراء، ٢ / ٥٨٥، وابن دريد، الاشتقاق، ٣٩٢ .
(٢) الأغاني، ١٢ / ٣٥ ، وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٥٨٥، وشرح التبريزى على ديوان الحماسة، ١ / ٧٥ .
(٣) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٥٨٥ .
(٤) الأغاني، ١٢ / ٣٨ .
(٥) المصدر السابق، ١٢ / ٣٥ .
(٦) ابن دريد، الاشتقاق، ٣٩٢ .
(٧) الأغاني، ١٢ / ٣٥، والتبريزى، شرح ديوان الحماسة، ١ / ٧٥ .
(٨) الأغاني، ١٢ / ٣٥ .
(٩) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٥٨٦ .

فذهبت فئة منهم إلى أنه كان يرى رأى الخوارج (١) وذهبت فئة أخرى إلى أنه كان يعتقد مذهب الشراة الأزارقة (٢) وأنه كان خارجيا على مذهب الصفرية (٣) وفي ضوء هذا الاختلاف راح الدارسون يرجحون أحد الاعتقادين على الآخر وذهبت معظم الدراسات إلى أنه كان يعتقد مذهب الصفرية (٤) ولقد دفعنا هذا الأمر إلى محاولة في هذا المجال، ولم يكن بد من الاحتكام إلى شعره فوجدناه يقول في آخريات أيامه :

فيا رَبِّ لا تَجْعَلْ وفاتِيَ إنْ دَنَتْ ... على شَرْجَعٍ يُعْلَى بِدُكْنِ المَطَارِفِ
ولكنْ أحِنْ يومي شهيداً وعُصْبَةً ... يصابون في فَجٍّ من الأرْضِ خائِفِ
عصائِبُ من شَتَّى يُؤلِّفُ بَيْنَهُم ... هُدَى الله نزّالونَ عِنْدَ المواقِفِ
فوارسُ مِنْ شَيْبانَ ألَّفَ بَيْنَهُم ... تقى الله نَزالونَ عِنْدَ التَزاحُفِ
إذا فارَقوا دُنْياهُمُ فارقوا الأذى ... وصاروا إلى موعود ما في المصاحف
فاقتل قَعْصَاً ثم يَرْمي بأعْظُمي ... كضِغثِ الخلا بَيْنَ الرياحِ العواصِفِ
ويصبح لَحْمي بَيْنَ طيرٍ مقيلة ... دوَيْنَ السماءِ في نُسورٍ عواكِفِ (٥)

فهو يتمنى الخروج كما خرج رفاقه من فرسان بني شيبان ويبدى تخوفه من أن يموت على فراشه، وهذه الأمنية يعبر عنها مرة أخرى بقوله :

لَقَدْ شَقيتُ شَقَاءً لا انقطاع لَهُ ... إنْ لم أفُزْ فَوْزَةً تُنْجِي مِنَ النَّارِ
والنارُ لَمْ يَنْجُ من رَوْعاتِها أحَدُ ... إلا المُنيبُ بقَلْبِ المُخْلصِ « الشارى »
أو الذى سَبَقَتْ مِنْ قَبْلِ مَوْلِدِه ... له السعادةُ من خلاّقِها البارِي (٦)

---

(١) المصدر السابق، ٢ / ٥٨٩ .
(٢) الأغاني، ١٢ / ٣٥ .
(٣) المصدر السابق، ١٧ / ٢ وهي نفس العبارة التي وردت في الأغاني، ١٢ / ٣٦ ولكنه أشار في هذه المرة إلى الطرماح على أنه قحطاني شارى .
(٤) د . سهير القلماوى، أدب الخوارج، ٩٦، د . شوقي ضيف، العصر الاسلامي، ٣١١، د . النعمان القاضي، الفرق الاسلامية، ٦٥٥ فما بعدها .
(٥) ديوانه، ١٥٥، وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٥٨٩، وعيون الأخبار، ٢ / ٣٠٧
(٦) ديوانه، ١٤٩، وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٥٩٠ .

فهو يعرب عن حسرته وخيبته إن لم يكن مثل هؤلاء الشراة الذين باعوا أنفسهم لله فوهبوها للجهاد حتى أصبحت لحومهم طعاما لعقبان الجو على نحو ما رأينا في أبياته الفائية السابقة، وعلى نحو ما نرى من تحريضه على الخروج بقوله :ـ

فاقْـذِفْ بِنَفْسِـكَ في البِـلادِ فإنـما ... يقـضـي ويـقـصـر هَمَّه المُتَبَلِّدُ

تدفعنا أقوال الطرماح السابقة على الاعتقاد، بأنه كان على مذهب الصفرية في مستهل أيامه في الكوفة معقل العلويين ومحراب الشيعة وكعبة الثوار على السلطة الأمـوية وفي هذه المرحلة من حياته راح يكون علاقاته الانسانية بالكميت بن زيد ويـزج بنفسه في المنـازعات القبلية ويمارس سلوكا يتعارض مع روح الخارجي التي تعرف بالفناء في العقيدة وتزهد في الحياة وما يكتنفها من منازعات ومتع ومفاخرات عصبيـة، وفي هذه الأثنـاء راح يعجب للذى يكنـز المـال ولا ينفقه في الخير، ويلوم الباكين على الأموات على نحو ما نرى في قوله :

كُلُّ حَيٍّ مُسْـتَكْمِـلٌ عدَّةَ الـعُمْـ ... ـرِ ومـودٍ إذا انـقَـضَـى عَدَدُهْ
عَجَبـا ما عَجِبتُ للجـامـع المـا ... لَ يُبـاهِـي به ويَـرْتَـفِـدُه
ويـضـيـعُ الـذى يُصَـيِّرُه الـلّـ ... ـهُ إلـيـه فلَيْسَ يَعْـتَـقِـدُه
يوم لا ينـفـعُ المُـخَـوَّلَ ذا الـثَـرْو ... ةِ خِلاَّنُـه ولا وَلَـدُه
يوم يُؤْتـى به وخَـصْـماه وَسْـطَ الجِـ ... ـنِّ والانس رجـله ويـده
خاشـعَ الـصـوْتِ ليسَ يَنْـفَـعُـه ... ثَمَّ أمـانِـيُّـهُ ولا لَدَدُه
قُلْ لبـاكـي الأمـواتِ لا تَبْـكِ للـ ... ـنـاسِ ولا يَسْـتَـنـعْ به فَنَـدُه
إنَّـما الـنـاسُ مِثْـلُ نابِـتَـةِ الـزر ... عِ متـى يأنِ يأتِ مُحتَـصَـدُه (١)

---

(١) ديوانه، ١١٢ .

هكذا كان الطرماح في هذه المرحلة من حياته زاهدا في الحياة، ينظر إلى الموت كشيء عادي طبيعي، ويعتبر الباكين على الأموات حمقى، وهو في هذا كله يصدر عن عقيدة خارجية ترى أن الموت غاية مستحبة لأنه الطريق إلى الله .

وفي هذه الأثناء راح يشيد برفاقه في العقيدة الخارجية ويصفهم بالشجاعة والتقوى والخوف وينظر إلى الموت على أنه غاية الحياة على نحو ما نرى في قوله :

لله دَرُّ الشُّراةِ إنّهم	إذا الكَرَى مال بالطلَى أرِقُوا
يُرَجِعونَ الحنينَ آونَةً	وإنْ علا ساعةً بهم شهقوا
خوفاً تبيتُ القلوبُ واجفةً	تكاد عنها الصدورُ تنْفلِقُ
كيف أرَجِّي الحياةَ بَعْدَهُم	وقد مضى مُؤنِسيَّ فانطَلَقُوا
قومٌ شِحاحٌ على اعتقادِهُمُ	بالفَوْزِ مما يُخافُ قد وَثِقُوا (١)

ولكنه بعد فوات الأوان اعتقد مذهب الأزارقة وراح يتمنى الخروج، كما خرج رفاقه الشيبانيون ولكن المنية أدركته قبل أن يدرك ما تمناه، ومما يرجح هذا الاعتقاد عندنا ما رواه الأصفهاني عن إسماعيل بن يونس عن عمر بن شبة عن المدائني عن ابن دأب عن ابن شبرمة قال : « كان الطرماح لنا جليسا ففقدناه أياما كثيرة فقمنا بأجمعنا لننظر ما فعل وما دهاه، فلما كنا قريبا من منزله إذا نحن بنعش عليه مطرف أخضر، فقلنا : لمن هذا النعش ؟ فقيل : هذا نعش الطرماح . فقلنا : والله ما استجاب الله له حيث يقول :

وإنّي لَمُقْتادٌ جوادِي وقاذِفٌ	به وبِنَفْسي العامَ إحْدَى المَقاذِفِ
لأكْسَبَ مالا أو أؤولَ إلى غِنى	مِنَ الله يكفين عِداتَ الخلائِفِ

(١) المصدر السابق، ١٥٧، والأغاني، ١٢ / ٤٣ .

فيـــا ربِّ إن خانَتْ وفـــاتِيْ فلا تَكُنْ ... على شَرْجَـعٍ يُعْلَى بِخُضْـرِ المطارِف
ولـــكِـــن قَبْرِى بَطْـن نسْـــر مقيـله ... بجـــوِّ الســاءِ في نســورٍ عواكِفِ (١)

وربـما كان من المرجـح أن الصـداقـة التي جمعت بينـه وبـين الكميت بن زيـد الأسدى إنما نشأت في الحقبة الأولى من حياته في الكوفة عندما كان يعتنق مذهب الخـوارج الصفـريـة وقـد التفت الجـاحـظ والأصفهاني وغيرهما إلى هذه الصداقة الوطيدة بين الطرماح والكميت ولم يخفوا دهشتهم من ذلك فقال الجاحظ : « لم ير الناس أعجب حالا من الكميت والطرماح . كان الكميت عدنانيا وكان الطرماح خارجيـا من الصفـريـة ، وكـان الكميت يتعصب لأهـل الكـوفـة ، وكان الطرماح يتعصب لأهل الشام ، وبينهما مع ذلك من الخاصة والمخالطة ما لم يكن بين نفسين قط ، ثم لم يجر بينهـما صرم ولا جفـوة ولا اعـراض ولا شيء مما تدعـو هذه الخصـال إليـه » . (٢) وقـد روى الأصفهـاني شيئـا من هذا العجب الذى استشعره الناس بهذا الصـدد . (٣) وأكـبر الظن أن الـذى وثق هذه الصلة بينهـما، احترافهما مهنة واحـدة فكـلاهما معلم صبيـان ، فقـد كانا معلمين يعلمان أولاد العامة في الكوفة ، وكلاهما خطيب وشاعر وكلاهما شغوف باللغة والغريب . (٤)

(١) الأغـاني، ١٢ / ٤٤ وهي نفس الأبيـات التي رويت للطـرمـاح في ديـوانه، ١٥٥ مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ وفي ترتيب الأبيات كما رويت في عيون الأخبار، ٢ / ٣٠٧، وفي الشعر والشعراء، ٢ / ٥٨٩ .
(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ١ / ٤٦ .
(٣) الأغاني، ١٧ / ١٢ .
(٤) وهـذا هونفس الـرأى الـذى ذهب إليـه كل من د . سهـير القلماوي في أدب الخـوارج ، ١٢٩ ، ١٣٠ ود . شوقي ضيف في العصر الاسلامي، ٣١١، ود . النمعان القاضي في الفرق الاسلامية، ٦٥٨ فما بعدها .

الباب الثاني

في العصر العباسي

الفصل الأول :ـ

دراسة تاريخية :

ـ الدعوة العباسية وتتبع الأحداث حتى انتصار العباسيين .

ـ الموقف السياسي بعد قيام الدولة الجديدة :

أ ـ موقف السلطة من الأمويين

ب ـ موقف السلطة من العلويين

جـ ـ موقف السلطة من الفرس

د ـ موقف السلطة من الخوارج

الفصل الثاني :ـ

دور الشعر في الصراع بين العباسيين وخوصمهم :

أ) الشعر في خدمة الحزب العباسي

ب) الشعر في خدمة الأموية

جـ) الشعر في خدمة العلويين

د) الشعر في خدمة الموالي

هـ) الشعر في خدمة الخوارج

الفصـــل الثالـــث

دراسة لأهـم الشعــراء :

- شعر الشيعة
- شعراء الحزب الأموى
- شعراء الحزب العباسي
- شعراء حزب الموالي

الخاتمــة : بين الأموية والعباسية أو بين التقليد والتجديد

الفصـــــــــل الأول :ـ

دراســــة تاريخيــــة

الدعوة العباسية وتتبع الأحداث حتى انتصار العباسيين

الموقف السياسي بعد قيام الدولة الجديدة :

أ) موقف السلطة من الأمويين .
ب) موقف السلطة من العلويين
جـ) موقف السلطة من الفرس .
د) موقف السلطة من الخوارج .

منذ مقتل الحسين قالت « الكيسانية » أن الحسين نص على أمامة أخيه محمد بن الحنفية (١) واعتمدوا في ذلك على ما عرف به محمد بن الحنفية من كثرة العلم وغزارة المعرفة وتوقد الفكر، روى الشهرستاني أن محمد بن الحنفية هذا كان « كثير العلم، غزير المعرفة، وقاد الفكر، مصيب الخاطر في العواقب وقد قيل : أنه كان مستودع علم الامامة حتى سلم الأمانة إلى أهلها وما فارق الدنيا حتى أقرها في مستقرها » . (٢) كما روى : أن عليا خص ابنه محمدا بالعلم الالهي الذى أخذه عن رسول الله . (٣) وبهذا أحدثت الكيسانية تطورا مهما في نظرية الشيعة لأنها بهذه الآراء نقلت الامامة من العلويين أبناء فاطمة رضى الله عنها إلى محمد بن الحنفية من غير أبناء فاطمة، وقد رأينا في الفصل الأول من هذه الدراسة أن محمد بن الحنفية قد أفاد منه المختار من اقامة دعوته على أساس الأخذ بثارات الحسين والانتقام من قتلته أولا ثم التأييد الذى حظي به من محمد بن الحنفية بعد ذلك، وهكذا خالف الشيعة الكيسانيون ما رأته الشيعة عامة من أن الامامة تكون في أولاد علي من فاطمة وحسب، فرأت أن الامامة تقوم على (العلم الالهي) الذى أخذه محمد بن الحنفية عن أبيه ثم خص به ابنه (أبا هاشم)، فالامام عندهم هو كل من أخذ هذا العلم الالهي أو على حد تعبير الشهرستاني « وكل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الامام حقا » . (٤)

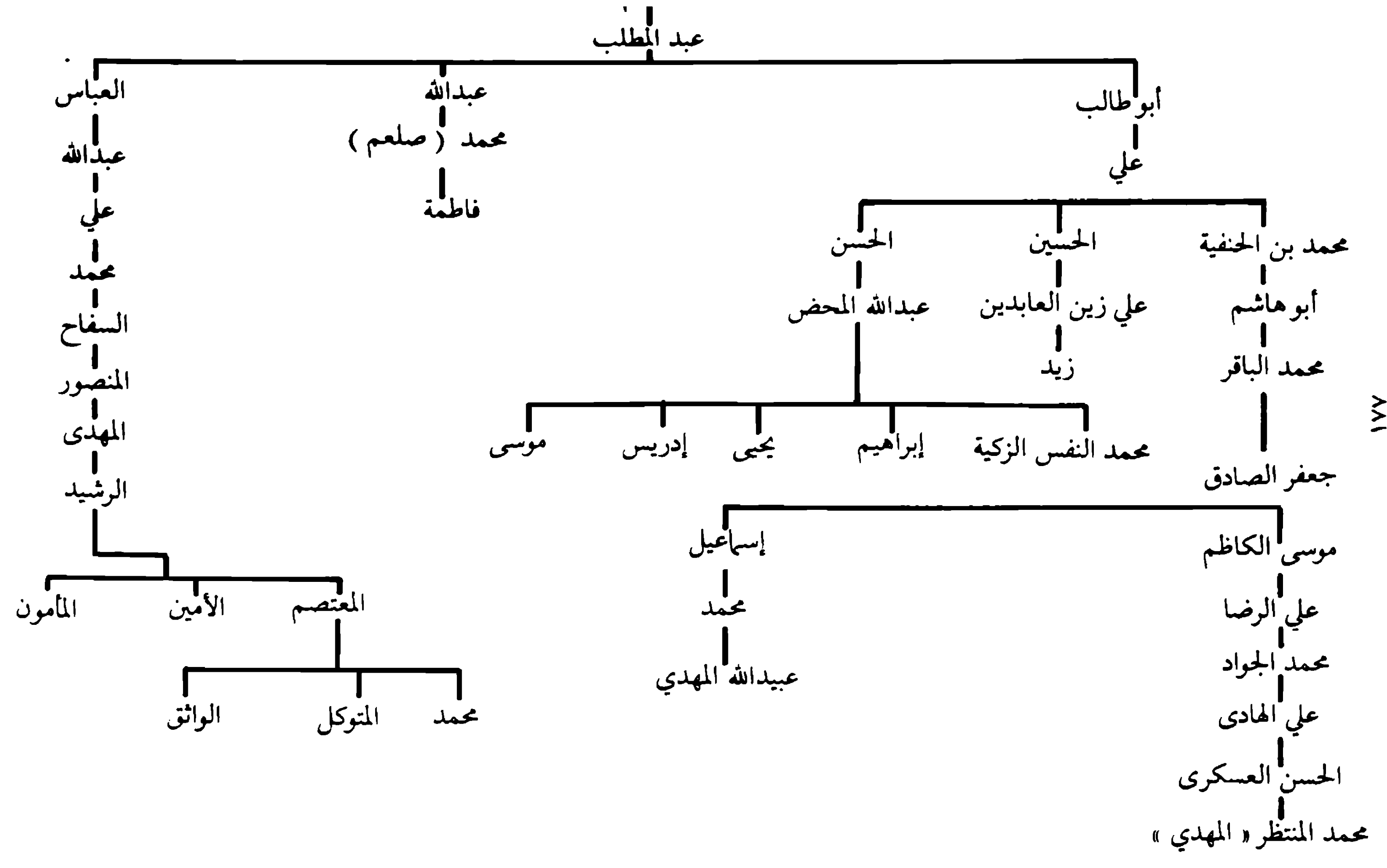
وأبو هاشم هذا كان فصيح اللسان حاضر الذهن، ولذلك فقد دبر له الخليفة الأموى (سليمان بن عبد الملك) حيلة فاستدعاه إلى حاضرته ودبر له مكيدة دس

---

(١) البغدادي، الفرق بين الفرق، ٢٧ .
(٢) الملل والنحل، ١ / ١٤٢ .
(٣) المرجع السابق، ٢ / ٢٠١ .
(٤) المرجع السابق، ٢ / ٢٠١ .

له السم خلالها خشية أن يدعو إلى نفسه، فلما أحس أبو هاشم السم واستشعر دنو أجله توجه إلى الحميمة حيث كان يقيم (علي بن عبدالله بن عباس) وابنه محمد، فأوصى إلى علي هذا وابنه محمد بالامامة وأمده باسم داعي الدعاة في الكوفة، ولما توفي علي بن عبدالله سنة ١١٨ هجرية انتقلت الامامة إلى محمد ابنه الذى اضطلع بأعباء الدعوة بعد موت أبي هاشم، وترى الكيسانية أن (محمد بن علي بن عبدالله ابن عباس) أوصى بالامامة إلى ولده (إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن عباس الذى أوصى بها بدوره إلى أخيه أبي العباس السفاح (١) وهكذا خرجت الامانة عند الكيسانية من العلويين إلى أبناء عمهم العباسيين وفيما يلي شجرة نسب بني هاشم بفرعيها العلوى والعباسي .

(١) المسعودي : مروج الذهب ٣ / ٢٥٤ .



عبد المطلب
أبو طالب
علي
محمد بن الحنفية
أبو هاشم
محمد الباقر
جعفر الصادق
موسى الكاظم
علي الرضا
محمد الجواد
علي الهادى
الحسن العسكرى
محمد المنتظر « المهدي »
إسماعيل
محمد
عبيدالله المهدي
الحسين
علي زين العابدين
زيد
الحسن
عبدالله المحض
محمد النفس الزكية
إبراهيم
يحيى
إدريس
موسى
عبدالله
محمد (صلعم)
فاطمة
العباس
عبدالله
علي
محمد
السفاح
المنصور
المهدى
الرشيد
المعتصم
الأمين
المأمون
محمد
المتوكل
الواثق

وتكاد الروايات التاريخية تجمع على أن سنة ١٠٠ هجرية هي السنة التي بدأت فيها الدعوة العباسية (١) وربما كان ذلك بسبب الفرصة الواسعة التى استغلها كثير من الثائرين على سلطان الأمويين حين وجدوا في خلافة عمر بن عبد العزيز فرصة مواتية للعمل السياسي ضد نظام الحكم الأموى . (٢) وكانت البداية الحقيقية لهذه الدعوة قد بدأت على يد (محمد بن علي بن عبدالله بن عباس) ، كان ذلك قبيل وفاة أبيه حين وجه الدعاة إلى العراق وخراسان، وجه ميسرة إلى الكوفة ووجه محمد بن خنيس وأبا عكرمة السراج وحيان العطار إلى خراسان وكان يليها يومئذ الجراح بن عبدالله الحكمي من قبل عمر بن عبد العزيز وأمرهم بالدعاء إليه وإلى أهل بيته . (٣) وروى الطبر ى أن دعاة خراسان قد قبض عليهم سنة ١٠٢ هجرية ثم أطلق سراحهم، ويروى أن بكير بن ماهان قد انضم إلى الدعوة سنة ١٠٣ هجرية ودفع ماله إلى محمد بن علي، وكان على الدعاة ألا يصرحوا في هذه الآونة بأنهم يريدون الخلافة للعباسيين، بل دعوا في بادىء الأمر إلى ((الرضا من آل محمد)) وبذلك كسبوا انصياع عناصر الشيعة إلى صفوفهم كما ضمنوا كتمان غرضهم الحقيقي .

ولم يكن اختيار كل من الكوفة وخراسان خبط عشواء، ولكنه كان أمرا مدروسا وخطة متفقا عليها، فقد كانتا من أصلح البيئات لنشر مثل هذه الدعوة، فالكوفة كانت وما تزال موطن الاشعاع للتشيع منذ وجد كحزب سياسي له مقوماته، ولذلك اتخذها (داعى الدعاة) مركزا له، أوعلى حد تعبير الأستاذ الدكتور يوسف خليف : « إن الكوفة كانت أصلح مكان يجد فيه الثائرون أبدا، التي ظلت تتزعم حركة المعارضة ضد الأمويين طوال أيام حكمهم، لا ترفض أن تفتح ذراعيها لكل ثائر على الحكم الأموى، وتلقي سترها على كل متربص بهذا

(١) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ٣ / ٢٩٣ .
(٢) رواية الطبر ى واليعقوبي والدينورى وابن عبد ربه وابن خلدون .
(٣) الطبر ى : ٧ / ١٣٥ ، وابن الأثير : ٥ / ٢٠ .

الحكم متآمر عليه . (١) ولذلك اتخذتها الثورة العباسية (هدفا مرحليا) وجعلتها مركزا لتدبير المؤامرة للانقلاب العباسي ، هذا عن الكوفة . وأما عن خراسان فقد أغنانا صاحب الدعوة العباسية نفسه ، الامام محمد ابن علي بن عبدالله بن عباس عناء البحث فيه فقد تضمنت خطبته في دعاته ما يوضح سبب اختيارها وفيها يقول : « أمـا الكـوفـة وسـوادهـا فشيعـة علي وولـده ، وأما البصرة وسوادها فعثمانية وأما الجـزيـرة فحـرويـة مارقة ، وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة مروان ، وعداوة راسخة وجهل متراكم ، وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر ، ولكن عليكم بأهل خراسان ، فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وهناك صدور سليمـة وقلوب فارغـة لم تتقسمهـا الأهـواء ، وهم جنـد لهم أبـدان وأجسام ومنـاكب وكـواهل ، ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة ، وبعد فإني أتفاؤ ل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق » . (٢)

لم يكن اختيار الكوفة ثم خراسان خبط عشواء كما ذكرنا فقد قرر الامام العباسي نفسـه أن الكـوفـة لا تصلح مركزا نهائيا للانقلاب طالما أنها علوية وهو أول العالمين بأن الثورة العباسية تخطط لنقل الخلافة إلى الفرع الهاشمي من بني العباس ولكنه مع ذلـك رأى أن يوجـه داعي دعـاتـه إلى الكـوفة ضمانا لتوحيد جهوده مع الشيعة كخطـوة أولى ، أو كهـدف مرحـلي ، وبـذلـك تنجح الثورة العباسية في تحقيق أول مكـاسبهـا العمليـة حتى لتبـدو الـدعوتان العباسية والشيعية وكأنهما دعوة واحدة ، وبذلك تستقطب الدعوة العباسية أعدادا هائلة من الشيعة فتكتسب مسحة من الشرعية .

---

(١) د . يوسف خليف ، حياة الشعر في الكوفة ، ٩٧ فما بعدها .

(٢) الطبرى ٧ / ١٣٥ وكذلك

Wellhausen, The Arab Kingdom and It's Fall. 518

وعندما نتذكر أن الامام العباسي قد اتخذ من الحميمة قاعدة لعملياته السياسية والعسكرية فإن المسافة تصبح بعيدة جدا بينه وبين دعاته في خراسان ولا مناص في مثل هذه الحالة من البحث عن مكان وسط يكون مناسبا لتأمين اتصاله بهم وليس أفضل في هذه المرحلة من الكوفة، وبذلك أصبحت كتب هؤلاء الدعاة في خراسان تأتي إلى ميسرة في الكوفة ثم يقوم ميسرة بدوره بارسالها إلى الامام حيث يوجد (١) وأما عن توجيهه الدعاة إلى خراسان لنشر دعوته فلعلمه بما تنطوى عليه صدور أهل تلك البلاد من السخط والحقد على بني أمية، الذين ساموهم أسوأ ألوان الاستبداد، ولكي يضمن النجاح لهؤلاء الدعاة أمرهم بالتنقل متسترين وراء التجارة أو الحج، وكان عليهم خلال هذه المرحلة ـ التي أطلق عليها الدكتور يوسف خليف « مرحلة الدعوة السرية » أو « عصر الانقلاب » (٢) ـ أن يصوروا الاستبداد الأموى بأبشع الصور، وقد نجحوا في ذلك نجاحا عظيما ساعدهم عليه تلك الأحوال المتردية التي كانت تجتازها السلطة الأموية في هذا الوقت ، وبذلك حققوا مكسبا آخر هو، وقوف « الرأى العام » إلى جانبهم، وهكذا تسترت الدعوة العباسية وراء عدة شعارات، منها ما هو ديني، ومنها ما هو سياسي، مستهدفة من وراء ذلك استقطاب كل العناصر المستاءة من السلطة الأموية، رفعت الدعوة العباسية شعار وجوب اتباع كتاب الله وسنة بنيه » ونددت « بأهل الجور » الذين فشلوا في تطبيق مبادىء العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حاولت أن تصهر المسلمين في بوتقة واحدة، وتقربت من رجال الدين والفقه، ونادت بحق بني هاشم في الخلافة دون أن تحدد أي فرع من فروع بني هاشم فطرحت « شعار الخلافة » للرضا من أهل بيت رسول الله .

وقد أثبتت الأحداث أن هذه الشعارات المعلنة لم تكن أكثر من شعارات وقتية، وسرعان ما بدأت الدعوة في طرح تلك الشعارات المعلنة جانبا بعد أن أدت هدفها

---

(١) نص الخطبتين موجود في الطبرى ٩ / ١٣٦ فما بعدها وفي المسعودى : مروج الذهب، ٢ / ١٦٧ وسأورد بعض نصوصهما في الصفحات التالية .

(٢) د . يوسف خليف : حياة الشعر في الكوفة، ٤٢٨ فما بعدها .

المرحلي كاملا وبدأت تخلع ثوب الأفعى وترتدى حللها الحقيقية وذلك عندما أعلنوا شعار الخلافة الجديد فدعوا إلى جعل الخلافة في أحفاد العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن العباس هو الأحق بميراث النبي يوم وفاته ولذلك وجب أن تكون الامامة في ولده ، وهذا هو الشعار السياسي الواضح ومن أجله تخلوا عن الأساس القديم الذى اعتمدوا عليه في مرحلة الدعوة السرية والذى استمدوه من وصية أبي هاشم .

ولا شك أن الغرض من هذا الشعار الجديد يتمثل في تثبيت الخلافة كحق من حقوقهم بعيدا عن أبناء علي بن أبي طالب فكأنهم أرادوا أن يزيلوا من الأذهان أن هذا الحق إنما جاءهم عن طريق « إرث الكيسانية » . ومما يلفت النظر أن هذا الشعار الجديد أطلقته ألسنة المسئولين العباسيين الحقيقيين على نحو ما كان من أبي العباس السفاح الذى ردد هذا الشعار في خطبته وعلى نحو ما كان من داود ابن علي عم الخليفة في خطبته أيضا .

وهكذا انشق بنو هاشم إلى حزبين ، حزب عباسي حاكم ، وحزب علوى معارض لهذا الحكم وبذلك بدأت سلسلة جديدة من الصراع بين العباسيين والعلويين وقد اتخذ هذا الصراع ألوانا شتى لا مجال لذكرها هنا ، على أن الصراع السياسي قد اشتد أواره بين العباسيين رجال الثورة وبين الأمويين الذين يحالون الحفاظ على الخلافة باعتبارها حقا مكتسبا من حقوقهم ـ وإن وصلوا إليه بالقوة ليس إلا ـ ولكن الأمويين في هذه الأثناء كانوا يعانون من التمزق والضعف حيث انقسم البيت الأموى على نفسه ، ووقعت الحروب بين الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك وبين عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، أما الخليفة فكانت تقف إلى جانبه العصبية المضرية وأما يزيد بن الوليد فكانت تدعمه العصبية اليمنية ولم تنته الحروب بينهما إلا بمقتل الخليفة الوليد بن يزيد في جمادى الآخرة سنة ١٢٦ هجرية والتقى هذا الانقسام الخطير في البيت الأموى الحاكم بشرخ في بنية المجتمع نفسه

فقد انقسم العرب أنفسهم وعادت بينهم العصبية القبلية سيرتها الأولى وبذلك فقد الأمويون أهم الأسس التي قام عليها حكمهم ولم يعد لهم سند قوى يثبت سلطانهم أمام سخط الموالي على السلطة الأموية .

وهكذا فسدت الأحوال في الدولة الأموية ، وفي هذه الأثناء كان العلويون قد أنهكوا أنفسهم بالثورات المتعددة وانقسموا إلى عدة فرق على نحو ما رأينا في الفصول السابقة وكان طبيعيا أن يفت هذا التفرق في عضدهم ويذهب ريحهم وبذلك كان لابد من انقلاب كبير يضع حدا لكل الأحوال السيئة ، ومن هنا كان تطلع العباسيين إلى الخلافة وسدة الحكم مع أنه ليس لهم حق شرعي كحق العلويين وليست لهم قوة كقوة الأمويين ، لذلك كله كان اعتمادهم الأساسي على الذكاء في استغلال الظروف كما كان اعتمادهم على الدقة في التنظيم فكان أن وجهوا دعاتهم إلى العراق ثم خراسان في سرية تامة ، وهناك بدأ الدعاة عملهم ونظموا خلاياهم السرية ، ونادوا بتولية أحد أفراد البيت النبوى وهي فكرة تلتقي مع ما كان مستقرا في أذهان أهل خراسان من الملكية الفارسية القديمة في وقت كان الخراسانيون فيه يتميزون سخطا على السلطة الأموية المستبدة وبذلك كسبوا إلى جانبهم الكثيرين من أهل العراق وخراسان ، وكان من بينهم كثيرون من أهل الرأى ، على نحو ما كان من سليمان بن كثير الخزاعي .

وطبيعي أن الدعاة العباسيين لم يكونوا بمنأى عن بطش السلطة الأموية ، روى الطبرى أنه وشي ببعض هؤلاء الدعاة إلى أسد بن عبدالله القسرى أمير خراسان فنكل بهم أعظم تنكيل وكان بعض هؤلاء الدعاة من الذكاء بحيث استطاع أن يستعين بالعصبية القبلية للخلاص من أذى أمير خراسان ، كما روى الطبرى أن أسد بن عبدالله القسرى أمير خراسان قبض على سليمان بن كثير الخزاعي وهو أحد دعاة العباسيين فقال سليمان للأمير : « إنا أناس من قومك ، وإن هذه المضرية إنما رفعوا إليك هذا لأنا كنا أشد الناس على قتيبة بن مسلم . . . . (١)

(١) الطبرى ، ٨ / ١٨٨ .

فأطلق الأمير سراحه وسراح من كان منهم من خزاعة وبكر وعاقب الآخرين .

وفي خراسان انضم إلى « محمد بن علي » إمام الدعوة العباسية تلميذ من تلاميذ بكير بن ماهان داعي العباسيين في الكوفة ، وكان فتى من فتيان خراسان هو أبو مسلم الخراساني ، الذى لمع نجمه بعد وفاة الامام العباسي محمد بن علي وانتقال الدعوة ورئاستها إلى ابنه إبراهيم بن محمد بن علي سنة ١٢٥ هـ ، حيث عهد إبراهيم الامام إلى أبي مسلم بقيادة الحركة في خراسان وزوده ، بنصيحة قال فيها : « يا أبا عبد الرحمن إنك رجل منا أهل البيت فاحفظ وصيتي وانظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم ، وانظر هذا الحي من ربيعة فاتهمهم في أمرهم ، وانظر هذا الحي من مضر فإنهم العدو القريب الدار ، فاقتل من شككت في أمره . . . وان استطعت ألا تدع بخراسان أرضا فيها عربي فافعل . (١) ولعل مناهضة اليمنية للأمويين هي التي أوحت إلى إبراهيم الامام بتوصية أبي مسلم بهم خيرا وينجح أبو مسلم في استمالة اليمنية ويضمهم إلى صفوفه ، ويرسل قواده إلى أنحاء خراسان فينتزعونها من عمال « نصر بن سيار » دون مقاومة تذكر .

وهكذا نستطيع القول بأن إبراهيم الامام هو العقل المفكر للثورة العباسية على حين كان الامام محمد بن علي أباها الروحي في مرحلة الدعوة السرية . وتظل الدعوة العباسية بعيدة المنال من الأمويين إلى أن يقع كتاب إبراهيم الامام الموجه إلى ابي مسلم في يد مروان بن محمد فيرسل إلى عامله على البلقاء يأمره بالقاء القبض على إبراهيم الامام في الحميمة ، ويدرك الامام إبراهيم خطورة الموقف فيوصي بالامامة إلى أخيه أبي العباس السفاح ثم يأمر أهله بالرحيل عن الحميمة إلى الكوفة وبأن يكونوا في طاعة أبي العباس (٢) ويسدل الستار على حياة

---

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، ٢ / ٢١٨ ورواها كذلك الطبرى ٧ / ٣٤٤ مع بعض الاختلاف والزيادة في بعض عباراتها وهي على أي حال مما شك فيه الدارسون ورأى بعضهم أن القسم الأمير منها مدسوس بعد أن تم الظفر لأبي مسلم .

(٢) الطبرى : ٩ / ١٨٢

إبـراهيم الامـام حين يودع السجن بحـران، ويصـدع أهله بالأمـر فييممون شطر الكـوفـة وهناك يكون اتصالهم بأحد دعاتهم وهو أبو سلمة الخلال الذى كان يحمل لقب « وزير آل محمد » فينزلهم دارا في الكوفة ويكتم أمر مجيئهم، كما يهمل شأنهم لأنـه كان يعمـل ـ سرا في هذه الأثنـاء على نحـو ما روى ابن قتيبـة والمسعـودى والجهشيارى ـ على نقل الخلافة مرة أخرى إلى العلويين (١) روى الجهشيارى أن أبا سلمة أنكر قدوم عائلة إبراهيم الامام عليه، وقال : خاطروا بأنفسهم وعجلوا (٢) وعلى الـرغم من كتـمان أبي سلمـة أمـر وفود أبي العباس وأهل بيته عليه فقد استطـاع أبـو العبـاس الاتصـال بقـادة التنظيم في خراسان فأرسل إلى أبي مسلم الخـراسـاني يخبره بما يخطـط له أبو سلمة فبادر أبو مسلم بإرسال بعض قادة التنظيم العبـاسي في خراسـان إلى الكـوفـة وأمـرهـم بمبـايعة أبي العباس السفاح وبذلك احبطت محاولـة أبي سلمـة الخلال في مهدها مما اضطره إلى التسليم بالخلافة على أبي العباس . (٣)

وهكذا بدأت الثورة تتبلور وتتجاوز دور السر لتخرج إلى النور وتجني الثمار التي زرعهـا الامـام محمـد بن علي ورعـاهـا الامـام إبراهيم من بعده ليجنيها اخوته من بعـده، وذلـك عنـدمـا يقف أبـو العباس السفاح في مسجد الكوفة خطيبا في الثاني عشر من ربيـع الأول سنـة ١٣٢ هجـريـة فيحتج بآى القرآن الكريم ليدلل على حقهم الشرعي في الخلافة وبأنهم أحق بها من العلويين على نحو ما جاء في قوله : « الحمـد لله الـذى اصطفى الاسـلام لنفسـه تكـرمة، وشرفه وعظمه، واختاره لنا وأيـده بنـا . . . . وجعلنا أحق بها وأهلها وخصنا برحم رسول الله (ص) وقرابته، ووضعنا من الاسلام وأهله بالموضع الرفيع، وأنزل بذلك على أهل الاسلام كتابا يتلى عليهم، فقال عز من قائل من محكم القرآن » . « انما يريد الله ليذهب عنكم

---

(١) ابن قتيبة : الامامة والسياسة، ٢ / ٢٢٦ ، والمسعودى : مروج الذهب، ٣ / ١٨٣ ، الجهشيارى في الوزراء والكتاب، ٨٦ .

(٢) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ٨٥ .

(٣) الطبرى، ٩ / ١٢٣، والمسعودى في مروج الذهب ، ٣٠ / ١٨٣ وتاريخ اليعقوبي، ٣ / ٨٦ .

الـرجس أهـل البيت ويطهـركم تطهيرا » . وقال : « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المـودة في القـربى » . وقـال : « وأنذر عشيرتك الأقربين » . وقال : « ما أفاء الله على رسـولـه من أهـل القـرى فلله وللرسـول ولـذى القربى واليتامى ة . وقال : « واعلمـوا أنـما غنمتم من شيء فإن لله خمسـة وللرسول ولذى القربى واليتامى »، فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا، وأوجب عليهم حقنا ومودتنا . . . » وختم خطبته بقوله : يأهل الكوفة : أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا، أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك، ولم يثنكم عن ذلك تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركتم زماننا وأتاكم الله بدولتنا فأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا وقد زدتكم في أعطياتكم مائة درهم فاستعدوا فأنـا السفـاح المبيـح والثائر المبير » . (١) وكان السفاح متوعكا فقطع الخطبة فتابع عمه داود بن علي وتحدث باسمه وبين فضل أهل خراسان على الدعوة ودورهم في تقـويض السلطـة الأمـويـة وتخليص النـاس من عسفهـا وجورها وما أن ينتهي أبو العباس من مراسيم الخلافة واستقطاب الناس حولها حتى يبدأ خطته في التخلص من خطر مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ويسند هذه المهمة إلى والي بلاد الشام عمـه عبـدالله بن علي، ويسـير عمـه إلى حيث مروان بن محمـد ويلحق به هزيمة نكراء عند نهر الزاب فيهرب مروان إلى بلاد الشام فيتعقبه عبدالله بن علي في كل مكان إلى أن يهرب مروان بن محمد إلى مصر ويدخل الفسطاط ويتوجه إلى بوصير وهناك يجد مصيره المحتوم على يد صالح ابن علي العباسي سنة **١٣٢** هجرية (٢) وبهذا يسدل الستار من جديد على آخر خلفاء بني أمية ولكن الصخب يظل عاليا وراء الكواليس حيث تدور المهاترات بين الخليفة وبين عمه عبدالله بن علي ويشتد أوار الفتنـة بينهـما لأن الخليفـة العبـاسي كان قد وعـد بجعـل الخلافة من بعده لمن انتـدب لقتـل مروان بن محمد ولكنه نكث بوعده وجعل ولاية العهد إلى أخيه أبي جعفر ثم لابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي العباسي على الترتيب .

---

(١) الطبرى، ٩ / ١٣٦ .
(٢) اليعقوبي : ٣ / ٨٣ .

وعنـدمـا ولى المنصـور الخـلافة بعث أبا مسلم الخراساني لاستئصال شأفة عمه عبدالله بن علي ودارت بينهما عدة معارك تمخضت عن هزيمة عبدالله بن علي سنة ١٣٧ هجرية (١) وفراره إلى البصرة حيث أخوه سليمان بن علي فيؤ ى سليمان أخاه (٢) ولكن الخليفـة يبعث إلى واليـه على البصـرة في طلب أخيه عبدالله، ويقطع على نفسه عهدا بألا يمسه بسوء، ولكن المنصور يحنث بوعده فيأمر بحبس عمه عبدالله بن علي (٣) ولا يلبث أن يأمر بقتله سنة ١٤٧ هجرية . (٤)

---

(١) ابن الاثير، ٥ / ١٧٣

(٢) المسعودي، مروج الذهب ٣ / ٢١٦

(٣) المصدر السابق ، ٣ / ٢٣١.

(٤) الطبري ٩ / ٢٦٦

الموقف السياسي بعد قيام الدولة الجديدة :

أ) موقف السلطة من الأمويين :

ثم تمضي السلطة العباسية في بذل أقصى الجهود لاستئصال شأفة من بقي من الأمويين حيا ، مما يضطر الأمويين إلى التستر والاختفاء في الجبال وبين الأعراب في البوادى ، وعبثا يحاول الأمويون النجاة من قبضة السلطان العباسي ، فها هو الخليفة العباسي نفسه يستدعى عددا من أعيان بني أمية ويكرمهم ثم يعمد إلى الغدر بهم بتحريض من سديف الشاعر ، (١) وها هو عبدالله بن على واليه على بلاد الشام يلاحق من كان بها من أبناء الخلفاء وينكل بهم ، (٢) وها هو عم الخليفة وواليه على الحجاز داود بن علي يقتل عددا كبيرا منهم في مكة والمدينة ، وكذلك عمه سليمان بن علي واليه على البصرة الذى قتل من كان بها من بني أمية حتى أنه لم ينج منهم إلا عبد الرحمن ابن معاوية الذى فر إلى بلاد المغرب ومن هناك ركب البحر إلى أسبانيا وأسس فيها دولة أموية .

ولقد بلغ من قسوة العباسيين مع بني أمية أنهم لم يكتفوا بالاقتصاص من الأحياء وملاحقتهم ولكنهم نبشوا قبور موتاهم ومحو آثارها (٣) لهذا قال نيكلسون « إن خلفاء العصر العباسي رجعوا إلى النمط القديم من الاستبداد الشرقي ، الذى كان مألوفا منذ أيام داريوس وكسرى ، وبأنهم حكموا رعاياهم حكما مطلقا على نحو ما حكم الملوك الساسانيون من قبلهم . (٤) ومن أجل ذلك نقم من بقي حيا من الأمويين على السلطة العباسية التي لم تأخذها بهم رحمة ولا شفقة ولم يكف من بقي من الأمويين عن الاتصال بالعناصر العربية في الشام والجزيرة

---

(١) الأغاني : ١٤ / ١٥٦ .
(٢) اليعقوبي : ٢ / ٩٢ وما بعدها .
(٣) ابن الأثير : ٥ / ١٦١ .
(٤) NICHOLSON, LITERARY HISTORY OF THE ATABS,P.256

والحجاز والعراق وتكوين جبهة ثائرة على السلطة الجديدة، والعمل على استرداد السلطة بالقوة وما أن يعلم هؤلاء الثائرون بوجود رجل من السلالة الأموية حتى يلتفوا من حوله ويلقبوه بالسفياني ويحرضوه على الثأر لبني مروان ويزينوا له أمر الثورة ويتكاثروا فيقودهم ويخرج بهم لقتال عبدالله بن علي، ويتقابل الجيشان العباسي والأموى في عدة معارك تنتهي بهزيمة الأمويين وفرار السفياني إلى تدمر، وهنا « ينكمش الحزب الأموى ويتضاءل ولا تصدر عنه غير صيحات خافتة تشبه أنين النزع » . (١) وينتهي الحزب الأموى بهذا الشكل طالما أنه لم يقم على أى أساس ديني أو مذهبي .

ب) موقف السلطة العباسية من العلويين :

رأينا في الصفحات السابقة كيف وصل العباسيون إلى سدة الحكم وخلافة الأمة الاسلامية، وتبينا كيف اغتصبوا الخلافة من أبناء عمومتهم العلويين تماما كما اغتصب الأمويون الخلافة من العلويين وكان لابد للعلويين من تجميع أشلائهم من جديد ورص صفوفهم لتكوين « جهة رفض » في وجه السلطة العباسية المغتصبة ويظهر على حلبة الصراع سيدان من سادة العلويين . أما الأول فهو : محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الملقب « بالنفس الزكية » وأما الثاني فهو أخوه إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كان ذلك في أرض الحجاز في أواخر أيام بني أمية حيث التف العلويون من حول محمد بن عبدالله بن الحسن وحببوا إليه أمر الثورة لأنه كان يرى أنه الأحق بالخلافة، وفي اجتماع ضم أعيان العباسيين وأعيان العلويين أخذت له البيعة، وحضر هذا الاجتماع من العلويين عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وإبراهيم بن عبدالله، وجعفر الصادق . ومن العباسيين أبو العباس وأخو المنصور وغيرهما وانتهى الاجتماع بعقد البيعة لمحمد بن عبدالله، ولكن العباسيين

(١) د . محمد مصطفى هدارة : اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجرى ، ٤٧

ما لبثوا أن نكثوا العهد ونقضوا الاتفاق وعملوا على نقل السلطة إليهم . (١) ولذلك امتنع محمد بن عبدالله بن الحسن عن مبايعة أبي العباس وتخلف هو وأخوه إبراهيم بن عبدالله بن الحسن عن مقابلة أبي جعفر المنصور عندما جاء الحجاز لأخذ البيعة لأخيه (٢) اعتقادا منهما بأحقيتهما بالخلافة من السفاح وتأكيدا على أن العباسيين مغتصبون للخلافة وظل صوت الصراع بين العلويين والعباسيين خافتا إذ لم يلجأ الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح إلى أساليب القوة والعنف مع محمد بن عبدالله مع علمه بما يبذله من جهد لتحقيق مآربه ، ولم يزد على أن صانع بعض سادات العلويين حتى هدأت نفوسهم ثم استعان بهم على محمد بن عبدالله بن الحسن الذى كان قد لجأ إلى الاختفاء عن الأعين ولم يعد يعرف مكانه غير أخصائه .

وعندما يتولى المنصور الخلافة يبذل قصارى جهوده ليتعرف على مكان محمد ابن عبدالله ، ومن أجل هذا الغرض قبض المنصور على والده عبدالله بن الحسن كما قبض على أهله بني علي وأودعهم السجن (٣) كما لجأ إلى عزل والي المدينة وتولية محمد بن خالد بن عبدالله مكانه ، فبذل الوالي الجديد الكثير من المال ولم يدخر جهدا في البحث عن محمد بن عبدالله ولما لم يهتد عليه عزله الخليفة وجعل مكانه رباح بن عثمان بن حيان المرى سنة ١٤٤ هجرية فبادر الوالي الجديد بمواصلة البحث عن محمد بن عبدالله ولجأ إلى الغلظة وإلحاق الأذى بالأعراب الذين كانوا يتسترون عليه (٤) مما يضطره إلى الظهور في المدينة سنة ١٤٥ هجرية فيدعو الناس إلى البيعة فيتم له ما يريد ثم يعزل والي المدينة ويعين واليا جديدا كما يحطم أبواب السجون ويطلق من بها من المسجونين (٥) ويخطب الناس بقوله : أما

---

(١) ابن طباطبا، الفخرى في الآداب السلطانية، ١٤١ فما بعدها .
(٢) د . حسن إبراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، ٢ / ١١٥ .
(٣) اليعقوبي : ٣ / ١٠٥ .
(٤) اليعقوبي : ٣ / ١١٠ .
(٥) ابن طباطبا : الفخري في الآداب السلطانية ، ١٣٤ .

بعـد : أيهـا النـاس ، فإنـه كان من أمر هذا الطاغية ، عدو الله أبي جعفر ما لم يخف عليكم من بنـائـه القبـة الخضـراء التي بناها معاندا الله في ملكه ، وتصغيرا للكعبة الحرام ، وإنما أخذ الله فرعون حين قال : (أنا ربكم الأعلى) ، وإن أحق الناس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين الأولين والأنصار المواسين ، اللهم إنهم قد أحلوا حرامك ، وحرموا حلالك ، وأمنوا من أخفت ، وأخافوا من أمنت ، اللهم فأحصهم عددا ، واقتلهم بددا ولا تغـادر منهم أحـدا ، أيهـا الناس : أني والله ما خرجت من بين أظهركم وأنتم عندى أهل قوة وشدة ، ولكني اخترتكم لنفسي ، والله ما جئت هذه الأرض مصر يعبد الله فيه إلا وقد أخذ لي فيه البيعة . » (١)

ومـا أن يعلم المنصـور بنبأ ظهـور محمـد بن عبدالله في الحجاز حتى يبادر بالمسير إلى الكـوفـة ويأمـر بإغـلاق أبـوابها لكي لا يخرج منها أو يفد عليها أحد ، لأنه كان يخشى خروج أهلها ـ المعروفين بتشيعهم لآل علي ـ لمساعدة محمد بن عبدالله ، وفي غضون هذا كله يدور جدل سياسي عنيف بين العباسيين والعلويين ويتجلى هذا الجـدل في تلك الـرسـائل المتبادلة بين الخليفة المنصور ومحمد بن عبدالله (٢) ولما لم تجد هذه « الحرب الباردة » نفعا تطور الصراع السياسي بينهما إلى اشتباك عسكرى عنـدمـا قرر المنصـور إخضاع محمد بن عبدالله العلوى بحد السيف وجعل الجيش تحت أمرة بن أخيه عيسى بن موسى ، (٣) وعندما زحف عيسى بن موسى بالجيش العبـاسي بغيـة وضـع حد لنشـاط محمـد بن عبـدالله وجد أنه قد حفر خندقا حول المدينة وبعد حرب سجال بينهما سقطت المدينة في قبضة جيوش عيسى بن موسى ، وقبض على أتباع محمد بن عبدالله وصلبوا في المدينة . (٤) .

---

(١) الطبرى، ٩ / ١٦٧
(٢) انظر الكتب المتبادلة بينهما في الطبرى، ٩ / ١٩٢ .
(٣) اليعقوبي ، ٣ / ١١١ .
(٤) ابن الأثير : ٥ / ٢٠٢ وما بعدها .

وهكـذا يسـدل الستـار من جديـد على هذا الفصـل من فصـول الصـراع بين العبـاسيـين والعلويـين يلعب فيـه محمـد بن عبـدالله الملقب بالنفس الـزكيـة دور البطولة، وترتفع الستارة مجددا عن فصل آخر من هذا الصراع يؤديه بطل جديد هو إبراهيم بن عبدالله ويمضي هذا الفصل في مشهدين، الأول عندما تتوافد جماهير من الزيدية والمعتزلة (١) على إبراهيم بن محمد فيمضي بهم ويستولي على البصرة ومـا حولهـا والثاني عندما يزحف بهم شمالاً في اتجاه الكوفة ليلتقي بالخليفة العباسي المنصور وجيشه عند باخمرى على مشارف الكوفة حيث تدور الدائرة على العلويين ويقتل إبراهيم بن محمد سنة ١٤٥ هجرية (٢) كما يقتل معه عدد كبير من العلويين ويزج بعدد كبير آخر منهم في السجون . (٣)

ويستمر الصراع بين العباسيين والعلويين بحيث لا تخلو فترة حاكم عباسي من خروج علوى يطـالب بالخـلافـة ويـدعـو لها وعلى الـرغم من التشـديـد عليهم ومحاصرتهم رأيناهم يمضون في مطالبتهم بهذا الحق على نحو ما كان من الحسن بن إبـراهيم بن عبـدالله الذى تمكن من الهرب إلى أرض الحجاز رغم تشديد الحراسة عليـه في عهـد المهدى، وفي خلافة موسى الهادى أعلن الحسين بن علي بن الحسن ابن الحسن (المثلث) ثورته فدخل هو وأنصاره الحرم النبوى في المدينة حيث تمت له البيعـة والسيطـرة على المـدينة كما سيطر رجاله على ما في بيت المال(٤) وبعد أيام يتـوجـه بجيـوشـه إلى مكة ويلتقي بجيوش بني العباس سنة ١٦٦ هجرية عند فخ فيلقى مصرعه كما يقتل جمع غفير من أتباعه وأنصاره . (٥)

---

(١) المسعودى : مروج الذهب، ٣ / ٢٢٣ .
(٢) ابن الأثير : ٥ / ٢١٠ وما بعدها ومن يومها يعرف إبراهيم بن محمد بقتيل باخمرى .
(٣) المسعودى : مروج الذهب، ٣ / ٢٢٥ .
(٤) ابن الأثير، ٧ / ٣٠
(٥) ابن طباطبا، الفخرى في الآداب السلطانية، ١٣٥ ، وهو موضع على مسافة ستة أميال من مكة .

وفي عهد الرشيد يثور علوى آخر هو يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن سنة ١٧٦ هجرية مما يضطر الرشيد إلى تكليف الفضل بن يحيى البرمكي القيام بهذه المهمة ويمضي الفضل بن يحيى إلى حيث أمره الرشيد، فيكاتب يحيى بن عبدالله محذرا من بغية التمرد والعصيان، فيميل يحيى إلى الصلح مشترطا أن يكتب له الخليفة نفسه الأمان وأن يشهد عليه رجال الدين وأعيان بني هاشم فيستجيب الرشيد إلى طلبه (١) ولكنه يحنث بوعده ولا يلبث أن يفتك به في سجنه . (٢)

وفي خلافة الرشيد أيضا يثور علوى آخر في المغرب الأقصى سنة ١٧٢ هجرية وهو ادريس بن عبدالله الذى يفر إليها من مصر (٣) فيلتف البر بر من حوله ويقيم هناك خلافة علوية ولكن الرشيد يرسل له من يتظاهر بالتشيع لآل البيت وبالسخط على العباسيين ولا يلبث هذا الرجل أن يدس له السم ثم يولي هاربا فيخلفه ابنه وتتكون دولة الأدارسة .

وفي عهد الرشيد يتعرض البيت العلوى لمحنة أخرى عندما يشي بعض الكاشحين بموسى الكاظم بن جعفر الصادق (٤) إلى الرشيد ويهمس في أذنه بأن الناس تحمل له خمس أموالهم اعترافا بامامته ولن يلبث طويلا حتى يخرج عليك ثائرا، وابن الأثير يروى قصة تشير إلى حقد الرشيد على موسى الكاظم منذ ذهب الرشيد إلى المدينة سنة ١٧٩ هجرية . ودخل على قبر النبي صلى الله عليه وسلم قال : « السلام عليك يا رسول الله يا بن عم . » افتخارا على من حوله، فدنا موسى الكاظم بن جعفر من القبر وقال : « السلام عليك يا أبت » . فتغير وجه الرشيد (٥) وبعد ذلك قبض على موسى الكاظم بن جعفر الصادق وحمل

(١) الطبرى : ٩ / ١٦٨ .
(٢) ابن طباطبا، الفخرى في الآداب السلطانية، ١٧٠ وما بعدها .
(٣) المرجع السابق: ١٧٢ وما بعدها .
(٤) كان موسى بن جعفر زاهدا ورعا ويلقب بالكاظم لأنه كان يحسن إلى من يسيء إليه، انظر ابن الأثير ٦ / ٥٤ .
(٥) ابن الأثير، ٦ / ٤٤ .

إلى بغداد وأودع السجن (١) ولم يلبث أن دس إليه من قتله سنة ١٨٣ هجرية ثم أتى بمن يشهد أنه مات حتف أنفه (٢) وسواء كانت الأولى أم الثانية فإن الذى يهمنا أن الصراع السياسي بين البيتين العباسي والعلوى ظل على أشده في عهد الرشيد ولولا ذلك ما عمل الرشيد على التخلص من موسى الكاظم بن جعفر الصادق على نحو ما رأينا .

وأما في عهد الأمين فيشغل عن العلويين باللهو وبما كان من نزاع بينه وبين أخيه المأمون مما يحفز العلويين على استغلال الظروف وتجديد النشاط السياسي فينتشر دعاتهم في الآفاق ويلمع نجم محمد بن إبراهيم العلوى المعروف بابن طباطبا، الذى لا يلبث أن يعلن الثورة على المأمون في الكوفة سنة ١٩٩ هجرية ويدعو الناس إلى الرضا من آل محمد ويعدهم بالعلم بالكتاب والسنة كما يلمع نجم قائد جنده أبي السرايا (٣) الذى يتمكن من انتزاع الكوفة من يد واليها العباسي، وما أن يتوفى محمد بن ابراهيم حتى يقوم قائده أبو السرايا باختيار علوى آخر هو محمد بن محمد بن زيد فيجعله إماما للدعوة العلوية، ويبعث الولاة إلى الأمصار الاسلامية، إلى مكة والمدينة والبصرة، وغيرها من الأمصار الاسلامية (٤) فيتصدى له الحسن بن سهل والي المأمون على العراق وينتدب له أحد قادته وهو هرثمة بن أعين فيكلفه إخماد فتنة أبي السرايا ويتحرك والي العراق إلى حيث أبو السرايا وجنده فيحاصر الكوفة ويخرجه ومن معه من الطالبيين في المحرم سنة ٢٠٠ هجرية فيظل يتنقل من مكان إلى مكان حتى يقبض عليه بجلولاء ويرسل إلى والي العراق حيث يأمر بقتله . (٥)

---

(١) اليعقوبي : ٣ / ١٤٥ .
(٢) المرجع السابق، الصفحة ذاتها .
(٣) هو السرى بن منصور الشيباني .
(٤) الطبري : ٩ / ١٧٢، وابن الأثير ٦ / ١٠٣ .
(٥) ابن الأثير : ٦ / ١٠٤ وما بعدها .

وهكذا تعقب العباسيون العلويين في خلافة المأمون وحاولوا استئصال شأفتهم ومع ذلك فإن الخليفة المأمون نفسه كان يعطف على العلويين ويوصي بهم خيرا وتأكيدا لهذا الشعور تجاههم فقد سعى لوضع حد لهذا الصراع الدامي مع الطالبيين عندما جعل ولاية العهد من بعده لعلي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ونقش اسمه على الدنانير والدراهم، (١) وكتب بذلك كتابا خطيا ولقبه الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وألزمه بالموافقة على ذلك، فرفض علي الرضا في بادىء الأمر ولكنه في النهاية قبل بذلك .

وطبيعي أن هذه الخطوة الجريئة التي أقدم عليها الخليفة المأمون قد ألبت عليه أبناء البيت العباسي مما جعلهم يبايعون عمه إبراهيم بن المهدى بعد خلع المأمون .

وهكذا ظل الصراع محتدما بين العباسيين والعلويين ردحا طويلا من الزمن وتسبب هذا الصراع الطويل في حرج كبير للسلطة العباسية وزج بها في متاهات شتى .

جـ) موقف السلطة العباسية من الفرس :

رأينا في الصفحات السابقة أن الدعوة العباسية قد رفعت عدة شعارات، وظهرت أمام الرأى العام بعدة واجهات سياسية ودينية، لتضمن استقطاب كل العناصر المستاءة من السلطة الأموية إلى جانبها، وكان من أبرز شعاراتها، أنها ستعمل من أجل المظلومين في المجتمع وهي بهذا تخطط لكسب ثقة عنصرين مهمين من عناصر المجتمع، وهما، العناصر العربية المستاءة من نظام السلطة الأموية ثم العناصر الفارسية التي دخلت الاسلام خوفا وطمعا، ولم يجد القائمون

(١) المسعودى : مورج الذهب، ٣ / ٣٤٩ وما بعدها .

على شئون الدعوة العباسية حرجا في تشجيع بعض الأفكار المتطرفة حتى قال شاعرهم :-

لَسْنَا نُحَابِي على الرَّحْمنِ مِنْ أَحَدٍ   فيما نُطَالِبُ مِنْ مَوْلَى ومِنْ عَرَبِ

وعلى نحو ما كان من مساعدتهم لشيبان الخارجي ، كما استطاعوا كسب ثقة على بن الكرماني، فعلوا كل ذلك ليحرقوا الأرض تحت أقدام السلطة الأموية ، وما كادت الدعوة العباسية تنتصر وتشكل السلطة العباسية الحاكمة حتى بدأت تتنكر لمعظم تلك العناصر والطوائف التي عبرت عليها إلى سدة الحكم ولم تلبث أن أطاحت بعدد من دعاتها كمنصور بن جمهور، وشريك بن شيخ المهرى وزياد بن صالح الخزاعي ، وعيسى بن ماهان، وبسام بن إبراهيم وجمهور بن مرار العجلي وعبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدى وعينية بن موسى التميمي ، ولكن تمرد هؤلاء كان محدودا في إقليم خراسان وما جاورها كما كان عبارة عن ردود فعل وسخط على شخص بعينه ولذلك لم يكن له ردود فعل واضحة في مستقبل الحياة العباسية العامة، ولكن الأمر الذى كان له بالغ الأثر في الحياة تمثل في اغتيال ثلاثة من أبرز قادة السلطة بيد السلطة ذاتها، وهم سليمان بن كثير الخزاعي ، وأبو سلمة الخلال وأبو مسلم الخراساني، وقد علل ابن طباطبا اغتيال أصحاب السلطان الثلاثة في دولة بني العباس بأن : « المخترع للدولة يكون عنده من الدالة والتبسط ما تأنف من احتماله نفوس الملوك، وكلما زاد تبسطه زادت الأنفة عندهم حتى يوقعوا به . (١) وليس هذا وحسب ولكن هؤلاء الزعماء كانت لهم من « الشعبية » ما يهدد السلطة المركزية إن هي تحركت في اتجاه لا يرضى عنه هؤلاء الزعماء المحليون، وهكذا بدأت الثورة العباسية تأكل رجالها ولكنها لم تهنأ بما أكلته من لحوم هؤلاء وسرعان ما غصت بهذا الزاد حيث وجدت السلطة نفسها مضطرة إلى مواجهة عناصر الحزب الفارسي في أعقاب مصرع أساطينها الثلاثة ولا سيما أن هذه العناصر بدأت تجهر بأنها أقامت السلطة على كواهلها وسواعد أبنائها، ومن ثم

بدأت هذه العناصر في التحرك على مسرح الحياة السياسية العباسية في حرية تامة، فوسعوا من نفوذهم، وعملوا على احياء دياناتهم ونحلهم القديمة، ومنذ وقت مبكر رأينا نصر بن سيار يعلنها صريحة عندما لاحظ أن من الذين انضموا إلى الدعوة العباسية أقواما تدين بأديان لم يسمع بها من قبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأن هذه العناصر الجديدة تلتقي عند هدف واحد وهو قتل العرب على نحو ما نرى في قوله :

أَبْلِغْ ربيعَةَ في مَرْووإخوتها ... أنْ يَغْضَبوا قَبْلَ ألاّ يَنْفعَ الغَضَبُ

ما بالكم تُلحِقون الحَرْبَ بينَكم ... كأنَّ أهْلَ الحِجَى عن فِعْلِهم غُيَبُ

وتتركونَ عَدواً قَدْ أحَلَّكم ... مِمَّنْ تَأشَّبَ لا دِينٌ ولا حَسَبُ

ليسوا إلى عَرَبٍ منّا فَنَعْرِفَهم ... ولا صميم الموالي إنْ هُمُ نُسِبُوا

قَوْمَاً يدينون ديناً ما سَمِعْتُ بِهِ ... عن الرسولِ ولا جاءَتْ بِهِ الكُتُبُ

فمَنْ يَكُنْ سائِلي عَنْ أصْلِ دينِهُمُ ... فإنَّ دينَهُمُ أنْ تُقْتَلَ العَرَبُ (١)

ومنذ وقت مبكر من انتصار الدعوة العباسية ظهرت صيحات « الراوندية » أتباع « عبدالله الراوندى، الذين قالوا بأن الامام هو الله، وأن أبا مسلم نبي مرسل » (٢) . وقد تفرقوا إلى الأبي مسلمية الذين ادعوا امامة أبي مسلم ونادوا بأن معرفته هي الايمان، ومن مبادئهم الاباحة، ثم الرازمية وهم العباسية الخلص الذين غالوا في العباس وولده، وأعلنوا ولاية العباسيين علنا وولاية أبى مسلم سرا، (٣) وهم شيعة ولد العباس بن عبد المطلب من أهل خراسان ونمير، قالوا : إن رسول الله قبض وأن أحق الناس بالامامة بعده العباس بن عبد المطلب لأنه عمه ووارثه وعصبته لقول الله عز وجل : « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله »

---

(١) الدينورى : الأخبار الطوال، ٣٤٣ .
(٢) النوبختي : فرق الشيعة، ٤٦ .
(٣) المرجع السابق : ٤٢ .

وأن الناس اغتصبوه حقه، وظلموه أمره، إلى أن رده الله إليهم، وتبرؤوا من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأجازوا بيعة علي بن أبي طالب باجازته لها . (١)

وروى الطبري أنهم قوم من أهل خراسان، كانوا يقولون بتناسخ الأرواح ويزعمون أن روح آدم انتقلت إلى عثمان بن نهيك، وأن ربهم الذى يطعمهم ويسقيهم وهو أبو جعفر المنصور . (٢) كما روى أنهم أتوا قصر المنصور فجعلوا يطوفون به ويقولون هذا قصر ربنا، فأرسل المنصور إلى رؤسائهم فحبس منهم مائتين، فغضب أصحابهم، وقالوا : علام حبسوا؟ وأمر المنصور ألا يجتمعوا، فأعدوا نعشا وحملوا السرير وليس في النعش أحد ثم مروا في المدينة حتى صاروا على باب السجن، فرموا بالنعش وشدوا على الناس ودخلوا السجن فأخرجوا أصحابهم . (٣) ويبدو أن الراوندية كانت تستمد معتقداتها من الديانات الوثنية القديمة التي كانت شائعة في بلاد الفرس، تلك المعتقدات التي كانت تفرض على معتنقيها الايمان بأن زعيمهم شخص تحل فيه روح الآلهة، وإذا زالت تلك الروح وجب عزل هذا الرئيس . (٤)

ولذلك كانت ثورة الراوندية عندما جاءوا وهم يومئذ ستمائة رجل فجعلوا يطوفون بقصر المنصور يريدون قتل المنصور وكادوا يقتلونه لعدم وجود حراسة كافية لولا أن أدركه معن بن زائدة (٥) وظل يقاتل الراوندية حتى انتصر عليهم وتمكن من إخماد ثائرتهم .

وقد يبدو غريبا أن المنصور كان في باديء الأمر يبدى تسامحا مع هؤلاء مع تطرفهم ولكن هذا الاستغراب يزول عندما نتذكر أن من بين الأسس الاستراتيجية

---

(١) المسعودى : مروج الذهب، ٣ / ١٦٧ .
(٢) الطبرى : ٩ / ٧٣ فما بعدها .
(٣) الطبرى : ٩ / ١٧٤ .
(٤) BROWN, LITERARY HISTORY OF PERSIA, P. 315 - 316
(٥) الطبرى : ٩ / ١٧٤ .

لقيام الدولة العباسية ونجاحها في الثورة اعتمادها على الأفكار المتطرفة التي صرح المنصور بشيء منها عندما دخل عليه أبو بكر الهذلي يقول : إنهم ببابك يقولون : هذا رب العزة : هذا الذى يطعمنا ويسقينا . فأجابه المنصور : « يا هذيلي : يدخلهم الله النار في طاعتنا ويقتلهم، أحب إلي من أن يدخلهم الجنة بمعصيتنا (١) . »

ولماذا نَشطّ في البحث عن تبريرات هذا الموقف والعباسيون أنفسهم كانوا يعلنون أن الخليفة إنما يحكم بتفويض من الله لا من الشعب يقول المنصور : « انما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه ورشده، وخازنه على ماله، أقسمه بارادته وأعطيه باذنه وقد جعلني الله عليه قفلا، إذا شاء أن يفتحني فتحني لاعطائكم . . . . » . (٢)

وعندما غلا هؤلاء المتطرفون في أبي جعفر المنصور بدأ يدرك خطرهم عليه فتجرد لقتالهم لكنه لم يستطع أن يقضي عليهم قضاء مبرما، حيث اشتركوا في ثورات عديدة ضد السلطة العباسية، اشتركوا في ثورة أستاذ سيس وفي ثورة المقنع الخراساني ثم في ثورة بابك الخرمي وغيرها من الثورات، ففي سنة ١٥٠ هجرية ظهر في خراسان رجل اسمه أستاذ سيس إدعى النبوة والتف من حوله خلق كثير من أهل خراسان وأمصارها وبلغ عدد جنده ثلاثمائة ألف مقاتل بين فارس وراجل، (٣) خرجوا عن الطاعة مع الأستاذ سيس فاستولى بهم على أكثر مدن خراسان، وعظم الخطب واستفحل الشر، واشتد على المنصور الأمر . (٤) ونادى سيس وأتباعه بمبادىء المجوسية ومارسوا الاباحية والفوضى مما اضطر المنصور إلى أن يوجه لهم ابنه المهدى وقائده حازم بن خزيمة، فخرجا في جيش كبير بلغ عداده

(١) المرجع السابق : ٩ / ١٧٥ .
Brown; litt. Hist, of Pearsia P. 315 - 316
(٢) السيوطي : تاريخ الخلفاء، ٢٦٣ .
(٣) الطبرى : ٩ / ٢٧٦ .
(٤) السيوطي : تاريخ الخفاء، ٢٦٢ .

ثلاثين ألف مقاتل، وبعد قتال عنيف تمكن الجيش العباسي من الحاق الهزيمة بجيش أستاذ سيس وقتلوا أكثر من سبعين ألفا من رجاله وأسروا أربعة عشر ألفا آخرون ، وفر أستاذ سيس ، ولكن المهدى وقائده تمكنا من القبض عليه وأوثقاه بالحديد . (١)

وفي سنة ١٦١ هجرية ظهر في خراسان رجل آخر هو هاشم بن حكيم الملقب بالمقنع الخراساني (٢) وكان قبيح الخلقة أعور قصيرا ، ويرجع سبب تسميته بالمقنع إلى أنه أدرك قبح وجهه فخشى نفور الناس عنه فأراد اخفاءه عنهم ، فصنع قناعا من الحرير الأخضر، أو لاتخاذه وجها من الذهب وركبه على وجهه(٣) ثم زعم أنه اتخذ هذا القناع لأنه يشع من وجهه نور ساطع يبهر الأنظار، وقد يحرق من يقع عليه .

والشهرستاني يرجع حركة المقنع الخراساني إلى مذهب الرازمية وهم فرع من فروع الشيعة الكيسانية فيقول : « وهؤلاء أي الرازمية » ظهروا بخراسان في أيام أبي مسلم ، حتى قيل : إن أبا مسلم كان على هذا المذهب لأنهم ساقوا الامامة إلى ابي مسلم، فقالوا : له حظ في الامامة، وادعوا حلول روح الاله فيه ، والمقنع الذى ادعى الالوهية لنفسه على مخاريق أخرجها كان في بادىء الأمر على هذا المذهب . « ثم روى أن الرازمية صنف من الخرمية نادوا بترك الفرائض ، وقالوا : الدين معرفة الامام فقط ، ومنهم من قال : الدين أمران : معرفة الامام وأداء الأمانة، ومن حصل له الأمران فقد وصل إلى الكمال وارتفع عن التكليف »(٤)

---

(١) الطبرى : ٩ / ٢٧٨ .

(٢) البغدادى : الفرق بين الفرق، ٢٤٤ .

(٣) انظر في هذا ابن الأثير ، ٦ / ٣٨، وابن طباطبا : الفخرى في الأداب السلطانية ١٣٢ ، والبغدادى : الفرق بين الفرق، ٢٤٤ .

(٤) الشهرستاني : الملل والنحل، ١ / ١٣٧ .

ونادى المقنع بنظرية تناسخ الأرواح وادعى الألوهية (١) فزعم أن الله خلق آدم فتحــول في صورتــه، ثم في صورة نوح، ثم إلى صورة إبــراهيم، ثم إلى صورة الأنبياء والحكماء، ثم في صورة محمد، ثم تحول بعده في صورة علي بن أبي طالب ثم انتقل في صورة أولاده ، ثم إلى صورة أبي مسلم الخراساني، ثم زعم المقنع أنه انتقـل إليـه من أبي مسلم ولـذا طلب من أنصـاره أني يعبـدوه ويسجـدوا له، وقد لخص لنـا صاحب الفخـرى تعـاليم المقنع الخراساني بقوله : كان هذا المقنع رجلا أعـور قصـيرا من أهـل مرو، وكان قد عمل وجها من ذهب وركبه على وجهه لئلا يرى وجهه، وادعى الألوهية، وكان يقول : إن الله خلق آدم فتحول في صورته ثم صورة نوح وهكـذا هلم جرا إلى أبي مسلم الخـراساني، وسمى نفسه هاشما وكان يقول بالتناسخ، وبايعه خلق من ضلال الناس، وكانوا يسجدون إلى ناحيته أين كانـوا من البـلاد، وكـانـوا يقـولـون في الحرب : يا هاشم أعنا، واجتمع إليه خلق كثير . (٢)

ويـذكـر ابن خلكـان أن المقنـع « أسقـط عن أتبـاعـه الصـلاة والصوم والزكاة وطـالبهم بالسجـود له، وأبـاح لهم النساء كيفما شاؤ ا فانتشرت الاباحية والفوضى الأخـلاقيـة » (٣) عن طريق الـزندقة والاباحية المستقاة من تقاليد وديانات الفرس القـديمـة استطـاع المقنـع أن يجمـع على دعوته خلقا كثيرا حتى تمكنوا من الحاق الهـزيمـة بعسـاكـر كثيرة من المسلمين (٤) حتى لم يجد المهدى بدا من حشد كامل طاقـاتـه ورصهم في جيـوش مكثفة لمواجهة هذا الوضع الخطير الذى أوجده المقنع الخـراسـاني وأتبـاعـه فنـدب سنـة ١٦١ هجرية لهذه الغاية والي الخراسان معاذ بن مسلم، وسعيد الحرشي، وعقبة بن مسلم وجبرائيل بن يحيى، وليثا مولى المهدى، وبلغت عدة جيوشه سبعين ألف مقاتل، وبعد قتال مستميت وحصار طويل للقلعة

---

(١) الطبرى : ٩ / ١٦١، وكذلك الفخرى في الآداب السلطانية لابن طباطبا، ١٦٢ .
(٢) ابن طباطبا : الفخرى في الآداب السلطانية، ١٦٢ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ١ / ٤٥٣ .
(٤) البغدادى : الفرق بين الفرق، ٢٥٨ .

التي كان يتحصن فهيا المقنع تمكنت الجيوش العباسية من تشتيت شمله حتى إذا أدرك أنها النهاية أشعل النيران في القلعة وأحرق كل ما فيها من دواب وثياب ومتاع، وجمع نساءه وأولاده وطلب من أصحابه أن يلقوا بأنفسهم في النار ليرتفعوا إلى السماء، فيأبى أتباعه الاستجابة لطلبه، أما لحبهم الحياة، وإما لاكتشافهم كذبه واحتياله، ثم يأخذ ـ سرا ـ شرابا مسموما وطلب من أتباعه أن يشربوا منه، وقال لهم : أنا صاعد إلى السماء، فمن أراد أن يصحبني فليشرب من هذا الشراب، ولم يفطن أتباعه إلى حقيقة الشراب المسموم، فشربوا منه فماتوا، (١) وألقى المقنع بجثثهم وجثث نسائه وأولاده في النيران، ثم ألقى بنفسه أخيرا في النار حتى لا يظفر العباسيون بجثته وجثث أسرته وأتباعه .

ومن الطبيعي أن هذه النهاية الرامية التي انتهت بها حياة المقنع الخراساني لم تضع حدا نهائيا لأفكار أتباعه ومبادئهم، حيث رأيناهم بعد ذلك يشعلون نيران الفتنة ويزعمون أن المقنع صعد إلى السماء وبأنه سيعود يوما ليكمل رسالته، ولكن نشاط هؤلاء الاتباع كان محدودا ولم يقدر لهم أن يقوموا بأى حركة ثورية مسلحة، ومع ذلك فقد انخرط معظمهم في حركة ثورية مسلحة أخرى هي حركة بابك الخرمي الذى اختلف المؤرخون فى أصله ونسبه، فعلى حين رأى بعضهم « أن بابك من سلالة أبي مسلم الخراساني، وأن هدفه الأول الثأر لأبي مسلم من العباسيين، وأن حركته استمرار لحركة الراوندية والمقنع الخراساني، يقول الدينورى : « والذى صح عندنا وثبت أنه من ولد مطهر بن فاطمة بنت أبي مسلم، هذه التي تنسب إليها الفاطمية من الخرمية، لا إلى فاطمة بنت رسول الله . (٢)

---

(١) انظر هذه النهاية للمقنع، الطبرى : ٩ / ٣٤٢، وابن طباطبا الفخرى في الآداب السلطانية، ١٦٢، والبغدادى : الفرق بين الفرق، ٢٥٨ .

(٢) الدينورى، الأخبار الطوال، ٣٩٧ .

ويقول ابن خلدون : « إن بابك الخرمي رجل فارسي مجوسي الأصل دخل في الاسلام ، وتسمى بالحسين أو الحسن ، وكان قوى النفس شديد البطش ، صعب المراس ، وحدثته نفسه الخبيثة بأن يسترجع ملك فارس ودينها » . (١)

« وعمل بابك على تنظيم جماعته تنظيما دقيقا بأن جعل لكل جماعة منهم رؤساء يرجعون إليهم ، وهؤلاء الرؤساء يأتمرون بدورهم بأوامر بابك نفسه ، الذى دأب على انفاذ رسله باستمرار إلى تلك الجماعات ليعرف أخبارها ويوحد حركاتها » . (٢)

وتكاثر أتباع بابك واستباحوا المحرمات وقتلوا الكثير من المسلمين . (٣) ومما ضاعف من خطر هذه الحركة الثورية الهدامة محاولة بابك الخزمي الاتصال بالامبراطور البيزنطي ثيوفيلوس بن ميخائيل والتحالف معه على مهاجمة الدولة العباسية ، وقد تجرد لهذه الثورة خليفتان عباسيان هما المأمون فالمعتصم من بعده .

د) موقف السلطة العباسية من الخوارج :

مما لاشك فيه أن قوة الخوارج قد شتتت منذ أواخر العهد الأموى وأن وهنا عظيما قد حل بهم ، إلا أن ضعفهم وتشتتهم لم ينعكس على تغيير موقفهم من السلطة العباسية ، ومن هنا فقد حاربوا العباسيين في صلابة وجلد لا يقلان عما كان منهم في عهد بني أمية ، فثاروا في الجزيرة وأذربيجان وعمان والموصل واليمن وسجستان وفي بلدان أفريقيا .

---

(١) ابن خلدون ، العبر ، ١ / ١٣٥ ، والمسعودى : مروج الذهب ، ٤ / ٥٥ .

(٢) Brown, Literary History of Persia, P. 328.

(٣) انظر تفاصيل ذلك في الفرق بين الفرق للبغدادى ، ٢٦٧ والبدء والتاريخ للمقدسي ، ٥ / ١٣٤ وما بعدها وكذلك
Muir; The Caliphate; P. 514.

ففي أوائل أيام خلافة أبي العباس السفاح ثار بريكة بن حميد الشيباني ومن ورائه ربيعة وبعض الأمراء الأمويين على نحو ما كان من محمد بن سعيد بن عبد العزيز والي الجزيرة حتى لم يجد أبو جعفر المنصور بدا من توجيه مقاتل العكي لقتال بريكة جنده، فيزحف مقاتل العكي على الخوارج حتى يلجئهم إلى جبل دارا فيتحصنون به ولكن مقاتلا يحاصرهم ويلحق بهم هزيمة منكرة . (١)

كما يثور مسافر بن كثير الشيباني في أذربيجان وأرمينية فيأمر أبو جعفر المنصور محمد بن صول بالتصدى له فيصدع بن صول بالأمر ويتمكن من دحر مسافر وحزبه ويلجىء رفاقه إلى سجستان .

وفي عمان تثور الخوارج الأباضية بقيادة الجلندى بن مسعود الأزدى كما تثور في نفس البلاد قوة خارجية أخرى بقيادة شيبان بن عبد العزيز اليشكرى من الخوارج الصفرية حيث يتخذ شيبان من منطقة جزيرة ابن كاوان ميدانا لثورته فيتصدى خازم بن خزيمة التميمي سنة ١٣٥ هجرية لثورتي الخوارج وبعد قتال شديد تتقهقر جماعات الخوارج الصفرية بقيادة شيبان اليشكرى هاربة إلى سواحل عمان ولكن الجلندى يتلقاهم فيثبتون ويقتتل الفريقان اقتتالا شديدا، ويقتل شيبان ورجاله، ويعسكر خازم بن خزيمة على ساحل عمان ويقابلهم الجلندى وتدور رحى معركة شرسة ويقترح بعض رجال خازم ـ عندما يرى شدة ثبات الخوارج ـ أن ترفع المشاقة المبللة بالنفط على رؤوس الأسنة وأن تضرم فيها النيران ثم تضرب بها تجمعات الخوارج، وهنا يشغل الجلندى ورجاله بإطفاء الحرائق ويكر خازم وجنده عليهم حتى يتمكن من قتل عشرة آلاف رجل، وتحمل رؤوسهم إلى السفاح (٢) وبذلك يضع خازم بن خزيمة حدا لثورات الخوارج في مناطق عمان وعندئذ تميل الخوارج الأباضية بعد ذلك إلى لون من الهدوء والبعد عن الثورة .

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان، ١ / ٢٤٦ .

(٢) الطبرى : أحداث سنة ١٣٥ هجرية .

ويتحرك بن خزيمة في حوالي ثمانية آلاف مقاتل إلى منطقة شمال الموصل ليحبط ثورة خارجيـة أخـرى يقـودها ملبد بن حرملة الشيباني (١) وكان ملبد هذا قد بسط نفوذه في بلاد أذربيجان وأرمينية وتكريت والموصل حتى تمكن من الحاق عدة هزائم بجيوش السلطة العباسية .

ويسجل بن خزيمة نصرا عظيما على جيوش الخوارج بعد مذبحة كبيرة لا تقل عن مذبحة الجلندى في ساحل عمان .

ومـع ذلـك فإن الخـوارج الصفـريـة تتحرك من جديد في أرمينيا وتثور في أعداد كبـيرة وتشتبـك مع عاملهـا العبـاسي الحسن بن قحطبـة وعنـدمـا يستشعر الوالي العبـاسي خطـر الصفـرية يرسل في طلب المدد من الخليفة ويتمكن أخيرا من قتل ستة عشر ألف مقاتل من الخوارج في يوم واحد . (٣)

ثم تثور جماعات الخوارج في أعداد بسيطة في مناطق الموصل ، فيتحرك عطية بن بعثـر التغلبي ، وحسـان بن مجاهـد الوادى سنة ١٤٨ هجرية ولكن ثوراتهم هذه لم تكن ذات بال ولم يتوفر لأى منها أكثر من مائة إلى مئتي رجل .

وفي اليمن يثور الخوارج على أبي جعفر المنصور سنة ١٤٠ هجرية فيندب لهم واحدا من أشهر القادة في زمانه وهو معن بن زائدة الشيباني وهو أحد فرسان ربيعة فيقاتلهم لعدة سنوات ويقتل منهم خلقا كثيرا مما يؤلب عليه اليمنيين . (١)

---

(١) اليعقوبي ، ٢ / ٣٧٢ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) اليعقوبي ، ٢ / ٣٧٢ .

وفي البحرين واليمامة يعين أبو جعفر المنصور عقبة بن مسلم الأزدى وهو أحد فرسان اليمن، وما أن يتولى عقبة منصبه حتى يتعقب الخوارج ويوقع بهم مجازر رهيبة مما يؤلب عليه بني ربيعة .

وهكذا نفذ المنصور خطة سياسية محكمة فهو من ناحية يكون قد تخلص من خوارج اليمن والبحرين كما يكون قد فجر التحالف التقليدى بين اليمن وربيعة وأشعل نيران عصبية قبلية بينهما وبذلك يكون قد أمن اتفاق الطرفين عليه . (١)

وفي أواخر عهد المنصور يتحرك الخوارج في كرمان وسجستان وتنضم إلى صفوفهم أعداد من الموالي الفرس الذين وجدوا فيهم تجسيدا لاستيائهم من السلطة العباسية التي عادت تفرض الخراج على الموالي من جديد، وفي سنة ١٥٠ هجرية انفجرت الثورة ولم يستطع المهدى الذى كان وليا للعهد آنذاك أن يفعل شيئا، فبعث إلى أبيه المنصور طالبا المدد فبادر المنصور باستدعاء واليه على اليمن، معن بن زائدة الشيباني فوجهه إلى سجستان، وما أن تطأ أقدام معن أرض سجستان حتى يكلف عماله فيها بجباية الخراج سنة ١٥١ هجرية، (٢) ثم يكتب إلى رتبيل أمير سجستان يأمره بحمل الأتاوة، ولعله أراد بذلك أن يستفزه للقتال، ويقيم معن في سجستان مدة ويقاتل الخوارج ويقتل منهم خلقا عظيما ويفنيهم . (٣) ويدرك بعض الخوارج أن لا قبل لهم بمحاربة معن وجنده وأنه لابد من الحيلة . فاندس بعضهم بين عمال كانوا يبنون منزلا لمعن، وتربصوا به أياما ثم اقتحموا على معن قبته وفتكوا به . (٤) ويجر اغتيال معن على الخوارج أشد العواقب حيث يتجرد لهم في حماسة ظاهرة ابن أخيه يزيد بن مزيد الشيباني وكان قد تسلم الولاية إثر مقتل عمه وعلى الفور بدأ يتعقب الجناة أصحاب المؤامرة حتى لم

---

(١) البلاذرى، فتوح البلدان، ٢ / ٤٩٢ .
(٢) المصدر السابق، ٢ / ٤٩٤ .
(٣) اليعقوبي، ٢ / ٣٨٤ .
(٤) الطبرى، أحداث سنة ١٥١ هجرية .

ينج منهم أحد، وحتى قتل من الخوارج خلقا عظيما وجرت دماؤهم كالنهر، (١) ويبدو أن يزيد بن مزيد قد بالغ في قتل العرب والعجم من أهل سجستان مما دفع بعض العرب إلى تدبير مؤامرة أحفظت المنصور وولي عهده المهدى عليه فقد عزله المنصور وأمر بحبسه . (٢)

ولم يكف الخوارج عن الثأر من يزيد بن مزيد فبينما كان يركب في موكب ضخم من موالي عمه وعشيرته دبروا مؤامرة لاغتياله ولم يظفروا له بغرة حتى صار على الجسر ببغداد فشدوا عليه فترجل وقاتلهم وقتل منهم خلقا عظيما، وضربوه بالسيوف وبعد موقعة شديدة نجا يزيد من المؤامرة وخرج من المعركة ببعض الجراح . (٣)

ويبدو أن نجاح الخوارج في قتل معن وعزل يزيد قد شجعهم على مواصلة الصراع ، فظهروا في سجستان تحت قيادة عامر الشيباني في حوالي ألف من رجالهم ، وتصدت لهم جيوش السلطة العباسية فقتلت عامرا قبل مضي سنة على ثورته . (٤)

وفي عهد المهدى والرشيد تتعاقب على قيادة جيوش الخوارج أعداد من القادة من غير العرب من أمثال يوسف البرم وهو مولى ثقيف والحصين مولى ثعلبة وحمزة ابن أترك، وتعصف جيوش العباسيين بثورات الخوارج عصفا ويستحر القتل في صفوف الثائرين ويقتل أتباعهم بالتدريج فيلجأون إلى الثورة في أماكن قصية عن مركز الدولة، فيثورون في أفريقيا والمغرب (٢) ويتزامن انتقال ثورات الخوارج إلى تلك الأماكن البعيدة مع انقسام في صفوفهم ، كما ثارت الأباضية في طرابلس ضد

---

(١) البلاذرى، فتوح البلدان، ٢ / ٤٩٤ .
(٢) اليعقوبي ، ٢ / ٣٩٧ .
(٣) البلاذرى، ٢ / ٤٩٥ .
(٤) البلاذرى، فتوح البلدان، ٢ / ٤٩٥، واليعقوبي ، ٢ / ٣٨٥ .
(٥) ابن الأثير ، ٦ / ١٤٧ .

الصفـريـة الـذين كانوا قد احتلوا القير وان استنكارا لما سفكوه من دماء وما ارتكبوه من منكـرات مما يقلل من خطـورة تلك الثـورات ، وتتسـابق فرق الخوارج في بسط نفـوذهـا على مناطق افريقيا والمغرب ، وتسبق الصفرية الأباضية إلى تلك الديسار ومـا وافي سنـة ١٤٠ هجـريـة حتى تكـون قوات الصفـريـة قد تمكنت من احتلال القير وان وبناء مدينة سجلماسة في السنة التالية ولولا هذا الخلاف الذى استعر بين الصفرية والأباضية لكان الخوارج في بلاد المغرب شأن آخر .

وبهـذه الانقسـامـات التي ابتليت بها جماعات الخوارج يتمكن أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المغفرى من دحر الصفرية عند القير وان سنة ١٤١ هجرية ثم يدخـل القـير وان ويعـين عليهـا عبـد الرحمن بن رستم (١) وفي سنة ١٤٣ هجرية يعـين الخليفـة المنصور محمد بن الأشعث الخزاعي واليا على أفريقيا فيتحرك الوالي الجـديـد في خمسـين ألفـا وبعـد عدة محاولات يلجأ سنة ١٤٤ هجرية إلى التظاهر بالانسحـاب ثم يهجم على جيش أبي الخطـاب المغافرى فيمعن فيه تقتيلا وتمثيلا ويظفر برأس أبي الخطاب فيحتزه ويرسله إلى الخليفة المنصور . (٢)

ثم تطارد جيوش بن الأشعث فلول الخوارج الأباضية في مناطق المغرب الأوسط وتتمكن من إمـام الأبـاضيـة عبدالله بن حيان فتقتله . وتطل في تلك الأنحاء بوادر صراع قبـلي بين جنـد ابن الأشعث حيث يثور عليه جند من المضرية ويحاصرونه في القير وان فيضطر إلى الجلاء عنها سنة ١٤٨ هجرية وعندئذ يختار المنصور الأغلب بن سالم التميمي خلفـا لابن الأشعث ولم يمض عامـان على ولايتـه حتى يقـع الأغلب ضحية لنزاع داخلي حدث بين صفوف جنده وهنا تتاح للخوارج الصفرية الفرصة للثورة من جديد وتنضم إلى صفوفهم أكبر قبائل البر بر وأكثرها إيمانا بآراء الخـوارج ، كما تلتحم حشـود الأبـاضيـة وراء أبي حاتم يعقـوب بن حبيب وتظـل

---

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، ١ / ٧١ فما بعدها، وابن خلدون، العبر ٤ / ٤٠٩ ـ ٤١١ .
(٢) ابن خلدون، العبر ، ٤ / ٤٠٩ ـ ٤١١

جموعهم تقارع جيوش السلطة العباسية إلى أن يحزم المنصور أمره ويندب لهم أبا جعفر بن حفص المهلبي فيزحف إلى القيروان في صفر سنة ١٥١ هجرية ويبذل جهودا مضنية في اخماد ثائرة الخوارج ولكن سوء الأحوال الاقتصادية والسياسية دفع بالخوارج إلى آتون الثورة فتحركوا في جيمع أنحاء المغرب وأفريقيا وجاءوا من كل حدب وصوب حتى بلغ عددهم ثلاثمائة وخمسين ألفا من البربر، وأربعين ألفا مع أبي قرة عدا خمسة وثلاثين ألفا من الخيل وبلغت عدة جيوش أبي حاتمماية وثلاثين ألفا . (١) وفاجأت تلك الجموع الخارجية الحاشدة أبا حفص ولكنه استطاع عن طريق الاغراء بالأموال وإشاعة الدسائس بين صفوف الخوارج أن يفرق حشودهم ثم رجع بعد ذلك إلى القيروان عاصمته فوجد أبا حاتم وجنده يحاصرونها واستمر حصارهم لها قرابة ثمانية أشهر حتى اضطر أهلها إلى أكل الدواب والكلاب . (٢)

ونتيجة لذلك جهز المنصور جيشا من ستين ألف مقاتل بقيادة يزيد بن حاتم بن قبيصة ولكن أخبار هذا الجيش تنتقل إلى مسامع أبي حفص فيبتدر القتال في عنف وتكلل جهودهم بالنجاح فيدخلون القيروان .

وما أن تصل جحافل جيش يزيد بن حاتم المهبلي إلى طرابلس سنة ١٥٥ هجرية حتى تنقض عليهم سنابك خيل الخوارج الأباضية بقيادة أبي حاتم عند جبل نفوسة، ومع أن أبا حاتم تمكن في بادىء الأمر من دحر طلائع الجيش العباسي نظرا لاحتمائه بالمناطق الوعرة إلا أن جيوش السلطة العباسية بقيادة يزيد بن حاتم تمكنت من قهره وقتلته بعد قتال مرير استمر شهرا، تمكنت القوات العباسية بعده من سحق ثورة خارجية أخرى في طرابلس .

---

(١) ابن خلدون، العبر، ٤ / ٤٠٩ - ٤١١، وابن عذارى، البيان المغرب، ١ / ٩١ .
(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، ١ / ٩٣ .

وتحركت جيوش يزيد إلى القيروان فدخلتها سنة ١٥٥ هجرية ثم ظلت تتعقب الخوارج الأباضية في الجبال وظل يفرض وجود السلطة العباسية في تلك النواحي حتى أدركته المنية سنة ١٧٠ هجرية أيام الرشيد . (١)

ثم تولى ابنه داود بن يزيد المهلبي الأمر ولم يستمر في الحكم أكثر من تسعة أشهر حيث أعطى الرشيد زمام الأمر لعمه روح بن حاتم المهلبي وتمكن روح المهلبي من القضاء على ثورات الأباضية في أفريقيا ولكن المنية عاجلته سنة ١٧١ هجرية فبايع الجند ابنه قبيصة وبعد وقت قصير عين من بعده نصر بن حبيب المهلبي وهنا يبدأ العهد المهلبي الذى استمر حوالي عشرين سنة وعلى الرغم من هذه المدة الطويلة إلا أن الخلافات الشخصية والفتن الداخلية فرقت شملهم وأضعفت قواهم وفي سنة ١٧٩ هجرية وجه الرشيد هرثمة بن أعين واليا على أفريقيا (٢) وخلال وقت قصير تمكن هرثمة من وضع حد لثورات الخوارج ومع استتباب الأمن في البلاد إلا أن هرثمة استشعر الوحشة في تلك البلاد وشعر بانقطاعه عن مركز الخلافة فنزل عن الولاية، بعد حوالي عامين من الزمن .

وعندئذ أرسل الرشيد أخاه في الرضاع محمد بن مقاتل العكي ليكون واليا على أفريقيا وكان ذلك سنة ١٨١ هجرية (٣) وما هي إلا سنوات حتى تتألب عليه قواته وتطرده سنة ١٨٣ هجرية فيمم شطر المشرق ولكن ابراهيم بن أغلب التميمي لقيه في الطريق فرده إلى القيروان (٤) وتمكنا معا من وضع حد لثائره جند القيروان ومنذ هذا التاريخ تبدأ تلك البلاد في الانسلاخ عن سلطان العباسيين وتنال ما يشبه الاستقلال مستغلة بذلك ظروف الفتنة بين الأمين والمأمون، وفي ظلال الدولة الأغلبية يعود نظام الوراثة في ولاية العهد دون الرجوع إلى السلطة المركزية في بغداد .

---

(١) ابن الأثير، ٦ / ١٣٦ .
(٢) المصدر السابق، الصفحة ذاتها .
(٣) ابن الأثير، ٦ / ١٣٦ .
(٤) المصدر السابق، ٦ / ١٥٤ فما بعدها .

ولو عدنا إلى خوارج عمان لوجدنا أنهم يثورون على السلطة العباسية سنة ١٧٥ هجرية وتتخذ ثورتهم طابعا شعبيا بحيث يدرك الخليفة العباسي أن لا أمل له بالسيطرة على بلاد عمان ، فقد اتخذ الخوارج فيها إماما لهم فبايعته الناس وأصبح نذا للخليفة في بغداد وظل محمد بن عفان إماما للخوارج في عمان حتى كانت سنة ١٨٥ هجرية حيث خلفه الوارث بن كعب وظل في منصب الامامة حتى سنة ١٩٢ هجرية حيث خلفه إمام خارجي ثالث هو غسان بن عبدالله الذى استمر في هذا المنصب حتى أيام المأمون . (١)

وهكذا ثار خوارج عمان بعد هدوء دام قرابة أربعين عاما.منذ النكسة التي منوا بها في عهد السفاح فخلدوا إلى الأمن حتى كان عهد الرشيد الذى خاضوا فيه عدة ثورات حتى حققوا الامامة التي رأيناها .

وأما عن خوارج الجزيرة فقد خاضوا ثورات فاشلة في وجه السلطة العباسية في عهدى المهدى والرشيد فمنذ سنة ١٦٠ هجرية خرج عبد السلام بن هاشم اليشكرى فيما بين حلب والموصل واستطاع أن يلحق الهزيمة بعدد من قادة الجيوش الذين سيرهم المهدى لقتاله ولما يئس المهدى من هزيمته حاوره وكاتبه ولما لم يجد ذلك شيئا ندب له المهدى ألف فارس وأعطى كلا منهم ألف درهم ووجههم لمساعدة قوات السلطة العباسية في الجزيرة التي يقودها شبيب المروزى فتمكن بهم من قتل عبد السلام بن هاشم اليشكرى سنة ١٦٢ هجرية . (٢)

وفي سنة ١٦٨ هجرية خرج بأرض الجزيرة خارجي اسمه يسن التميمي ، وتصدى لجيوش السلطة في الموصل وما يليها وفرض سلطانه في تلك الديار فسير له المهدى اثنين من أشهر قادة العباسيين وهما أبو هريرة محمد بن فروخ وهرثمة بن أعين فتمكنا من دحره وقتله . (٣)

---

(١) المصدر السابق، ٦ / ١٤٧ .
(٢) ابن الأثير، ٦ / ٤٨، ٥٧ .
(٣) المصدر السابق، ٦ / ٧٨ .

وفي سنة ١٦٩ هجرية خرج في منطقة الموصل أيضا حمزة بن مالك الخزاعي ولكنه اغتيل بعد وقت قصير من خروجه . (١)

وفي سنة ١٧١ هجرية ثار الصحيح الخارجي فتصدى له أبو هريرة محمد بن فروخ فأحبط ثورته وقتله . (٢)

وفي سنة ١٧٦ هجرية ثار في نواحي نصيبين الفضل الخارجي وراح يجبي الأموال في تلك الديار ومع أنه ألحق الهزيمة بجيوش الخلافة عند الزاب إلا أن تلك الجيوش تمكنت من دحره وقتله . (٣)

وفي سنة ١٧٨ هجرية كانت أخطر ثورات الخوارج وقادها الوليد بن طريف الشارى في نواحي نصيبين وفرض وجوده فيها وقتل عاملها العباسي من قبل الرشيد قائده واتخذها مركزا له ، وظل خطره يهدد السلطة العباسية إلى أن ندب له الرشيد قائده يزيد بن مزيد الشيباني ، ابن أخي معن بن زائدة ومع حسن بلائه في قتالهم إلا أن البرامكة ظلوا يوسوسون إلى الرشيد بأنه يتهاون مع بني عمه فأمره الرشيد بالجد في القتال فبارز الوليد بن طريف مبارزة فردية فقتله ، وبمقتل الوليد يضطرب أصحابه من بعده وعندئذ تتولى أخته ليلى بنت طريف الشارى القيادة من بعده ولكن مقاومتها لم تطل حيث أخلدها يزيد إلى الهدؤ . (٤)

وفي سنة ١٨٠ هجرية ثار خراشة بن شيبان على السلطة العباسية في أرض الجزيرة فقابلته جيوشها بقيادة مسلم بن بكار فدحره وقتله ، (٥) وتخف حدة ثورات

---

(١) المصدر السابق ، ٦ / ٩٥ .
(٢) المصدر السابق ، ٦ / ١١٢ .
(٣) المصدر السابق ، ٦ / ١٣٣ .
(٤) ابن الأثير ، ٦ / ١٥١ فما بعدها .
(٥) خليفة ابن خياط ، التاريخ ، ٢ / ٤٨٨ - ٤٩٠ .

الخوارج في أنحاء الجزيرة بعد ثورة الوليد بن طريف فلا نكاد نسمع إلا نتفا من ثوراتهم وأخبارهم .

وفي خراسان يثور سنة ١٨١ هجرية حمزة بن أترك السجستاني ويقود أطول الثورات الخارجية في العهد العباسي ، وتمتد ثورته حوالي ثلاثين سنة ، وعلى الرغم من المراسلات بينه وبين الرشيد إلا أن الثورة تشق طريقها إلى باذغيس سنة ١٨٥ هجرية وتنتقل إلى نيسابور واسفنديار وتتلاحق معاركهم حتى تنهك قواهم ويقتل منهم خلق كثير كما تلجأ أعداد منهم إلى البساتين والحقول ويمارسون لونا من الغوغائية وأساليب التخريب . (١) وفي سنة ١٩٢ هجرية يعودون إلى الثورة ويتقدمون نحو خراسان وعندئذ يضطر المأمون إلى تجهيز جيش من عشرين ألفا بقيادة عبد الرحمن النيسابورى وبعد قتال مرير يتمكن حمزة السجستاني من صد هجومهم ومع ذلك يظل حمزة متواجدا في تلك البلاد يفرض وجوده العسكرى عليها حتى توفي سنة ٢١٣ هجرية حيث تنقض عليه جيوش المأمون وتضع حدا لعبثه في تلك الديار . (٢)

وهكذا شهدت الحقبة العباسية عدة ثورات للخوارج في المغرب والمشرق، ولكن ثوراتهم في بلاد المغرب وأفريقيا كانت أشد خطرا من ثوراتهم في المشرق لأنها مهدت لانفصال المغرب نهائيا عن كيان الخلافة العباسية . ومما يلاحظ على تلك الثورات أنها كانت شديدة الشبه فيما بينها، فكلها بدأ عنيفا وظل يزداد عنفوانا ثم تكاثرت عليه جحافل السلطة العباسية حتى تمكنت من إحباطها في نهاية المطاف .

---

(١) ابن الأثير، ٦ / ١٤٩ فما بعدها .

(٢) ابن الأثير، ٦ / ١٥١ فما بعدها .

الفصـــــل الثانـــي

دور الشعر في الصراع بين العباسيين وخصومهم

أ ـ دور الشعر في خدمة الحزب العباسي

ب ـ دور الشعر في خدمة الأمويين

جـ ـ دور الشعر في خدمة العلويين

د ـ دور الشعر في خدمة الموالي

هـ ـ دور الشعر في خدمة الخوارج

رأينا في الدراسة التاريخية أن الأحزاب المتصارعة استطاعت أن تضع أمام الرأى العام نظريات محددة في الخلافة، ورأينا هذه الأحزاب وهي تخوض صراعا مريرا في سبيل توطيد أركان نظرياتها السياسية، وكان من الطبيعي أن يستقطب كل حزب ثلة من الشعراء لتتنافح عن سياسته وتذيع في الناس آراءه في الخلافة وما يتصل بها من أمور سياسية، ولذلك سنجد في هذا المضمار شعراء يتبنون نظريات الحزب العباسي الجديد، تلك النظريات التي قامت على أنقاض احدى طوائف الشيعة وهي دعوة الكيسانية، فيتبنون هذه النظرية خلال الأيام الأخيرة من حكم بني أمية حتى إذا دالت دولتهم وأصبح العباسيون في سدة الحكم أخذ العباسيون في البحث عن أساس جديد يقيمون عليه نظريتهم في الحكم، كما سنجد شعراء ينافحون عن سياسة الأمويين ونظرياتهم في الحكم والسياسة وشعراء آخرين هم شعراء الحزب الشيعي الذين نافحوا عن سياسة العلويين ونظرياتهم في الخلافة، وسنجد طائفة أخرى من الموالي الذين أدركوا بأنهم قولا لا يستهان بها، فلم لا يحاولون استعادة أمجاد الفرس، وسنحاول في الصفحات التالية أن نستقصي ما يمكن استقصاؤه من شعر هؤلاء الشعراء جميعا :

أ ـ الشعر في خدمة الحزب العباسي :

استطاعت الخلافة العباسية أن تستحوذ على أفئدة عدد ضخم من الشعراء فما أن تستقيم الأمور للعباسيين حتى تبدأ وفود من شعراء الأحزاب السياسية التي كانت تناوىء هذه السلطة تفد على قصر الخلافة مهنئة على نحو ما كان من شاعر العلويين السيد الحميرى الذى يقول في أبي العباس السفاح :

دونكموها يا بني هاشم فجددوا من عهدها الدارسا
دونكموها فالبسوا تاجها لا تعدموا منكم له لابسا
لو خيّر المنبر فرسانه ما اختار إلا منكم فارسا
قد ساسها قبلكم ساسة لم يتركوا رطباً ولا يابسا
ولست من أن تملكوها إلى مهبط عيسى فيكم آيسا (١)

فهو جذلان يتغنى بتولي بني هاشم الخلافة بعد أن عانى الكثير على أيدي من قبلهم من الساسة السابقين، الذين لم يتركوا رطبا ولا يابسا. ومن هنا كان دعاؤه بأن تظل الخلافة فيهم إلى مهبط عيسى بن مريم عليه السلام.

وعلى نحو ما كان من أبي نخيلة الراجز عندما دخل على أبي العباس السفاح واستأذن بالانشاد فقال له السفاح : لا حاجة لنا في شعرك إنما تنشدنا فضلات بني مروان فيقول أبو نخيلة على الفور :ـ

كنا أناساً نرهب الأملاكا إن ركبوا الأعناق والأوراكا
قد ارتجينا زمناً أباكا ثم ارتجينا بعده أخاكا
ثم ارتجينا بعده إياكا فكان ما قلت لمن سواكا
زوراً فقد كفّر هذا ذاكا (٢)

وهذه القصة تحكي لنا صورة حقيقية لما كان معروفا من طبائع شعراء هذه الفترة من اضطراب وتلون رغبة أو رهبة، حيث مضى الشعراء في هذه الحقبة في انتجاع بني العباس فازداد عددهم كثرة بحيث لا نجد خليفة عباسيا إلا وفد عليه كثير من الشعراء، ومن هنا فإن استقصاء هؤلاء الشعراء لن يكون من السهولة بحيث يحاط

(١) الأغاني، ٧ / ٢٤٠
(٢) المصدر السابق، ١٨ / ٣٣٤ « طبعة مكتبة الحياة ـ بيروت » .

بهم جميعا ولذلك وجدتني أكتفي بمن يتصل منهم إتصالا وثيقا بمجال بحثي ، ومن هؤلاء الشعراء نخبة مضت تهجو الأمويين على نحو ما كان من سديف بن ميمون الذى يقول في هجاء بني أمية بعد ذهاب دولتهم :

أمْسَتْ أميةُ قَدْ تَصَدَّعَ شَعْبُها	شَعْبُ الضلالِ وشُتِّتْ أهواؤها
ولقد سُرِرْتُ لَعَبْدِ شَمْسٍ أنها	أمْسَتْ تُساقُ مباحةً أحماؤها
فلئِنْ أميةُ عَبْد شمسٍ وَدَّعَتْ	لقد اضمحلَ عن البلادِ بَلاؤها
زَعمتْ أمية وهي غيرُ حليمةٍ	أن لن يزولَ ولن يُهَدَّ بناؤها
وقَضَى الاله بغَيْرِ ذاك فَذُبِّحَتْ	حتى ترفّع في العجاجِ دِمَاؤها
فأميةُ العَيْنُ الكليلَةُ في الهُدَى	وأمية الدَّاءُ الدَوِيُّ وعاؤها
وأميةُ الأُذُنُ المصيخةُ للخنا	وأميةُ القَوْلُ البعيدُ وَفَاؤهَا
وأميةُ الكَفُّ المُصَرَّدُ نَيْلُها	وأميةُ القَوْلُ البعيدُ وَفاؤُها
وأمية القَدَمُ المُقَدَّم شَرُّها	وأمية القدمُ المُقَصِّرُ شاؤها
هيهات قد سَفَهت أميةُ دينَها	حتى أذَلَّ صِغارَها كبراؤها

ثم يقول :

لُعِنَتْ أميةُ كم لها مِنْ سَوْأةٍ	معَ سَوْأةٍ مشهورَةٍ عَوْراؤها
لا سُوْقةٌ منها أتتْ قَصْداً ولا	عَمِلَتْ بَقَصْدِ طريقَةٍ أمراؤها
يأيها الباكي أمَيَّةَ ضلّة	أرْسِلْ دموعَ العَيْنْ طال بُكاؤها
أمْسَتْ أمَية لا أمية تُرْتَجَى	قَلَبَ الزمان لها وهَمّ فَنَاؤها (١)

وهكذا أدرك سديف ثأره من الأمويين وشفي غليله ، ومضى في هجائهم على نحو ما رأينا بعد أن دالت دولتهم وهي قصيدة تقفنا على مدى كراهية سديف للأمويين وحقده عليهم إلى درجة جعلته يحرص كل الحرص على إغراء بني

---

(١) السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ٣٤ / ١٠ نقلا عن مخطوطة للمرزباني بعنوان، أخبار شعراء الشيعة، ٧٧ .

العباس بقتلهم والانتقام منهم، على نحو ما كان منه يوم أن دخل على مجلس أبي العباس السفاح بالحيرة وقد جلس بنو مية حوله فأنشد يقول :ـ

أَصْـبَـحَ المُـلْكُ ثابِـتَ الأسـاسِ ... بالبـهـالـيـل مِنْ بني الـعَـبَّـاسِ

بالـصـدور المـقـدمـينَ قديـماً ... والـرؤوس الـقـماقم الـرُّؤاسِ

يا أمـير المُطَـهّـريـنَ من الـذَّمِّ ... ويـا رأسَ مُنْـتَـهـى كُلِّ راسِ

أنـتَ مَهْـدِيُّ هاشـمٍ وهُـداهـا ... كم أنـاسٍ رَجَـوْكَ بَعْـدَ إيـاسِ

لا تُقـيـلَنَّ عَبْـدَ شَمْسٍ عِثَـارا ... واقطَـعَـن كُلَّ رَقْـلَةٍ وفِـراسِ

أنْـزِلُـوهـا بِحَيْـثُ أنـزلَهـا اللـ ... ـهُ بِدَار الهـوانِ والاتْـعَـاسِ

خَوْفُـهُـم أظْـهَـرَ الـتـوَدُّدَ مِنْهُـم ... وبِهِمْ مِنـكُـمُ كَحَـزِّ المـواسَـي

أقْصِـهِـمْ أيُّهـا الخـليـفـةُ واحسِمْ ... عَنْـكَ بالسَّيْفِ شَأفَـةَ الأرْجَـاسِ

واذكُـرَنْ مَصْـرَعَ الحُسَـيْنِ وزَيْـدٍ ... وقـتـيـلٍ بِجَـانـب المِهْـرَاسِ

والامـامَ الـذى بَحـرَّانَ أمْـسَـى ... رَهْـنَ قَبْرٍ في غُرْبَـةٍ وتـنـاسِـي

فلقـد ساءَني وسـاءَ سَوائـي ... قُرْبُهُـم من نَمارِقٍ وكَـراسِـي (١)

فتغير لون أبي العباس وأخذته رعدة، فالتفت بعض ولد سليمان بن عبد الملك إلى رجل منهم وكان إلى جنبه فقال : قتلنا والله العبد، ثم أقبل أبو العباس عليهم فقال : يا بني الفواعل، أرى قتلاكم من أهلي قد سلفوا وأنتم أحياء تتلذذون في الدنيا، ثم أخذتهم الخراسانية فأهمدوا إلا ما كان من عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فإنه استجار بداود بن علي وقال له : إن أبي لم يكن كآبائهم وقد علمت صنيعه إليكم فأجاره، ثم كتب السفاح إلى عماله في النواحي بقتل بني أمية . (٢)

---

(١) الأغاني، ٤ / ٣٤٥ .
(٢) المصدر السابق، ٤ / ٣٤٦ .

وهكـذا أغـرى سديف السفـاح ببني أميـة فاستجـاب فقتلهـم وكتب إلى عماله بقتلهم فقتلوهم شر قتلة، ولسديف هذا موقف آخر يرويه الأصفهاني أيضا بقوله :

أنشد سديف أبا العباس وعنده رجال من بني أمية قوله :

يا بنَ عَمِّ الـنـبـيّ أنْـتَ ضيـاء　　　استبنـابِـكَ اليـقـينَ الجَـلِيَّـا

فلما بلغ قوله :

جَرِّد السيـفَ وارفـع العَفْـوَحَتّى　　　لا تَرَى فَوْقَ ظَهْـرِهَـا أمَـوِيًّـا
لا يَغُـرَّنْـكَ ما تَرَى من دِجَـالٍ　　　إنَّ تَحْتَ الـضـلوعِ داءً دَوِيّـا
بَطَـنَ البُغْضُ في القـديم فأضْحَى　　　ثاوِيـاً في قلوبهـم مَطْـوِيّـا

قال : يا سديف : خلق الانسان من عجل، ثم قال :

أحْيـا الضغـائِنَ آبـاءً لنـا سَلَفُـوا　　　فلن تبـيـد وللآبـاءِ أبْـنَـاءُ

ثم أمر بمن عنده منهم فقتلوا . (١)

ووريت أبيـات أخـرى لسـديف أيضـا يحرض فيهـا بني العباس على الأمويين وفيها يقول :

علامَ وفـيـم تُتْرَكُ عَبْـدُ شَمْسٍ　　　لها في كُلِّ ثَغَـاءُ
أمـيرَ المـؤمـنـينَ أبِـحْ دِمَـاهُـمْ　　　فإنْ تَفْعَـلْ فعـادَتُـكَ المَضَـاءُ (٢)

---

(١) الأغاني، ٤ / ٣٤٦ .
(٢) ابن العماد، شذرات الذهب، ١ / ١٥٧

وهكـذا كان سديف شديـد الالحاح والتحريض على بني أمية لاستئصال شأفة من بقي منهم حيـا على نحـو ما جاء في قولـه لأبي العبـاس السفـاح يحضـه على الاقتصاص منهم ويذكره بمن قتل بنو أمية من قومه :

كَيْـفَ بالـعَـفْـوعَنْهُم وقـديـماً ... قتـلوكـم وهَـتَـكُـوا الحُـرُمَـاتِ
أيْـنَ زَيْـدٌ ؟ وأيْـنَ يحيى بنُ زَيْـدٍ ؟ ... يا لَهَا مِنْ مُصـيـبَـةٍ وتِـراتِ
والامـامُ الـذى أصـيـبَ بحَـرّا ... نَ إمـامُ الهُـدَى ورأسُ الـثـقـاتِ
قتـلوا آلَ أحمـدَ لا عفـا الـذَّنْـ ... ـبَ لمروان غافِـرُ الـسَّيئـاتِ (١)

وعلى نفس النمـط نهج عدد من الشعـرّاء من شيعـة بني العبـاس فمضـوا يحرضـونهم على بني أميـة ويطلبـون منهم أن يسقـوهم بكأسهم حتى يرتوا، يقول أحد شيعة بني العباس يحرضهم على بني أمية :

إيـاكُـمُ أنْ تلينـوا لاعتِـذَارِهُـم ... فليس ذلِـكَ إلا الخَـوْفُ والطَّمَـعُ
لو أنَّهـم أمِّـنُـوا أبْـدَوا عداوَتَهـم ... لكِنَّهـم قُمِعُـوا بالـذُّل فانقمعـوا
ألَـيْسَ في ألْـفِ شَهْـرٍ قَدْ مَضَتْ لَهُمُ ... سَقَـوْكُمُ جُرَعَـاً من بَعْـدِهَـا جُرَعُ
حتـى إذا ما انـقـضَتْ أيـامُ مُدَّتِهم ... مَتُّـوا إليكم بالأرحـامِ التي قَطَعُوا
هيـهـاتَ لا بَدّ أنْ يُسْقَـوا بكأسِهُمُ ... رَيّـا وأنْ يَحْصُـدوا الزَّرْعَ الذى زَرَعُوا
إنّـا واخـوانَنَـا الأنْصـارَ شيعَتُكم ... إذا تَفَـرّقَـتِ الأهـواءُ والـشِيَـعُ
إيـاكُـمُ أنْ يَقُـولَ الـنـاسُ إنَّهُـمُ ... قد مُلّكـوا ثُمَّ ما ضَرُّوا ولا نَفَعُوا (٢)

أرأيت كيف مضى شعراء الحزب العباسي يحرضون الخليفة أبا العباس السفاح على قتل بني أمية، ويحثونه على ألا تأخذه بهم رحمة ولا شفقة طالما أنهم قتلوا قومه من قبل .

(١) الأغاني، ٤ / ٣٥٠ .
(٢) المرجع السابق، ٤ / ٣٥١ .

وكما مضى الشعراء يحرضون العباسيين على استئصال شأفة خصومهم السياسيين ابتداء ببني أمية، مضوا يعالجون نظرية العباسيين في الخلافة على نحو ما فعل أبو نخيلة في مديحه لأبي العباس السفاح :

حَتّى إذا ما الأوصياءُ عَسْكَروا ... وقام من تِبْرِ النَّبيِّ الجَوْهَرُ
أقْبَلَ بالناسِ الهَوَى المُشَهَّرَ ... وصاحَ في الليل نهارٌ أنْوَرُ (١)

فالعباسيون هم أصحاب الخلافة والأوصياء عليها، وقد استخلصهم الناس كما يستخلصون الجوهر

ويؤكد نصيب مولى المهدى حق العباسيين في الخلافة فيقول :-

ورِثْتَ رسولَ الله عُضْواً ومِفْصَلاً ... وذا مِنْ رسولِ الله عُضْوٌ ومفْصَلُ (٢)

فالخلافة العباسية ميراث ورثوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم الأحق بذلك بحكم قرابتهم القريبة من رسول الله، وبنفس المعاني كان حديث بشار بن برد عن خلفاء بني العباس الذى جاء فيه :

ورِثْتم رسولَ الله بَيْتَ خِلافَةٍ ... وعِزاً على رَغْم العدو وسؤددا
وأنتم حماةُ الدين لولا دفاعكم ... لقد قذيَتْ عَيْنَاهُ أوْ كانَ أرْمَدَا
ومروان لما أنْ طَغَى وأتتْكُمُ ... زوائرُ مِنْهُ بادئات وعُوَّدا
نصبْتُم له البَيْضَ اللوامِعَ الرَّدَى ... وخَطيةً أخْمَدْنَ ما كان أوْقَدَا
ففرقْتُم أشياعَه وهَدَمْتُمْ ... بِمُلْكِكُمُ العادِيِّ مُلْكاً مُوَلَّدَا (٣)

---

(١) الأغاني، ١٨ / ١٤٩ وما بعدها طبعة ساسي .
(٢) المرجع السابق، ٢٠ / ٢٦ طبعة ساسي .
(٣) ديوان بشار بن برد، ٣ / ٣٩ .

وهو لا يكتفي بأن يقرر حق العباسيين في الخلافة ولكنه يمضي في الحديث عن جهودهم المضنية في سبيل وضع حد لطغيان الأمويين واسترجاع الخلافة التي هي ملك عادي لبني العباس ومن يقلب ديوان بشار بن برد يستطيع أن يلاحظ أنه أكثر من مدائحه للمهدى وأن مدائحه تلك تدور في فلك الدعاية العباسية، وتدافع في حماسة واضحة عن أحقيتهم بالخلافة وتقدمهم على قريش وقرابتهم من الرسول على نحو ما نرى في قوله :

سَمِيُّ من قامت الصلاة به ... لم يأتِ بخلاً ولم يقل كذبا
شيبتْ بأخلاقه خلائقه ... وحاز ميراثه إذا انتسبا
يغدو بيمن من النبوة لا ... يخلف عرَّاصه إذا اضطربا
وبَشَّرَتْ أرضنا السماء به ... وسَرَّ أهل القبور ما عقبا

إلى أن يقول :

مَهْديُّ آل الصلاة يقرأه القَسُّ ... كتاباً دَثْراً جَلاَ رِيَبَا
ترى عليه سيما النبيِّ وإن ... حارَبَ قوماً أذكى لَهُمْ لهبا (١)

فالمهدى عنده هو المهدى الذى تحدثت عنه الكتب السماوية الذى تنتظره جماعات المسلمن. وفي هذا المضمار يجلي فارس من أشهر فرسان الكلام فيه وهو مروان بن أبي حفصة الذى يقول في مديح له في المهدى :

أحْيَا أميرُ المؤمنين محمَّدٌ ... سُنَنَ النبيِّ حَرامَها وحلالَهَا
مَلِكٌ تفرَّعَ نَبْعُهُ مِنْ هاشِمٍ ... مَدَّ الالهُ على الأنامِ ظِلالَهَا

(١) ديوانه ١ : ٣٢٧ فما بعدها وهو يعني المسلمين بقوله «آل الصلاة» ويشير إلى ذكر المهدى في التوراة بعبارة « يقرأه القس » وفي ديوانه ٣ / ١٩٩ قصيدة أخرى رائية يؤكد فيها أن الخلافة ميراث لبني العباس من دون الناس، وله قصيدة أخرى دالية نجدها في ديوانه ٣ / ٧٣ يسخر فيها من الحسن بن إبراهيم بن عبدالله العلوى وفيها يؤكد نفس المعاني التى نوّه بها في بائيته السابقة من أن المهدى هو وارث الخلافة الشرعي وأنه مهدى بني العباس .

هل تطمسونَ من السماءِ نجومَها ... بأكُفِّكُم أوْ تَسْتُرونَ هِلالَها
أمْ تَجْحَدونَ مقالةً من رَبِّكُم ... جبْريلُ بَلَّغهَا النبيَّ فقالَها
شَهِدَتْ من الأنفالِ آخرُ آيةٍ ... بتُراثِهم فأرَدْتُم إبْطالَها (١)

يشير بذلك إلى قوله تعالى : « وأولوا الأرحام بعضُهم أولى ببعضٍ في كتابِ الله » وهو بهذا يرد على العلويين ردا مفحما طالما كانوا يرون أنهم أقرب الناس من الرسول، وبأنهم الأحق بميراثه حتى تجرد لهم مروان بن أبي حفصة فأعلن أن العم أولى من ابن العم بميراث إبن أخيه من بني بنته ولذلك ما أن يسمع المهدى هذه الأبيات حتى يزحف من صدر مصلاه حيث كان جالسا حتى صار على البساط إعجابا بما سمع (٢)، ومعنى هذا أن خلفاء بني العباس كانوا ينتظرون من شعرائهم المزيد من الدعاية لتأييد حقهم في الخلافة بالبراهين والأدلة الدينية حتى لو اقتضى هذا الأمر تعريضا بأبناء عمومتهم ولذلك رأينا شعراؤهم يستغلون هذه الرغبة ويحاجون خصومهم تأييدا لحقوقهم في الخلافة الاسلامية ومن ذلك قول أبي دلامة الأسدى الذى يخاطب فيه الخليفة العباسي المنصور:

يا بنَ عمّ النبي دعوةُ شَيْخ ... قد دَنَا هَدْمُ داره وبوارُهُ
يا بن من ورِث النبي الذى ... حَلَّ بكفيه ماله وعقارُه
لكم الأرض كلها فاعيروا ... شيخَكم ما حَوى عليه جِدَارُه (٣)

فالمنصور هو ابن عم النبي وهو ممن ورثوا النبي فلهم كل الحق في أن يخلفوه على الأمة وهو هنا يردد ما ادعاه العباسيون من أن أحقيتهم في الخلافة تستند إلى أنهم ورثوها عن جدهم العباس، فحين قبض الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن له

---

(١) شعر مروان بن أبي حفصة د. حسين عطوان، ٩٧ وما بعدها وكذلك الأغاني ١٠ / ٨٧ .
(٢) الأغاني، ١٠ / ٨٨ .
(٣) ديوان أبي دلامة الأسدى، ١٣٤ .

سوى وارث شرعي وحيد هو العباس بن عبد المطلب، وقد استغل مروان بن أبي حفصة هذه النظرية السياسية فراح يصوغها شعرا ويقول :ـ

يا بنَ الــذى وَرِثَ الـنبـيَّ مُحَمَّــداً ... دونَ الأقــارِبِ من بَني الأرْحــامِ
الــوَحْـيُ بَيْنَ بني الـبـنــاتِ وبينَكُم ... قَطَــعَ الخِصَــامَ فلات حِين خِصَــامِ
ما للنســاءِ مِنْ الــرجــالِ فريضــةً ... نزلــت بذلــك سورةُ الأنْــعَــامِ
أنّي يكــون ـ وليس ذاك بكــائِـن ـ ... لبــني الــبـنــاتِ وراثــه الأعــمامِ
ألفى سهــامَهم الكتــابُ فحــاولـوا ... أن يَشْــرَعُــوا فيهــا بَغــير سِهــامِ
ظفـرت بنـو ساقي الحجيج بحقهمْ ... وغــررتــمُ بتــوهــم الأحــلامِ
خَلّوا الطــريــق لِمَعْـشَـر عاداتُهـمْ ... حطــم المنــاكب يومَ كلِّ زِحــامِ
وارضــوا بما قســم الالــهُ لكــم به ... ودعــوا وراثــة كُلِّ أصْيَـدَ حَامِ (١)

وهكذا أذاع مروان بن أبي حفصة في الناس أن الخليفة المهدى قد ورث الخلافة عن النبي محمـد صلى الله عليه وسلم دون سائـر أقـاربـه لأن جده العبـاس كان الـوارث الـوحيـد له فهـو أحق بالخلافة من العلويين بني بنت رسول الله ومن أجل ذلـك مضى يؤ ول آيـات سورة الأنعـام وهـذه المعـاني التي رددهـا في هذه الأبيات تذكرنا بما روى عن منصور النمرى « أنه عرف مذهب الرشيد في الشعر وإرادته أن يصل مدحه إياه بنفي الامامة عن ولد علي بن أبي طالب ـ عليهم السلام ـ والطعن عليهم، وعلم مغــزاه في ذلــك مما كان يبلغــه من تقـديم مروان بن أبي حفصـة وتفضيله إياه على الشعراء في الجوائز . (٢)

وانطـلاقـا من هذه الـرغبـة في نفـوس الخلفـاء العبـاسيين كان تنويه أبي دلامة الأسدى بأن الخلافة التي يتربع على عرشها المنصور إنما هي بقضاء الله على نحو ما نرى في قوله :ـ

(١) الأغاني : ١٣ / ٤٣ وشعر مروان بن أبي حفصة، د. حسين عطوان، ١٠٤ والعقد الفريد، ١ / ٣١١ .
(٢) الأغانى، ١٣ / ١٤٠ .

لا والــذى يا أمــيرَ المـؤمنـين قَضَى　　　　لكَ الخـلافَـة في أسْبـابِهـا الرِّفَعُ (١)

إن أبا دلامة يَنْعَتُ الخليفةَ المنصور بأمير المؤمنين وهذا النعت يتضمن ما آمن به العبـاسيـون وحـالـوا أن يذيعـوه في النـاس من أن الواحد منهم يجمع بين الصفتين السياسية والدينية، فالخليفة إذاً حاكم سياسي وإمام دني ومن هذا القبيل قول أبي دلامة أيضا :

أيُّهــذا الامــام سَيْــفُــكَ مَاضٍ　　　　وبِــكَــفٍّ الــوَليِّ غير كَهــامِ
فإذا ما نَبَــا بِكَــفٍّ عَلِمْــنَــا　　　　أنَّــه كَفُّ مُبْــغِضٍ للامَــامِ (٢)

إنـه يلح على نعت خلفـاء بني العبـاس بأنهم الأئمـة مؤكـداً على إشباع رغبة الخليفة العباسي بسماع هذا اللقب على نحوما نرى في قوله في المنصور :

وكُــنَّــا نُرَجِّــي من إمــامٍ زيــادَةً　　　　فزادَ الامـامُ المُصْطَفَى في القلانِسِ (٣)

فالمنصـور إذاً أمـير المؤمنين، وإمامهم، وهو أيضا الامام الذى اصطفاه الله ولا مانـع عنـد أبي دلامـة أن يردد هذه المعتقدات العباسية على طريقته الخاصة وهذا الموقف من العباسيين يوحي بأن أبواق دعايتهم قد بدأت تذيع في الناس أن الخليفة العبـاسي شيء يختلف عن الخليفـة الأمـوى، فإذا كان الخليفة الأموى قد استمد سلطانه الدستورية بتفويض من رؤساء القبائل وسادة القوم فإن الخليفة العباسي الآن يستمد هذه السلطة من عند الله، ومن هنا فإن أبا دلامة وهو أحد المقربين من الخلفـاء ونـدمـائهم استطاع أن يستغل بعض ما كان خلفاء بني العباس يدعون به

---

(١) ديوان أبي دلامة، ١٣٦ .
(٢) ديوان أبي دلامة، ١٤٥ ولهذين البيتين قصة مع أحد الأمويين نجدها في الأغاني، ١٠ / ٢٧٣ .
(٣) ديوان أبي دلامة، ١٣٣ .

لأنفسهم على نحوما يرى في بعض خطب المنصور حيث يقول : « أيها الناس إنما أنـا سلطـان الله في أرضـه أسوسكم بتوفيقه وتسديده، وتأييده، وحارسه على ماله أعمـل فيـه بمشيئتـه وإرادتـه وأعطيـه بإذنـه . (١) ومن هنـا كان سبق أبي دلامة الأسـدى إلى بعض الأفكـار والمصطلحـات، حيث مضى ينعت الخليفة العباسي بأمير المؤمنين، والامام، والامام المصطفى، كما لقبه بالمهدى في تلك الأبيات التي هجا فيها أبا مسلم الخراساني عندما حاول أن يغدر ببني العباس ومنها قوله :

أبـا مُجْرِمٍ ما غَيَّرَ الله نِعـمَـةً ... على عَبْـدِه حَتّى يُغَـيِّرَهـا العَبْدُ
أبـا مُجْرِمٍ خوّفْـتَـني القَتْـلَ فانتَحَى ... عليـك بما خوفْـتَني الأسَـدُ الـورد
أفي دَوْلَـةِ المَـهْـدِيِّ حاولـت غَدْرَةً ... ألا إنَّ أهْـلَ الغَـدْرِ آباؤك الكُرْدُ (٢)

وهنـا لا بـد من وقفة عند بعض الدراسات التي تناولت شعر أبي دلامة بالدرس والتمحيص، ومن هذه الدراسات، دراسة الدكتور عبده بدوى عن الشعراء السود وفيهـا يرى أن أبـا دلامـة لم يسهم في الصـراع الـذى نشب بين العبـاسيـين وأبنـاء عمـومتهم العلويـين . (٣) وهـذا بالطبـع لا يتفق مع ما رأينـاه في قول أبي دلامة الذى جاء فيه :

يا بنَ عمِّ الـنـبـيّ دَعْـوةُ شَيْـخٍ ... قد دنـا هَدْمُ دارِه وبـوارُهُ
يا بنَ مَنْ وُرِّثَ الـنـبـيَّ الـذى ... حَلّ بكـفـيـه مالُـه وعـقـارُه
لكـم الأرْضُ كُلُّهـا فاعـيروا ... شيخَكُم ما حَوى عليـه جدارُه (٤)

لأننـا نرى في الأبيـات حجـاجـا مع العلويـين الـذين ادعـوا أحقيتهم بالخلافة لقـرابتهم من الـرسول فرأيناه يدحض دعوتهم بأحقية الخلافة عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم ويجعلهـا خالصـة للعبـاس الـوارث الوحيد، الذى حل بيديه ماله

(١) الطبرى، ٩ / ٣١٠ .
(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء، ٢ / ٧٧٨ .
(٣) د. عبده بدوى : الشعراء السود، ٢٥١ .
(٤) ديوان أبي دلامة، ١٣٤ .

وعقاره دون سائر أقاربه، ولقد رأينا أبا دلامة من قبل يسبق إلى معان لم يسبقه إليها شاعـر من شعـراء الحـزب العبـاسي حين مضى ينعت الخليفـة بصفـات الامـام والمهدى، والولي ولا يخفى أنه بهذه المعاني يحقق أمنية من أمنيات العباسيين ويدعو إلى واحـد من شعـاراتهم التي حاولـوا إعـلانهـا في النـاس وهي القائلة بأن الخليفة العباسي كان يجمع بين صفتي الحاكم السياسي والامام الديني .

ومن الـدراسـات أيضا رسالة الأستاذ رشدي حسن، الذى رفض فيها تصنيف أستـاذنـا الـدكتـور شوقي ضيف، حين جعـل أبـا دلامة واحدا من شعراء الدعوة العبـاسيـين (١) زاعـما أنـه لم يجد في شعـر أبي دلامـة إلا بضعة أبيات أشار خلالها إشارات تكاد تكون مبهمة إلى حق العباسيين في الخلافة، كما زعم أنها أقرب إلى شعر المديح منها إلى الشعر السياسي، (٢) ولا يخفي أن الباحث هنا كان ينظر إلى شعر الشاعر على أساس الكم متناسيا أمرين مهمين، أولهما أن شعر أبي دلامة في مجمـوعـة لا يكـاد يزيـد لى مائتين وثمانية وسبعين بيتا، (٣) وثانيهما أن شعر المديح كان أحـد المـوضوعات الرئيسية للشعر السياسي هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الفـترة التي عاشهـا الشـاعـر لم يكن العبـاسيـون خلالهـا ـ على نحوما رأينا ـ بحاجة إلى أكثر من التأييد لسياستهم . ومن هنا كان زعمنا بأن هذه الأبيات على قلتها جعلت من صاحبها واحدا من شعراء الدعوة العباسية، ولقد رأينا فيها عقيدة سيـاسيـة لأن أبـا دلامة كان واحدا من أولئك « الذين كانوا يتخذون من السخرية وسيلة لأظهـار تظـرفهم » (٤) ورأينـا أنـه اتخـذ العباسية دينا بعد أن اتخذ من دينه الحقيقي وشعائره الروحية وسيلة للتظرف والسخرية ولا سيما أن أبا دلامة هذا إمتاز بأسلوب حياتي وسياسي خاص .

---

(١) د. شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ٢٩٣ .
(٢) رشدى حسن، أبو دلامة الأسدى، حياته وشعره رسالة ماجستير، ٦٩ بجامعة القاهرة .
(٣) انظر ديوانه المسمى « القلامة في شعر أبي دلامة » الذى جمعه الأستاذ الدكتور محمد بن شنب .
(٤) د. يوسف خليف : حياة الشعر في الكوفة، ٢٢٤ .

ونحن نميل إلى الاعتقاد بأن أبا دلامة الأسدى وهو الانسان الذكي كان يتوجه بانتقادات ذكية للسياسة العباسية على نحوما يرى في قوله في الخليفة العباسي المنصور، بعد أن انتقلت إلى قصور العباسيين أنماط الحياة الفارسية الساسانية :

وكُنّا نُرَجّي مِنْ إمام زيادةً فزادَ الامامُ المُصْطَفى في القلانِسِ
تَراها على هامِ الرجالِ كأنَّها دِنانُ يهودٍ جُلِّلَتْ بالبَرانِسِ (١)

ونعجب : كيف لم يتنبه الخليفة المنصور إلى حقيقة ما أراده أبو دلامة من انتقادات ساخرة للسياسة التي سار عليها .

وتدفعنا هذه الانتقادات الذكية الساخرة إلى مزيد من الجراءة لاعادة النظر في قصيدة أبي دلامة في بغلته، والتي اشتهرت أكثر مما اشتهر أبو دلامة نفسه، بحيث نرى فيها قصيدة رمزية أراد بها توجيه انتقادات ساخرة للخلافة العباسية في وقت لم يكن من مصلحته أن يصرح بها تصريحا فرأيناه يتخذ من موضوع بغلته وعيوبها مجالا للتنفيس عن مكنون نفسه تجاه هذه الخلافة وأولئك الخلفاء الذين كانوا يغدقون عليه الهبات والعطايا .

إن ما بذله أبو دلامة في تلك القصيدة من جهد فني، وما تصيده لبغلته من عيوب لا تكاد تجتمع في الدواب كلها، يدفع الباحث إلى الاعتقاد بأن بغلة بعينها لا يمكن أن تجتمع فيها صفات العرج والعور والرفس والنهم والهزال والكسل والمرض وغير ذلك مما ذكره الشاعر ومما عجز عن ذكره على نحوما جاء في قوله فيها

رأيْتُ عيوبَها كَثُرَتْ وغالَتْ ولو أفْنَيْتُ مُجْتَهِداً مَقالي (٢)

---

(١) ديوان أبي دلامة، ١٣٣ .
(٢) ديوان أبي دلامة، ١٥٢ .

ومما يزيدنا شكا في أمره هذه البغلة أن الشاعر يفصل عيوبها للمشتري تفصيلا ليخلي مسئوليته فيها على نحو ما جاء في قوله :

فلما ابتاعها مِني وُبتَّت ... له في البَيْعِ غيْرِ المُسْتَقَالِ
أخَذْتُ بِثَوْبِهِ وبَرِئْتُ مِمّا ... أعُدُّ عَلَيْهِ مِنْ شَنَعِ الخِصَالِ (١)

وبعد فإن الشك يأتينا من ناحية أخرى هي ما رواه الأصفهاني عن الدافع الذى جعل أبا دلامة يهجو بغلته « لأن أبا العطاء السندى هجاها، فخاف أبو دلامة أن تشتهر بذلك وتعره فباعها وهجاها بقصيدته المشهورة » . (٢) ويدفعنا هذا إلى البحث عن هجاء أبي العطاء السندى لبغلة أبي دلامة فنجده في ثلاثة أبيات فقط (٣) على حين تبلغ قصيدة أبي دلامة في بغلته أربعة وستين بيتا حسب رواية الجاحظ (٤) وما نريد الانتهاء إليه في هذا أن أبا دلامة كان واحدا من الشعراء الذين ساهموا في حركة الصراع السياسي في القرن الثاني الهجرى وأن مساهمته كانت دفاعا عن سياسة الحزب العباسي، وهي مساهمة لها قيمتها ولا سيما أنها جاءت في وقت مبكر من عهد الدعوة العباسية فرأيناه يلزم نفسه بالعباسية ويزداد حماسه لها فلا يكتفي بترديد مصطلحاتهم ونظرياتهم السياسية والدفاع عنها ولكنه يتخذ منها دينا على نحو ما نرى في قوله :-

دِيْني عَلَى دينِ بَني العَبَّاسِ
ما خُتِمَ الطينُ على القرطاسِ (٥)

وهكذا لم يكتف الدلامي بإذاعة البيانات العباسية ولكنه يتخذها عقيدة

---

(١) المصدر السابق، ١٥٣ .
(٢) الأغاني، ١٧ / ٣٣٥ .
(٣) انظرها في الأغاني، ١٧ / ٣٣٥ وما بعدها .
(٤) الجاحظ : القول في البغال ، ١٠٠ .
(٥) ديوان أبي دلامة، ١٣٨ .

ويلتزمها دينا يدين به ما ختم الطين على القرطاس على حد تعبيره وحسب بني العباس أن يعتقد فيهم الناسَ ما اعتقده أبو دلامة .

ثم تتردد فكرة المهدى التي وردت في شعر الدلامي عند كثير من الشعراء الذين داروا في فلك الحزب العباسي ويبدو أن الفكرة مقتبسة من مصطلحات الشيعة المذهبية أو أنها مقتبسة من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه : « إن في أمتي المهدى، فيجىء إليه الرجل فيقول : يا مهدى أعطني . فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله والمال يومئذ كدوس » . بل لقد وضع في تلك الأيام حديث على الرسول يقول :
« المهدى منا واسمه يواطىء اسمي ، واسم أبيه يواطىء اسم أبي . لأن الخليفة العباسي محمد بن عبدالله بن العباس هو الذى حمل لقب المهدى وفيه يقول ابن الموالى :-

إلى القائم المهديِّ أعملتُ ناقتي ... بكل فَلاةٍ آلها يترقرقُ (١)

كما يقول :-

يَدْعوُ النبيُّ بِعَمِّه فيُجيبُه ... يا خَيرُ من يدعو النبيَّ جلالا

ومعنى ذلك أن شعراء الحزب العباسي استطاعوا أن يصبغوا الخلافة العباسية بالصبغة الدينية ومن هنا جاء قول السيد الحميرى في المنصور :

إنّ الالـه الذى لا شَيْءَ يُشْبِهُهُ ... أعطاكم المُلْكَ للدنيا ولِلدِّين
أعطاكُمُ الله مُلْكا لا زوال لَهُ ... حَتّى يقادَ إليكم صاحِبُ الصينِ
وصاحِبُ الهِنْدِ مأخوذاً بِرُمَّتِهِ ... وصاحِبُ التُرْكِ مَحْبُوساً على هونِ (٢)

---

(١) الأغاني، ٣ / ٢٨٦ .
(٢) المصدر السابق، ٧ / ٢٦٠ .

فالخلافة العباسية إذا هبة من الله لهم، وهي سلطة دنيوية ودينية في آن واحد ومن هنا جاء دعاؤه لهذه السلطة بالدوام والسرمدية، وفي موطن آخر يقول السيد الحميرى في المنصور :ـ

يا أمينَ الله يا مَنْـ ـصورُ يا خَيْرَ الوُلاةِ (١)

ويستغل شعراء الحزب العباسي مناسبات المديح ليوغروا صدور خلفاء بني العباس على أبناء عمهم من الطالبين على نحو ما نرى عند أبي حية النميرى عندما وفد على المنصور يمتدحه نجده يهجو بني حسن ويثنيهم عن طلب الخلافة بعد أن أصبحت صافية لبني العباس فمن يحاول نيلها من المنصور كمن يحاول شيئا في فم الأسد وأعني بهذا قصيدة أبي حية النميرى التي أولها :

عوجا نحي ديار الحي بالسند وهل بتلك الديار اليوم من أحد

وفيها يقول :ـ

أحين شيمَ فلم يَتْرُكْ لهم تِرَةً سيفٌ تَقلَّدَه الرئبالُ ذو اللِّبَدِ
سلَلْتُموهُ عليكم يا بني حَسَنٍ ما إنْ لكم مِنْ فلاحٍ آخِرَ الأبَدِ
قد أصْبَحَتْ لبني العباسِ صافيةً لجدع آنافِ أهْلِ البَغْيِ والحَسَدِ
و أصْبَحَتْ كلهاةِ الليْثِ في فَمِهِ ومن يحاولُ شيئا في فَمِ الأسَدِ (٢)

كما يسهم شعراء الحزب العباسي في عمليات ولاية العهد، وعقد البيعة لنائب الخليفة على نحو ما نرى في قول أبي نخيلة في مدح المنصور حيث يغريه بخلع عيسى بن موسى ولي عهده، وعقد البيعة بولاية العهد لابنه المهدى :

---

(١) المصدر السابق، ٧ / ٢٦١ .
(٢) الأغاني، ١٦ / ٣٠٩ .

لَيْسَ وليُّ عَهْـدِنـا بالأسْـعَـدِ ... عيـسـى فَزَحْـلِفْـهـا إلى مُحَمَّـدِ
من عِنْـدِ عيسَى مَعْهَـداً عن مَعْهَـدِ ... حَتَّـى تُؤدَّى من يَدٍ إلـى يَدِ
فنـادِ للبَـيْـعَـةِ جَمْعـاً نَحْـشُـدِ ... في يَوْمِنـا الحـاضِـرِ هذا أوْغَدِ(١)

وعلى نحوما نرى في قول العماني في المهدى :-

الحَـمْـدُ لله الـذى بِحَـمْـدِهِ ... مَنَّ على عبـادِهِ بِعَـبْـدِهِ
مَهْـدِيِّنـا الهـادِى الـذى بُرشْـدِهِ ... أصْـبَـحَ بَيْنَ غَوْرِهِ ونَـجْـدِهِ
يا بنَ الـذى كان نسـيـجَ وَحْـدِهِ ... أثْـبَـتُّ لهارون مكـان وِرْدِهِ
بِمَشْـرَعٍ يشـفي الصَّـدى بِبرْدِهِ ... واشْـفَـعْ لنـا موسى بِهِ مِنْ بَعْـدِهِ
يا بنَ أبـيـه وشَـبـيـه جَدِّه ... يُعْـرَفُ منـه جَدُّهُ بِجِـدِّهِ
قُلْ للامـام ووليِّ عَهْـدِهِ ... رُدِّيـتَ موسَـى بُرْدَهـا فَرْدَهُ
- خليـفـة الله - بمـثـل بُرْدِه ... وألْجِـم الأمـرَ لَهُ وسَـدِّهِ(٢)

وهي أرجوزة فيها ترديد لما أشاعه العباسيون من أن الخليفة العباسي إنما يتولى هذا المنصب بتفويض من الله ، وفيهـا دعـوة صريحة إلى الخليفة المهدى بأن يولي عهده لابنيه الرشيد فالهادى .

ومنه أيضا قول أبي الغول الطهوى في حث الخليفة العباسي الرشيد على عقد البيعة بولاية العهد لولديه الأمين فالمأمون :

بَنَـيْـتَ لعـبـدِالله بَعْـدَ مُحَمَّـدِ ... ذُرا قُبَّـةِ الاسـلامِ فاخضَـرَّ عودُهـا
هما طُنُـبَـاهَـا بارَكَ الله فيـهِـمَـا ... وأنت - أمـيرَ المؤمنين - عمودُها(٣)

(١) الأغاني، ١٨ / ١٥٠ طبعة ساسي .
(٢) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ١١١ .
(٣) المصدر السابق، ١٤٩ .

وانطلاقا من إيمان الشعراء بسلطة الخليفة العباسي الذى يحكم بإرادة الله وقدره مضى الشعراء يرفعون من أقدار الخلفاء العباسيين وينوهون بأنهم يستمدون سلطتهم من الخالق جل شأنه فهو الذى قضى لهم بتولي الخلافة ومن أمثلة ذلك قول أبي العتاهية في قصيدته اللامية المشهورة :-

أتَتْهُ الخِلافَةُ منقادَةً ... إليه تُجَرِّرُ أذيالَها
ولم تَكُ تَصْلُح إلا له ... ولم يَكُ يَصْلُحُ إلا لَهَا
ولو رامها أحَدٌ غيْرَه ... لزُلزِلَت الأرْضُ زِلْزَالَها
ولو لم تُطِعْهُ بناتُ القلوبِ ... لما قَبِلَّ الله أعمالَها (١)

ومنه أيضا قول فليج بن أبي العوراء في المهدى :

يا أمينَ الاله في الشَّرْقِ والغَرْ ... بِ على الخَلْقِ وابن عم الرسولِ (٢)

وتصل المبالغة ذروتها عند الحسين بن مطير عندما يرفع المهدى إلى ما هو أسمى من درجات البشر، دخل ذات يوم على المهدى فقال :

لو يَعْبُدُ الناسُ يا مَهْدِيُّ أفْضَلُهم ... ما كان في الناس إلا أنْتَ مَعْبودُ
أضْحَتْ يمينُك من جودٍ مصوّرة ... لا بل يمينك منها صُوِّرَ الجودُ
لو أنَّ من نوره مثقال خَرْدَلَةٍ ... في السود طُرّاً إذاً من لا بيضَّتِ السودُ(٣)

فلو جاز للناس أن يعبدوا أفضلهم لعبد الناس الخليفة المهدى وفي هذا شطط بعيد ومبالغة مقيتة ومع ما تحتويه مدائح الحسين بن مطير في المهدى من مبالغة إلا

---

(١) ديوان أبي العتاهية ، ٣١١ .
(٢) الأغاني، ٤ / ٣٦٠ .
(٣) المرجع السابق، ١٦ / ٢٣ .

أنها تظل تلقي بعض الأضواء على جذوة الصراع السياسي الذى شهده القرن الثاني حول الخلافة وما يتصل بها من أمور سياسية، ولا سيما أن خلفاء بني العباس أنفسهم كانوا ـ كما يبدو ـ يطالبون الشعراء بتأكيد حقهم فيها دون أولاد علي بن أبي طالب، روى صاحب الأغاني أن منصورا النمرى عرف مذهب الرشيد في الشعر وإرادته أن يصل مدحه إياه بنفي الامامة عن ولد علي بن أبي طالب ـ عليهم السلام والطعن عليهم، وعلم مغزاه في ذلك مما كان يبلغه من تقديم مروان بن أبي حفصة وتفضيله إياه على الشعراء في الجوائز، فسلك مذهب مروان في ذلك ونحا نحوه ولم يصرح بالهجاء والسب، كما كان يفعل مروان، ولكنه حام ولم يقع، وأومأ ولم يحقق لأنه كان يتشيع، وكان مروان شديد العدواة لآل أبي طالب، وكان ينطق عن نية قوية، يقصد بها طلب الدنيا فلا يبقي ولا يذر» . (١)

ويذهب منصور النمرى مذهب مروان بن أبي حفصة في مديحه لبني العباس وتصل به الاجادة حدا يجعل مروان بن أبي حفصة يتأسف على معان يسبقه النمرى إليها على نحو ما نرى في قوله في بني العباس :

فإنْ شكروا فقد أنْعَمْتَ فيهم	وإلا فالندامةُ للكفورِ
وإن قالوا : بنو بِنْتٍ فَحَقٌّ	ورُدُّوا ما يناسب للذكور
وما لبني بناتٍ من تُراثٍ	مع الأعمامِ في وَرَقِ الزَّبورِ (٢)

ثم يبالغ منصور في مديحه للرشيد مبالغة كبيرة على نحو ما نرى في قوله :

أيُّ امرىءٍ بات من هرونَ في سَخَطٍ	فليس بالصلوات الخَمْسِ يَنْتَفِعُ
إنَّ المكارمَ والمعروفَ أوْدِيَة	أحَلَّك الله منها حَيْثُ تَتَّسِعُ
إذا رَفَعْتَ أمراً فالله يَرْفَعُه	ومَنْ وضَعْتَ من الأقوام مُتَّضَعُ (٣)

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١٣ / ١٤٣ وما بعدها .
(٢) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١٣ / ١٤٣
(٣) الأغاني، ١٣ / ١٤٧ .

وهكـذا شط منصـور في مديحـه للرشيد عندما جعله ظل الله على الأرض، فلا تقبـل الأعـمال عنـد الله إلا إذا اقترنت برضاه، وإذا سخط على امرىء فلن تنفعه الصلوات الخمس، وأراد الخليفة من إرادة الله، وإذا رفع امرءا أو وضعه فإنما يكون ذلـك بإرادة الله، ومن عجب أن الـرشيـد لم يرد على هذا الشطـط ولم ينكـره على منصور وهو الذى أنكر من قبل قول رجل من ولد زهير بن أبي سلمى عندما أفرط في مدحه بقوله :

فكأنــه بَعْـدَ الـرسـولِ رسـولُ (١)

ولقد سبق لمروان بن أبي حفصة أن نظر إلى المهدى على أنه يستمد سلطانه من سلطان الله حيث قال من قصيدة له :ـ

فإنَّ طليــقَ الله مَنْ هو مُطْـلِقٌ ... وإنَّ قتيــلَ الله مَنْ هو قاتِــلُهْ
فإنَّــكَ بَعْــدَ الله لَلْحَــكم الــذى ... تصــابُ به من كُلِّ حَقٍّ مفــاصِــلُهْ (٢)

ومن هذه المعاني فيها ما مدح به كلثوم بن عمرو العبابي الرشيد حين قال :

ماذا عَسَـى مادِحٌ يُثْني عليــك وقــد ... ناداك في الــوَحْي تَقْــديسٌ وتطهـيرُ
فُتَّ المــدائــحَ إلا أنَّ أنــفُــسَــنَــا ... مستنطقـاتٌ بما تَحْوِي الضــمائرُ (٣)

وهو بذلك يعتمد على قوله تعالى : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » .

ويـؤكـد منصور النمرى على أحقية العباسيين في ميراث النبي صلى الله عليه وسلم ويرد على بني علي فيقول :

---

(١) المصدر السابق، ١٣ / ١٤٤ .
(٢) د . حسين عطوان ، شعر مروان بن أبي حفصة، ٩٥ .
(٣) الأغاني، ١٣ / ٢٠٩، ١٢٤ .

يا بنَ الأئــمــة من بَعْــدِ النبيِّ ويــا ... ابن الأوْصيـاءِ أقَـر النـاسُ أمْ دَفَعُـوا

لولا عَدِيٌ وتَـيْـمٌ لم تكـن وَصَـلَتْ ... إلـى أمـيّـةَ تمريهـا وتَـرْتَـضِـعُ

إنَّ الخــلافَــة كانت إرثُ والــدِكم ... من دون تَيْـم وَعْـفُـو الله مُتَّسِـعُ

ومــا لآل عليٍّ في إمـارَتـكُـم ... حَقٌّ ومـا لهم في إرْثـكُـم طَمَـعُ

يأيُّهـا النـاسُ لا تَغْـرَب عقـولُكُمُ ... ولا تُضِفْكُمْ إلى أكنـافِهـا البِـدَعُ

الـعَمُّ أوْلى من ابنِ العَمِّ فاستَمِعـوا ... قَوْلَ النصيح فإنَّ الحَقَّ يُسْتَمَعُ (١)

على هذا النحـو مضى النمـيرى يصف الـرشيد بأنه ابن الأئمة وابن الأوصياء وبأن هذه أمور بديهية ومقررة ولا مجال لنقاشها، وبأن الخلافة ميراث ورثه والدهم العباس عن النبي صلى الله عليه وسلم وبأنهم أحق بهذا الميراث من بني أمية ومن آل علي لأن العم أولى بالميراث من ابن العم ومع ذلك فإن منصورا النمرى حاول أن يوفق بين العباسيين والعلويين فقال :

بني حَسَـنٍ ورَهْـطَ بني حُسَـيْنٍ ... عليـكـم بالـسَّـدادَ من الأمـورِ

فقـد ذقـتـم قِراعَ بني أبـيـكـم ... غداةَ الـرَّوعِ بالـبيض الـذُّكـورِ

أحـينَ شَفَـوكـمـو من كُلِّ وِتْـرٍ ... وضَـمّـوكـم إلـى كَنَـفٍ وثـيرِ

وجـادوكـم على ظَمَأ شديـدٍ ... سُقـيـتُـم من نوالِهـم الـغـزيـرِ

فما كان الـعـقـوقُ لهم جزاءً ... بفـعـلهـم وآدى للشـؤورِ

وإنّـك حين تُبْـلِغُـهـم أذاةً ... وإنْ ظلمـوا لمحزون الضمـيرِ (٢)

زاد ابن المعتز عليهــا :

ألا لله دَرُّ بني عَليٍّ ... وزورٍ من مقـالـتـهـم كبـيرِ

يُسَـمُّـونَ الـنـبيَّ أبـاً، ويَأبـى ... من الأحـزابِ سَطْرٌ في سطورِ (٣)

---

(١) ابن المعتز : طبقات الشعراء، ٢٤٤ وما بعدها .

(٢) الأغاني، ١٣ / ١٤٤ .

(٣) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٢٤٦ .

يريد قوله عز وجل : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله » فلما سمع الرشيد قوله :

وإنَّكَ حين تبلُغُهم أذاة ـ وإنْ ظلموا ـ لمحترق الضميرِ

قال : ويحك ، ما هذا؟ شيء كان في نفسي منذ عشرين سنة لم أقدر على إظهاره فأظهرته بهذا البيت » .(١)

ولعل إعجاب الرشيد بما كان يصدر عن النمرى من شعر أغزاه فمضى يمدحه ويهجو آل علي ويثلبهم فضجر منه هرون وقال له : يا بن اللخناء أتظن أنك تتقرب إليّ بهجاء قوم أبوهم أبي ، ونسبهم نسبي ، وأصلهم وفروعهم أصلي وفروعي » . (٢)

وهكذا مضى النميرى في تأييده للحزب العباسي فأشار إلى نظريتهم في الخلافة في شيء من التفصيل مؤكدا على حقوقهم في ميراث النبي ، ولا أظن الشعر السياسي في هذه الآونة كان محتاجا إلى أكثر من تأييد هذا الحق أو الرد على خصومهم في هذا الادعاء .

وعلى نفس النمط رأينا أبان اللاحقي يؤكد حق العباسيين في ميراث النبي ص) فقال :ـ

نَشَدْتُ بِحَقِّ الله مَنْ كان مُسْلِماً أعمّ بما قد قُلْتُه العُجْمَ والعَرَبْ
أعَمُّ رسولِ الله أقْرَبُ زُلْفَةً لَدَيْهِ أم ابنُ العَمِّ في رُتْبَةِ النَّسَبْ

(١) المصدر السابق، الصفحة ذاتها .
(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٣ / ١٤٤ .

وأيُّهما أولى بِهِ وبِعَهْدِهِ ومن ذَا له حَقُّ التراثِ بما وَجَبْ
فإن كان عباسُ أحَقُّ بنَسْلِكُمْ وكان عَليٌّ بَعْدَ ذاك على سَبَبْ
فأبْنَاءُ عَبّاسٍ هُمُ يَرِثُونَه
كما العَمُّ لابن العم في الارْثِ قد حَجَبْ (١)

فأبانُ بن عبد الحميد اللاحقي في هذه الأبيات يدفع دعوى الطالبيين من ناحية العمومة، كما دفعها ـ من قبل ـ مروان بن أبي حفصة من ناحية البنوة استناداً إلى أبواب الميراث في الفقه الاسلامي وبذلك يثبت حق العباسيين في الخلافة، لأن العباسيين إنما يقبضون على عنان الخلافة بقوة الميراث عن رسول الله (ص) لأن « العباس عصب رسول الله (ص) ووارثه وهذا يوافق ما حكاه ابن حزم في تقرير حجة العباسية، أو الراوندية . (٢)

وما جاء في أبيات أبان اللاحقي من معان لا يكاد يختلف عن معاني تلك الأبيات الميمية التي قالها منصور النمري في نفس المجال، فالخلافة عند كليهما ميراث لعم النبي من بعده، يرثه أبناؤه من البيت العباسي، لأن العم أحق بالميراث من ابن العم، ومن هنا فإن أبناء عباس هم الأحق بميراث النبي من أبناء علي بن أبي طالب، لأن العم وهو العباس بن عبد المطلب يحجب الميراث عن ابن العم وهو علي ابن أبي طالب لأنه الأقرب في سلسلة النسب .

والعجب الذى يزيد على كل العجب في أمر ميراث النبي أن بني أمية كانوا يدعون أحقية بميراث النبي على نحو ما يستشف من قول إبراهيم بن المهاجر البجلي :ـ

---

(١) الصولي، الأوراق (أخبار الشعراء) ١٤ .
(٢) الفصل، ٤ / ٩١ .

أيُّهـا النـاسُ اسمعـوا أخْـبِرْكُمُ عَجَبـاً زاد على كُلِّ العَجَـبْ
عَجَبـاً مِن عَبْـدِ شَمْسٍ إنَّهـم فَتَّحـوا للنـاس أبـوابَ الكَـذِبْ
وَرِثُـوا أحْمَـدَ فيـما زَعِـمُـوا دون عَبّـاس بن عَبـدِ المُطَّـلِبْ
كَذَبـوا والله ما نَعْـلَمُـهُ يُحْرِزُ المـيراثَ إلّا مَنْ قَرُبْ (١)

هكـذا مضى إبـراهيم البجـلي يسخـر من الأمـويين الذين استخفوا بعقول الناس وفتحـوا للنـاس أبـواب الكـذب عنـدمـا زعمـوا أنهم قرابـة الرسول وورثته فسفه اعتقـادهم وعـاب دعـاواهم، لأن عبـاس بن عبـد المطلب هو الـذى يستحق هذا الميراث لأنه الأقرب من الرسول .

وعلى نفس النهج سار محمـد بن عبـدالله بن مسلم مولي الأنصـار الشهير بابن المولى حين مضى يدافع عن حق العباسيين في الخلافة ومن هذا القبيل قوله :ـ

ومـا قارَعَ الأعْـداءَ مِثْـلُ مُحَمَّـدٍ إذا الحَـرْبُ أبْـدَتْ عن حُجولِ الكواعِبِ
فتى ماجِـدُ الأعـراقِ من آل هاشمٍ تَبَحْبَـحَ مِنْهـا فى الـذُّرى والـذوائِبِ
إذا ما ذُكِـرَتْ يومـا مناقِبُ هاشِمٍ فإنّـكـم منهـا بخـيرِ المنـاصِـبِ
ومَنْ عيبَ في أخْـلاقِـه ونصـابِـهِ فما في بني العَبّـاسِ عَيْبٌ لعـائِبِ
وإنَّ أمـيرَ المـؤمـنـين ورهْطَـهُ لأهْـلُ المعـالي من لُؤَيِّ بن غالب
أولئـك أوتـادُ البـلاد ووارثـوا النـ ـسبِيِّ بأمْرِ الحَقِّ غيرِ التكـاذُبِ (٢)

على هذا النحو مضى ابن المولى في مديحه للمهدى مشيدا بجهوده وجهود بني هاشم التي كان من ثمارهـا تقـويض سلطـة الأمـويين، ولم يفته أن يشير إلى وقوف

(١) المسعودى : مروج الذهب، ١ / ٥٨ .
(٢) الأغاني، ٣ / ٢٩٢ وما بعدها .

العباسيين في وجه العلويين الطامعين في الخلافة منوها بما ألحقوه بهم من انتقام وقتل وتشريد ولعله يشير بهذا إلى جهود المنصور حين قبض على كثير ين منهم وحبسهم في سرداب على شاطيء الفرات، وهكذا أشار ابن المولى إلى جهود العباسيين في الوقوف في وجه الأطماع العلوية وما جرته عليهم من نقمة وما ألحقه بهم بنو العباس من انتقام وقتل وتشريد ثم يشير بعد ذلك إلى عفو الخليفة عن تائبيهم وتقريبه مجالسهم وتجاوزه عن هناتهم فيقول :

وما نَقَموا إلا المودة مِنْهُمُ ... وأنْ غادَرُوا فيهم جزيلَ المواهِبِ

وأنهم نالوا لَهُم بِدِمَائِهم ... شفاء نفوسٍ من قتيلٍ وهارِبِ

وقاموا لهم دون العدا وكفَوْهُمُ ... بِسُمْر القنا والمُرْهفاتِ القواضِبِ

وإنَّ أميرَ المؤمنين لعائذٌ ... بإنعامِهِ فيهم على كُلِّ تائِبِ

إذا ما دَنَوا أدْناهُمُ وإذا هَفَوْا ... تجاوزَ عَنْهُمْ ناظِرا في العواقِبِ

شفين على الأقصينْ أنْ يركبوا الرَّدَى ... فكيف بِهِ في واشجَات الأقارِبِ (١)

وهكذا تظاهر ابن المولى بحب المهدى طمعا في عطائه وأشاد بحمايته ومآثره على الطالبيين مما أحفظ عليه الحسين بن زيد فعندما مدح ابن المولى الحسن بن زيد بقصيدته التي يقول فيها :ـ

ولو أن امرأً ينال خلوداً ... بِمَحلٍّ ومَنْصِبٍ ومكانِ

أو بِفَضْلِ حَسَنُ الخَيْـ ... ـرِ بِفَضْلِ الرّسولِ ذي البُرْهانِ (٢)

دعاه الحسن بن زيد خاليا ثم قال له : يا عاض كذا من أمه أما إذا جئت إلى الحجاز فنقول لي هذا، وأما إذا مضيت إلى العراق فتقول :ـ

---

(١) الأغاني، ٣ / ٢٩٣ .

(٢) المصدر السابق، ٣ / ٢٩٤ .

وإنَّ أمـيرَ المـؤمـنـينَ ورَهْطَـهُ كَرَهْـطُ المعـالي من لُؤ يٍ بن غالِبِ
أولئـك أوتـادُ البِـلادِ ووارِثـوا النـ بِيِّ بأمْـرِ الحَـقِّ غَيْرِ التكـاذُبِ (١)

فقال له : أتنصفني يا بن الرسول أم لا؟ فقال نعم، فقال : ـ ألم أقل : « وإنَّ أمـيرَ المـؤمنـينَ وَرهْطَـه » ألستم رهطـه؟ فقال : دع هذا، ألم تقدر أن ينفق شعرك ومديحك إلا بتهجين أهلي والطعن عليهم والاغراء بهم حيث تقول :

ومـا نقـمـوا إلا المـودّة منهُـمُ وأنْ غادروا فيـهم جزيـل المـواهِبِ
وأنَّهـم نالـوا لهم بدمـائِـهـم شفـاءَ نفوسٍ من قتيلٍ وهارِبِ (٢)

فوجم ابن المولى وأطرق ثم قال : يا بن الرسول إن الشاعر يقول ويتقرب بجهـده ثم قام فخـرج من عنـده منكسرا، فأمر الحسن وكيله أن يحمل إليه وظيفته ويزيد فيها ففعل، فقال ابن المولى : والله لا أقبلها وهو علي ساخط، فأما إن قرنها بالرضـا فقبلتهـا، وأما أن قام وهو علي ساخط البتة فلا، فعاد الرسول إلى الحسن فأخبره فقال له : قد رضيت فأقبلها، ودخل على الحسن فأنشده قوله فيه :

سألْـتُ فأعطـاني وأعْطَى ولم أسَـلْ وجـاد كما جادَتْ غوادٍ رواعِـدُ
فأقْسِـم لا أنفـكَ أنْشِـدُ مَدْحَـهُ إذا جمعتني في الحجيـجِ المشـاهِـدُ
إذا قلت يومـا في ثنـائي قصيـدة ثنيت بأخـرى حيث تجزى القصـائد (٣)

وهكذا حرص كل من المهدى العباسي والحسن بن زيد العلوى الطالبي على الفـوز بمـدحي ابن المـولى وتمنيـا ثناءه فبذله لهما على حد سواء، وإن بدا أنه أشد

---

(١) الأغاني، ٣ / ٢٩٤ .
(٢) المصدر السابق، ٣ / ٢٩٥
(٣) المصدر السابق، ٣ / ٢٩٤ وما بعدها .

حرصـا على الفـوز برضا الحسين فإن مرد ذلك إلى أنه مدح كلا الرجلين طمعا في المـال أولا ، واقتنـاعـا بما يضمـره من حب لآل البيت وما بذله لهم المهدى من حماية وعلى هذا فإننا لا نوافق الأستاذ أحمد الشايب فيما ذهب إليه من أن بن المولى كان يضمـر في نفسـه بغض الاثنـين وحب قومه والحنين إلى مجدهم أن يعود وحسبه من الـرجلين أن يظفـر بالمـال وقـد فعل . (١) فلو كان ابن المولى يريد المال وحسب لما تردد منذ البداية في قبول ما حمله إليه وكيل الحسن بن زيد من قبل ، ولا سيما أنه زاد له فيـه بأمـر من الحسن بن زيـد ، ثم لماذا كان قسمـه المغلظ بأن يظل يلهج بمديح الحسن بن زيد كلما حضر مشاهد الحج؟

كما يشـارك شعـراء الحزب العباسي في أمور الدولة مشاركة لها أثرها حتى يخرج بعضهم مع الجيـوش الغـازيـة ، (٢) ولا يكتفي بعض هؤلاء الشعراء بالثناء على الخلفاء ولكنهم يمتدحون ولاتهم على الأقاليم حتى لينقطع بعض هؤلاء الشعراء إلى وال بعينه أو قائد من القادة على نحو ما كان معروفا من العكوك على بن جبلة الذى كانت جل مدائحه في القائدين أبي دلف العجلي وحميد الطوسي وعلى نحو ما كان معروفا من مسلم بن الوليد الذى انقطع إلى كل من الفضل بن سهل ويزيد بن مزيد فمضى يمدحهما ببيان دورهما في إقامة الخلافة أو الحفاظ عليها وغير ذلك من الصفـات التي قد تؤ ولهـا الأحـزاب لصـالحها ولكنه لم يكن على ما يبدو شاعر سيـاسـة أو حزبيـة بالمعنى المفهـوم فلم ينـاضـل عن القـوم ولم يحارب عن قبيلة أو مذهب ، ولم ينتصـر لحكم دون حكم على كثـرة ما ثار في أيـامـه من خلاف بين الأحزاب واضطراب في أمر الخلافة كما يفعل الشعراء والسياسيون . (٣)

---

(١) أحمد الشايب ، تاريخ الشعر السياسي ، ١٥

(٢) على نحو ما كان معروفا من أبي دلامة الأسدى الذى روى الأصفهاني أنه اشترك مع أبي مسلم الخراساني في بعض حروبه مع بني أمية ، الأغاني ، ١٠ / ٢٦٨ ، وكذلك بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، ٢ / ١٨ طبعة دار المعارف .

(٣) د . سامي الدهان : شرح ديوان صريع الغواني « مسلم بن الوليد » ، ٢٢ .

ومهما يكن من أمر فإن مساهمة هؤلاء الشعراء العباسيين في أمور الدولة كانت ذات أثر في حركة الصراع السياسي وحتى ما أبداه الشعراء من مديح للولاة وقادة الجيش ما كان ليكون لولا اقتناع هؤلاء الشعراء بأنهم أدوات سياسية للعباسيين ومن هذا القبيل قول مروان بن أبي حفصة في الفضل بن يحيى والي العباسيين على خراسان عندما اتخذ جندا من العجم سماهم العباسية :

ما الفضلُ إلا شهابٌ لا أفولَ له ... عِنْدَ الحروبِ إذا ما تأفُلُ الشُهُبُ
حامٍ على مُلْكِ قَوْم عَزَّ سَهْمُهُمُ ... من الوراثَةِ في أيدْيهم سَبَبُ
كتائِبٌ لِبَني العَبّاس قد عَرَفَتْ ... ما أَلَّفَ الفَضْلُ منها العُجْمُ والعَرَبُ
أثبت خمسَ مئين في عِدادِهمُ ... من الألوفِ التي أحْصَتْ لك الكتُبُ
يقارِعُونَ عن القَوْمِ الذين هُمُ ... أولى بأحْمَدَ في الفُرْقانِ إن نُسِبُوا (١)

فهو فيها يمتدح الفضل بن يحيى باعتباره واليا من ولاة العباسيين أو أداة من أدواتهم السياسية ولذلك رأيناه يزعم بأن هؤلاء الخراسانية يقارعون عن العباسيين الذين ورثوا الخلافة عن محمد صلى الله عليه وسلم استنادا على ما جاء في الفرقان المبين .

وهكذا مضى الشعر في خدمة الحزب العباسي الحاكم فرأينا أعدادا هائلة من الشعراء تنتجعه وتنقطع له، وتناضل عن آرائه ونظرياته السياسية وترد على خصومه السياسيين من أمويين وعلويين وفرس .

ب) الشعر في خدمة الأموية :

رأينا فيما مضى من هذا البحث كيف دأب شعراء الحزب العباسي الحاكم على تحريض الخلفاء العباسيين على بني أمية مما أدى إلى استئصال شأفتهم وتقليص نفوذهم على نحو ما رأينا عند سديف وغيره من شعراء السلطة العباسية، ولعل

(١) الطبري : حوادث سنة ١٧٨ هجرية .

أبـرز ما يلفت النظـر في هذا المجـال، أن السلطـة استطاعت بأساليبها المتعددة أن تحدث تحولا جوهريا في اتجاه بعض الشعراء وميولهم السياسية على نحو ما كان من العبـلي ومن مروان بن أبي حفصـة وأبي نخيلة العـماني الـراجز وغيرهم ممن غيروا إتجاهاتهم وانتماءاتهم السياسية فانقلبوا من شعراء شديدي التعصب لبني أمية إلى شعـراء شديـدى التعصب لبني العبـاس، ويصل التطرف ببعضهم حدا يعلن فيه تكـذيب نفسـه وتـراجعـه عما قالـه في بني أمية على نحو ما رأينا في قصة أبي نخيلة الراجز مع السفاح وهذا يلفتنا إلى حياة الضياع والقلق التي عاشها بعض الشعراء بحيث بدا متخبطـا بين ولائـه لبني أميـة وحبـه لبني هاشم على نحو ما سنرى عند عبـدالله بن عمـر العبـلي، ولعـل الخـوف من ناحيـة وحب المال من ناحية ثانية قد ساعدا على وجود مثل هذه التحولات والمفارقات في مواقف بعض الشعراء .

ومن هذا القبيـل ما رأينـاه من وفـود مروان بن أبي حفصـة على الوليد بن يزيد ومعـه كلٍ من الحسـين بن مطـير الأسـدى وطريح بن اسماعيل الثقفي، وعدد من الشعراء ليمتدحه بقصيدة منها بقوله :

إنَّ بالـشـام بالمـوقّـر عِزّاً	ومـلوكـاً مبـاركـينَ شُهـودَا
سادةً من بني يزيـد كرامـا	سبقـوا النـاس مكـرمـات وجـودا
هان يا ناقـتي علي فسـيرى	أنْ تموتـي إذا لقـيتُ الـوليـدا (١)

نجـده على الـرغم من انقطـاعه لبني أمية يأخذ في التردد على والي المنصور في مكـة والمـدينـة لأنـه ينظر إليهما باعتبارهما أداتين من أدوات الخلافة، وما أن تصبح هاتـان الأداتـان طيعتـين في يديـه حتى يفد على الخلفاء العباسيين أنفسهم، يفد على المهدى ثم يمتدح الهادى والرشيد، وهكذا ينقطع لمديح الخلفاء العباسيين ثم لا يكتفي بمديح الخلفاء ولكنه يمتدح الولاة والوزراء أيضا :

(١) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق، ٣٣ / ٢٤٢ مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (٤٩٢ تاريخ) .

وفي ضوء هذا التغير رأيناه يتخبط في قوله في بني أمية :

ومـا فَعَـلَتْ بنـو مروان خَيْراً ولا فَعَـلَتْ بنـو مروان شَرًّا (١)

وكان أبو العطاء السندى من أشد الشعراء حماسة وولاء لبني أمية أيام سلطانهم ولكنـه سرعـان ما انقلب عليهم ومضى إلى أبي العبـاس السفاح يمدحه ويتملقه بالتنديد بالأمويين على نحو ما نرى في قوله :

إنَّ الخِيـارَ من البَرِيَّـةِ هاشِـمٌ وبنـو أمَيّـة أرْذَلُ الأشْـرارِ
وبنـو أمَيّـة عودُهـم من خِرْوِعٍ ولهـاشـم في المَجْـدِ عُودُ نُضَـارِ
أمـا الـدعـاةُ إلى الجنـانِ فهـاشِمٌ وبنـو أميّـةَ من دُعـاةِ النـارِ (٢)

وهكـذا سارع أبـو عطـاء السنـدى بمـديح الخليفة العباسي وسائر بني هاشم، فجعلهم خيـار النـاس ودعـاة الخـير، على حين نظـر إلى بني أمية على أنهم أرذل الأشرار ودعاة الشر، ولما لم يصله الخليفة بشيء قال :

فليـت جَوْرَ مروان عادَ لنـا وليت عَدْلَ بني العباسِ في النارِ (٣)

وهكـذا عاد إلى شيعتـه من بني أميـة يتحسـر على أيـامهم الخـوالي ويندد ببني العباس ساخرا من إدعائهم العدل ومحاربة الجور، وله في هجائهم ما هو أشد ومنه قوله :

---

(١) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١ / ١٥١ .
(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء، ٢ / ٧٦٩ .
(٣) الأغاني، ١٧ / ٣٣٣ وكذلك ابن قتيبة : الشعر والشعراء، ٢ / ٧٦٩ مع تغيير في بعض الألفاظ .

بني هشــام عودوا إلـى نخــلاتِـكُمُ فقـد قام سِعْـرُ التَّمْـرِ صاعـا بِدِرْهَمِ
فإنْ قُلْتُمُ رَهْـطُ الـنـبـيِّ وقَـوْمُـه فإنَّ النصـارى رَهْـطُ عيسى بن مَرْيمِ (١)

وهـو هجـاء مقـذع ساخر، فيه قدر كبير من الاحراج لبني العباس الذين أقاموا خلافتهم على أســاس أحقيتهم بمـيراث النبي وهـو الأسـاس الـذى ما انفـك شعراؤهم يرددونه ويكثرون منه ويتناولونه بأساليب متعددة حتى رأينا السندى يرد عليهم هذا الادعاء ويراه أساسا واهيا لا يعتد به .

ومـرة أخـرى نجـد أبـا العطـاء السندى لا ينخدع بما رفعه الحزب العباسي من واجهات سياسية ودينية، حين نراه ينظر إلى ما أشاعوه في الناس من إرهاب مجترا ذكرياته مع بني أمية على نحو ما يرى في قوله :

ألَـيْسَ الله يَعْـلَمُ أنَّ قلبـي يُحَبُّ بني أمـيَّـة ما اسـتطـاعـا
ومــا بِي أنْ يكـونـوا أهْــلَ عَدْلٍ ولــكـني رَأيْـتُ الأمْــرَ ضاعَــا (٢)

ولذلك لم يكتف السندى بمعارضة العباسيين فكريا ولكنه كان يقاتلهم منحازا إلى صفوف الأمويين، (٣) وإذا كان الأمر على هذه الصورة فليس غريبا أن تكون بيعتـه لبني العبـاس من باب الاكـراه على نحـو ما نرى في قولـه عندما أمر الخليفة المنصور بلبس السواد :-

كُسيـتُ ولم أكـفُـرْ مِنَ الله نِعْـمَـة سواداً إلـى لَوْني ودَنّـاً مُلَهْـوَجَـا
وبـايَعْتُ كُرْهَــاً بَيْعَــةً بَعْــدَ بَيْعَةٍ مُبَهْـرَجَـةً إنْ كانَ أمْـرٌ مُبَهْـرَجَا (٤)

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء، ٢ / ٧٧٠ .
(٢) الأغاني، ١٧ / ٣٣٣ .
(٣) الأغاني، ١٧ / ٣٣٠ .
(٤) المصدر السابق، ١٧ / ٣٣٥ .

ولعل من أجود ما قيل في بني أمية يوم أن دبت الفتنة بين رجالهم واختلفت كلمتهم تلك الأبيات التي ألح الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور على عبدالله بن عمر أبي عدى العبلي أن ينشده إياها ومنها قوله :

شَرِكُوا العدا في أمْرِهم فتفاقَمَتْ	منها الفُتُونُ وفُرِّقَتْ أهواؤها
ماذا أؤمِّلُ إنْ أمَيَّة ودَّعَتْ	وبقاءُ سُكَّان البلادِ بقاؤها
أهْلُ الرياسَةِ والسياسةِ والنَّدَى	وأسودُ حَرْبٍ لا يخيمُ لقاؤها
غَيْثُ البلادِ هُمُ وهُمْ أمَراؤها	سُرُجٌ يضيءُ دُجَى الظلام ضياؤها
فَلَئِنْ أميةُ وَدَّعَتْ وتتابَعَتْ	لغوايةٍ حَمِيَتْ لها خلفاؤها
لَيُوَدِّعَنَّ مِنَ البَرِيَّةَ عِزُّها	ومِنَ البلادِ جمالُها ورَجاؤها
لَهَفي على حَرْبِ العشيرةَ بَيْنها	هَلَّا نَهَى جُهَّالَها حلماؤها
لَمَّا رأيْتُ الحَرْبَ توقد بَيْنها	وَيشُبُّ نارَ وقودها إذكاؤها
نَوَّهْتُ بالمَلِكِ المُهَيْمِنِ دَعْوَةً	ورواحُ نَفْسِي في البلاد دُعاؤها
لِيرُدَّ ألْفتَها وَيجْمَعَ شِمْلَها	بخيارِها فخيارُها رُحَماؤها
فأجابَ رَبِّي في أمَيَّةَ دَعْوَتِي	وحَمَى أميَّةَ أنْ يُهَدَّ بِناؤها

حتى إذا انتهى إلى قوله :-

فبنو أمَيَّةَ خيرُ مَنْ وَطِيءَ الثَّرَى	شَرَفاً وأفْضَلُ سَاسَةٍ أمراؤها (١)

قال له المنصور . أخرج عني لا قرب الله دارك . (٢)

وهكذا لم يحتمل المنصور من العبلي هذا التفاني في سبيل قومه فما أن ينتهي من

(١) الأغاني، ١١ / ٣٠٧ وما بعدها .
(٢) المرجع السابق، ١١ / ٢٩٥ والأبيات مروية مرتين، مرة بايجاز ومرة أخرى أورد الأبيات كاملة .

إنشـــاده حتى يطـرده شر طردة، وبـذلـك لم يبق العبـلي على علاقـة وديـة مع بني العبـاس، كما أنـه لم يكن على علاقـة وديـة مع بني أمية لأنه كما لاحظنا من قبل لم يكن ليـوافقهم على سيـاستهم في سب علي على المنـابر فأظهر الانكار لذلك حتى شهـد عليـه قوم منهم بمكـة فانتقـل إلى المدينة وأنشد أبياتا يصرح فيها بحب بني هاشم حب دين لا حب دنيا على حد تعبيره . (١)

وما أن يبدأ العباسيون في تعقب الأمويين بالقتل والتشريد بعد نجاح الانقلاب العباسي حتى تعترى الهموم العبلي فنقض مضجعه ويجافيه النوم على نحو ما يرى في قوله :ـ

تقـول أمـامـةُ لَمَّا رأتْ — نشـوزى عن المَضْجـعِ الأنْفَسِ
وقـلّةِ نَوْمـي على مَضْـجَـعـي — لدى هَجْـعَـةِ الأعـينُ الـنُّـعَّسِ
أبـي : ما عَراكَ ؟ فقـلتُ: الهُمُـومَ — عَرَوْنَ أبـاكِ فلا تُبْـلِسِـي
عَرَوْنَ أبـاكِ فَحَـبَّـسْـنَـه — من الـذُّلِّ في شَرٍّ ما مَحْبَسِ
لَفَـقـد الأحِـبَّـة إذْ نالَهـا — سِهَـامُ من الحَـدَثِ المُـبْئِسِ
فَصَـرعَـنهَـمُ في نواحِي الـبـلادِ — مُلَقَّـى بأرْض ولم تُرْمَسِ
تَقـيُّ أصـيـبَ وأثـوابُـه — من الـعـار والـذّام لم تَدْنَسِ
وآخـر قَدْ دُسَّ في حُفْـرَةٍ — وآخـرُ قَدْ طارَ لَمْ يُحْسَسِ
إذا عَن ذِكْـرُهُـم لم يَنَـمْ — أبـوكِ وأوْحَشَ في المَـجْـلِسِ
فذاك الـذى غالَـني فاعـلمـي — ولا تَسْألي بامـرىءٍ مُتْـعِسِ
أذَلّـوا قنـاتِـي لِمن رامـهـا — وقـد ألْصَقـوا الـرَّغْمَ بالمَعْطَسِ (٢)

وبذلك لم يجد العَبْلي بُدّا من مصانعة العباسيين وإظهار المودة لبني هاشم، وفي سبيل تأكيد هذا الحب المصطنع والمودة المتكلفة تجده يتبرأ من بني أمية ويندب حظه

---

(١) الأغـاني، ١١ / ٣٠٣ انظر فيـه القصـة والأبيـات ، وسبق لي أن وقفت عنـدهما في دراستي للشعـر في خدمة الأموية في الباب الأول من هذه الدراسة .

(٢) الأغاني، ٤ / ٣٤٠ وكذلك ١١ / ٢٩٨ وما بعدها مع اختلاف بينهما وزيادة في ثانيهما حيث يقول في ختامها :

العاثر فيهم ويتمنى لو كان من بني مخزوم فيقول :

خَسَّ حَظِّي أَنْ كُنْتُ من بَنْدِ شَمْسٍ — ليتَني كُنْتُ من بَني مَخْزُوم
فأفوزَ الغَدَاةَ فيهم بِسَهْمٍ — وأَبيعَ الأب الشريفَ بِلُوم (١)

ويعد نجاح العباسيين يضطر العبلي إلى الاختفاء إلى أن تخبو نيران الفتنة ثم يدخل على أبي العباس السفاح متنكرا فينشده قصيدة طويلة منها قوله :-

فَدَعْ ذكرَ الشباب وعَهْدِ سَلْمَى — فمالك منهما غيرُ ادّكارِ
وأَهْدِ لهاشِم غُرَرَ القوافي — تَنَخَّلَها بِعِلْم واختِبَارِ
لَعَمْرُكَ إنَّني ولزومَ نَجْدٍ — ولا ألقى حَبَاءَ بني الخيارِ
سأرحل رحلة فيها اعتزام — وجِدٌّ في رواح وابتكارِ
إلى أهل الرسول غدت برحلي — غدافرة ترامى بالصحارى
أيا أهْلَ الرسولِ وصيدَ فِهْرٍ — وخيرَ الواقفينَ على الجِمَارِ
أَتُؤخَذُ نِسْوَتي ويُحازُ مالي — وقَدْ جاهَرْت لو أغنى جِهَارِي
وأَذْعَرُ أنْ دعيتُ لِعَبْدِ شَمْسٍ — وقد أمْسَكت بالحَرَمِ الصَّوَارِي
بِنُصْرَةِ هاشمٍ شَهَرْتُ نَفْسِي — بداري للعِدَا وبِغَيرِ داري
بِقُرْبِي هاشِم وبِحَقِّ صِهْرٍ — لأَحْمَدَ لَفَّهُ طيبُ النجارِ
وَمَنْزِلُ هاشِمٍ من عَبْدِ شَمْسٍ — مكان الجيد من عُلْيا الفَقَارِ (٢)

فيحظى العبلي بعدها بما أمله من السفاح، وتتحسن علاقاته بالعباسيين ولكن سرعان ما يسبر أغواره عندما يستنشده ما قاله في ندب قومه من الأمويين، فيصدع بالأمر، وينشده ما أراد، إلى أن يصل إلى آخرها وعندئذ يسطر بيده نهاية تلك

---

(١) الأغاني، ١١ / ٢٩٤ .
(٢) الأغاني ، ١١ / ٢٩٦ وما بعدها .

المودة المصطنعة وتنقطع حبائل المودة الزائفة مع السلطة العباسية، (١) مما يضطره إلى مدها من جديد ولكن باتجاه العلويين فيكرمونه أيما إكرام . (٢) وبذلك تفسد حياته مع العباسيين كما فسدت من قبل مع الأمويين .

ويحظى الحزب الأموى بشاعر لم يحظ بمثله حزب سياسي آخر خلال النصف الأول من القرن الثاني الهجرى، وهو أبو العباس الأعمى الذى يكاد أن يكون نموذجا فريدا في هذه الفترة، لأنه احترم مذهبه السياسي احتراما كاملا، على حين تقلبت مذاهب الشعراء وأهواؤهم تقلبا واضحا على نحو ما رأينا في الصفحات السابقة، روى الأصفهاني عن أبي جعفر المنصور أنه قال : خرجت أريد الشام أيام مروان بن محمد فصحبني في الطريق رجل ضرير فسألته عن مقصده، فأخبرني أنه يريد مروان بشعر امتدحه به فاستنشدته فأنشدني :

لَيْتَ شِعْرِى أَفَاحَ رائِحَةُ المِسْـ ... ـكِ، وما إنْ إخالُ بالخيفِ إنْسِي

حين غابَتْ بنو أميةَ عَنْهُ ... والبهاليلُ من بني عَبْدِ شَمْسِ

خطباءُ على المنابِرِ فُرْسا ... نُ عليها وقالَةٌ غَيْرُ خُرْسِ

لا يُعابونَ صامِتينَ وإنْ قا ... لوا أصابوا ولم يَقُولوا بِلَبْسِ

بحلوم إذا الحلومُ تَقَضَّتْ ... ووجوهٍ مثل الدنانيرِ مُلْسِ (٣)

قال : فوالله ما فرغ من انشاده حتى توهمت أن العمى قد أدركني وافترقنا . فلما أفضت الخلافة إلي خرجت حاجا، فنزلت أمشي بجبلي زرود، فبصرت بالضرير، ففرقت من كان معي، ثم دنوت منه فقلت : أتعرفني ؟ قال : لا . فقلت : أنا رفيقك وأنت تريد الشام أيام مروان . فقال : أوه :

---

(١) انظر الأبيات والقصة كما رواها الأصفهاني، الأغاني، ١١ / ٣٠٧ - ٣٠٩ .

(٢) المصدر السابق، ١١ / ٢٩٧ .

(٣) الأغاني، ١٦ / ٢٩٩ وما بعدها .

آمَـتْ نسـاءُ بني أمـيـةَ مِنْهُـمُ	وبـنـاتُهُـم بمـضـيَعَـةٍ أيْـتَـامُ
نامَـتْ جدودُوهـم وأسْقِـطَ نَجْمُهم	والـنَّـجْـمُ يَسْـقُـطُ والجـدودُ تنـامُ
خَلَتْ المـنـابِـرُ والأسـرَةُ مِنْهُـمُ	فَعَـلَيْـهِـمُ حَتَّـى المـماتِ سلامُ

فقلت : « وكم كان مروان أعطاك بأبي أنت ؟ قال : أغناني أن أسأل أحدا بعده. فهممت بقتله، ثم ذكرت حق الاسترسال والصحبة فأمسكت عنه » . (١)

وهكـذا كانت مسـاهمة الشعـر في خدمـة الأمـويين في العصر العباسي مساهمة محدودة لأن الحـزب الأمـوى لم يقم أسـاسـا على أصـول دينيـة أو سيـاسيـة محددة وطبيعي ألا يستقطب مثـل هذا الحـزب إلا نفـرا قليلا والفقرات السابقة تنبيء بأن هذه القلة القليلة من الشعـراء الـذين ظلوا يدورون في فلك السيـاسـة الأمـوية في العصـر العبـاسي إنـما تعـود ارتبـاطـاتهـا بالأمـويـين لأسبـاب شخصيـة، لا حزبيـة « وأخبـارهم تكشف لنـا عن تأثرهم بمعروف الأمويين وإحسانهم إليهم » (٢) على أن هذا كله لا يتعـارض مع وجـود عدد من الشعـراء ممن داروا في فلك السيـاسـة الأموية وعبروا عن نظريات الحزب الأموى، ولكن سياسة البطش التي مارسهـا العبـاسيـون بعـد قيـام دولتهم أخرست أبواق الدعاية الأموية ولا سيما أن الأمويين وأنصارهم في هذه الأثناء كان عليهم أن يتلقوا الضربات من عدة خصوم سيـاسيـين ، كان عليهم أن يواجهـوا عداء الحـزب العلوى، وعـداء حزب الموالي بالاضـافـة إلى حزب السلطـة القـائمة وهو الحزب العباسي . في غضون هذا كله كانت تتردد في الأسـماع صيحـات تحث فلول بني أميـة على التجمـع من جديـد لاستعادة الخلافة من العباسيين بعد أن صارت مقاليد الأمور بيد الموالي على نحو ما نرى في قول بشار :

(١) المصدر السابق، ١٦ / ٣٠٠ .

(٢) د . محمد مصطفى هدارة : اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجرى، ٣٩٢ .

بَني أمــيَّــةَ هُبُّــوا طالَ نَوْمُــكُــم | إنَّ الخــليــفــةَ يعــقــوبُ بنُ داود
ضاعَـتْ خلافَتُكُم يا قَوْمُ فالتَمِسُــوا | خليفــةَ الله بَيْنَ الــزقِ والعُــودِ (١)

وطبيعي أن تظل فلول الأمويين سادرة في نومها ما دامت محاصرة بتلك الأسوار من الخصــوم السيــاسيين من كل حدب وصوب ، ولكن صوتِ الشعر المؤيد لهم ما يزال يرن في الآذان وتلهج به ألسنــة نخبــة من الشعراء عاشوا حياتهم كلها موالين لبني أمية حتى بعد أن أفلت شمسهم على نحو ما رأينا عند أبي العباس الأعمى وأبي عدى العبلي .

جـ) الشعر في خدمة العلويين :

بعــد قيــام الــدولــة العباسية دعا العباسيون إلى أنفسهم بالخلافة استنادا على أساس سياسي هو أحقية بني هاشم بها ، ولكنهم في البداية لم يدلوا بأي معلومات تحدد أي فرع من فروع البيت الهاشمي هم أرباب الخلافة وانطلاقا من هذا مضى الشعراء العلويين يطالبون أبا العباس السفاح بالثأر ممن بقي من أشلاء الأمويين ، ثأرا لما لحق بهم من ظلم على أيــديهم على نحــو ما رأينــا من سديف عنــدمــا دخل على أبي العبــاس السفــاح ، (٢) ومنــذ هذا الوقت المبكر من عهد الدولة العباسية ظلت أصــــداء الثأر لآل البيت تتردد في جنبــات قصــور بني العبــاس وقــد استغــل الشعراء هذا الموقف غير مرة على نحو ما نرى في قول سديــف :

طَمِـعَـتْ أمَـيَّــةُ أنْ سَيرْضَى هاشِمٌ | عَنْهــا وَيــذْهَبَ زَيْــدُهــا وحُسَيْنُهــا
كلّا ورَبِّ مُحَمَّــدٍ وإلهــه | حتى يُبــادَ كفــورُهــا وخــؤ ونُهــا (٣)

---

(١) الأغاني ، ٣ / ٢٤٥ .
(٢) الأغاني ، ٤ / ٣٤٥ وهي الأبيات التي وقفنا عندها في حديثنا عن الشعر في خدمة الحزب العباسي .
(٣) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٤ / ٤٨٧ .

وما أن تتم البيعة لأبي العباس السفاح حتى تبدأ سلسلة من الصراع المرير بين العلويين والعباسيين، حيث نقم العلويون على العباسيين ونابذهم العداء واعتبر وهم مغتصبين لحقهم في الخلافة، ومن هنا فقد نظر العلويون إلى العباسيين نظرتهم إلى خصم سياسي ومن ثم فقد استعر بينهما صراع طويل شمل العصر العباسي الأول بحيث لا نقرأ تاريخ خليفة عباسي إلا وتقابلنا نماذج كثيرة لهذا الصراع لأن أشياع العلويين الذين كانوا يطمعون في اسناد الخلافة إلى آل علي قد خابت آمالهم خيبة كبيرة (١) ومن ثم لقي العلويون من العسف والظلم على أيدى العباسيين ما لم يلقوه على أيدى الأمويين ومن هنا جاء قول أبي العطاء السندى :-

فلَيْتَ جَوْرَ بني مَرْوان عادَ لنا ... ولَيْت عَدْلَ بَنِي العَبّاسِ في النَّارِ (٢)

وهو هنا يذكرنا بالأساس الثاني الذى استند إليه العباسيون عندما دعوا لأنفسهم بالخلافة، وهو الأساس الديني القائم على شعارات العدل وتطبيق القانون بين جميع المسلمين على حد سواء وعلى أساس من الكتاب والسنة ولكنهم على ما يبدو لم يضعوا هذا الأساس موضع التنفيذ على نحو ما يفهم من شكوى أبي العطاء السندى بسبب ما مني به الناس من ظلم العباسيين، والذى فاق ظلم سابقيهم .

وإلا فما معنى أن يضطر بشار الذى كان قال ميمته المشهورة في تأييد ثورة إبراهيم بن عبدالله بن الحسن العلوى والتنديد بأبي جعفر المنصور إلى قلبها بحيث تبدو وكأنها قيلت في هجاء أبي مسلم بعد أن تألب عليه بنو العباس وهي التي يقول فيها :-

---

(١) فان فلوتن : السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية، ١٣٤ .
(٢) الأغاني، ١٧ / ٣٣٣ .

أبـا جَعْـفَـرٍ ما طولُ عَيْشٍ بدائِـمٍ — ولا سالِمٌ عَمّا قليـلٍ بِسَـالِمِ
على المَلِكِ الجَبَّـارِ يَقْتَحِمُ الـرَّدَى — ويَـصْـرَعُـهُ في المأزِقِ المُتـلاحِـمِ
كأنَّـكَ لم تَسْـمَـعْ بقَتْـلِ مُتَـوَّجٍ — عظيم ولم تَسْمَـعْ بِفَتْـكِ الأعـاجِمِ
تَقَسَّـمَ كِسْـرَى رَهْطُـه بسيـوفهم — وأمْسَى أبـو العباسِ أحْـلامَ نائِمِ
وقـد كان لا يخشى انقـلابَ مكيـدةٍ — عَلَيْـهِ ولا جَرْيَ النحـوس الأشـائِمِ
مُقِيـماً على الـلذّاتِ حَتّى بَدَتْ لَهُ — وجـوهُ المنـايـا حاسراتِ العَـمائِمِ
ومَـرْوانُ قد دارَتْ على رأسِه الرَّحى — وكـان لما أجْـرَمْـتَ نَزْرَ الجـرائِـمِ
فأصْـبَـحْـتُ تَجْرِى سادِراً في طريقهم — ولا تتـقـي أشْبـاهَ تِلْكَ الـنقـائِمِ
تَجَرَّدْتَ للاسْـلامِ تَعْـفُـو سبيـلَه — وتُعْـرِى مطـاه لليـوثِ الضـرائِمِ
فما زِلْتَ حَتّى استنْصَـرَ الـدينُ أهْلَه — عَلَيْـكَ فعـاذوا بالسيـوفِ الصَّوارِمِ
فَرُمْ وَزَراً يُنْـجيـكَ يا بنَ سلامَـةٍ — فَلَسْتَ بنـاجٍ من مَضيمٍ وضـائِمِ
لحا الله قومـا رأسـوك عليـهـم — ومـا زلت مرؤ وسـا خبيث المطـاعم
أقـولُ لِبَـسّـامٍ علَيْـهِ جلالَـةٌ — غَدَا أرْيَحِيّـا عاشِقـاً للمكـارِمِ
مِنَ الفـاطِميـينَ الـدُّعـاةِ إلى الهُدَى — جِهَـاراً ومَنْ يَهْدِيكَ مِثْلُ ابنِ فاطِمِ (١)

وهي أبيـات قالهـا بشـار في تأييـد ثورة العلويـين على العباسيين غير أنه لما قتل إبراهيم بن عبدالله بن الحسن خاف بشار فقلب الكنية وأظهر أنه كان قالها في أبي مسلم وحذف منها أبياتا :

لعـل في هذه القصـة ما يشـير إلى أن سطوة بني العباس وشدة فتكهم أخرست الألسنـة بحيث أصبح صوت الشعـر العلوى خافتـا إلى حد بعيـد، لأن المجاهرة بعـداء السلطـة العبـاسيـة كانت تقابل بالقصاص الفورى وإلا فما معنى أن يحيط الخليفة العباسي مجلسه بتلك الأسوار من الجند والحراس والجلادين؟ (٢)

---

(١) الأغاني، ٣ / ١٥٦ وما بعدها .
(٢) الجاحظ : البيان والتبيين، ٢ / ٣٢٩ .

ومهما يكن من أمر فإن الباحث يستطيع أن يجد الكثير من النماذج الشعرية التي تلقي الضوء على مساهمة الشعر في هذا الصراع المتحدم بين العلويين وأبناء عمومتهم العباسيين فبدا شعرهم وكأنه حشرجة المريض التي تترك أشد الآثار في النفس، على أن هذا الصوت الخافت لابد وأن يوحي بالكثير، لأن عدة عوامل التقت على خنق هذا الصوت أو إضعافه، ولعل أهمها أن فئة علوية لا يستهان بثقلها السياسي، وهي الشيعة الكيسانية كانت تقر خلافة العباسيين، فكانت غصة في حلق أبواق الدعاية العلوية، فبدل أن تقف في وجه السلطة العباسية رأيناها تساندها وتجادل في أي البيتين الهاشميين أحق بالخلافة على نحو ما رأينا عند إبان بن عبد الحميد اللاحقي الذي يقول :

نَشَدْت بِحَقٍّ الله مَنْ كان مُسْلِمَا ... أعم بها قد قلته العجم والعرب
أَعَمُّ نَبِيِّ الله أَقْرَبُ زُلْفَةً ... إليْهِ أمْ ابنُ العَمِّ في رُتبَةِ النَّسَبْ
وأَيُّهما أَوْلَى به وبِعَهْدِهِ ... ومَنْ ذا لَهُ حَقُّ التُّراثِ بما وَجَبْ
فإن كان عَبّاسٌ أَحَقُّ بتلكُمُ ... وكانَ عَلِيٌّ بَعْدَ ذاك على سَبَبْ
فأبناءُ عَبّاسٍ هُمُ يَرِثُونَه ... كما العَمُّ لابْنِ العَمِّ في الارْثِ قَدْ حَجَبْ (١)

وهكذا كانت حجة القرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم عاملا مشتركا بين الفرعين العلوى والعباسي، ولكن أبان بن عبد الحميد ومروان بن أبي حفصة عندما تناولا هذا المبدأ حاولا إثبات الحق للعباسيين .

ومنذ وقت مبكر من عمر الدعوة العباسية كان رؤساء البيت العباسي يتقربون من العلويين ويتوددون إليهم، ويزعمون أنهم ما ثاروا إلا طلبا بثأرهم من بني أمية، وتأكيدا لهذا المبدأ فقد رأينا بيعة أبي العباس السفاح تتم في الكوفة وهي شيعة العلويين، ولهذا كان الحرص شديدا من العباسيين على التركيز على مبدأ

(١) الصولي، الأوراق، ٤ .

الأحقية بالخلافة أثناء صراعهم على الخلافة مع العلويين، ومن هنا راحوا يؤكدون هذا الحق ويؤيدونه بالحجج والبراهين القائمة على أن العباس أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من علي، لأنه عمه، وأما علي فهو ابن عمه، والعم يحجب ابن العم في قانون الميراث الاسلامي، وقد عبر عن هذا كله أحد شعرائهم حين قال مخاطبا العلويين :

لو كان جَدُّكُمُ هناك وجَدُّنَا ... فتنازَعَا فيها لَوَقْتِ خِصَامِ
كان التراثُ لِجَدِّنا من دونِهِ ... فحواهُ بالقُرْبَى وبالاسْلامِ
حَقُّ البناتِ فريضَةٌ معروفَةٌ ... والعَمُّ أوْلَى من بَني الأعْمَامِ (١)

وقال شاعر آخر من شعراء العباسيين :

جَحَدْتَ بني العَبَّاسِ حَقَّ أبيهم ... فما كُنْتَ في الدعوى كريمَ العواقِبِ
مَتَى كانَ ألأدُ البناتِ كوارِثٍ ... يَحوزُ ويُدْعَى والِداً في المناسِبِ (٢)

ولما كانت حجة العباسيين أقوى من حجة العلويين فقد رأينا شعراء الشيعة من أصحاب المذهب الكيساني يمتدحون بني هاشم ويشيدون بسلطانهم ويهجون أعداءهم على نحو ما كان من السيد الحميري في أبياته السينية التي دعا فيها الهاشميين إلى التمسك بأهداب الخلافة وامتدح بني هاشم دون أن يحدد أشخاصا بعينهم ومنها قوله :

دوْنَكُمُوهَا يا بَني هاشِمٍ ... فجَدِّدُوا مِنْ عَهْدِهَا الدّارِسَا
دونكموها لا علا كَعْبُ مَنْ ... كان عليْكُمْ مُلْكَها نافِسَا

---

(١) المبرد، الكامل، ٢ / ٤٣٧ .
(٢) المصدر السابق، الصفحة ذاتها .

دونكـمـوهـا فالبَسُـوا تاجَـهـا ... لا تَعْـدَمـوا مِنْـكُـمْ لَهُ لابِسـا

لو خُيِّرَ المِنْـبَرُ فُرْسـانَـه ... ما اختـارَ إلا مِنْـكُـمُ فارِسَـا

قَدْ سَاسَـهَـا قَبْـلَكُـمْ ساسَـةٌ ... لم يَتْرُكـوا رَطْبَـاً ولا يابِسَـا

ولَسْـتُ من أنْ تَمْلِكـوهـا إلـى ... مَهْبِـطِ عيسى فيكُمُ آيِسَـا (١)

إنـه يرى أن تسنم العبـاسيـين للخـلافـة إنما هو تجديد لأحقيتهم بالخلافة التي تولاهـا من قبـل علي، وآمن بها، ونـاضـل من أجلهـا أبنـاؤه وأحفاده، فتولى أبي العبـاس السفـاح لمقـالـديـدهـا إنـما هو انتصـار للعلويـين، ويبدو أن ايمان السيد الحميري بخلافة بني هاشم الممثلة في العباسيين إنما كان ايمانا مرحليا أو هو نوع من التمهيـد إلى حين مهبـط الامـام الغائب وهو محمد بن الحنفية على نحو ما نرى في قوله عندما دخل على المهدى لما بايع لابنيه موسى الهادى وهرون الرشيد:

آلَـيْـتُ لا أمْـدَحُ ذا نائِـلٍ ... من مَعْـشَـرٍ غَيْرَ بني هاشِـمِ

أوْلَـتْـهُـمُ عِنْـدِي يَدُ المُصْطَفَى ... ذي الفَضْـلِ والمَنِّ أبي القـاسِمِ

فإنّهـا بيـضـاءَ محمـودَةٌ ... جزاؤهـا الشُكْـرُ على العـالَمِ

جزاؤهـا حِفْـظُ أبـي جَعْـفَـرٍ ... خليـفـةِ الرَّحْمـنِ والقـائِـمِ

وطـاعَـةُ المَـهْـدِي ثم ابـنِـه ... موسـى على ذي الارْبَـةِ الحـازِمِ

مُلْكُـهُـمُ خمسـونَ معْـدودةً ... بِرَغْـمِ أنْـفِ الحـاسِـدِ الـراغِـمِ

لَيْسَ عَلَيْـنـا ما بَقَـوا غَيْرُهُـم ... في هذه الأمـةِ مِنْ حاكِـمِ

حَتّـى يَرُدوهـا إلـى هابِـطٍ ... عَلَيْـهِ عيـسـى مِنْهُـمُ ناجـمِ (٢)

وفي سبيـل تشيعـه لبني هاشم مضى السيـد الحميرى يهجو أبا بكر وعمر رضي الله عنهما على نحو ما نرى في قوله:

---

(١) الأغاني، ٧ / ٢٤٠ وقد سبقت الاشارة إلى هذه الأبيات في دراستنا للشعر في خدمة الحزب العباسي .

(٢) الأغاني، ٧ / ٢٥٧ .

قُلْ لابنِ عَبّاسٍ سَمِيِّ مُحمَّدٍ ... لا تُعْطِيَنَّ بني عَدِيٍّ دِرْهَمَا
احْرِمْ بني تيمِ بن مُرّةَ إنَّهم ... شَرُّ البَرِيَّةِ آخِرا ومُقَدَّمَا
إنْ تُعْطِهِمْ لا يَشْكُروا لك نِعْمَةً ... ويكافئوكَ بأنْ تُذَمَّ وتُشْتَمَا
وإن ائتَمَنْتَهُمُ أو استَعمَلْتَهُم ... خانوكَ واتخذوا خراجَكَ مَغْنَمَا
ولَئِنْ مَنَعْتَهُمْ لقد بَدَءوكُمُ ... بالمَنْعِ إذْ مَلَكوا وكانوا أظْلَمَا
مَنَعوا تُراثَ مُحَمَّدٍ أعمامَه ... وابْنَيْهِ وابنَتَهُ عديلةَ مَرْيَمَا
وتأمّروا مِنْ غَيرِ أنْ يُسْتَخْلَفُوا ... وكَفَى بما فَعَلُوا هنالِكَ مَأثَمَا
لم يَشْكُروا لِمُحَمَّدٍ إنْعامَهُ ... أفَيَشْكُرُونَ لِغَيْرِه إنْ أنْعَمَا
والله مَنَّ عَلَيْهِمُ بِمُحَمَّدٍ ... وهداهُمُ وكسا الجُنوبَ وأطْعَمَا
ثُمَّ انبَرَوْا لِوَصِيِّهِ ووليِّه ... بالمُنْكَراتِ فَجَرَّعوه العَلْقَمَا (١)

وهكذا مضى السيد الحميري يحرض المهدى على بني عدى وبني تيم رهطي عمر بن الخطاب وأبي بكر ويطالبه بأن يقطع عطاءهم مدعيا أن أبا بكر وعمر هما اللذان سلبا حق العلويين بالخلافة، كما مضى في قذفها وقذف بيتيهما، ويروى صاحب الأغاني أن السيد الحميري « كان يفرط في سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه (٢) غير أن له عدة قصائد في فضائل علي ابن أبي طالب (٣) ورثاء الحسين وذكر حادثة غدير خم . (٤)

(١) الأغاني، ٧ / ٢٤٤ .
(٢) المصدر، ٧ / ٢٢٩ وكذلك ٢٧٧ .
(٣) المصدر، ٧ / ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ وجاء في كتاب الأغاني رواية عن الموصلي عن عمه قال : « جمعت للسيد في بني هاشم ألفين وثلثمائة قصيدة فحلفت إن قد استوعبت شعره، حتى جلس إلى يوما رجل ذو أطمار رثة فسمعني أنشد شيئا من شعره فأنشدني ثلاث قصائد لم تكن عندى . . . وعرفت حينئذ أن شعره ليس مما يدرك ولا يمكن جمعه . . . انظر الأغاني ٧ / ٢٣٦ وما بعدها .
(٤) انظر الأغاني، ٧ / ٢٦٣ .

ولعل قصيدته الدالية تجسد مذهبه الكيساني واعتقاده في ابن الحنفية، ومع أنه روى أنه رجع عن هذا المعتقد (١) إلا أن قصيدته هذه تنطق برفض الخبر وتؤكد إيمانه بإمامة الغائب في جبل رضوى مع رهط من أصحابه وبأنه سيرجع إلى الدنيا يملؤها عدلا زاعما أنه المهدى المنتظر ومنها قوله :-

أَلَمْ يَبْلُغْكَ والأنباء تَنْمِي ... مقالُ مُحَمَّدٍ فيما يُؤَدّى
إلى ذي عِلْمِهِ الهادِى عَلِيٍّ ... وخَوْلَةُ خادِمٌ في البَيْتِ تَرْدِي
أَلَمْ تَرَ أنَّ خَوْلَةَ سَوْفَ تأتي ... بوارى الزَّنْدِ صافي الخيم نَجْدِ
يَفُوزُ بِكُنْيَتي واسمي لأنّي ... نَحَلْتُهماهُ والمَهْدِيُّ بَعْدِي
يُغَيَّبُ عَنْهُمُ حَتّى يقولوا ... تَضَمَّنه بطيبةَ بَطْنُ لَحْدِ
سنينَ وأشْهُراً ويُرَى برضْوَى ... بِشَعْبٍ بَيْنَ أنْمارٍ وأسْدِ
مُقيمٌ بَيْنَ آرامٍ وعَينٍ ... وحَفّان تروحُ خِلالَ رُبْدِ
تُراعيها السِّباعُ ولَيْسَ مِنْها ... مُلاقيهن مُفْتَرِساً بِحَسدٌ
أَمِنَّ بِهِ الرَّدى فرتَعْنَ طَوْراً ... بلا خَوْفٍ لدى مَرْعَى وورْدِ
حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ والمُصَلّى ... وبَيْتِ طاهِرِ الأرْكانِ فَرْدِ
يطوفُ به الحجيجُ وكُلَّ عامٍ ... يَحُلُّ لَدَيْهِ وَفْدٌ بَعْدَ وَفْدِ
لقد كان ابنُ خَوْلَةَ غيرَ شَكٍّ ... صفاءَ ولايتي وخُلوصَ وُدّي
فما أحَدٌ أحَبُّ إليّ فيما ... اسِرُّ وما أبُوحُ به وأبْدِي
سِوَى ذي الوَحْيِ أحْمَدَ أو عَلِيٍّ ... ولا أزكى وأطيَبَ مِنْهُ عِنْدِي
ومَنْ ذا يابنَ خَوْلَة إذْ رَمَتْني ... بأسْهمِها المَنِيَّةُ حينَ وَعْدِي
يُذَبِّبُ عَنْكُمُ ويَسُدُّ مِمّا ... تَثَلَّم من حُصُونِكُمُ كَسَدّي
ومالِيَ أنْ أُمَرَّ به ولكن ... أؤمِّلُ أن يُؤَخَّرَ يوْمُ فَقْدِي
فأدْرِكُ دَولَةً لَسْتَ فيها ... بِجَبّار فتوصَفَ بالتَّعَدِّي

---

(١) انظر الأغاني، ٧ / ٢٣٥ .

على قَوْمٍ بَغَوا فيكم علينا لِتَعْدَى مِنْكُمُ يا خَيْرَ مُعْدِ
لِتَعْلُ بِنَا عليهم حَيْثُ كانوا بِغَوْرٍ من تِهَامَةَ أو بِنَجْدِ
إذا ما سِرْتَ مِنْ بَلَدٍ حَرامٍ إلى مَنْ بالمدِيَنةِ من مَعَدِّ
وماذا غَرُّهم والخيرُ مِنْهُم بأشْوَسَ أغْضَلِ الأنيابِ وَرْدِ
وأنْتَ لِمَنْ بَغَى وعَدَا وأذْكَى عَلَيْكَ الحَرْبَ واسْتَرْدَاك مُرْدِ (١)

أريت كيف مضى السيد الحميرى في هذه القصيدة يبسط كثيرا من تفاصيل المذهب الشيعي الكيساني مستغلا ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي : « أنه سيولد لك بعدى ولد وقد نحلته اسمي وكنيتي » (٢) فمضى يذيع في الناس أن المقصود بهذا الحديث هو الامام محمد بن علي بن أبي طالب، وهو ابن خولة بنت جعفر من بني حنيفة، وكانت الكيسانية تعتقد إمامته وتقول بغيبته في شعب من جبل رضوى بين أسد ونمر وعنده عينان نضاختان بالعسل والماء، وبأنه سيرجع إلى الدنيا ليملأها عدلا كما ملئت جورا، ثم يمضي معرضا ببني العباس وما انتهت إليه الأحوال في أخريات أيامه . ومما يعتقد أن هذه القصيدة كانت آخر قصيدة قالها السيد الحميرى . (٣)

وللسيد الحميرى قصيدة أخرى يدافع فيها عن معتقد الشيعة الكيسانية حيث يعقد مناظرة بينه وبين محمد بن علي بن النعمان المعروف بشيطان الطاق وفيها يؤكد إعتقاده المشهور بأحقية محمد بن الحنفية بالامامة ومنها قوله :-

ألا يأيها الجدل المعني لنا، ما نحن ويحك والعناء
أتبصر ما تقول وأنت كهل تراك عليك من ورع رداء
ألا إن الأئمة من قريش ولاة الحقّ أربعة سواء

(١) الأغاني، ٧ / ٢٣٣ ـ ٢٣٥ .
(٢) المصدر السابق، ٧ / ٢٣٣ .
(٣) المصدر السابق، الصفحة ذاتها .

عَليٌّ والثلاثَةُ من بَنيه ... هُمُ أسْباطُهُ والأوْصياء
فأنّي في وَصِيتّه إلَيْهم ... يكونُ الشّكُ مِنّا والمِراءُ
بِهِم أوْصَاهُمُ ودعا إلَيْه ... جميع الخَلْقِ لَوْسُمِعَ الدُّعَاءُ
فَسبْطٌ سِبْطُ إيمان وحِلْمٍ ... وسِبْطٌ غَيْبَتَه كَرْبَلاءُ
سَقَى جَدَثاً تَضَمَّنَهُ مُلِثٌّ ... هَتُوف الرَّعْدِ مُرْتَجِزٌ رِواءُ
تَظَلُّ مُظِلَةً مِنْها عَزَالُ ... عَلَيْهِ وتقتَدي أخْرى مِلاءُ
وسِبْطٌ لا يذوق المَوْتَ حَتّى ... يقودَ الخَيْلَ يقدمها اللواء
من البَيْتِ المُحَجّب في سَرَاةٍ ... شراةٍ لَفَّ بَيْنَهُمُ الاخاءُ
عصائِبُ لَيْسَ دون أغَرَّ أجْلَى ... بِمَكّةَ قائم لَهُمُ انتهاءُ (١)

هكذا مضى السيد الحميرى قدما في الدعاية للأئمة الثلاثة ويعني بهم محمد بن الحنفية والحسن والحسين وبهذا يكون مديح آل البيت وذكر الأئمة العلويين وأحقيتهم بالخلافة من أهم الموضوعات التي خاض فيها السيد الحميرى .

وإذا كان السيد الحميرى قد تناول هذه الموضوعات في أساليب مختلفة منها الاحتجاج بالمديح ومنها الهجاء والرثاء فإن دعبلا الخزاعي كان سباقا إلى موضوع آخر بأسلوب آخر وهو تصوير ما أصاب العلويين من تقتيل وتشريد على أيدى خصومهم على نحو ما نرى في قصيدته التائية المشهورة التي يقول فيها :

مدارِسُ آيات خَلَتْ من تلاوةٍ ... وَمَنْزِلُ وَحْي مُقْفِرُ العَرَصَاتِ
لآل رسولِ الله بالخيفِ مِنْ مِنَى ... وبالركنِ والتعريفِ والجمراتِ
ديارُ عَليٍّ والحسين وجَعْفَرِ ... وحَمْزَةَ والسَّجَادِ ذى الثفِنَاتِ
ديارٌ عَفَاها جَوْرُ كُلِّ مُنَابذٍ ... ولم تَعْفُ للأيام والسنواتِ

---

(١) الأغاني، ٧ / ٢٤٥ وما بعدها .

قَفـا نَسْأل الـدَّارَ التي خَفّ أهْلُهـا متى عَهْـدُهـا بالصَّوْمِ والصَّلواتِ ؟
وأيْن الألى شَطَّتْ بِهِم غُرْبَـةُ النّـوى أفـانـينَ في الآفـاقِ مُفْـتَرَقَـاتِ
هُمُ أهْـلُ مِيـاثِ النبيِّ إذا اعتَـزَوْا وهُـمْ خَيرُ قاداتٍ وخَـيرُ حُماةِ

إلى أن يقـول :

ملامَـكَ في أهْـلِ الـنبيِّ فإنّهـم أحبَـايَ ما عاشـوا وأهْـلُ ثِقَـاتِي
نبـذت إلـيـهـم بالمـودّة جاهِـدَاً وَسَلَّمْتُ نَفْسي طائِعَـاً لولاتـي
فيـا رَبِّ زدْني من يقـيـني بصـيرةً وزدْ حُبـهـم يا رَب في حَسنـاتِـي
اُحِبُّ قَصِيَّ الـرَّحْم من اجْلِ حُبكُمْ واَهْـجُـرُ فيكـم أسْـرَتي وبنـاتِي
واُكْـتـمُ حُبيكـم مخافَـةَ كاشِـحٍ عنـيـد لأهْـلِ الحَـق غيرِ مواتِ
لَقَـدْ حُفَّتِ الأيـامُ حَوْلي بِشَـرِّهـا وإني لأرجـو الأمـنَ بَعْـدَ وفـاتِـي
ألَمْ تَرَ أني مُذْ ثلاثـون حِجَّـةً أروحُ واَغْـدو دائِـمَ الحَسَـراتِ
فلولا الـذى أرْجُـوه في العيـوْم أوْ غَدٍ تَقَطّـع قلبـي إثْـرَهُـم حَسَـراتِ
خروجُ إمـام لا محالـةَ خارجٌ يقـوم على اسم الله والـبرَكـاتِ
سأقْصُـرُ نَفْسِيَ جاهِـدَاً عن جِدَالِهم كفـانيَ ما ألْـقَـى من الـعَـبرَاتِ
فيا نَفْسُ طيبي ، ثم يا نَفْسُ أبْشِرِى فغَـيرُ بعـيـدٍ كُلُّ ما هو آتِ
ولا تَجْزَعـي من مُدةِ الجَـوْرِ إنّـني كأني بها قَدْ آذَنَـتْ بِبَـتـاتِ
فإنْ قَرَّبَ الـرحمـنُ من تِلْكَ مُدَّتـي وأخِـرُ من عُمْـرى ليـوم وفـاتِـي
شَفِيـت ولم أتْـركْ لنـفـسي غُصَّـةً ورويْتُ منهم مُنْصُـلي وقَنـاتِي (١)

وهي قصيدة طويلة التزم فيها دعبل الخزاعي بالدفاع عن عقيدته في الولاء لآل البيت، وتبلغ أبيـاتهـا سبعـة وخمسين بيتا وما رويناه منها يعطينا صورة واضحة عن

(١) د . عبد الكريم الأشتر : شعر دعبل بن علي الخزاعي ، ٧١ .

فواجـع أهـل البيت وكيف خلت مجالسهم من التلاوة ومنازل وحيهم وقد أصبحت عرصاتها مقفرة، وهو على عادة الجاهليين يقف في تلك المنازل فيبكي ويستبكي، ويعدد مواطن العز ومرابع الفجيعة والألم ثم يعرب عن قناعته بخروج الامام الذى سيعـود إلى الأرض ليملأهـا عدلا ولينتقم لقتـلاهم ويثأر لشهدائهم، « ثم يدافع خلالهـا عن حقهم المغتصب في الخـلافة كما يطعن في خصومهم وفيها ينهض دعبل الخزاعي بالجانب التصويرى المؤثر » (١) لما بني به آل البيت من تقتيل وتشريد .

ومن يدرس شعـر دعبـل يلاحظ أنه قصر مديحه على العلويين كما رثاهم وندب قتلاهم ولم يسلم من هجائه غيرهم، ومما يلاحظ أنه كان يتخذ حبهم عبادة وقربى إلى الله ولذلك لم نعثر له على شيء من المديح في خلفاء بني العباس * . ومن هنا يبرز دوره الفـريـد في حركـة الصـراع بين العلويين والعباسيين حيث مضى يتقرب بحبهم من الله على نحو ما نرى في قوله :-

بأبـي وأمي شيعـة أحْبَبْتُهـم ... لله، لا لِعَطِيـةٍ أعْطَـاهَـا
بأبـي الـنَـبِـيُّ مُحَمَّـدٌ ووصيـه ... والطيبـان وبِنْتُـه وابنـاهـا (٢)

ولدعبل عدة قصائد يترنم فيها بحب آل البيت على نحو ما نرى في قوله أيضا :

في حُبِّ آل المـصطـفى ووصيِّـه ... شُغْـلٌ عن الـلذاتِ والـقَيْنَـاتِ
إنَّ الـنـشـيـدَ بِحُبِّ آل مُحَمَّـدٍ ... أزْكَـى وأنْـفَـعُ لي من الـقُنَـيـاتِ
فاحْشُ الـقـصيـدَ بِهِمْ وفَـرِّغْ فيهمُ ... قَلْبَـاً حَشَـوْت هَواهُ بالـلذَّاتِ
واقْطَـعْ حِبـالَـةَ مَنْ يُريـدُ سواهُمُ ... في حُبِّـه، تَحْلُلْ بِدَارِ نَجَـاةِ (٣)

---

(١) احمد الشايب : تاريخ الشعر السياسي، ١٩٢ .
(٢) د . عبد الكريم الأشتر : شعر دعبل الخزاعي، ٢٠٧ .
(٣) المصدر السابق، ٨١ .
* لدعبـل الخزاعي قصيـدة ميمية في المعتصم قد تدخـل في باب المديح، ولكنها على أى حالة لا تخلو من تهكم وسخرية وهي لا تدخل في ميدان دراستنا لأنها قيلت بعد انتهاء القرن الثاني الهجرى أثناء خلافة المعتصم ٢١٨ $ ٢٢٧ هجرية .

هكــذا أصبح حب آل البيت شاغـلا لدعبـل عن اللذات ، ونشيـدا يترنم به لاعتقاده بأن حبهم منجاة ومن ثم فهو يحب من أحبهم ويقطع حباله من يريد سواهم .

وهـو يرقي بآل البيت إلى مرتبـة ساميـة بحيث نراه يعـرب عن بالـغ دهشته من رجل هاشمي أساء التصرف فيقول :

مالي رأيْتُــكَ لَسْـتَ تُثْمِـرُ طَيِّبَــاً ... عَذْبَــاً ، وأصْلُكَ هاشمي المَغْـرسِ
حَتّــى كأنــك نِقْـمَـــةٌ مِنْ نِعْـمَــةٍ ... أوْ غُصْنُ شَوْكٍ في حديقَـةِ نرْجِسِ (١)

ولدعبل أبيات يرثي فيها الحسين بن علي منها قوله :ـ

رأسُ ابــن بِنْــتِ مُحَمَّــدٍ ووصيــه ... ـ للرِّجــال ـ على قَنــاةٍ يُرْفَــعُ
والمســلمــون بِمَـنْظَـرٍ وبِمَسْمَــعٍ ... لا جازِعٌ مِنْ ذا ولا مُتَـخَــشِّــعُ
أيْـقَظْـتَ أجْـفَـانــاً وكُنْتَ لها كَرى ... وأنَـمْـتَ عَيْـنــا لم تكن بِكَ تَهْجَــعُ
كُحِـلَتْ بِمَنْظَــرِكَ العُيــونُ عَمايَــةً ... واصَــمَّ نَعْـيُــكَ كُلَّ أُذْنٍ تَسْـمَــعُ
ما رَوْضَــةٌ إلا تَمَنَّــتْ أنَّهَــا ... لك مَضْجَـعٌ ، ولِخَطِّ قَبْرِكَ مَوْضِعُ (٢)

وهو فيها يتألم أشد الألم ويجهش بالبكاء لمشهد نصب رأس الحسين بن علي ورفعه على مرأى ومسمع من المسلمين ، وهذه النغمة الحزينة هي أقوى النغمات في شعر دعبـل الخـزاعي ولعلهـا إحـدى الطوابع المميزة لشعر الشيعة في العصرين الأموى والعبــاسي على حد سواء ، فلا يكـاد البـاحث يقف عنـد مجمـوعـة شعـريـة من مجمـوعـات شعراء الشيعة إلا ويجدها حافلة بتلك الأنغام الباكية كلما ذكروا عليا أو

(١) د . عبد الكريم الأشتر ، شعر دعبل الخزاعي ، ١٣٢ وما بعدها .
(٢) المصدر السابق ، ١٤١ .

أحدا من أبنائه وما أكثر تذكرهم لهم ومن ذلك مراثي ديك الجن الحمصي الكثيرة في الحسين بن علي عليهما السلام ومنها قوله :-

يا عَينُ لا للقضا ولا الكُتُب بُكا الرزايا سِوَى بكا الطَرَبِ (١)

وإيمان الشيعة بأئمتهم عميق، يتأسون بهم إذا انتابهم النوائب ومن هذا القبيل قول دعبل الخزاعي في رثاء ابن له :-

ولَولاَ التَأسِّي بالنبيِّ وأهْلِهِ لأسْبِلَ من عَيْني عَلَيْهِ شِئونُ
هو النَفْسُ إلا أنَّ آل محمدٍ لهم دون نَفْسي في الفؤادِ كمينُ
أضَرَّ بهم إرْثُ النبيِّ فأصْبَحوا يُسَاهِمُ فيهم مَيتةٌ ومنونُ
دَعَتْهُمْ ذِئابٌ مِنْ أميةَ وانتَحَتْ عليهم دراكا أزْمَةٌ وسنونُ
وعاثَتْ بنو العباس في الدين عَيْثَةً تَحَكَّم فيها ظالِمٌ وظَنينُ (٢)

ومن ذلك قوله أيضا :-

إذا عَظُمَتْ مِحْنَةٌ عن عَزَاءِ فعادِلْ بها صَلْبَ زَيْدٍ تَهُنْ
وأعْظَمُ مِنْ ذلِكَ قَتْلُ الوَصِيِّ وذَبْحُ الحُسَينِ وسَمُّ الحَسَنْ (٣)

وهو يتخذ من مقتل الحسين وسم الحسن لأزمة يرددها كثيرا على نحو ما يرى في قوله :-

---

(١) الأغاني، ١٤ / ٥١ .
(٢) د . عبد الكريم الأشتر، شعر دعبل الخزاعي، ١٩١ .
(٣) المصدر السابق، ٢٠٣ .

تَعَـزَّفكـم لَكَ من أسْـوَةٍ ... تُبَرِّدُ عَنْـكَ غليـلَ الحَـزَنْ
بمـوتِ النبيِّ وقَتْـلِ الـوَصِيّ ... وذَبْـحِ الحُسَـيْنْ وسَمِّ الحَسَنْ (١)

ويبـدو أن هذا المعنى قد حفظتـه العـامة حتى غدت تردده دون أن تنسبه لقائل بعينه على نحوما نرى في المسعودى حيث قال : « ومما قاله أحد الشيعة تأسيا وطلبا للعزاء بعد مقتل خيرة بني طالب على وابنيه الحسن والحسين :

تأسَّ فكـم لك من سَلْوَةٍ ... تُفَـرِّجُ عَنْـكَ غليـلَ الحَـزَنْ
بِمَـوتِ الـنبيِّ وقَتْـلِ الـوَصِيِّ ... وقَـتْـلِ الحُسَـيْنْ وسَـمِّ الحَـسَنْ

ومـا أظنهـا إلا لدعبـل الخـزاعي ولكن جريـانها على ألسنة العامة جعل الناس يحفلون بمعانيها دون أن يحفلوا بقائلها .

وظـاهـرة وجـود مجمـوعـات من أبيات الشعر السياسي غير منسوبة لقائل بعينه ظاهرة شائعة في القرن الثاني الهجرى وهي ظاهرة صحية ولها ما يبررها .

ولعل أحدا من شعراء العلويين لم يحظ بما حظي به العبلي من تكريم أئمتهم فما أن تستقـر الأمـور للنفس الـزكيـة ، محمـد بن عبدالله بن الحسن بعد خروجه على الخليفـة العبـاسي المنصـور سنـة ١٤٥ هجـريـة حتى يوفـد أبـا عدى العبلي على الطـائف واليـا ، (٣) وهذا يدلنا على مدى الحب المتبادل بين الشاعر العلوى وبين آل البيت ولكن سرعان ما يقضي المنصور على هذه الثورة العلوية وسرعان ما يعود العبلي إلى التشرد من جديد حيث يفر هاربا إلى اليمن . (٤)

---

(٣) المصدر السابق، ٢٠٣ .
(١) المسعودى : مروج الذهب، ٢ / ٣٠٣ .
(٢) الطبرى : حوادث سنة ١٤٥ هجرية وكذلك الأغاني، ١١ / ٣٠١ .
(٣) الأغاني، ١١ / ٣٠١ .

ولكن صلة شعراء الحزب العلوى بأئمتهم تمتد في الخفاء حيث يفدون على آل البيت مرة بالعزاء وأخرى بالرثاء على نحوما كان من ديك الجن الحمصي الذى يقول في جعفر بن علي الهاشمي :

نَغْفِلُ والأيامُ لا تَغْفَلُ ... ولا لنا من زَمَنٍ مَوْئِلُ
والدَّهْر لا يَسْلَمُ من صَرْفِهِ ... أعْصَمُ في القُنَّةِ مُسْتَوْعِلُ
أنتَ أبا العَبّاسِ عَبّاسُها ... إذا استطارَ الحَدَثُ المُعْضِلُ
وأنتَ يَنْبُوعُ أفانينها ... إذا هُمُ في سَنَةٍ أمْحَلُوا
وأنْتَ عَلامُ غُيوبِ النَّشَا ... يَوْمًا إذا نَسْألُ أوْ نُسْألُ
نَحْنُ نُعَزيكَ ومِنْكَ الهُدَى ... مُسْتَخْرَجٌ والنورُ مُسْتَقْبَلُ
نقولُ بالعَقْلِ وأنْتَ الذى ... نأوى إليه وبه نَعْقِلُ
نَحْنُ فِداءٌ لَكَ من أُمَّةٍ ... والأرْضُ والآخِرُ والأوَّلُ
إذا غفا عَنْكَ وأوْدى بها ... ذا الدَّهْرُ فهو المُحْسِنُ المُجْمِلُ (١)

وهكذا حشد ديك الجن الحمصي في قصيدته كثيرا من معتقدات الشيعة في أئمتهم من العلم الذى يحتاج إليه الناس ومن الاحاطة بجميع منافع دينهم ودنياهم وبمضارها وبجميع العلوم جليلها ودقيقها ليتضح للعيان أن بمثل هذه الصفات استحق آل البيت الامامة وهي معان جديدة في الرثاء .

وعندما مات جعفر بن علي هذا رثاه ديك الجن بقصيدة طويلة جمع فيها بين المعاني التقليدية للرثاء وبين المعاني السياسية على نحوما نرى في قوله :

ألا أيُّها الركبانُ والردُّ واجِبُ ... قِفُوا حَدّثونا ما تقولُ النوادِبُ
إلى أيِّ فتيان النَّدى قَصَدَ الرَّدى ... وأيُّهم نابتْ حِماه النوائِبُ

---

(١) الأغاني، ١٤ / ٦٣ ـ ٦٥ .

فيـا لأبي العَبّـاس كَمْ رُدَّ راغِبٌ لِفَقْـدِكَ مَلْهُـوفـاً وكم جُبَّ غارِبُ
ويـا لأبـي العبـاس إنَّ مناكِبَـاً تَنـوءُ بها حَمَّلتَـهَـا لَنـواكِـبُ
فيـا قَبْرَهُ جُدْ كُلَّ قَبْرٍ بِجُـودِهِ ففـيـك سماءٌ ثَرَّةٌ وسـحـائِـبُ
فإنَـك لو تَدْرِى بما فيـك من عُلاً عَلَوْتَ وبـاتَـتْ في ذُراك الكـواكِبُ
أخـاً كُنْـتُ أبكيـه دَمَـا وهـو نائِمٌ حذَاراً وتَـعْـمَـى مُقْـلَتِي وهـو غائِبُ
فمات ولا صَبْرٌ ى على الأجْـرِ واقِفٌ ولا أنـا في عُمْـرٍ إلَـى الله راغِـبُ
أ أسْعَى لأحْظَى فيـك بالأجْـرِ إنّـه لَسَـعْـيٌ إذن مني لَدَى الله خائِـبُ
ومـا الاثم إلا الصـبْرُ عَنْـكَ وإنّـما عواقِـبُ حَمْدٍ أنْ تُذَمَّ الـعـواقِـبُ
يقـولـون : مقـدارٌ على المَرْءِ واجِبٌ فقُـلْتُ وإعـوالٌ على المَـرْءِ واجِبُ
هو الـقَـلْبُ لَما حُمَّ يَوْمُ ابْـن أمِّـه وَهَـى جانِـبٌ منـه وأسْقِـمَ جانِـبُ
تَرَشَّـفْـتُ أيـامـي وهُـنَّ كوالِـحٌ عَلَيْـكَ ، وغـالَبْتُ الـرَّدَى وهو غالِبُ
ودافعت في صدر الـزمـان ونحـوه وأيُّ يَدٍ لي والـزمـانُ مُحَارِبُ ؟
وقُـلْتُ له : خَل الجـوادَ لِقَـوْمِـهِ وهأنـذا فازْدَدْ فإنـا عصـائِـبُ
فوالله إخلاصا من القَـوْلِ صادِقَـاً وإلا فحـبـي آلَ أحْمَـدَ كاذِبُ
لو إنّ يدى كانـت شفـاءك أودمـي دمَ الـقَلْبِ حَتّى يَقْضِبَ القلْب قاضِبُ
لَسَلَّمْتُ تسليمَ الـرِّضـا وتَخِـذْتُها يَدَاً للرّدى ما حَجّ لله راكِـبُ
بكـاك أخٌ لم تَحْوِه بِقَـرابَـةٍ بَلَى إنَّ إخـوانَ الـصَّفَـاءِ أقـارِبُ
وأظْلَمَتْ الـدُّنيـا التي كُنْتَ جارَهـا كأنَـكَ للدُّيـنـا أخٌ ومـنـاسِـبُ
يُبَرِّدُ نيرانَ المـصـائِـبِ أنَّـنِي أرى زَمَنـاً لم تَبْقَ فيـه مصائِبُ (١)

على هذا النحو مضى ديك الجن في رثاء جعفر بن علي الهاشمي حيث بدأ بالطريقة التقليدية للرثاء من حيث الأسلوب ومن حيث المعاني ثم انتهى إلى المعاني السياسية من حب لآل البيت واخوة الصفاء والتأسي بما أصاب الناس من مصائب على مر العصور والأزمان .

(١) الأغاني ، ١٤ / ٦٦ - ٦٧ .

وتجر هذه الصلات على أصحابها أوزارا لعل أقلها التشرد في الآفاق طلبا للنجاة من بطش العباسيين، الذين لم يتورعوا عن ملاحقة آل البيت بالقتل والتعذيب والتشريد بحيث تنسي قسوتهم العلويين ما لا قوه من عسف على أيدى الأمويين من قبل ومن هنا يقول محمد بن عبدالله بن الحسن لعمه الحسن بن حسن ابن علي عليهم السلام : « والله يا عم لقد كنا نقمنا على بني أمية ما نقمنا، فما بنو العباس إلا أقل خوفا لله منهم، وإن الحجة على بني العباس لأوجب منها عليهم . ولقد كانت للقوم أخلاق ومكارم وفواضل ليست لأبي جعفر » . (١)

وقد دفع تعسف السلطة العباسية بعض الشعراء العلويين إلى العدول عما كانوا ذهبوا إليه من رأى في آل البيت على نحوما كان من مسلم بن الوليد عندما مثل بين يدى الرشيد فسأله عن قوله في التشيع للعلويين فتغير لونه فعرف الرشيد ذلك وأخذ يداعبه ويقول له : ايه يا مسلم أنت القائل :

أنِسَ الهوى ببني العمومةِ في الحَشَا   وأراه يَطْمَحُ عن بني العَبَّاسِ

فارتجل على البديهمة، بل أنا الذى أقول يا أمير المؤمنين :-

أنِسَ الهوَى بِبَني العمومةِ في الحَشَا   مُسْتَوْحِشًا من سائِرِ الايناسِ
وإذا تكامَلَتِ الفضائِلُ كُنْتُمُ   أوْلى بذلك يا بني العَبَّاسِ (٢)

على أن شعر الشيعة في العصر العباسي ساهم مساهمة واضحة في تحريض العلويين على الثورة في وجه بني العباس على نحوما يرى في قول عبدالله بن مصعب الزبيرى عندما ثار محمد بن عبدالله العلوى في المدينة :

---

(١) الأغاني، ١١ / ٣٠٠.
(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد، ٢ / ١٨١ .

لا عَزَّ رُكْنا نزار عِنْدَ سَطْوَتِها | إنْ أسْلَمَتْك ولا رُكْنا ذوي يَمَنِ
أَلَسْتَ أكرَمَهم عُوداً إذا انتَسَبُوا | يَوْما وأطهَرَهم ثَوْبا من الدَرَنِ
وأعْظم الناس عِنْدَ الناس مَنْزِلَةً | وأبْعَدَ الناس من عَيْبٍ ومِنْ وَهَنِ

ثم يقول :

قُوموا بِبَيْعَتِكم نَنْهَضْ بطاعَتِنَا | إنّ الخلافَة فيكُمْ يا بَني حَسَنِ
إنا لنأمَلُ أن تَرْتَدَّ الفِتَنا | بَعْدَ التدابُرِ والبَغْضاءِ والاحَنِ
حَتّى يُثابَ على الاحسانِ مُحْسِنُنا | ويأمَنَ الخائِفُ المأخوذَ بالدِّمَنِ
وتَنْقَضي دَوْلَةٌ أحكامُ قادَتِها | فينا كأحكام قَوْمٍ عابدي وَثَنِ
فطالما قَدْ بَرَتْ بالجَوْرِ أعْظمَنا | بَرْيَ الصناعِ قداحَ النَّبْعِ بالسفنِ

وهي دعوة صريحة في تأليب العلويين على العباسيين وشحذ همم الناس للأخذ بأيديهم لاسترداد حقوقهم التي عصبها العباسيون، ولا عجب إذا أن يقتله الرشيد بسبب هذه القصيدة .

ومن هذا القبيل أيضا قول منصور النمرى في العلويين يحرضهم على العباسيين ويدفعهم إلى الثأر وتسنم الخلافة :

شاءَ مِنَ الناسِ راتِعٌ هامِلُ | يُعَلِّلونَ الناسَ بالباطِلِ
تُقْتَلُ ذُرِّيةُ النبيِّ ويَرْ | جونَ خلودَ الجناتِ للقاتِلِ
وَيْلَكَ يا قاتِلَ الحُسَيْنِ لَقَدْ | بُؤتَ بِحِمْلٍ يَنُوءِ بالحامِلِ
أيّ حِباءٍ حَبَوْتَ أحْمَدَ في | حُفْرَتِه من حرارة الثاكِلِ
بأي وَجْهٍ تَلْقَى النَبيَّ وقَدْ | دَخَلْتَ في قَتْلِهِ مع الداخِلِ

هَلُمَّ فاطْـلُبْ غَداً شفـاعَـتَـه أو لا فَرِدْ حَوْضَـه مع الـنـاهِـلِ
ما الـشَـكُّ عِنْـدِي في حال قاتِـلِه لكـنَّـني قَدْ أشُـكُّ في الخـاذِلِ
نَفْسـي فداءُ الحسـين يوم غدا إلـى المنـايـا غُدُوَّ لا قافِـلِ
ذلـك يوم أخْـنَي بِشَـفْـرَتـه على سَنـام الاسلام والكـاهِـلِ
حَتَّـى مَتَـى أنْـتِ تَعْجَـلينَ : ألا تَنْـزِلُ بالقَـوْمِ نِقْمَـةُ العـاجِـلِ
لا يعـجـلُ الله إنْ عَجِـلَت ومـا رَبُّـكِ عَمَّا تَرَيْـنَ بالـغَـافِـلِ
وعـاذلي أنـني أحِـبُّ بني أحْمَـدَ فالـتُّرْبُ في فَمِ الـعـاذِلِ
قَدْ دِنْـتُ ما ديـنـكـم عليـه فما وَصَـلْتُ من دينـكـم إلى طائِـلِ
دينُـكُمْ جَفْـوَةُ الـنبـيِّ ومـا الـ ـجـافِي لآلِ الـنـبـيِّ كالـواصِـلِ

فلما بلغ قوله فى ذكر فاطمة عليها السلام :-

مَظْـلومـةٌ والالَـه ناصِـرُهـا تُدِيْـرُ أرْجـاءَ مُقْـلَةٍ حافِـلِ

حتى أمر الرشيد بأن ينكل بالنمرى أيما تنكيل لأنه يحرض الناس بالخروج عليه . (١)

وهكـذا مضى شعـراء الحـزب العلوى يجسدون الصراع الذى استمر أواره بين العلويين وأبناء عمومتهم العباسيين واتخذ الصراع عدة صور تتراوح شدة أو ضعفا ولكنهـا في مجمـوعتهـا تنم عما عمـرت به قلوب شعـراء الحـزب العلوى من حب خالص، وما اضطروا إليه من تقية وما جره هذا الحب عليهم من تشرد في الآفاق .

ويظل موضوع الأئمة العلويين وتتبع مناقبهم وفضائلهم وإظهار البكاء والجزع عليهم أهم موضـوع حفلت به عنـايـة شعـراء الحزب الشيعي ولكن هذا الموضوع تفـاوتت فيـه عواطف الشعـراء، وفي هذا المضـمار نجـد لأبي تمام حبيب بن أوس

(١) ابن المعتز : طبقات الشعراء، ٢٤٣ وما بعدها .

الطائي قصيدة يعدد فيها مناقب الامام علي بن أبي طالب ويتحدث عن فضائله ويضمنها حديث الغدير ويشير إلى الحزن والألم لما أصابهم فيقول فيها :ـ

هَراقوا دَمَيّ سِبْطَيْهِمُ وتَمَسَّكُوا ... بحبل عَمّي لا المَحْضُ فتلا ولا الشزرُ
بني أصْفياء الله سهل حيفهم ... لهم منهم دهياء مَسْلَكُها وَعْرُ
فهلا انتهوا عن كُفر ما سَلَفَتْ به ... صنائِعُهم إذْ لم يكن عِنْدَهُم شُكْرُ
وهَلّا اتقوا فصل احتجاج نبيهم ... إذا ضَمَّهم بَعْثُ من الله أوْحَشْرُ
أحجة رَبِّ العالمين ووارث النبيِّ ... ألا عَهْد وفي ولا أصْرُ
ولو لَمْ يُخَلِّفْ وارِثاً لِعِتْرَتِكُم ... أمور تبين الشَكُّ ساحة مَنْ تَعْرو(١)

وبسبب هذه القصيدة الرائية نسب أبو تمام إلى التشيع وهي وإن حفلت بتعداد ما أصاب الهاشميين وتضمنت فضائل الامام علي إلا أنها لا تقف على قدم المساواة مع تلك البكائيات المشهورة في شعر الشيعة ولكن هذا لا ينقص من علو شأن هذه القصيدة من حيث احكام البناء واتقان الصنعة الفنية وهي على أي حال قصيدة طويلة ولكنها تقف عند حدود الانتصار لعلي وشيعته .

وعند إبراهيم بن هرمة نجد حب آل البيت وبني فاطمة مجرد شعار يرفعه فعلى حين نجد له قوله :ـ

وَمهْما ألامُ على حُبِّهم ... فإني أحِبُّ بني فاطِمَةْ
بني بنتَ مَنْ جاءَ بالمحكما ... تِ والدين والسُّنةِ القائِمَةْ(٢)

نجده يصف إحدى ثورات العلويين بأنها ترفع راية إبليس وتوقد للغاوين نار الحباحب، يقول في ثورة النفس الزكية :ـ

---

(١) ديوان أبي تمام، ١٦٤ وما بعدها .

(٢) ابن المعتز : طبقات الشعراء، ٢٠ فما بعدها .

دعــوني وقــد سارَتْ لابليس رايــة	وأوقــد للغــاوين نار الحبــاحِبِ
أبــا لليـث تغـتر ون يحمي عزينـه	ولـقــون جَهْــلاً أســده بالثعــالِبِ
فلا نَفَــعَــتْــني ألْـسن إنْ لَمْ يؤ زكـم	ولا أحْكَمَتْني صادِقاتُ التجارب (١)

كما نجده يشيد بمقدم عيسى بن موسى حين تقدم بجيوشه للقضاء على ثورة محمد النفس الزكية فيقول :

أتَـتْـكَ الـرواحـل والملجـمات	بعيسى بن موسى فلا تَعْجـلِ
وقـال لِيَ الـنـاسُ إنَّ الحـيـاءَ	أتـاكَ مع الملك المُـقْـبِـلِ
فدونـكـهـا يا بن ساقِـي الحَجيـجِ	فإنّي بها عَنْـك لم أبْـخَـلِ
لقـول الـوصـي وأنـت ابـنـه	وصـي نبى الهـدى المـرسـل (٢)

ويبدو لي أن ابن هرمة كان محبا للفاطميين وأنه - على نحو ما صرح في شعره - كان يلام بسبب هذا الحب مما دعـاه إلى الحـذر الشـديـد خشية أن يتسبب له هذا الحب بمزيد من الأذى على أيدى السلطة العباسية الحاكمة ومن هنا رأيناه يصانع العباسيين ويمدح خلفاءهم على نحو ما كان من مديحه للمنصور .

وتظـل فضـائـل الامـام علي موضوعا رئيسيا من الموضوعات التي لا يمل شعراء الشيعة من نظمها وصيناغتها شعرا ولا يرضون أن تذكر فضائل أحد من الصحابة دون أن تذكـر فضـائـل الامام علي مثال ذلك ما كان من محمد بن وهيب الحميرى الـذى سمـع من يمـلي على النـاس فضـائـل أبي بكـر وعمر وعثمان دون أن يذكر فضائل الامام علي ، ومن هنا كان هجاؤه ليزيد بن هارون ومن كان في مجلسه منهم ومنه قوله :

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ٣ / ٢٩ .
(٢) الصولي: الأوراق ، ٣١٢ .

أغـدو إلى عُصْبَـةٍ صُمَّتْ مسامِعُهم ... عن الهُـدَى بَيْنَ زِنْـديـقٍ ومأفُـونِ
لا يَذْكـرونَ عَليّـاً في مشـاهِدِهم ... ولا بنـيـه بني الـبض الميـامِـينِ
إنّي لأعـلَمُ أنّي لا أحِـبُّـهُـم ... كما هم بيـقـينٍ لا يُحِبـوني
لو يستطيعونَ من ذِكْرِي أبا حَسَنٍ ... وفَضْـلَه قَطَّعـوني بالسكـاكـينِ
ولَسْـتُ أتْـرُكُ تَفْضيـلي له أبَـدَاً ... حَتّى المماتِ على رَغْمِ الملاعِينِ (١)

وروى الأصفهاني أن « محمـد بن القـاسم بن يوسف قال لمحمـد بن وهيب الحميرى يوما أنك تأتينا وقد عرفت مذاهبنا فنحب أن نعرف مذهبك فنوافقك أو نخالفك فأجابه قائلا :ـ

أيُّهـا الـسـائِلُ قد بَـيـنْـتُ ... إنْ كُنْـتَ ذَكِـيّـا
أحْمَـدُ الله كثـيـراً ... بأيـادِيـه عَلَيّـا
شـاهِـدُ أنْ لا إلـه ... غَيْرَه ما دُمْـتُ حَيّـا
وعـلـى أحْمَدَ بالـصـدْ ... قِ رَسـولاً ونَـبِـيّـا
وَمَـنَـحْـتُ الـوُدَّ قُرْبَـا ... هُ ووالَـيْـتُ الـوَصِـيّـا
وأتـانِـي خَبَرٌ مُطّـرَحُ ... لـم يَكُ شَيْئـا
أنْ علـى غَيْرِ اجـتـمـاعٍ ... عَقَـدوا الأمْـرَ بديـا
فوقَـفْـتَ الـقَـوْمَ تَيْـمَاً ... وعَـديّـا وأمـيـا
غيـر شَتَّـام ولـكـنـي ... تولَـيْـتُ عَلِيّـا (٢)

وهكذا لخص الشاعر مذهبه الشيعي المعتدل في حدود تفضيل الامام علي دونما تطرف أو غلو، وهكـذا وجـد التشيـع عددا من الشعـراء، آمنـوا بعـدالة القضية العلوية ونوهوا بأحقيتهم في الخلافة، ووقفوا جهودهم وأعمارهم في بعض الأحيان

(١) الأغاني، ١٧ / ١٤١ طبعة سياسي .
(٢) الأغاني، ١٧ / ١٤٩ « طبعة ساسي » .

خدمة لهذه المبادىء، وفارس الميدان المحلي في هذا المضمار هو دعبل الخزاعي الذى كان صريحا في تشيعه مخلصا للعلويين كأبعد ما يكون الاخلاص بحيث يستطيع الباحث القول بأن العلويين لم يظفروا على طول تاريخهم السياسي بشاعر مثله .

د) الشعر في خدمة الموالـي :-

بعد نجاح الانقلاب العباسي إشرأبت أعناق الموالي، وأحسوا أن الدولة الجديدة قامت على سواعدهم القوية، ساعدهم على هذا الاحساس ما كان يردده أولي الأمر من بني العباس على نحو ما كان من محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ومن المنصور ومن داود بن علي، ولكن الأمر الذى لم يدركه هؤلاء الموالي أن اعتراف بني العباس بفضلهم لا يعني القبول بما أظهروه من الاستئثار دونهم بالسلطة ومن المنافسة لهم في ميادين السياسة والحكم وما تناقلته ألسنتهم من السخرية بالعرب وما أبدوه من ازدراء للشعر العربي والتقاليد العربية حتى غدا لفظ عربي عندهم يدل على أحقر المعاني ومن ذلك ما رواه ابن الأثير من أقوالهم : « العربي بمنزلة الكلب اطرح له كسرة واضرب رأسه» . (١)

وعندما استشعر خلفاء بني العباس هذه الأحقاد التي أظهرها الموالي في عدة مجالات بدأوا ينكلون بهم، فبدأ المنصور بأبي مسلم الخراساني صاحب الدولة، وهو موقف استغله شعراء الحزب العباسي على نحو ما رأينا عند أبي دلامة الأسدى (٢) وبشار بن برد، (٣) ومع ذلك فإن الخلفاء العباسيين لم يجدوا حرجا في تولية الموالي أرقى المناصب في الدولة، فمنذ البداية اتخذوا أبا سلمة الخلال وزيرا لهم، وفي عهد المنصور تقلد أبو أيوب المرورياني الوزارة وتقلدها في عهد المهدى

(١) ابن الأثير، ٦ / ٢١١ .
(٢) انظر في هذا فصل الشعر في خدمة العباسيين من هذا البحث .
(٣) انظر في هذا فصل الشعر في خدمة العلويين من هذا البحث .

يعقـوب بن داود حيث إستأثـر بالمنصب استئثارا عظيما حتى قال بشار يهجو المهدى ويستحث فلول بني أمية على التجمع واستعادة الخلافة :

بَني أمَـيــة هُبــوا طالَ نَوْمُــكُــمُ إنَّ الخــليــفــةَ يَعْــقــوبَ بنَ داودِ
ضاعَـتْ خلافَتُكُم يا قَوْمُ فالتمســوا خليفــةَ الله بَيْنَ الــزِّقِ والعُـودِ (١)

وفي عهـد المهـدى أسنـد إلى يحيى بن خالـد أمـر الاشـراف على إدارة دواوين هارون حين ولاه المهـدى المغـرب سنـة ١٦٣ هجـريـة . (٢) وفي عهـد الـرشيـد الفـارسي ، وفي عهـد المأمـون اتخـذ الفضـل بن سهل وزيرا له ولقب ذا الرياستين لجمعه بين السيف والقلم . (٣)

وهكذا علا شأن الموالي في الدولة العباسية علوا كبيرا مما أثار سخط العرب سواء في ذلـك الحـزب العباسي الحاكم وأفراد الشعب ، وما لبثوا أن عبروا عن سخطهم بتلك الثـورة التي قادهـا نصـر بن سيار سنة ١٩٨ هجرية فكانت هذه الثورة تعبيرا صادقا عن الرغبة في وضع حد لاستبداد الموالي بالسلطة دون العباسيين ، ومن قبل كان الخليفـة المنصـور أول من وضـع حجر الأساس في هذا الصراع العنيف عندما فتك بأبي مسلم الخراساني ، ومن بعده نكل الرشيد بالبرامكة والمأمون بالفضل بن سهل .

ويبـدو أن الشعـراء المـوالي قد استشعـروا الأمن في ظلال اتسـاع نفوذ الموالي في ميـادين السيـاسة والحكم فمضوا يفخرون بأصولهم الفارسية على نحوما كان من بشار ابن برد ، الذى دأب على الفخر بأصله الخراساني الفارسي على نحوما يرى في قوله :

---

(١) الأصفهاني : الأغاني ٣ / ٢٤٥ .
(٢) انظر الطبرى أحداث سنة ١٦٣ هجرية .
(٣) ابن طباطبا : الفخرى في الآداب السلطانية ، ١٩٦ .

وَدَعاني مَعْشَرٌ كُلُّهُمُ ... حُمُقٌ دام لَهُم ذاك الحُمُقْ
لَيْسَ من جُرْمٍ ولكن غاظَهُم ... شَرَفِي العارِضَ قَدْ سَدَّ الأُفُقْ (١)

وفي الديوان :-

من خُرَاسانَ وَبْيتي في الذُّرَى ... ولَدَى المسعاةِ فَرْعي قَدْ سَبَقْ

وعلى نحو ما كان من بشار أيضا يوم أن دخل على المهدى فقال له :-

فيمن تعتد يا بشار؟ فقال : أما اللسان والزى فعربيان، وأما الأصل فعجمي ، ثم أنشد :-

ونُبِّئْتُ قَوْمَاً بِهم جِنَّة ... يقولون : مَنْ ذَا ؟ وكُنْتُ العَلَمْ
ألا أيُّها السائِلي جاهِداً ... لِيَعْرِفَني : أنا أَنْفُ الكَرَمْ
نَمَتْ في الكرام بني عامِر ... فروعي وأصْلي قُرَيْشَ العَجَمْ
فإني لأغْني مقام الفَتَى ... وأصْبي الفتاةَ فما تَعْتَصِمْ

ثم يسأله المهدى : فمن أي العجم أصلك ؟ فيجيب : « من أكثرها من الفرسان وأشدها على الأقران أهل طخارستان » . (٢)

وهكذا أبدى بشار تعصبا واضحا وشعوبية مبالغة، وهو لا يكتفي بإعلان تعصبه وشعوبيته ولكنه يتبرأ من ولائه للعرب فيقول :

---

(١) الأغاني، ٣ / ٢٠١ ، وكذلك ديوانه طبعة لجنة الترجمة والنشر .
(٢) الأغاني، ٣ / ١٣٨ .

أَصْبَحْتُ مَوْلى ذي الجَلَالِ وَبعْضُهم ... مَوْلى العُـرَيْبِ فَخُـذْ بِفَضْلِكَ فافْخَرِ
مولاك أكـرم من تميـم كلهـا ... أهــل الفعــال ومن قريش المشعـر
فارجــع إلــى مولاك غير مدافــع ... سبحـان مولاك الأجـل الأكـبر (١)

وهكذا تنكر بشار لمواليه من بني عقيل الذين سبق وأن قال فيهم :

إنّــي من بني عَقــيــل بن كَعْــبٍ ... مَوْضِعَ السَّيْفِ مِنْ طُلى الأعْنَاقِ (٢)

وهو يجاهر بهجاء العرب ويهجاء الموالي الذين يدعون العربية على نحو ما نرى في قوله :

هُمْ قَعــدوا، فانـتـقــوا لهم حَسَبَــاً ... يَدْخــل بعــد العشــاءِ في العَــرَبِ
حَتّــى إذا ما الــصَّــبــاحُ لاحَ لَهُم ... بَيَّنَ ستــوقــهــم من الــذَهَــبِ
والــنــاسُ قَدْ أصْبَحُــوا صيــارِفَــةً ... أعْــلَمُ شَيْءٍ بزائِـفِ الحَسَبِ (٣)

وقوله في عمرو بن أبي عمرو بن العلاء :-

أرْفِـقْ بِعَـمْــرو إذا حَرَّكْـتَ نسْبَتَــه ... فإنّــه عَربِــيٌ من قَواريــرِ
ما زالَ في كيرِ حَدّاد يُرَدِّدُه ... حَتَـى بَدا عَرَبيــا مُظِلمَ النُّــوُرِ (٤)

وقوله فيه أيــــضا :

(١) المرجع السابق، ٣ / ١٣٩ .
(٢) الأغاني، ٣ / ١٣٩ .
(٣) ديوان بشار، ١ / ٣٧٧ .
(٤) ديوان بشار، ٤ / ٥٠ فما بعدها .

إنَّ عَمْـرا، فاعْـرِفـوه عَرَبـيٌّ مـن زُجَـاجِ
مُظْـلِمُ الـنِّـسْـبَـةِ لا يُعْـ ـرَفُ إلّا بالـسـراجِ (١)

وروى الأصفهـاني أن أعـرابيا دخل على مجزأة بن ثور السدوسي وبشار عنده، وعليـه بزة الشعـراء، فقـال الأعـرابي : من الـرجل ؟ فقالوا : رجل شاعر، فقال الأعرابي : وما للموالي وللشعر : فغضب بشار وسكت هنيهة، ثم قال : أتأذن لي يا أبا ثور ؟ قال : قل ما شئت يا أبا معاذ ؟، فأنشأ بشار يقول :-

خَليـلي لا أنـامُ على اقـتِـسـارِ ولا آبـى على مَوْلـىً وجَـارِ
سأخـبِرُ فاخِـرَ الأعـرابِ عَنِّي وعَـنْـهُ حينَ تأذَنُ بالـفَـخَـارِ
أحـينَ كسبـت بَعْـدِ العُـرْي خَزًّا ونـادمْـتَ الـكِـرَامَ على الـعُـقَـارِ
تُفـاخِـرُ يا بنَ راعـيَـةٍ وراعٍ بني الأحْـرارِ حَسْبُـكَ من خَسـارِ
وكُـنْـتَ إذا ظَمِئْـتَ إلـى قراحٍ شركْـتَ الْمـكـارِمَ صَيْـدُ فارِ
تريـغُ بِخُطْـبـةِ كِسـر المـوالِي ويُـنْـسِـيـك المكـارِمَ صَيْـدُ فارِ
وتَـغْـدُوا للقـنـافِـذِ تَدْريهـا ولم تَعْـقِـل بدَراجِ الـدِّيـارِ
وتَـتَـشِـحُ الـشِّـمَالِ للابـسيـهـا وتـرعى الضأنَ بالـبَلَدِ الـقِـفَـارِ
مقـامُـكَ بَيْـنَـنـا دَنَسٌ علَيْـنَـا فليـتـكَ غائِـبٌ في حَرِّ نَارِ
وفَـخْـرُكَ بَيْنَ خنـزيـرٍ وكَـلْـبٍ على مِثْـلي مِنَ الحَـدَثِ الكُـبارِ (٢)

وهكذا لم يكتف بشار بهجو الأعرابي ولكنه تطاول على الأعراب عامة وذم حياتهم ومضى يحقرهم ويسخر من حياتهم ويقارن بين حياتهم البدائية المتخلفة وبين بني الأحرار وهم الفرس على نحو ما يرى في قوله :-

هــل من رسـولٍ مُخْبِرٍ عَنِّي جميـع الـعَـرَبِ
مَنْ كان حَيّـاً مِنْهُـمُ ومَـنْ ثَوى في الـتُّـرَبِ

(١) العقد الفريد، ٣ / ٣٠١ .
(٢) الأغاني، ٣ / ١٦٦ وما بعدها .

بأنني ذو حسبٍ عالٍ على ذى الحَسَبِ
جدّى الذى أسْمُو بِهِ كِسْرَى وساسانُ أبِي
وقَيْصَرٌ خالِي إذا عَدَدْتُ يَوْماً نَسَبِي
كَمْ لي، وكَمْ لي مِنْ أبِ بتاجِهِ مُعْتَصِبِ

إلى أن يقول :

ولا حَدَا قَطُّ أبِي خَلْفَ بعير أجْرَبِ
ولا أتى حَنْظَلةً يَشْقُبُها مِنْ سَغَبِ
ولا أتى عُرْفُطةً يَخْبِطُها بالخَشَبِ
ولا شَوْينا وَرِلاً مُنضنا بالذَّنَبِ
ولا تَقَصَّعْتُ ولا أكَلتُ ضَبَّ الحَزَبِ
ولا اصطلى قَطُّ أبي مُفَجِّعاً للَّهبِ
كَلا، ولا كان أبِي يَرْكَبُ شَرْجَيْ قَتَبِ
إنّا مُلوكٌ لَمْ نَزَلْ في سالفاتِ الحِقَبِ
نَحْنُ جَلَبْنا الخَيْلَ مِنْ بَلْخ بِغَيْرِ الكَذِبِ
حَتّى سَقَيْناها - وما نُبْدُه - نَهْرَيْ حَلَبِ
حَتّى إذا ما دَوَّخَتْ بالشام أرْضَ الصُّلُبِ
سِرْنا إلى مِصْرَ بها في جَحْفَلٍ ذي لَجَبِ
حَتّى استَلَبْنا مُلْكَها بِمُلْكِنا المُسْتَلَبِ
وجازَتِ الخَيْلُ بنَا طِنجةَ ذاتَ العَجَبِ
حَتّى رَدَدْنا المُلْكَ في أهْلِ النَّبِي العَرَبِي
من ذا الذى عادى الهدى والدين لم يستلب
ومَن ومَن عانَدَه أوْ جارَ لَمْ يُنْتَهَبِ
نغضب لله وللاسـلام أسرى الغضب

نحـــن ذوو الـتـيـــجـان والـ ـمـلـك الأشـم الأغـلـب (١)

وهي قصيدة تصور ضراوة حقده العنيف على العرب، وقد مضى فيها يقارن بين بداوتهم الجافية وحضارة آبائه اللينة من الفرس والروم . وفي الحق أن شعوبيته كانت صارخة، إذ كان زنديقا وعدوا للعرب ودينهم الحنيف، عداوة ترسب في ضميره وفؤاده . (١)

لذلك رأيناه يمضي في حديثه الساخر عن الأعراب والعرب، مباهيا بقومه من الفرس وناسبا لهم الفضل في نشر الاسلام في أقطار الأرض، فهم الملوك وذوو التيجان ولهم الغلبة في كل وقت . وهي نغمة شعوبية حادة وجراءة سياسية هادفة وبرغم ما كان لبشار من فخر بنزار وما تفرع منها من قبائل عربية فإن فخره بقيس عيلان مواليه لم يكن صادرا ـ على ما يبدو ـ عن صدق أو إيمان بها لها من مكان ولكنه على أية حال متفق كل الاتفاق مع المجتمع البصرى المتناقض حيث عاش الشاعر، ومتفق أيضا مع طبيعة القرن الثاني الهجرى المعروف هو الآخر بالاضطراب الفكرى والسياسي، وحتى فخره بمواليه من قيس عيلان إنما هو لون جاهلي في معانية وفي أسلوبه، أي أنه من ذاك اللون الذى اتخذه بشار مدخلا للثورة على أصحابه من العرب عندما تحدث عن الأعراب في سخرية على حين رأيناه يباهي بقومه من الفرس .

ومضى شعراء آخرون من الموالي يسخرون ممن ادعى النسب إلى العرب روى صاحب الأغاني أنه كان لعلي بن الخليل صديق من الدهاقين، يعاشره ويبره، فغاب عنه مدة طويلة وعاد إلى الكوفة وقد أصاب مالا ورفعة، وقويت حاله، فادعى أنه من بني تميم، فجاءه علي بن الخليل فلم يأذن له، ولقيه فلم يسلم عليه، فقال يهجوه :

---

(١) ديوان بشار بن برد، ١ / ٣٧٧ .

يَروحُ بِنْبَـةِ المَوْلـى ويـصـبـح يَدَّعـي الـعَـرَبـا
فلا هذا ولا هـذا كُ يُدْركـه إذا طَلَبَـا
أتـيـنـــاه بِشِبَـوُّطٍ ترى في ظهـره حَدَبَـا
فقـال : أمـا لَبُـخْـلِكَ مِنْ طَعَـام يُذْهِـبُ الـسَّغَـبَـا
فَصِـدْ لأخـيـك يَرْبـوعَـاً وضَـبًّـاً واتْـرك الـلَّعِبَـا
فَرَشْـتُ لَهُ قَريـحَ المِسْـ ـكِ والـنَّـسْريـنَ والـغَـرَبَـا
فأمْـسَـكَ أنْـفَـه عَنْهَـا وقـامَ مولِّـيَـا هَرَبَـا
يَشُـمُّ الـشـيَـحَ والـقَـيْـصـو مَ كي يَسْـتَـوْجِـب الـنَّـسَـبَـا
وقـام إلـيـه ساقـيـنـا بكأسٍ تَنْظِـمُ الحَـبَـبَـا
مُعَـتَّـــقـةٍ مُـــروَّقَـةٍ تُسَـلْـــي هَمَّ مَنْ شَرِبَـا
فآلَـى لا يُسَـلْسِـلهـا وقـال أصْـبُـبْ لنـا حَلَبَـا
وقـد أبْـصَـرْتُـه دَهْـراً طويـلا يَشْـتَـهِـي الأدَبـا
فصـار تَشَـبُّـهَـاً بالـقَـوْ مِ جلْفَـاً جافِـيَـاً جَشِـبَـا
إذا ذُكِـرَ الـبريـرُ بكَـى وأبْـدَى الـشَّـوْقَ والطَّـرَبَـا
جَحَـدْتَ أبـاكَ نِسْـبَـتَـه وأرجـو أن تُفـيـدَ أبَـا (١)

وهكـذا انتهـز علي بن الخليـل فرصـة إدعـاء أحـد أصدقائه الفرس النسبة إلى العـرب فراح يسخـر منـه ويعـرض بالعـرب ويسفـه حياتهم الجافية . كما روى له صاحب الأغاني قصيدة أخرى بنفس المعنى يقول فيها :ـ

يأيُّهـا الـراغِـبُ عن أصْـلِهِ ما كنـت في موضـعِ تَهْجِـينِ
مَتَّـى تَعَـرْبْـتَ وكُـنْـتَ امـرأ من المـوالي صالِـحَ الـدِّيـنِ
لو كُنْـتَ إذْ صِرْتَ إلـى دَعْـوَةٍ فُزْتَ من الـقَـوْمِ بِتَـمـكـينِ
لكَـفَّ مِنْ وَجْـدِي ولـكِـنَّي أراكَ بينَ الـضَّـبِ والـنُّـونِ

(١) د . شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ٧٨ .

فلو تراه صارِفا أنْفه — من ريح خَيْريٍّ ونسْرينِ
لَقُلْتَ : جِلْفٌ مَنْ بَني دارِمٍ — حَنَّ إلى الشيْحِ بيبْرينِ
دُعْموصُ رَمْلٍ زَلَّ عَنْ صَخْرَةٍ — يَعافُ أرواحَ البساتينِ
تَنْبو عن الناعِم أعطافَه — والخَزُّ والسِّنْجاب واللِّينِ (١)

ومن هذا القبيل أيضا ما روى من قول أبي العتاهية في هجاء والبة بن الحباب بعد أن ادعى والبة النسب إلى العرب :ـ

أوالِبُ أنْتَ في العَرَبِ — كَمِثْلِ الشِّيص في الرُّطَبِ
هَلُمَّ إلى الموالي الصِّيـ — دِ في سَعَةٍ وفي رُحَبِ
فأنْتَ بِنا لَعَمْرُ اللـ — ـهِ أشْبهُ مِنْكَ بالعَرَبِ (٢)

وهكذا تنسم الموالي أجواء الحرية في البلاط العباسي ، مما أدى إلى ظهور أصوات ضعيفة وزفرات حارة نتيجة لما اعترى بعض النفوس العربية من الأسى والأسف وهي ترى الخراسانية تدخل وتخرج كالطواويس بينما يقف شاعر عربي هو أبو نخيلة حتى يقول له رجل أعرابي :

كيف أنت يا أبا نخيلة :

فيقول :

أصْبَحْتُ لا يَمْلِكُ بَعْضِي بَعْضَا — تَشْكو العروقُ الأبضاتُ أبْضَا
كما تَشَكَّى الأزَجِيُّ الفَرضا — كأنّما كان شبابِي قرضا (٣)

(١) الأغاني، ١٤ / ١٨٤ .
(٢) المصدر السابق، ١٦ / ١٤٩ .
(٣) الأغاني، ١٨ / ٣٣٤ .

ولم يكن أبـو نواس بأقـل سخـرية بالعرب من بشار ومن علي بن الخليل، حيث رأيناه يهزأ بمفاخر الأعراب، وينوه بمثالبهم على نحو ما نرى في قوله :

إذا ما تميـمـي أتـاكَ مُفَـاخِـراً … فَقُلْ : عَدِّ عن ذا كيف أكْلُكَ للضَبِّ
تفـاخِـرُ أبـنـاءَ الملوكِ سفـاهـةً … وَبَـولُـكَ يَجْرى فَوْقَ ساقَكَ والكَعْبِ
إذا ابتَـدَرَ النـاسُ الفعـالَ فَخُذْ عَصَاً … ودَعْـدِعْ بِمعْزَى يا بنَ طالَقةِ الذَّرْبِ
فَنَحْن مَلَكنـا الأرْضَ شَرْقـاً ومَغْـرِبـاً … وشَيْخُكَ ماءٌ في الترائِبِ والقَلْبِ (١)

ويذكرنا البيت الأخير بما دأب عليه أبو نواس من كثرة الاعتماد على الموازنة بين البدو المتخلفين وأصحاب الحضارة من الفرس ومن هذا القبيل قوله :

دَع الأطْـلالَ تُسْـفيـهـا الجَنـوبُ … وتُـبْـلى عَهْـدَ جدَّتِهَـا الخطـوبُ
وخـلِّ لراكِـبِ الـوجـنـاء أرْضَـاً … تَخُبُّ بها الـنـجيْـبَـةُ والـنَّجيـبُ
بلاد نَبْـتُـهـا عُشَـرٌ وطَـلْحٌ … وأكـثَـرُ صَيْـدِهـا ضَبْـعٌ وذيـبُ
ولا تَأخُـذْ عن الأعـرابِ لَهْوَاً … ولا عَيْـشَـاً فَعَـيْـشُهـم جَديـبُ
دَعِ الألـبـانَ يَشْـرَبُهـا رجـالٌ … رقـيـقُ الـعَيْش بَيْنَهـم غريـبُ
إذا راب الحـليـبُ فَبُـلْ عليـه … ولا تَحْرَج فما في ذاك حُوبُ
فأطْـيَـبُ منـه صافِيَـةٌ شمـولٌ … يطـوفُ بكأسِـهـا ساقٍ أديـبُ
فهـذا الـعَيْشُ لا خِيَمُ البـوادى … وهـذا الـعَيْشُ لا الـلَبَـنُ الحليبُ
فأيْـنَ الـبَـدْو من إيـوانِ كِسْـرَى … وأيـنَ من المـيـاديـنِ الـزُّروبُ (٢)

ومن مقارناته الساخرة في هذا المجال قوله :

---

(١) ديوانه، ١٥٠ فما بعدها .
(٢) ديوانه، ١١ فما بعدها .

دَعِ الرَّسْمَ الذى دَثَرا يُقاسي الرِّيحَ والمَطَرَا
وكُنْ رَجُلا أضاعَ العِلْـ ـمَ في اللذاتِ والخَطَرَا
ألم تَرَ ما بني كِسْرى وسابُورٌ لمن غَبَرَا
منازِهُ بَيْنَ دِجْلَةَ والْـ ـفُراتِ تفيأت شَجَرَا
بأرْضٍ باعَدَ الرَّحمـ ـنُ عنها الطَّلْحَ والعُشَرَا
ولم يَجْعَلْ مصايدَهَا يرابيعًا، ولا وَحَرَا
ولكن حورُ غِزْلانٍ تُراعي بالملا بَقَرَا
فذاكَ العَيْشُ لا سيدًا بقفرتها ولا وَبَرَا
إذا ما كنت بالأشيا ءِ في الأعراب مُعْتَبِرَا
فإنَّك أيَّما رجُلٍ وَرَدْتَ فَلَمْ تَجِدْ صَدَرَا
ومِنْ عَجَبٍ لِعِشْقِهِم الْـ ـجُفَاةَ الجُلْفَ والصَّحَرَا
فقيل مُرَقِّشٌ أوْدى ولم يَعْجِزْ وقد قَدِرَا
وقد أودى ابن عجلان ولم يفطن له خبرا
فَحَدَّثْ كاذِبًا عَنْهُ وقالَ بِغَيْرِ ما شَعَرَا
ولو كان ابنُ عَجْلانٍ من البَلْوى كما ذُكِرَا
لكانَ أذمَّ عَهْدًا في الْـ ـهَوَى وأخَبَّه عُذُرَا
تَعُدُّ الشيحَ والقَيْصُو مَ، والفقهاءَ والسَّمُرَا
جَنِيَّ الآس والنَّسْريـ ـنِ والسَّوْسانِ إنْ زهرا
ويُغنيها عن المُرجا نِ أنْ تَتَقَلَّدَ البَعَرَا
وتغدو في براجِدِها تصيدُ الذِّئْبَ والنَّمِرَا (١)

وهكذا بالغ أبو نواس في شدة حرصه على عقد مثل هذه المقارنات بين الأعراب وبين الفرس فأبدى سخرية حاقدة على حياة البادية وراح يهزأ أهلها ويندد بشعرائها ويحتقر عواطفهم وأخيلتهم ومن هذا قوله :

---

(١) ديوانه، ٥٥٧ فما بعدها .

عاجَ الشَقيُّ على دارٍ يُسائِلُها — وعُجْبُ أسْألُ عن خَمارَةِ البَلَدِ
لا يُرْقي اللهُ عَيْنَيَ مَنْ بَكى حَجَراً — ولا شَفي وَجْدَ مَنْ يَصْبو إلى وَتَدِ
قالوا : ذَكَرْتَ ديارَ الحَيِّ من أسَدٍ — لا دَردَرُّكَ قُلْ لي : مَنْ بَنُو أسَدِ ؟
ومَنْ تَميمٌ ؟ ومَنْ قَيْسٌ وإخوتُهُم ؟ — لَيْسَ الأعاريبُ عِنْدَ اللهِ من أحَدِ
دع ذا عَدِمْتُكَ واشرَبْها مُعَتَّقَةً — صفراء تُعْنِقُ بَيْنَ الماءِ والزَّبَدِ
كم بَيْنَ مَنْ يَشْتَري خَمْراً يَلَذُّ بها — وبَينَ باكٍ على نُؤيٍ ومُنْتَضَدِ (١)

ومنه قوله :ـ

يأيُّها العاذِلُ دَعْ مَلْحاتي
والوَصْفَ للمَوماةِ والغَلاةِ
دارسةً وغير دارساتِ
ولاقِنها بأصْدَقِ النِّياتِ
حَتّى تلاقي رَبَّ شاصياتِ
مُحْتَطِباتٍ لا مُخْضَرّاتِ
بناتِ كِسْرَى خَيْرُ ما بَناتِ
جُلِبْنَ من هيتٍ ومن عاناتِ (٢)

وهكذا عزفت قيثارة النواسي الكثير من الأنغام الشعوبية، فمضى يندد بالعرب وحياتهم، ويسخر من البدو والأعراب وشعرائهم، ويحقر عواطفهم ويزدري مشاعرهم ويسفه أحلامهم ومن ذلك قوله أيضاً :ـ

قُلْ لِمَنْ يَبْكي على رَسْمٍ دَرَسْ — واقفاً ما ضَرَّ لو كان جَلَسْ
اتركِ الرَّبْعَ وسَلْمى جانِباً — واصطَبِحْ كَرْخِيَّةً مثل القَبَسْ (٣)

(١) ديوانه، ٤٦ فما بعدها .
(٢) ديوانه، ١٦٥ .
(٣) ديوانه، ١٣٤ .

وقوله أيضا :ـ

لا تَبْـكِ لَيْلَى ولا تَطْـرَبِ إلى هِنْـدَ	واشْـرَبْ على الوَرْدِ من حَمْراءَ كالوَرْد
كأسـاً إذا انْحَـدَرَتْ في حَلْقِ شارِبِهـا	أجْـدَتْـه حُمْرَتُهـا في العَـيْنِ والخَـدِّ
فالخَمــرُ يا قوتَــةٌ والـكأسُ لؤلــؤةٌ	في كَفِّ جارِيَــةٍ ممشــوقَـةِ القَـدِّ (١)

ولا ينبغي التقليل من شأن الشعوبية عند أبي نواس على نحو ما فعل الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى حيث يقول : « إن أبا نواس لم يكن يتخذ الشعوبية مذهبا يجد في اعتقاده جدا فيعادى العرب أو يتنصل منهم » . (٢) وكذلك عندما ينظر إلى هذه الشعوبية على أنها وسيلة من وسائل التأكيد على مجاراة البيئة المتحضرة المترفة بحيث لا تزدوج شخصية الشاعر ولا يكذب في عواطفه ومشاعره تقليدا واتباعا، (٣) وعلى نحو ما يرى الأستاذ الدكتور شوقي ضيف « فهي شعوبية ناشئة عن الاستمتاع باللذات، وكان يبتغيها ما وجد إليها الانصراف عن الحياة المتبدية الخشنة وما يتصل بها من بكاء الأطلال والوقوف برسوم الديار، إلى الحياة الناعمة المترفة وما يتصل بها من النشوة بالخمر والغلو في الشراب والاغراق في اللذات . (٤) ولو كان الأمر على نحو ما يرى الأستاذان الجليلان فلماذا أكثر النواسي ـ وهو المدافع عن الحضارة والحياة الناعمة المترفة ـ من وصف الناقة في مقدمات الكثير من قصائد المديح عنده (٥) وحتى الوقوف على الأطلال وما يتصل به من بكاء نجد أبا نواس يلجأ إليه، (٦) فلو كانت شعوبية أبي نواس لمجرد مجاراة الحياة الحضرية في بيئته المتحضرة والابتعاد عن الحياة المتبدية الخشنة لما

(١) ديوانه، ٢٧ .
(٢) د . أحمد عبد الستار الجوارى، الشعر في بغداد، ١٢٦ .
(٣) د . أحمد عبد الستار الجوارى، الشعر في بغداد، ١٢٧ .
(٤) د . شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ٧٨ .
(٥) انظر مقدمة قصيدته الدالية التي يمدح بها الفضل بن يحيى البرمكي وقصيدته القافية في مدح العباس بن الفضل بن الربيع .
(٦) انظر مقدمة قصيدته الهمزية التي مدح بها الرشيد وقصيدته الميمية التي يمدح بها الأمين .

وقـع في مثـل هذا التنـاقض الـواضـح ولكنهـا أنغام الشعوبية ضد العرب وحياتهم وعـاداتهم وتقـاليدهم تعزفها قيثارة الولاء للفرس بعد أن أصبح المجال رحيبا وأبعد تغلغـلا في أعـماق حياتهم العباسية: من هذا المنطلق كان لجوء النواسي إلى تلوين صورة الفنيـة بتلك الأصبـاغ الفـارسيـة سواء في ذلـك استخـدام تلك الصـور الكسروية، والألفاظ الفارسية والتقاليد البهلوية، وذاك التحلل الديني الذى يبديه من خلال استخفـافـه بشعـائـر الاسلام، إنها الشعوبية الحقيقية تتردد على لسان مخمور على نحو ما نرى في قوله :-

اسـقـنـيـهـا وغَـنِّ صَوْ تَا - لَكَ الخَـيْرُ - أعْـجَـمَا
لَيْسَ في نَعْـتِ دِمْـنَـةٍ لا، ولا زَجْـرِ أشْأَمَـا (١)

وقولـــه :-

مسـارِحُهـا الغَـرْبيُّ من نَهْر صَرْصَـرَ فَقَطْـرَبُـل فالـصـالِحِيَّـة فالعَقْـرُ
تراثُ أنـوشِروان كِسْـرى ولم تكـن مواريـثَ ما أبْـقَـتْ تميـمُ ولا بَكْـرُ
قَصَـرْتُ بها لَيْـلي ولَـيْـلَ ابنَ حُرَّةٍ له حَسَـبٌ زاكٍ ولَـيْسَ له وَفْـرُ (٢)

وهي محاولات مكشـوفـة، هدفها استرجاع أمجاد الفرس وإحياء أنماط الأكاسرة في ظل دولـة أعطتهم مزيـدا من الثقـة بأنفسهم، فتـمادوا في السخـريـة ممن يقـول بتحريم الخمر على نحو ما رأينا عند أبي نواس وبشار وأضرابهما ممن تفننوا في أنواع الزندقة وإظهار نحلهم القديمة وتقاليدهم البائدة، واتخذت هذه المحاولات أنماطا مختلفـة، فظهـرت طائفة المسلمية بعد مقتل أبي مسلم، ولم يكد أبو جعفر المنصور يفـرغ من إخضـاعهم حتى تظهر الراوندية، وهي حركة غلت في بني العباس غلوا

---

(١) ديوانه، ٨٠ .
(٢) ديوانه، ١٠٢ .

كبيرا، تماما كما غلت الشيعة في أئمتها من العلويين، ثم ظهرت بعد ذلك حركة أستاذ سيس، ثم ظهر المقنع الخراساني ويوسف البرم ورافع بن الليث وغيرهم، وقد تجردت السلطة العباسية لهؤلاء الموالي وحركاتهم الثورية ونكلت باتباعها تنكيلا عظيما، وجندت أقصى الجهود لوضع حد لهذه الحركات جميعا، وبدأت هذه الجهود منذ زمن المنصور حيث نكل بأبي مسلم ثم قضى على ثورات المسلمية والراوندية والأستاذ سيس . ثم نكل الرشيد بالبرامكة ومهد الطريق لمن جاء بعده من خلفاء بني العباس لتعقب الزنادقة فنكلوا بهم، ومع ذلك فقد ظهرت في الموالي بعد ذلك طائفة الخرمية وهي حركة سياسية هدفها نقل السلطة من المسلمين العرب إلى المجوس الفرس، وظهرت هذه الحركة في الجبال الوعرة بشمالي فارس في مناطق أذربيجان، وبلغت حدة هذه الحركة أوجها في زمن الخليفة المأمون حيث وجه لها عدة جيوش .

وهكذا قام الموالي فى القرن الثاني الهجرى بالعديد من الحركات في وجه السلطة العباسية وتقمصوا ألوانا شتى من الصراع بهدف استعادة نفوذهم وإظهار نحلهم القديمة، وهي محاولات هزت السلطة العباسية هزات عنيفة ولكنها لم تستطع أن تحدث تغييرا واضحا في سياسة العباسيين نظرا لما تميز به هؤلاء الخلفاء عن الصرامة والحزم مع كل الثائرين على هذه السلطة .

هـ) الشعر في خدمة الخوارج :

رأينا في الدراسة التاريخية كيف حارب الخوارج السلطة العباسية منذ خلافة أبي العباس السفاح وحتى خلافة المأمون ورأينا كيف أن العباسيين استطاعوا القضاء على ثورات الخوارج ولكن من الأمور التي يدهش لها الباحث أن ثوراتهم في العهد العباسي لم تتردد أصداؤها في الحياة الأدبية في العهد العباسي بشكل واضح، فلم نجد لهم في هذه الفترة شاعرا بارزا، كما لم نجد من شعرهم إلا النزر اليسير مما

يتصـل بالأحـداث التاريخية أو مما يتصل بعقيدتهم ومبادئهم وأفكارهم، وقد لاحظ الأستـاذ أحمـد أمـين أن أدب الخـوارج الـذى روى في العهـد العبـاسي كان أدبـا أبـاضيـا، (١) وربـما كان ألمـع أدبهم في العهد العباسي ما قيل في حادثة الوليد بن طريف الشـارى الـذى حاربه يزيد بن مزيد الشيباني في نواحي نصيبين وقد سجل لنا صريع الغواني مسلم بن الوليد هذه الحادثة في قصيدته اللامية التي مطلعها :ـ

أجْـرِرْتُ حَبْـلَ خليعٍ في الصِّبا غَزِل   وشَمَّـرَتْ هِمَمُ العُـذَّال في عَذْلِي (٢)

وهي قصيـدة طويلة رائعـة يصف فيهـا حروب يزيـد بن مزيد ويصور فروسيته وصنيعه بالأعداء ومنها قولـــه :ـ

لَوْلا يزيــدٌ لأضْحى المُلْك مُطَّـرَحَـاً   أو مائِلَ السَّمْك أو مُسْترَخِيَ الطِّوَلِ
يَغْشَى الـوَغَى وشهـابُ الموت في يدِهِ   يرمي الفـوارسَ والأبطـالَ بالشُّعَـلِ
موفٍ على مُهَــجٍ في يَوْمِ ذى رَهَـجٍ   كأنــه أجَــلٌ يَسْـعَـى إلـى أمَــلِ
لا يَرْحَـلُ النـاسُ إلاّ نَحْـوَ حُجْـرَتِـه   كالبَيْتِ يُفْضِي إليــه مُلْتَقى السُّبُـلِ
يكســو السيـوفَ ومـاءَ النـاكثـينَ بِهِ   وَيجْعَـلُ الهـامَ تيجـانَ القَنـا الـذُّبُـلِ
قَدْ عَوَّدَ الطَـيْرَ عاداتٍ وَثِــقْــنَ بها   فَهُــنَّ يَتْـبَـعْـنَــه في كُلِّ مُرْتَحَــلِ
تَرَاهُ في الأمـنِ في دِرْعٍ مضــاعَـفَــةٍ   لا يأمَنُ ـ الـدهـرَ ـ أنْ يُدْعى على عَجَلِ
لا يَعْـبَـقُ الطيبُ خَدَّيْــه وَمفْـرِقَــه   ولا يُمَسِّـحُ عَيْنَيْـه مِنَ الكُحْـلِ (٣)

ثم يصل إلى الحديث عن الخوارج فيذكر يوسف البرم والوليد بن طريف بقوله :ـ

---

(١) أحمد أمين، ضحى الاسلام، ٣ / ٣٤٥ .
(٢) الأغاني، ١٢ / ٩٦ فما بعدها .
(٣) ديوانه، ٢٥١ .

ويـوسفُ الـبَرْمُ قَدْ صَبَّحْتُ عَسْكَرَهُ	بِعَسْكَـرٍ يَلْفِـظُ الأقْـدارَ ذي زَجَـلِ
والمــارِقُ ابـنُ طريـفٍ قَدْ دَلَـفْتُ له	بِعَسْكَـرٍ للمنـايـا مُسْبِلٍ هَطِـلِ
لَمَّا رآك مُجِدّاً في مَنـيَّـتِـه	وأنَّ دَمْـعَـكَ لا يُسْطَـاعُ بالحِيَـلِ
شام الـنِّـزالَ فأبْـرَقَـتَ الـلقـاءَ لَهُ	مُقَـدَّمَ الخَطْـوِ فيـه غيرُ مُتَّكِـلِ (١)

روى الأصفهاني أن الوليد بن طريف خرج إلى جند يزيد بن مزيد الشيباني وهو يقول :ـ

أنـا الـولـيـدُ بنُ طَريـفِ الشَّـارى

قَسْـوَرَةٌ لا يُصْطَـلَى بِنَـارِى

جَوْرُكُـمْ أخْـرَجَـني مِنْ دَارِى (٢)

وعنـدمـا قتـل الـوليـد بن طريف تولت أختـه ليلى القيادة وجعلت تحمل على جيش يزيـد بن مزيـد ولكن ابن مزيـد ضرب برمحـه قطاة فرسها وقال لها : اغربي غرب الله عليك قد فضحت العشيرة فاستحيت وانصرفت وهي تقول :ـ

بِتَـلِّ نُهاكـي رَسْـمُ قَبْرٍ كأنَّـه	على جَبَـلٍ فَوْقَ الجبـالِ منيفِ
تَضَـمَّـنَ مَجْدَاً عُدْمُلِيـا وسـؤدداً	وهِمَّةَ مِقْـدَام ورأى حصـيـفِ
فيـا شَجَـرَ الخـابـور مالَـكَ مورِقـاً	كأنَّـكَ لَمْ تَجْزَعِ على ابـنِ طريـفِ
فتـى لا يُحِبُّ الـزادَ إلا من التُّـقـى	ولا المـالَ إلا مِنْ قَنـيً وسـيـوفِ
ولا الـذّخْـرَ إلا كُلَّ جَرْداء صِلِدمٍ	مُعَـاوِدَةٍ للكـرِّ بَيْنَ صفـوفِ
كأنَّـك لَمْ تَشْـهَـدْ هنـاك ولم تَقُـمْ	مقـامـاً على الأعـداءِ غيرَ خَفيفَ
ولم تَسْـتَـلِمْ يومـا لورْدٍ كريهـةٍ	من السَّـرْدِ في خضـراءَ ذاتِ رفيفِ

---

(١) ديوانه، ٢٥٢ .

(٢) الأغاني، ١٢ / ٩٥ .

ولم تَسْعَ يَوْمَ الحَرْبِ والحَرْبُ لاقِحٌ ... وسُمْرُ القنا يَنْكُزنَها بأنوفِ
حليفَ الدَّى ما عاشَ يَرْضَى بالنَّدى ... فإنْ مات لا يَرْضَى النَّدى بحَليفِ
فقدناك فُقْدَانَ الشَّباب وليْتَنا ... فَدَيْناكَ مِنْ فِتْيانِنا بألوفِ
وما زال حَتّى أزْهَقَ الموتُ نفْسَه ... شَجاً لِعَدُو أولجَا لضعيفِ
ألا يا لقومي للنوائب والرَّدى ... ودَهْرُ مِلحّ بالكرام عنيفِ
وللبَدْرِ من بَيْنِ الكواكب إذْ هَوَى ... ولِلشَمْسِ لما أزْمَعَتْ بِكُسُوفِ
ولِلَيْثِ كُلَّ الليْثِ إذْ يَحْمِلونَه ... إلى حُفْرةٍ مَلْحُودَةٍ وسقيفِ
ألا قاتل الله الجُثا حَيْثُ أضْمَرَت ... فتى كان للمعروف غير عَيُوفِ
فإن يَكُ أرْدَاه يَزيدُ بنُ مَزْيَدٍ ... فَرُبَّ زُحُوفٍ لَفَّها بِزُحُوفِ
عليه سلامُ الله وَقْفا فإنَّني ... أرى المَوْتَ وقَاعاً بِكُلِّ شريفِ (١)

وهي في الأبيات السابقة « تقف موقف الخنساء من أخويها (٢) فهي ترثي فيه صفات البطولة والمجد والاقدام ولها أبيات عينية أخرى في رثاء أخيها الوليد ومنها قولها :

ذَكَرْتُ الوليدَ وأيامَه ... إذْ الأرضُ مِنْ شَخْصِه بَلْقَعُ
فأقبلْتُ أطْلُبُه في السَّماءِ ... كما يَبْتَغِي أنفُه الأجْدَعُ
أضاعَكَ قَوْمُكَ فَلْيَطْلُبُوا ... إفادةَ مثل الذى ضَيَّعُوا
لو أنَّ السيوفَ التيّ حَدُّها ... يُصيبُك تَعْلمُ ما تَصْنَعُ
نَبَتْ عَنْكَ أوْ جُعِلَتْ هَيْبَةً ... وخَوْفاً لِصَوْلِكَ لا تَقْطَعُ (٣)

فهي ترثي أخا ضحى بنفسه خدمة لعقيدته قبل أن ترثي أخا تحتاج إلى رعايته لها في الحياة .

---

(١) ابن فلكان، وفيات الأعيان، ٦ / ٣١ ـ ٣٤ .
(٢) أحمد أمين، ضحى الاسلام، ٣ / ٣٤٦ .
(٣) الأغاني، ١٢ / ١٠٠ .

وعلى أيـة حال فإن شعـر الخـوارج في هذه الحقبـة من القـرن الثاني الهجرى لم يواكب حركة الصراع السياسي ولم يعبر كما عبر عن نشاطهم في العهد الأموى ولا عجب في ذلك لأن الاضطهاد الذى أصابهم في الحقبة العباسية أصاب شعرهم، نظـرا لأن الخـوارج لم يتفرغوا لفنهم الشعرى ولم يتنافسوا في إنشاده، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن شعراء الخوارج هم أنفسهم قادة الجيوش الخارجية ومن هنا فإن ضياع شعرهم أمر طبيعي كلما استحربهم القتل، وإذا ما أضيف إلى ذلك أن رواة الشعـر ومـدوني الأدب في العصـر العبـاسي لم تبح لهم السلطة العباسية رواية الأدب الخـارجي العبـاسي وإن أبـاحت لهم روايـة الأدب الخارجي الأموى، (١) عنـدئـذ تتضـح الأسبـاب في خفوت صوت الشعر الخارجي في الحقبة العباسية من القرن الثاني الهجرى .

---

(١) احمد امين ، ضحى الاسلام، ٣ / ٣٤٥ .

الفصل الثالث

دراسة لأهم الشعراء

- شعراء الشيعة
- شعراء الحزب الأموى
- شعراء الحزب العباسي
- شعراء الموالي

أهم الشعراء

أولا : شعراء الشيعة :

أشهر شعراء الشيعة في الحقبة العباسية من القرن الثاني الهجرى السيد الحميرى ودعبل بن علي الخزاعي وسديف بن ميمون ومنصور النمرى وديك الجن الحمصى، وغالب بن عثمان الطائى وعبدالله بن مصعب الزبيرى وبشر بن المعتمر الهلالي وسفيان ابن مصعب العبدى ومحمد بن وهيب الحميرى وإبراهيم بن هرمة .

وهناك طائفة أخرى من الشعراء المتشيعين لآل البيت في هذا العصر، آمنت بحق العلويين في الخلافة، ودافعت في أشعارها عن العلويين، وتوجعت لما لحق بهم من عسف ولكن أيا من هؤلاء الشعراء لم يرق إلى ما وصل إليه السيد الحميرى ودعبل الخزاعي وسديف ومنصور النمرى وديك الجن ولذلك سأكتفي بالترجمة لهؤلاء دون غيرهم .

فأما السيد الحميرى فهو اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى (١) لقبه السيد ويكنى أبا هاشم (٢) ولد سنة خمس ومائة من الهجرة في البصرة ونشأ فيها، (٣) ومن أسف أن المصادر لم تحدثنا بشيء عن نشأته الأولى .

---

(١) الأغاني، ٧ / ٢٢٩، وطبقات الشعراء لابن المعتز، ٣٢ .
(٢) المصدر السابق، ٧ / ٢٢٩ .
(٣) الكتبي، فوات الوفيات، ١ / ٣٢ .

روى صاحب الأغاني « أن أبوى السيد كانا أياضيين (١) وكان منزلهما بالبصرة في غرفة بني ضبه، وكان السيد يقول : طالما سب أمير المؤمنين في هذه الغرفة فإذا سئل عن التشيع من أين وقع له، وقال : غاصت علي الرحمة غوصا» . (٢) وروى السدرى راوية السيد أنه كان أول زمانه كيسانيا يقول برجعة محمد بن الحنفية وأنه كان يقول :-

يا بن الـوصي وأنت حي ترزق (٣)   حتى متى ؟ وإلى متى ؟ ومتى المدى ؟

وروى عن السيد أن أبويه لما علما بمذهبه هما بقتله، فأتى عقبة مسلم الهنائى فأخبره بذلك فأجاره وبوأه منزلا وهبه له، فكان فيه حتى ماتا فورثهما . (٤)

ولم ترو لنا المصادر شيئا عن أسباب اعتناق السيد لمذهب الشيعة، فإذا سئل هو عن ذلك من أين وقع له أجاب : « غاصت علي الرحمة غوصا . (٥)

ويبدو أن السيد كان شديد الخصومة في تشيعه ولذلك لم يتورع عن هجاء أبويه بسبب لعنهما لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب واعتناقهما لمذهب الخوارج الأباضية فمضى يهجوهما بقوله :-

لَعَــنَ اللهُ والِــدَيَّ جَمِيـعَـاً   ثُمَّ أصْـلاهُما عَذابَ الجَـحِيـمِ
حَكَّــما غَدْوَةً كما صَلَّيَـا الـفَـجْـرَ   بِلَعْــنِ الـوَصِّــي باب الـعُـلُومِ
لَعَنـا خيرَ مَنْ مَشَى فَوْقَ ظَهْـرِ الأرْ   ضِ أوْطافَ مُحْرِمَــاً بالحَطِيـمِ (٦)

---

(١) الأباضية أصحاب عبدالله بن أباض، قوم من الحرورية زعموا أن مخالفهم كافر لا مشرك تجوز مناكحته وكفروا عليا وأصحابه، خرجوا في أيام مروان بن محمد، انظر شرح القاموس مادة أبض .
(٢) الأغاني، ٧ / ٢٣٠ .
(٣) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٣٣ .
(٤) الأغاني، ٧ / ٢٣٠ .
(٥) المصدر السابق، ٧ / ٢٣٠ .
(٦) الكتبي، فوات الوفيات، ١ /٣٢ .

وراح يجدد عقيدته الشيعية وينادى بإمامة محمد بن الحنفية بعد أخويه الحسن والحسين، ويعيد إلى الأذهان ما آمنت به الشيعة الكيسانية من غيبة محمد بن الحنفية في شعب رضوى يقول :ـ

يا شَعْبَ رضْوَى ما لمن بكَ لا يرى ... حَتّى متى تحمي وأنْتَ قريبُ
يا بنَ الوَصيِّ ويا سَمِيَّ مُحَمَّدٍ ... وكَنِيَّة نَفْسِي عليكَ تَذوبُ
لو غابَ عَنَّا عُمْرَ نُوْحٍ أيْقَنَتْ ... مِنّا النفوسُ بأنَّه سَيؤوبُ (١)

ويقول في مناظرة له مع محمد بن علي بن النعمان المعروف بشيطان الطاق أحد متكلمي مذهب الشيعة الامامية :ـ

ألا يأيُّها الجَدلُ المُعَنِّي ... لنا، ما نَحْنُ وَيْحكَ والعَناءُ
أتُبْصُرِ ما تقولُ وأنْتَ كَهْلٌ ... تراك عليك من وَرَعٍ رداءُ
ألا إنَّ الأئمةَ من قُرَيْشٍ ... ولاةُ الحَقِّ أرْبَعَةٌ سَواءُ
عليٌّ والثلاثةُ من بَنِيه ... هُمُ أسباطُه والأوْصِياءُ
فَسِبْطٌ سِبْطُ إيمانٍ وحِلْمٍ ... وسِبْطٌ غَيَّبَتْهُ كَرْبَلاءُ
وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقود الخيل يقدمها اللواء (٢)

ومع أن ابن المعتز يروى عن السدرى راوية السيد أنه ما زال يقول بمذهب الكيسانية حتى لقي الصادق عليه السلام بمكة أيام الحج فناظره وألزمه الحجة فرجع عن ذلك (٣) إلا أن صاحب كتاب الأغاني ينكر رجعة السيد عن مذهب الكيسانية ويقول : ما مضى والله إلا على مذهب الكيسانية، هذه القصائد التي يقولها الناس مثل :

---

(١) النوبختي، فرق الشيعة ، ٥١ .
(٢) الأغاني، ٧ / ٢٤٥ فما بعدها .
(٣) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٣٣ وكذلك الحال عند ابن شاكر الكتبي، فوا الوفيات ١ / ٣٢، وابن شهراشوب، مناقب آل أبي طالب، ٢ / ٣٢٣ والنوبختي، فرق الشيعة، ٥٢ .

تَجَعْفَرْتُ باسم الله والله أكْبَرُ
و : تجعفَرْتُ باسم الله فيمن تَجَعْفَرَا

وقولـه :

أيا راكِباً نَحْوَ المدينة جَسْرَةً	عُذَافِرةً تَهْوِي بها كُلَّ سَبْسَبِ
إذا ما هَدَاكَ الله لاقَيْتَ جَعْفَراً	فَقُلْ : يا أمينَ الله وابنَ المُهَذَّبِ

لغلام السيد يقال له قاسم الخياط ، قالها ونحلها للسيد ، وجازت على كثير من الناس ممن لم يعرف خبرها ، بمحل قاسم منه وخدمته إياه . (١)

ومهما يكن من أمر فإن هذا وذاك لا يقلل من شأن السيد وتشيعه ولذلك قال عنه الدكتور طه حسين : « ولعل شيعة العلويين لم يظفروا بشاعر مثله في حياتهم السياسية كلها . وقف عليهم عمره وجهده وكاد يقف عليهم مدحه وثنائه ، مخلصا في ذلك كله اخلاصا لا يشبهه إخلاص» . (٢)

ولما كان السيد الحميرى من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية فقد أصبح من الضرورى أن نتبين موقفه من السلطة العباسية : والحقيقة أنه بمجرد انتصار العباسيين راح السيد الحميرى يبارك قيام هذه الدولة ويهلل لانتصار العباسيين لأنهم هاشميون وانتصارهم انتصار لمهذبه الكيساني وعندما بويع أبو العباس السفاح قام السيد الحميرى إلى بيعته والتسليم عليه بالخلافة منوها بالأمويين الذين ملأوا الأرض ظلما وجورا يقول :

دوَنكُموها يا بني هاشِمٍ	فَجَدِّدوا من عَهْدِها الدَّارِسَا
دونكموها فالبسوا تاجَها	لا تَعْدَموا مِنْكُم له لابِسَا

(١) الأغاني، ٧ / ٢٣١ .
(٢) د . طه حسين ، حديث الأربعاء، ٢ / ٢٣٩ فما بعدها .

لو خُيِّرَ المِنْبَرُ فُرْسانَه ما اختارَ إلا مِنْكُمُ فارِسَا
قَدْ ساسَها قبلَكم ساسةٌ لم يَتْرُكوا وَطْباً ولا يابِسَا
ولَسْتُ مِنْ أنْ تملِكوها إلى مَهْبِطِ عيسى فيكُمُ آيِسَا (١)

ولذلك أقبل السيد الحميري على خلفاء بني العباس يمدحهم وينال عطاياهم فمدح المنصور بما كان خلفاء بني العباس حريصين عليه من الصفات على نحو ما نرى في قوله :-

إنّ الاله الذى لا شَيْءَ يُشْبِهُه أعْطاكُمَ المُلْكُ للدُّنيا وللدينِ
أعطاكُمُ الله مُلْكاً لا زوالَ له حَتّى يقادَ إليْكم صاحِبُ الصينِ
وصاحِبُ الهِنْدِ مأخوذٌ بِرُمَّتِه وصاحِبُ التُّرْكِ مَحْبُوسَاً على هونِ (٢)

ودخل السيد على المهدى لما بايع لابنيه موسى وهارون فأنشأ يقول :

ما بالُ مَجْرَى دَمْعِكَ الساجِمِ أمِنْ قَذَىً باتَ بها لازِمِ
أمْ مِنْ هَوى أنْتَ لَهُ ساهِرٌ صبابَةً من قَلْبِكَ الهائِمِ
آلَيْتُ لا أمْدَحُ ذا نائِلٍ من مَعْشَرٍ غَيْرَ بني هاشِمِ
أوَلَتْهُمُ عِنْدى يَدُ المُصْطَفَى ذي الفَضْلِ والمَن أبي القاسِمِ
فإنّها بيضاءُ مَحْمودَةٌ جزاؤها الشُكْرُ على العالَمِ
جزاؤها حِفْظُ أبي جَعْفَرٍ خليفةِ الرَّحمنِ والقائِمِ
وطاعَةُ المَهْدِى ثُمَّ ابنِه موسى على ذي الارْبَةِ الحازِمِ
ولِلرشيدِ الرابعِ المُرْتَضى مُفْتَرَضٌ من حَقّهِ اللازمِ
مُلْكُهم خمسونَ مَعْدودَةٍ بِرغمِ أنْفِ الحاسِدِ الرَّاغِمِ

---

(١) الأغاني، ٧ / ٢٤٠ .
(٢) المصدر السابق، ٧ / ٢٦٠ .

لَيْسَ علَيْنـا ما بقـوا غَيْرَهُـم … في هذه الأمـة من حاكِـمِ
حَتّـى يردوهـا إلـى هابِـطٍ … عليـه عيسـى مِنْهُـم ناجِـمِ (١)

وهكـذا أشبـع السيـد الحمـيري غرور خلفـاء بني العبـاس عندما نعتهم بهذه الصفـات وجعلهم يجمعـون بين صفتي الدين والدنيا، ومن هنا كان إتهام الدكتور طه حسـين له بالنفـاق السيـاسي، والحقيقـة أن السيـد الحمـيري كان من الشيعة الكيسانية التي تؤمن برجعة الامام محمد بن الحنفية وهي تلك العقيدة التي قامت على ميراثهـا الـدعـوة العبـاسيـة ومن هنا جاء اعتقاده بأن الخلافة العباسية تجديد لعهد الخلافة العلوية التي كان تسنمها من قبل الامام علي بن أبي طالب .

وللسيـد الحمـيري مراث وبكـائيـات كثيرة في الامام علي والأئمة العلويين من بعده، وروى أنه استأذن على الامام جعفر الصادق وأنشده قصيدة منها قوله :

امُـرُرْ على جَدَثِ الحُـ … ـسَـيْنِ فَقُـلْ لأعْظَمُـهِ الـزَّكيـةْ
آ أعْظُـمًا لا زِلْـت من … وطـفـاءَ ساكـبَـةٍ رويّـةْ
وإذا مَرَرْتَ بِقَـبْرِه … فأطِـلْ به وَقْـفَ المَطِـيَّـةْ
وابـكِ المُطَـهَّـرَ للمُطَـهَّـ … ـرِ والمطـهَّـرَةَ الـنَـقِـيّـةْ

إلى أن يصل إلى قولـه :

كَبُـكـاءِ مُعْـوِلَـةٍ أتَـتْ … يَوْمـا لواجِـدَهـا المَـنِـيّـةْ (٢)

---

(١) الأغاني، ٧ / ٢٤٠ فما بعدها .
(٢) الأغاني، ٧ / ٢٥٥ فما بعدها . كما مدح الرشيد بقصيدتين أيام خلافته كما روى صاحب الأغاني ومن أسف أنه لم يذكر لنا شيئا من هاتين القصيدتين، الأغاني، ٧ / ٢٧٧ .

حيث يذرف الامام جعفر الصادق الدموع مدرارا ويرتفع النشيج والصراخ والبكاء .

وروى أن السيد الحميري كان يتتبع مواقف الامام علي ويستقصي صفاته فينظمها شعرا ومن هذا القبيل قصيدته التي تحكي قصة غدير خم، وقصيدته التي تحكي قصة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب، (١) ومن هنا كانت رواية الموصلي عن عمه من أنه جمع للسيد الحميري في بني هاشم ألفين وثلثمائة قصيدة . (٢) ورواية السدرى التي يقول فيها : أنه كان للسيد الحميري أربع بنات وأنه كان حفظ كل واحدة منهن أربعمائة قصيدة من شعره (٣) كما روى أن شعر السيد الحميري ليس مما يدرك ولا يمكن جمعه كله، (٤) وحكى بعضهم : « رأيت حمالا عليه حمل ثقيل وقد جهده . فقلت : ما هذا ؟ قال : ميميات السيد . (٥)

ولا يخفي على الباحث ما في هذه الرويات من التهويل والمبالغة والتي إن دلت على شيء فإنما تدل على كثرة شعر السيد في مديح آل البيت أورثائهم أوهجاء خصومهم وأنه عنى بفضائل الامام علي بن أبي طالب عناية خاصة فنظمها شعرا فكان أحذق الناس بسوق الأحاديث والأخبار والمناقب في الشعر، لم يترك لعلي بن أبي طالب عليه السلام فضيلة معروفة إلا ونقلها إلى الشعر . (٦) ومما سجله الأقدمون عليه إفراطه في سب أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وأزواجه أمهات المؤمنين ولولا ذلك ما قدموا عليه أحدا من طبقته، (٧) وروى الأصفهاني أن أبا عبيدة كان يقول : أشعر المحدثين السيد الحميري وبشار، (٨) وسمع

---

(١) انظر هاتين القصيدتين في المصدر السابق، ٧ / ٢٥٩ .
(٢) المصدر السابق، ٧ / ٢٣٦ .
(٣) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٣٦ .
(٤) الأغاني، ٧ / ٢٣٧ .
(٥) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٣٦ .
(٦) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٣٢ .
(٧) الأغاني، ٧ / ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٣٦، وانظر قصيدته في هجاء السيدة عائشه والزبير وطلحة في الحيوان ١ / ١٩٧ .
(٨) المصدر السابق، ٧ / ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٩ .

بدوى شعره وكان أروى الناس لشعر حرير ففضله عليه، كما روى عن العتبي قوله : ليس في عصرنا هذا أحسن مذهبا في شعره ولا أنقى ألفاظا من السيد وقوله « هذا والله الشعر الذى يهجم على القلب بلا حجاب» . (١) وقال عنه الكتبي « كان شاعرا محسنا، كثير القول، إلا أنه كان رافضيا زائغا عن القصد (٢) وعده الجاحظ من الشعراء المطبوعين(٣)

ومن أغرب الرويات في هذا المجال ما رواه صاحب الأغاني عن لبطة بن الفرزدق أنه قال : « تذاكرنا الشعراء عند أبي، فقال : إن ها هنا لرجلين لو أخذا في معنى الناس لما كنا معهما في شيء . فسألناه من هما؟ فقال السيد الحميرى وعمران بن حطان السدوسي، ولكن الله عز وجل قد شغل كل واحد منهما بالقول في مذهبه » . (٤) وهو خطأ فادح من أخطاء الأصفهاني حيث أن المعروف أن ولادة السيد الحميرى كانت سنة خمس ومائة من الهجرة كما روى الكتبي أن وفاة الفرزدق كانت سنة عشر ومائة للهجرة كماروى ابن خلكان والبغدادى (٥) بمعنى أن عمر السيد في هذا الوقت لم يزد عن خمس سنوات .

ومن يقرأ شعر السيد الحميرى يستطيع أن يلاحظ فيه سهولة واضحة وبعدا عن الغريب ولا سيما في شعره المذهبي وهذا ما تنبه إليه الدكتور طه حسين فقال : كان شعره سهلا مطبوعا، شديد النفرة من الغريب، وقد سئل عن ذلك، فأجاب بأنه يؤثر أن يقول كلاما يفهمه الناس، على أن يقول كلاما يعجب به الرواة . وهذا طبيعي بالقياس إلى شاعر سياسي، يدافع عن حزب مضطهد، كالسيد الحميرى فهو لا ينظم شعره للخاصة وحدهم، وإنما ينظمه للعامة، الذين يريد أن يتخذ

---

(١) المصدر السابق، ٧ / ٢٤٧ .
(٢) الكتبي، فوات الوفيات، ١ / ٣٢ .
(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ١ / ٥٠ .
(٤) الأغاني، ٧ / ٢٣١ فما بعدها .
(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١ / ٢٩٠، والبغدادي، خزانة الأدب ١ / ٣٧ .

منهم أنصارا . (١) وعندما سئل السيد الحميري نفسه : مالك لا تستعمل في شعرك من الغريب ما يسأل عنه كما يفعل الشعراء؟ قال : لأن أقول شعرا قريبا من القلوب يلذه من سمعه خير من أن أقول شيئا متعقدا تضل فيه الأوهام . (٢) وهكذا قرر السيد أنه كان متعمدا السهولة ويقصدها ولعل خير شاهد على ذلك قصيدته التي يقول فيها :ـ

ألا يا قَوْمِ لِلَعَجَبِ العُجابِ	لِخُفِّ أبي الحسين ولِلحُبابِ
أتَى خُفّا له وانساب فيه	لِيَنْهَشَ رِجْلَهُ مِنْه بِنابِ
فَخَرَّ من السَّماءِ له عُقابٌ	من العِقْبانِ أو شِبْهَ العُقابِ
فطار به فَحَلّقَ ثُمَّ أهْوَى	به للأرضِ من دون السَّحابِ
إلى حُجْرٍ له فانسابَ فيه	بعيدِ القَعْرِ لَمْ يَرْتَجْ بِبابِ
كريهُ الوَجْهِ أسْوَدُ ذو بَصِيْصٍ	حديدُ النَّابِ أزْرَقُ ذو لُعابِ
ودُوفِعَ عن أبي حَسَنٍ عَليٍّ	نَقيعُ سِمامِه بَعْدَ انسيابِ (٣)

فهي قصيدة تمثل شدة الضعف وبالغ الركاكة والاسفاف، ومعنى ذلك أن تعمد السيد للسهولة والابتعاد عن الغريب وسعيه لأن يقول شعرا قريبا من القلوب قد أوقعه في المزالق الوعرة التي تسجل على الشعراء . ومهما يكن من أمر فإن مثل هذه الهنات لا تقلل من أهمية السيد الحميري ولا من خطورة شعره السياسي حيث ظلت قيثارته تعزف للعلويين أعذب الألحان حتى لم يظفروا بمثلها طوال حياتهم السياسية ولا تتوقف عن ذلك إلا عندما لفظ أنفاسه الأخيرة في خلافة الرشيد سنة ثلاث وسبعين ومائة للهجرة وقد جاوز السبعين وذلك في الكوفة ودفن في بغداد،

---

(١) د . طه حسين، حديث الأربعاء، ٢ / ٢٤٩ .
(٢) الأغاني، ٧ / ٢٤٧ فما بعدها .
(٣) المصدر السابق، ٧ / ٢٥٧ .

(١) ولا صحة على الاطلاق لما روى من خبر وفاته بواسط في زمن أبي جعفر المنصور نظرا لاجماع الروايات على خبر وفاته في خلافة الرشيد من ناحية ونظرا لما روى من شعره وأخباره بعد زمن المنصور من ناحية ثانية .

وأما دعبل الخزاعي فهو دعبل بن علي بن رزين ، (٢) واختلف في اسمه فقيل محمد وقيل الحسن ، وقيل عبد الرحمن كما اختلف في كنيته فقيل أبو علي ، (٣) وقيل غير ذلك ، واختلف في نسبه إلى خزاعة فقيل خزاعي صليبة ، وقيل : خزاعي ولاء . (٤)

ولد دعبل سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة في الكوفة ونشأ فيها (٥) ولا تروى المصادر شيئا عن نشأته الأولى ولكن صاحب الأغاني ذكر أنه كان في شبابه نزقا متهورا يصحب الشطار من الكوفيين ويشترك معهم في ارتكاب الجنايات والأفعال السيئة . (٦)

وفي وقت مبكر من عمره يتصل بمسلم بن الوليد ويتخذه صديقا وأستاذا وينسج على منواله ويبني على معانيه وفي هذا يروى الرواة أنه لما قال مسلم :

مستعبر يبكي على دمنة ورأسه يضحك فيه المشيب

ظل دعبل يتأمل قول مسلم حتى تفتحت قريحته عن قصيدة كانت السبب في شهرته ومنها قوله :ـ

---

(١) الأغاني ، ٧ / ٢٧٧ فما بعدها والكتبي ، فوات الوفيات ، ١ / ٣٢ ، وابن المعتز ، طبقات الشعراء وذلك مع اختلاف يسير بين الروايات .

(٢) الأغاني ، ١٨ / ٢٩ ، طبعة ساسي ، ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ٢ / ٨٤٩ .

(٣) المصدر السابق ، ١٨ / ٢٩ فما بعدها .

(٤) المصدر السابق ١٨ / ٣٠ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢ / ٣٤ فما بعدها والعباسي ، معاهد التنصيص ، ٢٦٩ .

(٥) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢ / ٣٤ ، ٣٧ ، والعباسي ، معاهد التنصيص ، ٢٦٩ .

(٦) الأغاني ، ١٨ / ٣٦ وكذلك العباسي ، معاهد التنصيص ، ٢٦٩ .

أيْـنَ الـشـبـابُ ؟ وأيـة سلكـا ... لا أيْـنَ يُطْـلَبُ ضَلَّ ، بَلْ هَلَكَـا
لا تَعْـجَـبـي يا سَلْمُ مِنْ رَجُـلٍ ... ضَحِـكَ المشيـبُ برَأسِـهِ فَبَـكَى
قَدْ كان يَضْـحَـكُ في شَبـيـبَتِـه ... وأتـى المـشـيـبُ فَقَلَّمَا ضَحِكَـا
يا سَلْمُ ما بالـشَّـيْـب مَنْـقَـصـةٌ ... لا سوقـةٌ يَبْـقَـى ولا مَلِكـا
قصـر الـغـوايـة عن هوى قمـر ... وجـد الـسـبيـل إليـه مشـتركـا
وعـدا بأخْـرى عَز مَطْـلَبُـهـا ... صَبّـاً يُطـامِـنُ دونَـه سُفِـكَـا
يا لَيْـتَ شِعْـرى كيـف نَوْمُـكـما ... يا صاحِـبَـي إذا دمـي سُفِـكَـا
لا تأخُـذَا بظـلامـتي أحَـدِاً ... قَلْبي وطَـرْفي في دمي اشـتركـا (١)

فغني بالأبيات بين يدي الـرشيـد فطـرب لها وسأل عن صاحبهـا فقيـل له إنها لدعبل ، فأمر باحضاره وبعث إليه بعشرة آلاف درهم وخلعة من الثياب فسار دعبل إلى بغـداد وأنشـد الـرشيـد بعض أشعـاره فأعجب بها وأجـزل له العطاء ، ولكن الغـريب ألا نجـد لدعبـل بعـد هذا مديحـا في الرشيد على حين نجد له فيه هجاء وذلك من خلال تلك الأبيات التي رثى فيها الامام موسى الرضا ومنها قوله :ـ

أرْبِـعْ بطـوسٍ على قَبْرِ الـزكي إذا ... ما كُنْـتَ تُرْبِـعُ من ديـن إلى وَطَـرِ
قبر ان في وطس خير الـنـاس كلهـم ... وقـبر شرهـم هذا من الـعِـبَرِ
ما يَنْفَـعُ الـرجسَ من قُرْب الزَّكي ولا ... على الزكيِّ بِقُرْبِ الرِّجْسِ من ضَرَرِ
هيهـات كُلُّ امـرىء رَهْنٌ بما كسبت ... له يداه فَخُـذْ ما شِئْـتَ أوْ فَذَرِ (٢)

ويعلق أستـاذنـا الـدكتـور شوقي ضيف على هذه الأبيـات بقـوله : « ولم يكن الرشيد رجسا كما يقول ، فقد كان طهرا ، إذا كان يحج سنة ويغزو سنة على نحو ما هو معروف في تاريخه ، وقد أنزل بالروم هزائم ساحقة ، وليس ذلك فحسب ، فإن له يدا على دعبل إذا استقدمه من موطنه وفرض له راتبا . (٣)

---

(١) الأغاني، ١٨ / ٣٢ .
(٢) الأغاني، ١٨ / ٥٧ .
(٣) د . شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ٣٢١ .

ويبدو أن هجاء دعبل للرشيد إنما كان نوعا من رد الفعل نظرا لما دأب عليه الخليفة العباسي من تعقب للعلويين بالحبس، فقد كان دعبل شيعيا إماميا يكثر من الحديث عن فضائل علي كما يكثر من البكاء والرثاء للحسين ومن هذا القبيل قوله :

رأسُ ابنِ بنْتِ مُحَمَّد ووَصيِّه ... يا للرجال على قناةٍ يُرْفَعُ
والمسلمون بِمَنْظِرٍ وبِمَسمَعٍ ... لا جازعٌ من ذا ولا مُتَخَشِّعُ
أيْقَظْتَ أجفانا وكُنْتَ لها كَرى ... وأَنَمْتَ عَيْنا لم تَكُنْ بك تَهْجَعُ
كُحِلَتْ بِمَنْظَرِكَ العيونُ عمايةً ... وأصَمَّ نَعْيُك كُلَّ أذْنٍ تَسْمَعُ
ما رَوْضَةٌ إلا تَمَنَّت أنَّها ... لك مَضْجَعٌ ولِخَط قبرِكَ مَوْضِعُ (١)

وقوله في وصف ما لحق بالعلويين من عسف وظلم على أيدى العباسيين :

ولَيْسَ حَيٌّ من الأحياءِ نَعْلَمُه ... من ذي يَمانٍ ومِنْ بَكْرٍ ومِنْ مُضَرِ
إلا وهم شُرَكاءُ في دمائهم ... كما تشارَكَ أيْسارٌ على جَزَرِ
قَتْلٌ وأسْرٌ وتَحْريقٌ ومَنْهَبَةٌ ... فِعْلَ الغُزاةِ بأرْضِ الرّوم والخَزَرِ
أرَى أمَيةَ معذورينَ إنْ قَتَلُوا ... ولا أرَىَ لِبَنِي العَبّاسِ من عُذْرِ (٢)

فهجاء دعبل للرشيد إنما يتصل بمذهبه في الامامة ونظرته إلى الخلفاء من خلالها، وانطلاقا من هذه النظرة رأيناه يتصل بالمأمون نظرا لما عرف به المأمون من ميل للشيعة وتفضيل للامام علي على غيره من الصحابة ومبايعته لعلي بن موسى الرضا وليا لعهده، كما رأيناه يلهج بمديح المأمون والامام الرضا وينال جوائزها (٣)

---

(١) ياقوت الحموى، معجم الأدباء، ١١ / ١١٠ .
(٢) تاريخ ابن عساكر، ٥ / ٢٣٣ .
(٣) الأغاني، ١٨ / ٢٩، وابن المعتز، طبقات الشعراء، ٢٦٥ فما بعدها .

وعندما عقدت البيعة بالخلافة لابراهيم بن المهدى احتجاجا على ميل المأمون للشيعة وجعل موسى الرضا وليا لعهده هجاه دعبل ساخرا لاذعا ومنه قوله :ـ

إنْ كان إبــراهـيــمُ مُضْطَلِعــا بها | فَلَتَــصْــلُحَــنْ مِنْ بَعْــدِه لِمُخَــارِقِ
ولَــتَـصْلُحَنْ مِنْ بَعْــد ذاك لزلــزلٍ | ولــتَــصْــلُحَــنْ من بَعْــدِه للمارِقِ
أنّي يكــونُ ولَــيْسَ ذاك بكــائِــنٍ | يَرِثُ الخـلافَـة فاسِقٌ عن فاسِقِ (١)

وفي إبراهيم بن المهدى يقول دعبل الخزاعي :

يا مَعْــشَــرَ الأجــنــادِ لا تَقْــنَطــوا | وارْضَــوا بما كان ولا تَسْــخَطُــوا
فســوفَ تُعْطَــوْنَ حُنَــيْــنــيَّــةً | يَلَذُّهــا الأمــرَدُ والأشْــمَــطُ
والمَــعْــبَــدِيــاتُ لقــوادِكُــم | لا تَدْخُــل الــكــيسَ ولا تُرْبَــطُ
وهــكــذا يرزق قواده | خليـفــة مصحفــه الــبرْبُــطُ (٢)

وما أن ينتقل الامام موسى الرضا إلى جوار الرفيق الأعلى حتى يخلع المأمون ما كان لبسه من الخضرة شعار الشيعة ويلبس السواد وعندها ينبر ى له دعبل بالهجاء على نحو ما نرى في قوله :

ويــســومُني المأمــونُ خُطــة عارِفٍ | أو ما رأى بالأمْسِ رأسَ مُحَمَّــدِ
نوفي عَلي روس الخــلائِــقِ مِثْــلَما | تُوفي الجبــالُ على رؤ وس القَــرْدَدِ
ونَــحُــلُّ في أكْــنــافِ كُلَّ مُمَنَّــعٍ | حَتّــى يُذَلَّــل شاهِــقَــاً لم يُصْــعَــدِ
إنّي من الــقَــوْم الــذيــن سيــوفُــهم | قَتَلَتْ أخــاك وشَــرَّفــوكَ بِمَقْعَــدِ
إنَّ الــتّراثِ مُسَــهَّــد طُلابُهــا | فاكفُفْ مذاقَــكَ عن لُعابِ الأسْوَدِ (٣)

(١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٨٥٠ فما بعدها والأغاني، ١٨ / ٥٨، وابن الجراح، الورقة، ٢١، ومخارق وزلزل مغنيان مشهوران آنذاك .
(٢) الأغاني، ١٨ / ٤٣ .
(٣) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٨٤٩ .

وإنما فخر دعبل برأس محمد لأن طاهر بن الحسين قتله وطاهر مولى خزاعة وكان جده رزيق مولى عبدالله بن خلف الخزاعي ، وعبدالله بن خلف هو أبو طلحة الطلحات . وكان عبدالله بن خلف كاتبا لعمر بن الخطاب على ديوان الكوفة والبصرة وولي سجستان فمات بها .

وبعد خلافة المأمون يظل دعبل مطاردا مضيقا عليه نظرا لما عرف عنه من التشيع لآل البيت ومناداته بأحقيتهم في الخلافة ومن هنا جاءت أهاجية في خلفاء بني العباس قاسية فاحشة : ومن هذا القبيل قوله في المعتصم :

وقام إمام لم يَكُن ذا هِداية فليس له دينٌ وليس لَهُ لُبُّ
وما كانت الأنباء تأتي بمثله يملّك يوما أو تدين لك العرب
ولكنْ كما قال الذين تتابعوا من السلفِ الماضينَ إذْ عَظُمَ الخَطْبُ
ملوكُ بني العَبّاسِ في الكَهْفِ سَبْعَةٌ ولم تأتِنَا عَنْ ثامِنٍ لَهُمْ كُتُبُ
كذلك أهلُ الكَهْفِ في الكَهْفِ سَبْعَةٌ كِرامٌ إذا عُدوا وثامِنُهم كَلْبُ
وإني لأعلي كَلْبَهم عَنكَ رِفْعَةً لأنّك ذو ذَنْبٍ ولَيْس له ذَنْبُ
كأنَّك إذْ ملكْتَنا لشقائنا "عجوزٌ عليها التاجُ والعقد والاثب
لَقَدْ ضاع ملكُ الناسِ إذ سَاس ملكهم وصيفٌ وأشْناسٌ وقد عَظُمَ الكَرْبُ (١)

وعندما نمي الشعر إلى المعتصم أمر بطلبه فاستتر ثم هرب نظرا لما كان معروفا به المعتصم من القوة والبطش ، ولكن ولاءه لآل البيت ظل يدفعه إلى مناوأة العباسيين وهجاء خلفائهم ورجال دولتهم ، (٢) ولو سألنا دعبل بن علي الخزاعي عن هجائه لخلفاء بني العباس وغايته من ذلك لأجابنا « أنا أحمل خشبتي على

---

(١) الأغاني ، ١٨ / ٤٠ وكذلك ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ٢ / ٨٥٠ .

(٢) في الأغاني ، ١٨ / ٣٥ - ٤٦ ، ٣٥ - ٦٠ ، نماذج من هجائه للواثق والمتوكل والوزير الخزاعي وطاهر بن الحسين ومالك بن طوق وخلافهم .

كتفي منذ خمسين سنة لست أجد أحدا يصلبني عليها » . (١) ولو سألنا أبا الفرج عن نتيجة ذلك الهجاء لأجاب « لم يزل مرهوب اللسان خائفا من هجائه للخلفاء فهو دهره كله هارب متوار . (٢) وما أن يرجع دعبل إلى البصرة حتى يعلم أميرها اسحق بن العباس بن محمد بمقدمة فيقبض عليه ويحاسبه حسابا عسيرا بسبب هجائه النزاريين وما أن يخلي سبيله حتى يلحق به في طريقه إلى الأهواز رجل من عيون وأرصاد مالك بن طوق فيضرب ظهر قدمه بعكاز ذى زج مسموم وعلى أثر ذلك تدرك المنية دعبلا في قرية من قرى الأهواز يقال لها السوس ويدفن بها سنة ٢٤٦ هجرية . (٣)

وفي رثائه يقول البحترى :-

قَدْ زادَ في كلفي وأوْقَد لَوعَتي	مثوى حبيب يَوْم ماتَ ودعْبِلِ
أخَويّ لا تزل السماءُ مخيلةً	تغشاكُما بسماءِ مُزْنٍ مُسْبِلِ
جَدَثٌ على الأهوازِ يبْعُدُ دونه	مَسْرَى النِعِيّ ورِمّةٌ بالمَوْصِلِ (٤)

وأما سديف بن ميمون فكان ممن يدعي الولاء في بني هاشم ، (٥) وقيل إنه مولى لآل أبي لهب (٦) فقد كان مولى لامرأة من خزاعة وكان زوجها من اللهبيين فنسب إليهم ، (٨) وجاء في الكامل أنه « كان مولى لأبي العباس السفاح » (٧) وجاء في شذرات الذهب أنه كان مولى للامام زين العابدين . (٩)

---

(١) الأغاني، ١٨ / ٣٠ .
(٢) المصدر السابق، ١٨ / ٢٩ .
(٣) الأغاني، ١٨ / ٦٠، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢ / ٣٧ .
(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢ / ٣٧ .
(٥) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٣٧ .
(٦) عبد القادر بدران، تهذيب تاريخ ابن عساكر، ٦ / ٦٦ .
(٧) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٣٧ .
(٨) المبرد، الكامل ، ٣ / ١٧٨ .
(٩) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١ / ١٨٧ .

وروى الأصفهاني أنه « شاعر من شعراء الحجاز ومن مخضرمي الدولتين، شديد التعصب لنبي هاشم في أيام بني أمية . (١)

وكان سديف شديد الكراهية لبني أمية، ولا ينفك يوغر صدور الأمة عليهم عن طريق التشهير بظلمهم وبغيهم وفسادهم ومن ذلك ما روى من قوله : « اللهم قد صار فيئنا دولة بعد القسمة، وإمارتنا غلبة بعد المشورة، وعهدنا ميراثا بعد الاختيار للأمة واشتريت المعازف والملاهي بمال اليتيم والأرملة، وحكم في أبشار المسلمين أهل الذمة، وتولى القيام بأمرهم فاسق كل محلة، فلا ذائد يذود عن هلكة، ولا مشفق ينظر إليهم بعين الرحمة، ولا رادع يردع من آوى إليهم بمظلمة، ولا ذو شفقة يشبع الكبد الحرى من السغب، فهم أهل ضرع وضيعة وحلفاء كآبة وذلة. قد استحصد زرع الباطل وبلغ نهايته واستجمع طريده واستوسق، وضرب بجرانه . اللهم فأتح له يدا من الحق حاصدة تجتث سنامه، وتهشم سوقه، وتبدد شمله وتفرق كلمته، ليظهر الحق في أحسن صورته، وأتم نوره، وأعظم بركته . اللهم وقد عرفنا من أنفسنا خلالا تقعد بنا عن استجابة الدعوة، وأنت المفضل على الخلائق أجمعين، والمتولي الاحسان على السائلين، فآت لنا من أمرنا حسب كرمك وجودك وامتنانك، فإنك تقضي ما تشاء وتفعل ما تريد . (٢)

وهكذا برىء سديف من ظلم الأمويين وجورهم ودعا الله أن يتيح لهم يدا تحصد زرع الباطل، ويستجيب الحق للدعاء وتسقط دولة الأمويين، وتقوم دولة بني العباس ويجلس السفاح على سدة الحكم وتصل الأخبار لسديف وهو إذ ذاك بمكة فيستوى على راحلته ويتوجه إلى حيث أبو العباس السفاح، وقد جلس في مجلسه قوم من بني أمية فينشد :-

---

(١) الأغاني، ١٤ / ١٥٦ .
(٢) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٣٨ .

أصْبَحَ المُلْكُ ثابتَ الأساس بالبهاليلِ من بني العَبّاسِ
لا تُقيلَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ عِثاراً واقطَعَنْ كُلَّ رَقْلَةٍ وغِراسِ
ولقد ساءَني وساء سِوائي قُرْبُهم من منابرٍ وكراسي
فاذكروا مصرعَ الحُسَيْنِ وزَيْدٍ وقتيلاً بجانِبِ المِهْراسِ
والقتيلَ الذى بحَران أضْحَى رَهْنَ رَمْسٍ وغُرْبَةٍ وتَناسِ
ذُلُّها أظْهَرَ التودّدَ منها وبها مِنْكُم كَحَزِّ المَواسي
أنْزِلوها بِحَيْثُ أنْزَلَها اللّـ ـهُ بدارِ الاتعاس والانكاسِ (١)

فعملت كلماته في أبي العباس عمل السحر وحركت منه روح القتل والانتقام من أعيان الأمويين، فلما كان من الغد وجه أبو العباس إليهم : أن اجتمعوا واغدوا على أمير المؤمنين مع سيدكم سليمان بن هشام ليفرض لكم ويجيزكم فلما أصبحوا تهيئوا بأجمعهم وبكروا إلى أبي العباس فأذن لهم ورفع مجالسهم فجاء سديف حين سمع باجتماعهم وما أن يرى مجالسهم كهيئتها بالأمس حتى يستأذن بالانشاد ويقول :

لا يَغُرَّنْكَ ما تَرى مِنْ رِجَالٍ إنّ تَحْتَ الضّلُوع داءً دَوِيّا
فَضَعِ السَيْفَ وارْفعِ السَّوْطَ حَتَى لا تَرَى على ظَهْرِها أمويّا (٢)

واستمر في القصيدة حتى أتى على آخرها وأبو العباس يغتاظ ويحنق ويتلون ثم كانت المجزرة التي أشفت غليل سديف حيث أمر السفاح بضرب رؤوس الأمويين الذين حضروا مجلسه، (٣) ثم تسحب جثث القتلى لتدفن في الأنبار وعندها يقف سديف وينشد :ـ

---

(١) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٣٩ .
(٢) المصدر السابق، ٤٠ .
(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤ / ٤٨٧ وابن المعتز، طبقات الشعراء، ٤٠ .

طَمِعَتْ أميـةَ أنْ سَيَرْضَى هاشِمٌ ... عنهـا ويـذهب زَيْـدُها وحُسَيْنُها
كَلّا وربِّ مُحَمَّدٍ وإلهه ... حتى يُبادَ كفورُها وخؤونها (١)

كما رويت لسديف أبيات أخرى فيها تحريض للخليفة العباسي المنصور وتأليب برجل من بني أمية كان يجالس الخليفة وفيها يقول :ـ

لا تُبْقِ من بَبْد شَمْس حيَّة ذِكَرا ... يَسْعَى إليك بأرْصادٍ وإلحادِ
جَرِّدْ لَهُمْ رأيَ عَزْمٍ مِنْكَ مُصْطَلِمٍ ... يَبْكونَ مِنْهُ عباديسا على الهادِ
ولا تُقِيلَنَّ مِنْهُم عَثْرَةً أبَداً ... فكهلهم وفتاهم حية الوادي
آليت لو أن لي بالقوم مقدرة ... لم أبق من حاضر منهم ولا بادى (٢)

وروى له السيد محسن الأمين صاحب أعيان الشيعة قصيدة ذكر أنه نقلها عن مخطوطة للمرزباني، وفيها يهجو سديف الأمويين هجاء مرا ومنها قوله :ـ

أمْسَتْ أميةُ قَدْ تَصَدَّع شَعْبُها ... شَعْبُ الضَّلالِ وشُتِّت أهواؤها
ولَقَدْ سُرِرْتُ لِعَبْدِ شَمْسٍ أنها ... أمْسِت تُساقُ مباحةً أحْماؤها
فَلَئِنْ أميةُ عَبْد شَمْسٍ ودَّعت ... لقد اضمَحَل عن البلاد بلاؤها
زَعَمت أمية وهي غيرُ حليمةٍ ... أنْ لَنْ يزولَ ولَنْ هُدَّ بناؤها
وقَضَى الاله بغير ذاك فذُبِّحَتْ ... حتى ترفع في العجاجِ دماؤها
فأميةُ العَيْنُ الكليلَةُ في الهُدَى ... وأميةُ الأيدِى القليلُ جدواؤها
وأميةُ الأذنُ المصيخةُ للخَنا ... وأمية الداءُ الدوِى وعاؤها
وأميةُ الكَفُّ المُصَرَّدُ نَيْلُها ... وأميةُ القَوْلُ البعيدُ وفاؤها
وأميةُ الكَفُّ المُصَرَّدُ نَيْلُها ... وأميةُ القَوْلُ البعيدُ وفاؤها

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤ / ٤٨٧ .
(٢) ابن عساكر، تهذيب تاريخ ابن عساكر، ٦ / ٦٦ .

هيهــات قَدْ سَفَهَتْ أميــة دينَهــا ... حَتّــى أذلَّ صغـارَهــا كُبراؤهــا

لُعِــنَــتْ أمــيــةُ كم لها من سَوْأةٍ ... مع سَوْأةٍ مشــهــورَةٍ عَوْراؤهــا

لا سوقَــةٌ منهــا أتَــتْ قَصْــدًا ولا ... عَمِلَتْ بِقَصْــد طريقَــةٍ أمــراؤهــا

أمْــسَــتْ أميــةُ لا أميــةُ تُرْتَجَى ... قَلَبَ الــزمــانُ لها وهمَّ فناؤهــا (١)

وهكذا مضى سديف يؤلب على الأمويين في إبان سطوتهم وملكهم وتآمر على قتـل من بقي من سادتهم بعـد أن دالت حكـومتهم، وهجـا ملكهم بعـد ذهـابه، وبذلك يشفي سديف غليله من خصومه الأمويين .

ومـا أن يتخلص العلويـون وبنـو العباس من الأمـويين حتى يبدأ الصراع بين العلويـين والعبـاسيـين، وعنـدمـا تشتعـل ثورة النفس الـزكية وأخيه إبراهيم نرى سديف بن ميمـون يقف إلى جانب الثـورة التي تهدد أبـا جعفر المنصور وتنذر بقيام دولة حسنية على حد تعبير سديف الذى يقول فيه :-

أشــرَفْتَ في قَتْــلِ الــرعيــةِ ظَالِمَــاً ... فاكْفُفْ يَدَيْــكَ أضَلَّهــا مَهْــدِيُّهــا

فلتأتــيــنّــك غارة حَسَــنِــيَّــةٍ ... جرّارة يَقْــتــادُهــا حَسَــنِــيُّــهــا

حَتّــى يُصَــبِّــح قَرْيَــةً كوفــيــةٍ ... لَمَّا تَغَطْــرَسَ ظالِمَــاً حَرَمِيُّــهــا (٢)

ويـروى له ابن رشيق القـيرواني قصيـدة يحرض فيها محمدا النفس الزكية على الثورة ويعده بالوقوف إلى جانبه وفيها يعرض سديف بأبي جعفر المنصور ومنها قوله :

---

(٢) السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ٣٤ / ١٠ نقلا عن مخطوطة للمرزباني، أخبار شعراء الشيعة، ٧٧ .

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد ، ٣ / ٢٩ .

إنـا لنأمَـلُ أنْ تَرْتَـد أُلْـفَـتَـنـا ... بَعْـدَ التبـاعُـدِ والشَّحْنَـاءِ والاحَنِ

وتَـنْـقَـضـى دَوْلَـةُ أحْكـامُ قادَتِهـا ... فيـهـا كأحـكـام قَوْم عابـدى وَثَنِ

فانْهَضْ ببيعَتكم ننهضْ بطـاعَتِنـا ... إنَّ الخـلافَـة فيـكـمْ يا بَني حَسَـنِ

لا عَزَّرُكْـنُ نزارِ عِنْـدَ نائِـبَـةٍ ... إنْ أسـلمـوك ولا رُكْـنٌ لَذى يَمَـنِ

ألَـسْتَ أكـرمَهم يومـاً إذا انتسبـوا ... عودا وأنـقـاهُـمُ ثَوْبَـاً من الـدَّرَنِ

وأعْظَمَ النـاسِ عِنْـدَ الله مَنْـزِلَـةً ... وأبْعَـدَ النـاسِ من عَجْزٍ أفَنِ (١)

وما أن تفشل ثورة محمد النفس الزكية ويقضى عليها حتى يلتحق سديف بأخيه إبراهيم بن عبدالله في البصرة ويحرضه على مواصلة النضال وقتال العباسيين، ويذكره بما كان من شأن العباسيين يوم أن سيروا أهلهم مقيدين إلى العراق على نحو ما نرى في قوله :-

إيـهٍ أبـا إسْـحـقَ مُلِّيـتَـهـا ... في صِحَّـةٍ منـك وعُـمْـرٍ طَويـلِ

اذكـر هداك الله ذحـل الأولـى ... سيربهم في مصمتات الكبول (٢)

وإذا كانت أماني سديف في زوال ملك الأمويين قد تحققت على أيدى العباسيين لأنهم كانوا هدفا مشتركا لبني علي وبني العباس فإن أمانيه في زوال العباسيين قد ذهبت أدراج الرياح ولم يفلح الحسنيون في اسقاط السلطة العباسية وما أن يقتل إبراهيم بن عبدالله حتى يهرب سديف ويكتب إلى المنصور يقول:-

أيُّهـا المنـصـورُيا خَيرَ العَـرَبْ ... خَيرَ مَنْ يَنْـمـيـه عَبْـدُ المُطَّـلِبْ

أنـا مولاكَ وراجٍ عفـوكُـمْ ... فاعفُ عَنّي اليومَ من قَبْلِ العَطَبْ (٣)

---

(١) ابن رشيق، العمدة، ١ / ٧٤.

(٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٧٦٢.

(٣) المصدر السابق، ٢ / ٧٦٢.

ولكن المنصور لا يعفو بعد كل الذى بلغه من خصومه سديف ولكنه يوقع على الكناب بقوله :ـ

ما نَماني مُحَمَّدُ بنُ عَليٍّ   إنْ تَشَبَّهْتُ بَعْدَها بِوَلِيِّ

ويكتب إلى عمه عبد الصمد بن علي يأمره بقتله، فيقال أنه دفن حيا، (١) ويقال أنه قطع يديه ورجليه ثم ضرب عنقه، كما يقال : أنه حمل إلى المنصور فدفنه حيا . (٢)

وأما منصور النمرى فهو منصور بن الزبرقان بن سلمة، (٣) من النمر بن قاسط (٤) وقيل هو منصور بن سلمة بن الزبرقان بن شريك بن مطعم الكبش الرخم من الجزيرة (٥) ويكنى أبا الفضل . (٦)

كان النمرى تلميذا لكلثوم بن عمرو العتابي، وراوية له، عنه أخذ ومن بحره استقى، وبمذهبه تشبه، والعتابي هو الذى وصفه للفضل بن يحيى بن خالد وقرضه عنده حتى استقدمه من الجزيرة، واستصحبه، ثم وصله بالرشيد . (٧)

وعرف النمرى مذهب الرشيد في الشعر وإرادته أن يصل مدحه إياه بنفي الخلافة عن ولد علي بن أبي طالب وبيان أنها حق العباسيين فسلك مذهب مروان بن أبي حفصة ونحا نحوه، (٨) ومضى يهاجم العلويين ويطعن عليهم طمعا في منافسة مروان وكسبا لأسنى الجوائز من الرشيد على نحو ما يرى في قوله للرشيد :ـ

---

(١) المصدر السابق، ٢ / ٧٦٢ .
(٢) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٤٢ .
(٣) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٢٤٢ .
(٤) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٨٥٩ .
(٥) الأصفهاني، الأغاني، ١٣ / ١٤٠ .
(٦) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٢٤٢ .
(٧) الأصفهاني، الأغاني، ١٣ / ١٤٠ .
(٨) المصدر السابق، ١٣ / ١٤١ .

يا بنَ الأئمـةِ من بَعْـدِ النبي ويـا بـ ـنَ الأوصيـاءِ أقَرَّ الناسُ أمْ دَفَعُوا

إنَّ الخـلافَـة كانت إرثَ والـدِكُمْ من دون تَيْـمٍ وعفـو الله مُتَّسَـعُ

لولا عَدِيٌّ وتَـيْـم لم تَكُـنْ وَصَلَتْ إلـى أمـيَـةَ تُمْرِيها وتَـرْتَـضِـعُ

ومـا لآل عَليٍّ في إمـارتـكـم ومـا لَهُم أبْـدَاً في إرْثِـكُم طَمَـعُ

يأيهـا الـنـاسُ لا تَعْـزُبْ حلومُكُمُ ولا تُضْفِكُمْ إلى أكنـافِهـا البِـدَعُ

الـعَمُّ أوْلى من ابن العَمِّ فاستمعـوا قَوْلَ النصيحـةِ إنَّ الحَقَّ مُسْتَمَعُ(١)

وقولـه :ـ

ألا لله دَرُّ بني عَليٍّ ودَرٌّ من مقـالَـتِـهـم كثـيرُ

يُسَمّـونَ الـنَـبِـيَّ أبـا ويأبـى من الأحـزابِ سَطْـرٌ بَلْ سُطُـورُ (٢)

يريد قول الله عز وجل : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » . (٣)

وقوله أيضـا :ـ

فإن شكـروا فقـد أنْـعَـمْـتَ فيهم وإلا فـالـنـدامـةُ للكـفـورِ

وإن قالـوا بنـو بِنْـتٍ فَحَـقٌّ وردوا ما ينـاسِـبُ للذكـورِ

ومـا لبـني بنـاتٍ من تُراثٍ مع الأعـمَامِ في وَرَقِ الـزبـورِ(٤)

ويتفوق النمرى على أستاذه في البيتين الأخيرين ويظل مروان بن أبي حفصة يتأسف على ما جاء فيهما من معان لأن النمرى سبقه إليها .

(١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٨٥٩ .
(٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٨٥٩ .
(٣) القرآن الكريم، الأحزاب، ٤٠ .
(٤) الأغاني، ١٣ / ١٤٣ .

ولا تقف مدائح النمرى لهارون الرشيد عند حدود نفي الخلافة عن آل علي بن أبي طالب أو هجـائهم والطعن عليهم والغـوص على معان لم يسبق إليها غيره بل يتجاوز ذلك إلى مبالغات مقيتة على نحو ما نرى في قوله :ـ

آلُ الـرسُـولِ خيارُ النـاسِ كُلِّهم ... وخَـيرُ آلِ رسـولِ الله هارونُ
رضيـتُ حُكْمَـكَ لا أبْغي به بَدَلا ... لأن حُكْمَـكَ بالتـوفيقِ مقْـرونُ (١)

فهو يجعل هارون الرشيد أسمى مكانة من آل رسول الله، ويجعله مرة أخرى في درجة تلي درجة الأنبياء عندما يقول :ـ

يا خَيْرَ ماضٍ وخَـيْرَ باقٍ ... بَعْـدَ الـنـبـيـينَ في الأنَـامِ
ما اسـتـودعَ الـديـنُ من إمـام ... حامـىَ عليـه كما تحامِـي (٢)

ومرة ثالثة يجعل من لا يحظى برضا الرشيد لا ينتفع بصلاته وعبادته على نحو ما يرى في قوله :ـ

أيُّ امرِىءٍ بات من هارونَ في سَخَطٍ ... فليس بالـصـلوات الخُـمْس يَنْتَفِـعُ
إن المـكـارمَ والمـعـروفَ أوْديـةٌ ... أحَـلَّكَ الله منهـا حَيْـثُ تَتَّـسِـعُ
إذا رَفَـعْـتَ امـرأ فالله يَرْفَـعُـه ... ومن وضَعْتَ من الأقوامِ مُتَّضَعُ (٣)

وقولـــه :ـ

---

(١) المرتضى، الأمالي، ٤ / ١٨٧ .
(٢) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء، ٢ / ٨٦١، وابن المعتز، طبقات الشعراء، ٢٤٧ .
(٣) الأغاني، ١٣ / ١٥٠ .

هارون يا خَيْرَ مَنْ يُرْجَى بم يُطِعِ الله مَنْ عَصَاكَا
في خَيْرِ دينٍ وخَيْرِ دُنْيا مَنْ اتقى الله واتقاكا (١)

ويعجب المرء من الخليفة كيف يحتمل مثل هذه المبالغات وقد التفت صاحب الأغاني إلى ذلك حين روى « أن هارون الرشيد أمير المؤمنين كان يحتمل أن يمدح بما يمدح به الأنبياء فلا ينكر ذلك ولا يرده . (٢)

ومن يقرأ أخبار منصور النمرى ويلم بأشعاره يمكنه أن يلاحظ أن الشاعر لم يكن مخلصا في حبه للخليفة العباسي بل على العكس يمكنه أن يلاحظ أنه كان يمقته ويكيد له في الباطن ويمدحه وينال هباته وعطاياه عن تقية شأنه شأن غيره من الشيعة الامامية، وإلى هذه التقية أشار المرتضى بقوله : « كان النمرى ينافق الرشيد، ويذكر هارون في شعره ويريه أنه من وجوه شيعته وباطنه ومراده بذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لقول النبي صلى الله عليه وآله، له : أنت مني بمنزلة هارون من موسى » . (٣)

ولكن شدة طمع النمرى في هبات الرشيد وعطاياه جعلته يجاوز حدود التقية المتعارف عليها بحيث رأيناه ينزلق في متاهات تؤخذ عليه على نحو ما كان منه يوم أن اندفع ينشد الرشيد قصيدة يمدحه فيها ويهجو آل علي ويثلبهم، فضجر هارون وقال له : يا بن اللخناء : أتظن أنك تتقرب إلي بهجاء قوم أبوهم أبي ونسبهم نسبي، وأصلهم وفرعهم أصلي وفرعي ولم يرض الرشيد عنه إلا في اليوم التالي حين أنشده قصيدته التي يقول فيها :-

---

(١) المصدر السابق، ١٣ / ١٤٤ .
(٢) المصدر السابق، ١٣ / ١٤٤ .
(٣) المرتضى، الأمالي، ٤ / ١٨٦ .

بني حَسَن ورهطَ بني حُسَيْنٍ عليكم بالسدادِ من الأمورِ
فقد ذُقْتُمُ قراعَ بني أبيكم غداةَ الرَّوْعِ بالبِيْضِ الذكورِ
أحينَ شَفَوكُمو من كُلِّ وِتْرٍ وضَمّوكم إلى كَنَفٍ وثيرِ
وجادوكم على ظمإٍ شديدٍ سُقيتُم من نوالهم الغزيرِ
فما كان العقوقُ لهم جزاءً بفِعْلِهُمُ وآدى للثؤورِ
وإنَّك حين تُبْلِغُهم أذاةً وإن ظلموا لمحزونُ الضَّميرِ (١)

ومع أن النمرى يظهر للناس عباسي الهوى والرأى منافرا لآل علي إلا أنه كان شيعيا غاليا على نحو ما يرى في قوله :-

شاءٌ من الناس راتِعٌ هامِلُ يعللونَ النفوسَ بالباطِلِ
تُقْتَلُ ذريةُ النبيِّ ويَرْ جونَ جنانَ الخلودِ للقاتِلِ
ويلَكَ يا قاتلَ الحسينِ لقد نُؤْتَ بِحَمْلٍ ينوء بالحامِلِ
بأيَ وجهٍ تَلْقَى النبيَّ وقد دَخَلْتَ في قَتْلِه مع الدَّاخِلِ
هَلُمَّ فاطلبْ غَدَاً شفاعَتَه أولا فَرِدْ حوضَه مع الناهِلِ
ما الشَّكُ عِنْدى في حال قاتِلِه لكنَّني قد أشُكُّ في الخَاذِلِ
نَفْسي فداءُ الحُسَيْنِ حينَ غَدَا إلى المنايا غدو لا قافِلِ
وعاذلي أنني أحِبُّ بني أحْمد فالتُرْبُ في فَمِ العَاذِلِ
قد ذُقْتُ ما دينكم عليه فما وصَلْتُ من دينكم إلى طائِلِ
دينُكم جفوةُ النبيِّ وما الـ ـجافي لآل النَّبيّ كالواصِلِ
مظلومةٌ والنبيُّ والدُها قريرُ أرجاء مُقْلَةٍ حافِلِ
ألا مَصَاليتَ يَغْضَبون لها بِسَلَّةِ البيضِ والقنا الذَّابِلِ (٢)

---

(١) الأغاني، ١٣ / ١٤٤ .
(٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٨٦٠ وابن المعتز، طبقات الشعراء، ٢٤٣ فما بعدها .

ولقد أغضبت هذه القصيدة الرشيد غضبا شديدا عندما أنشده إياها العتابي حيث أمر الفضل بن الربيع بإحضار النمرى على التو، فبعث الفضل في ذلك فوجده قد توفي فأمر بنبشه ليحرقه ولكن الفضل لم يزل يلطف له حتى كف عنه (١)

ومعنى ذلك أن النمرى ظل يخفي تشيعه عن الرشيد إلى أن استعر الخلاف بينه وبين أستاذه العتابي حيث تسابق كلاهما إلى الوشاية بالآخر عند الرشيد . (٢)

ولعل ما أظهره النمرى من حب آل البيت أقل بكثير مما كان يبطنه ويخفيه وقد أشار القيرواني إلى ذلك حين قال : « وكان النمرى يضمر غير ما يظهر، ويعتقد الرفض وله في ذلك شعر كثير لم يظهر إلا بعد موته . (٣)

وروى الأصفهاني أن الرشيد حبسه بسبب الرفض فخلصه الفضل بن الربيع، ثم بلغه شعره في آل علي عليه السلام فألح في طلبه ولم يخلصه من يد الرشيد إلا رجوعه عما نسب إليه من التشيع وقوله قصيدته التي مطلعها :-

يا منزلَ الحَيِّ ذا المغانِي أنعم صباحاً على بِلاكا

فأمر الرشيد باطلاقه وتخلية سبيله (٤)

ويشير ابن المعتز إلى تشيع النمرى وإلى جودة شعره في آل النبي بقوله : « وأشعار النمرى في آل الرسول عليهم السلام كثيرة جيدة، من أجود ما مدحوا به » . (٥)

---

(١) الأغاني، ١٣ / ١٤٨ فما بعدها .
(٢) انظر تفاصيل هذا الخلاف بين الشاعرين في الأغاني، ١٣ / ١٤٨ فما بعدها فقد أحجمنا عن ذكره نظرا لما فيه من فحش .
(٣) القيرواني، زهر الآداب، ٢ / ٦٥٠ .
(٤) الأغاني، ١٣ / ١٤٩ فما بعدها .
(٥) طبقات الشعراء، ٢٤٨ .

وأما ديك الجن فهو عبد السلام بن رغبان، الملقب بديك الجن، ولد في الشام سنة ١٦١ هجرية . (١)

ولم يبرح ديك الجن نواحي الشام ولا وفد إلى العراق ولا إلى غيره منتجعا بشعره ولا متصديا لأحد، وكان يتشيع تشيعا حسنا، وله مراث كثيرة في الحسين بن علي منها قوله :ـ

يا عَينُ لا للقَضا ولا الكُتُبِ	بكا الرَّزايا سوى بُكَا الطَّرَبِ (٢)

وهي قصيدة مشهورة عند الخاص والعام ويناح بها، وله عدة أشعار في هذا المعنى . (٣) وقد دفعنا هذا القول إلى البحث عن بقية أبيات القصيدة ولم أجد لها ذكرا إلا في كتاب أعيان الشيعة ومنها قوله :ـ

يا عَينُ في كربلاء مقابِرُ قد	تَركْنَ قلبي مقابرَ الكَرْبِ
مقابِرُ تحْتَها منابِرُ من	عِلْمٍ وحِلْمٍ ومنظَرٍ عَجَبِ
من البهاليل آل فاطمة	أهلَ المعالي والسادة النجب
نفسي فداءٌ لكم ومن لكم	نفسي ومن أسرتي لكم وأبي
لا تبعدوا يا بني النبي على	إن قد بعدتم والدهر ذو نوب (٤)

وكان ديك الجن ملازما لأحمد بن علي الهاشمي وأخيه جعفر يمدحهما وينال عطاياهما، وعندما توفي أحمد بن علي راح الشاعر يرثيه رثاء مؤثرا ومنه قوله :

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢ / ٣٥٦ .
(٢) الأغاني، ١٤ / ٥١ .
(٣) الأغاني، ١٤ / ٥٢ .
(٤) العاملي، أعيان الشيعة، ٣٨ / ٣٣ .

نَحْنُ نُعَـزِّيـك ومِنْـكَ الهُـدَى ... مُسْتَـخْـرَجٌ والنـورُ مُسْتَقْبَـلُ
نقـول بالـعَـقْـلِ وأنْتَ الـذى ... نأوى إلـيـه وبـه نَعْـقِـلُ
نحـن فداءٌ لك من أمَّـةٍ ... والأرْضُ والآخـرُ والأوَّلُ
إذا غَفَـا عَنْـك وأودى بها ... ذا الـدهَـرْ فهـو المُحْسِنُ المُجَمِلُ
جاد على قبرك من مَيِّـتٍ ... بالـروح رب لك لا يبـخـلُ
وحـنـت المـزن على قبره ... بعَـارِضٍ نجـوتُـه مُحْفِـلُ
يَصِـلُّ والأرْضُ تُصَـلِّي له ... من صلوات معـه تَسْأَلُ
أنـتَ أبـا الـعبـاسَ عَبـاسُهـا ... إذا اسـتطـارَ الحَـدَثُ المُعْـضِـلُ
وأنـتَ يَنْـبـوعُ أفـانِـيـنهـا ... إذا هُمُ في سَنَـةٍ أمْحَـلُوا
وأنـتَ عَلّام غيـوبِ الـنَّـثَـا ... يومـاً إذا نَسْأَلُ أوْ نُسْأَلُ (١)

ثم مات جعفر بن علي الهاشمي فرثاه ديك الجن ومن هذا الرثاء قوله :ـ

ألا أيُّهـا الـرُّكـبـانُ والـرَّد واجَبٌ ... قِفـوا حَدِّثُـونَا : ما تقولُ والنوادِبُ ؟
إلى أيِّ فتيـانِ النَّـدى قَصَـدَ الـردَى ... وأيُّهـم نابَـتْ حِماهُ الـنـوائِـبُ ؟
فيـا لأبـي الـعـبـاس إنَّ منـاكبـا ... تنـوءُ بها حَمَّلْتَـهـا لنـواكِـبُ
ويـا قَبْرَه جُدْ كُلَّ قَبْرٍ بجـودِهِ ... ففـيـك سَماءٌ ثَرَّةٌ وسـحـائِـبُ
فإنّـك لو تَدْرِى بها فيـك من عُلاً ... عَلَوْتَ وبـاتَـتْ في ذُراك الكـواكِبُ
أخَـاً كُنْتُ أبكيـه دمـا وهـو نائِمٌ ... حِذاراً وتَـعْـمَـى مُقْـلَتي وهـو غائِبُ
فمات ولا صبر ى على الأجْـرِ واقِفٌ ... ولا أنـا في عُمْـرِ إلـى الله راغِـبُ
أأسعى لأحْظَى فيـك بالأجْـرِ إنّـه ... لَسَـعْـيُ إذن مِنِّي لدى الله خائِـبُ
ومـا الاثم إلا الصَّـبْرُ عَنْـك وإنَّـما ... عواقِـبُ حَمْد أنْ تُذَمَّ الـعـواقِـبُ
فوالله إخـلاصـا من القَـوْلِ صادِقَـاً ... وإلا فَحُـبِـيّ آل أحْمَـدَ كاذِبُ

---

(١) الأغاني، ١٤ / ٦٥.

لو أنَّ يَدِيْ كانَـتْ شِفـاءَكَ أوْ دَمِي دَمَ الـقَلْبِ حَتّى يَقْضِبَ القَلْبَ قاضِبُ
لسَلَّمْتُ تَسْليمَ الـرِّضـا وتَخِـذْتُهـا يَدا للردَى ما حَجَّ لله راكِـبُ
بكـاكَ أخٌ لم تَحْوِهِ بقـرابَـةٍ بَلى إنَّ إخـوان الصَّفـاءِ أقـارِبُ (١)

وهكـذا رثى ديـك الجن صديقيـه وإمـاميـه أحمـد وجعفـر ابني علي الهاشمي، وجعلهـما مصـدر النـور والهـدايـة ومنار العقل وعلم الغيب على طريقة الغلاة من الشيعة الذين ينظرون إلى الأئمة على أنهم مستودع العلم ومصدر الهدى ومن هنا فإن الاخلاص لهم واجب وحبهم وسيلة تقربهم إلى الله زلفى .

ومن جيد شعر ديك الجن في رثاء العلويين وأبنائهم قوله :-

رِدوا هنـيئـا مريئـا آل فاطـمـةٍ حَوْضَ الـرَّدَى فارتضـوا بالقتـلْ واصطَبِروا
الحـوضُ حَوْضُـكُم والجَـدُّ جَدُّكُم وعـنـد رَبِّـكُـم فـي خلقـه غِيَرُ
أبـكـيـكـم يا بني آل الـرسـول ولا عَفَـتْ محلكـم الأنـواء والمَطَـرُ
في كُلِّ يَوْمٍ لِقَـلْبـي من تَذَكّـرُكُمْ تَغْـريبـةٌ ولِـدَمْعِي فيـكمُ سَفَـرُ
مَوْتَـاً وقَـتْـلاً بهامـاتٍ مُغَـلَّقَـةٍ من هاشمٍ غابَ عَنَّهـا النَّصْـرُ والظَّفَرُ (٢)

وروى صاحب الأغـاني أن ديـك الجن كان شديـد التعصب والعصبيـة على العرب، يقول : ما للعرب علينا فضل، جمعتنا وإياهم ولادة إبراهيم، صلى الله عليه وسلم، وأسلمنا كما أسلموا، ومن قتل منهم رجلا منا قتل به، ولم نجد الله عز وجل فضلهم علينا إذ جمعنا الدين (٣)

وتظهر شعوبيته عندما يعلن انتسابه لقيصر وكسرى على نحو ما نرى في قوله :

---

(١) الأغاني، ١٤ / ٦٩ ـ ٦٧ .
(٢) العاملي، أعيان الشيعة، ٣٨ / ٣٣ .
(٣) الأغاني، ١٤ / ٥١ .

إنّي ببــابــك لا وُدّى يُقَــرِّبــني ... ولا أبـي شافِــعٌ عِنْــدِي ولا نَسَـبي

إنْ كان عُرْفُـكَ مَذْخُـوراً لذى سبب ... فاضمم يديـك على حُرٍّأخي سَبَب

أو كُنْـتَ وافَـقْـتَـه يَوْمـا على نَسَب ... فاضْمُمْ يَدَيْـك فإنّي لَسْتُ بالعـرَبي

إنّي امـروء باذِلٌ في ذروتــي شَرَفٌ ... لقَيْصَـرِ ولكسـرى مُحْتِـدِي وأبي (١)

ويتراءى لنا ديك الجن مقبلا على اللذات مسرفا في الخلاعة والمجون على نحو ما نرى في قوله :

أأتْـركُ لَذَّة الـصَّـهْـبـاءِ عَمْـدَاً ... لِمَا وَعَـدوه من لَبَــن وخَمْـرِ

حَيـاةٌ ثم مَوْتٌ ثم بَعْـثٌ ... حديـثُ خُرَافَـةٍ يا أمَّ عَمْـرِو (٢)

وقولـــــه :

هي الـدُّنيـا وقـد نعمـوا بأخْـرَى ... وتـســويف النفـوس من السـوافي

فإنْ كذبـوا أمِـنْـتُ وإن أصـابـوا ... فإنَّ المُـبْـتَـليـك هو المـعـافِي

وأصْـدَقُ ما أبُـثُّـك أنَّ قِلْبـي ... بتصــديقِ القيـامـةِ غيرُ صافِي (٣)

وهكـذا كان عبـد السـلام سادرا في الملذات، غير متورع عن الشك في البعث والثواب والعقاب .

وكـان قد اشتهـر بجـاريـة نصـرانيـة من أهل حمص هويها وتمادى به الأمر حتى غلبت عليـه وذهبت به، فلما اشتهـر بها دعـاهـا إلى الاسلام ليتزوج بها، فأجابته لعلمها برغبته فيها، وأسلمت على يديه فتزوجها وكان إسمها وردا وفي ذلك يقول :ـ

---

(١) ديوانه، ٢٥ .

(٢) المصدر السابق، ٤٧ .

(٣) المصدر السابق، ٤٧ .

انظُرْ إلى شَمْسِ القصور وبَدْرِها ... وإلى خزامـاهـا وبَهْجَـةِ زَهْـرِهـا
لم تَبْـلُ عَيْـنُـك أبْيَضَـاً في أسْـوَدٍ ... جَمَع الجـمال كوَجْهِهَـا في شَعْـرِهـا
وَرْديّـةُ الـوَجَنـاتِ يَخْتَـبِرُ اسمَهـا ... مِنْ ريقهـا مَنْ لا يُحيـطُ بِخُـبرِهـا
وتمـايَـلَتْ فضَـحِكْتُ من أرْدافِهـا ... عَجَـبـا ولـكـنّي بَكَيْتُ لِخَصْـرِهـا
تسـقيـك كأسَ مدامـة من كَفِّهـا ... وَرْدِيَّـةٍ ومـدامـةً من ثَغْـرِهـا (١)

ولكن صفو الحياة لم يدم له مع هذه الجارية وسرعان ما وشى بها ابن عمه عنده وادعى أنها على علاقة مع أحد غلمانه فسارع باختراط سيفه فضربها به حتى قتلها وقال في ذلك :ـ

لَيْـتَـني لم أكـن لعطْـفِـك نِلْتُ ... وإلـى ذلـك الـوِصَـال وَصَـلْتُ
فالـذى مِنّيَ اشـتَـمَـلْتُ عليـه ... ألـعَـارِ ما قَدْ عليـه اشـتَـمَـلْتُ
قال ذو الجَـهْـلِ قد حَلُمْتَ ولا أعْلَـ ... ـلَمُ أنّي حَلِمْـتُ حَتّـى جَهِـلْتُ
لائِـمٌ لي بجـهـله ولمـاذا ... أنـا وَحْـدِى أحْـبَـبْتُ ثم قَتَـلْتُ
سوف آسَـى طول الحيـاةِ وأبـكـيـ ... ـكِ على ما فَعَـلْتِ لا ما فَعَلْتُ (٢)

وقال فيها أيضـــا :ـ

لـك نفسٌ مواتـيـة ... والمـنـايـا مُعَـادَيَـهْ
أيُّهـا الـقـلبُ لا تَعِـدْ ... لهوى الـبِيضِ ثانِـيَـهْ
ليـس بَرْقٌ يكـون أخْـ ... ـلَب مـن بَرْقِ غانِـيَـهْ
خُنْـتِ سِرّى ولم أخُـنْـ ... ـكِ فمُـوتـي علانِـيَـهْ (٣)

---

(١) الأغاني، ١٤ / ٥٥ .
(٢) المصدر السابق، ١٤ / ٥٧ .
(٣) الأغاني، ١٤ / ٥٧ .

ثم اكتشف حقيقة ما دبره ابن عمه من مؤامرة لقتل الجارية وبلغه الخبر على حقيقته وصحته واستيقنه فندم ندامة قاتلة ومكث شهرا لا يفيق من البكاء ولا يطعم من الطعام إلا ما يقيم رمقه وراح يتفجع على زوجته ويستشعر الندم على ما اقترفته يداه على نحو ما نرى من قوله في رثائها :-

يا طَلْعَةً طَلَعَ الحِمامُ عليها ... وَجَنى لها ثَمَرَ الرَّدى بِيَدَيْها

رَوَّيْتَ من دَمِها الثَّرى ولطالَما ... رَوَّى الهوَى شَفَتَيَّ من شَفَتَيْها

قد بات سَحيفي في مجالِ وشاحِها ... ومدامعي تجرى على خَدَّيْها

فَوَحَقِّ نَعْليها وما وَطِيء الحَصَى ... شَيْءٌ أعَزُّ عَلَيَّ من نَعْلَيْها

ما كان قَتْليها لأني لَمْ أكُنْ ... أبكي إذا سَقَطَ الذُّبابُ عليها

لكنْ ضَنَنْتُ على العيونِ بِحُسْنِها ... وأنِفْتُ من نَظَرِ الحسودِ إليْها (١)

وقوله :

أساكِنَ حُفْرَةٍ وقرارِ لَحْدٍ ... مُفارِقَ خُلَّةٍ مِنْ بَعْدِ عَهْدِ

أجِبْني إن قَدَرْتَ على جوابي ... بِحَقِّ الوُدِّ كيف ظَلِلْتَ بَعْدِي

وأيْنَ حَلَلْتَ بَعْدَ حلول قَلْبي ... وأحشائي وأضلاعِي وكَبْدِي ؟

أما والله لو عايَنْتُ وَجْدِي ... إذا استعبرتَ في الظلماتِ وَحْدِي

وَجَدَ تَنَفُّسي وعلا زفيري ... وفاضَتْ عَبْرَتي في صَحْنِ خَدِّي

إذاً لعَلِمْتَ أنيِّ عن قريبٍ ... سَتُحْفَرُ حُفْرَتي ويُشَقُّ لَحْدِي

وَيَعْذِلُني السفيهُ على بُكائي ... كأنِّي مُبْتَلى بالحُزْنِ وَحْدِي

يقولُ قَتَلْتِها سَفَهاً وجَهْلاً ... وتَبكيها بُكاءً لَيْس يُجْدِي

كصَّيادِ الطيورِ له انتحابٌ ... عليها وهو يَذْبَحُها بِحَدٍّ (٢)

---

(١) المصدر السابق، ١٤ / ٥٧ .

(٢) الأغاني، ١٤ / ٥٩.

ومن يقرأ شعر ديك الجن يلاحظ أن أكثره في الرثاء والتفجع على زوجته وربما أكسبه هذا الرثاء شهرة دفعت الأقدمين إلى تفضيله على أبي تمام على نحوما نرى في قول ابن رشيق : « وأبو تمام من المعدودين في إجادة الرثاء ومثله عبد السلام بن رغبان ديك الجن وهو أشهر في هذا من حبيب وله فيه طريق انفرد بها » . (١) وعلى نحوما نرى من قول ابن خلكان « أن شعره في غاية الجودة » (٢) وعلى نحو ما نرى في قول أبي الفرج « وهو شاعر مجيد يذهب مذهب أبي تمام والشاميين في شعره » وكان يتشيع تشيعا حسنا وله مراث كثيرة في الحسين بن علي - عليهما السلام - (٣)

وروى صاحب وفيات الأعيان أن ديك الجن بقي في الشام حتى كانت وفاته في أيام المتوكل سنة ٢٣٥ أو سنة ٢٣٦ هجرية . (٤)

ثانيا : شعراء الحزب الأموى :

رأينا في الدراستين التاريخية والموضوعية أن الحزب الأموى لم تعد له في الحقبة العباسية من القرن الثاني الهجرى أي خطورة ولا سيما بعد أن تظاهرت عليه عدة قوى بحيث كان عليه أن يواجه صراع العباسيين والعلويين والموالي وتحت موجات القهر والعسف هاجرت جماعات الشعراء المؤيدة لهذا الحزب لتنعم بأفياء السلطة العباسية الجديدة على نحوما كان من أبي العطاء السندى ومروان بن أبي حفصة ولكن تعدد جبهات الصراع التي واجهها الحزب الأموى وشدة القهر العباسي لم تحل دون انتصار عدد من الشعراء للسياسة الأموية ، ومن أشهر هؤلاء الشعراء أبو العباس الأعمى ، وأبو عدى العبلي وأبو نخيلة الحماني وأبو العطاء السندى وهم جميعا من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، ومن هنا فقد ترجمنا لأبي العباس

(١) ابن رشيق ، العمدة ، ٢ / .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢ / ٣٥٦ .

(٣) الأغاني ، ١٤ / ٥١ .

(٤) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢ / ٣٥٦ .

الأعمى وأبي عدى العبلي في الباب الأول من هذه الدراسة على حين رأينا أن نترجم هنا لأبي نخيلة وأبي العطاء السندى .

فأما أبو نخيلة فاسمه يعمر (١) وقيل إن اسمه حبيب (٢) من بني تميم ، وقيل من بنى حمان بن كعب بن سعد . (٣)

وأبو نخيلة اسم الشاعر لا كنيته ، (٤) كذا في الأغاني وأما في الشعر والشعراء فنجد اسمه يعمر وإنما كني أبا نخيلة لأن أمه ولدته إلى جنب نخلة . (٥) ويكنى أبا الجنيد ، وأبا العرماس ، وذكر أنه كان أسود ، وعاقا لأبيه فنفاه أبوه عن نفسه ، فخرج إلى الشام فأقام هناك إلى أن مات أبوه ، ثم عاد وبقي مشكوكا في نسبه مطعونا عليه . (٦)

وكان أبو نخيلة ينتحل أراجيز رؤ بة بن العجاج وينسبها لنفسه (٧) ولما خرج أبو نخيلة إلى الشام اتصل بمسلمة بن عبد الملك فاصطنعه وأحسن إليه ، وأوصله إلى الخلفاء واحدا بعد واحد ، واستماحهم له فأغنوه ، وكان بعد ذلك قليل الوفاء : انقطع لبني العباس ولقب نفسه بشاعر بني هاشم ، فمدح الخلفاء من بني العباس وهجا بني أمية .

وعندما وفد أبو نخيلة على مسلمة بن عبد الملك بعد منصرفه من قتال يزيد بن المهلب أنشده :

---

(١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٦٠٢ .
(٢) ابن عساكر، التاريخ الكبير، ٢ / ٣١٨ والمؤتلف والمختلف ٢٩٦ .
(٣) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٦٠٢ .
(٤) الأغاني، ١٨ / ١٣٩ .
(٥) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٦٠٢ .
(٦) البغدادي، خزانة الأدب، ١ / ١٦٥ .
(٧) المرزباني، الموشح ، ٣٤٣ .

مَسْلَمُ يا مسلمة الحروبِ

أنتَ المُصَفّى من العيوبِ

مصاصة من كَرَمٍ وطِيْبِ

لولا ثقاف ليس بالتَّذْبِيْبِ

تغري به عن حُجُبِ القُلُوبِ

لأمْسَت الأمَةُ شاءُ الذِّيبِ (١)

ومن مديحه لمسلمة أيضا قوله :-

أمَسْلَمَ يا بنَ كُلِّ خليفة ويا فارسَ الهيجاء ويا جَبَلَ الأرْضِ

شكرتُكَ إنَّ الشكر حَبْلٌ من التُّقى وما كُلُّ من أوْلَيْتَه نعمةً يقضي

وألقيتَ لما جئْتُ بابَكَ زائراً رواقاً مديداً سامِقَ الطول والعَرْضِ

وأنبَهْتَ لي ذِكْرى وما خامِلاً ولكِنَّ بَعْضَ الذِّكْرَ أنْبَه من بَعْضِ (٢)

وعندما ولي هشام وفد عليه أبو نخيلة ومدحه بأرجوزة منها :

لما أتَتْني بغية كالشَّهْدِ والعَسَلِ الممزوجِ بَعْد الرَّقْدِ

يا بَرْدَها لِمُشْتَفٍ بالبَرْدِ رَعَتْ من الجمال مُسْمَغِدِّ

وقُلْتُ للعيس اعتلي وجِدّي فهي تُخَدّي أبْرَحَ التَخَدّي

قد ادرَعْنَ في مسير سَمْدِ لَيْلاً كليل الطَيْلَسانِ الجُرْدِ

إلى أمير المؤمنينَ المُجْدِي رَبِّ مَعَدٍّ وسوى مَعَدٍّ (٣)

---

(١) الأغاني، ١٨ / ١٤٠ .

(٢) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٦٤ .

(٣) الأغاني، ١٨ / ١٤١ .

وهكذا امتدح أبو نخيلة خلفاء بني أمية ونال عطاياهم، وما أن تنقضي دولتهم حتى يمم شطر أبي العباس السفاح ويستأذنه بالانشاد فيصده الخليفة بقوله: لا حاجة لنا في شعرك إنما تنشدنا فضلات بني مروان فيقول على الفور:ـ

كُنَا أناسَا نَرْهَبُ الأمْلاكا
إن ركبوا الأعناقَ والأوراكا
قد ارتجينا زَمَناً أباكا
ثم ارتجينا بَعْدَه أخاكا
ثم ارتجينا بَعْدَهُ إياكا
وكان ما قلتُ لِمَن سِواكا
زوراً فقد كَفَّرَ هذا ذاكا (١)

فيضحك الخليفة ويجيره، ومن يومها يظل متصلا بالخلفاء العباسيين ويصبح أداة من أدواتهم السياسية، ويسهم برجزه في مسألة من أهم المسائل في هذا الوقت وهي ولاية العهد، فعندما رغب المنصور في خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد ونقلها إلى محمد المهدى، دخل أبو نخيلة على المنصور وأنشده في مجلس حضره عيسى ابن موسى نفسه :ـ

لَيْسَ وليُّ عَهْدِنا بالأسْعَدِ ... عيسى فَزَحْلِقْها إلى مُحَمَّدِ
من عند عيسى مَعْهَداً عن مَعْهَدِ ... حَتّى تُؤدى من يَدٍ إلى يَدِ
فقد رضينا بالغلام الأمْرَدِ ... وقد فَرَغْنا غيرَ أنْ لم نَشْهَدِ
وغيرَ أنَّ العَقْدَ لم يؤكّدِ ... فلو سَمِعْنا قولَكَ امدُدْ امدُدِ (٢)

وله في هذا أرجوزة أخرى يقول فيها :ـ

(١) المصدر السابق، ١٨ / ١٤٣ .
(٢) الأغاني، ١٨ / ١٥٠ .

خليفَةُ الله، وأنْتَ ذاكا أسْنِد إلى مُحمَّدٍ عَصَاكا
فأحفظُ الناس لها أدناكا وابنَكَ ما استكفيتَهُ كَفَاكَا
وكلُّنا منتظِرٌ لذاكا لو قلت: هاتوا قلت: هاكا، هاكا (١)

وهكذا أسرف أبو نخيلة على نفسه حين زج بنفسه في مسألة ولاية العهد مما جعله يدفع حياته ثمنا لهذا الاسراف حيث أرسل عيسى بن موسى من لحق بأبي نخيلة ـ عندما كان في طريقه إلى خراسان ـ فاحتز رأسه وألقى بجثته لعصائب الغربان .

وأما أبو عطاء السندى فهو : أفلح بن يسار مولى بني أسد، (٢) أو هو مرزوق مولى أسد بن خزيمة (٣) ثم مولى عنبر بن سماك بن حصين الأسدى، (٤) منشأه بالكوفة، وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، مدح بني أمية وبني هاشم، وكان أبوه يسار سنديا أعجميا لا يفصح، وأبو عطاء ابنه عبد أسود . (٥)

كان في لسان أبي عطاء لكنه شديدة ولثغة فكان لا يفصح (٦) وكان له غلام فصيح سماه عطاء، وتكنى به وقال : قد جعلتك ابني وسميتك بكنيتي، فكان يرويه شعره فإذا مدح من يجتديه أو ينتجعه أمره بإنشاد ما قاله : (٧)

وكان أبو عطاء السندى من شعراء بني أمية وشيعتهم ومداحهم، منصب الهوى إليهم .

---

(١) المصدر السابق، ١٨ / ١٤٣ .
(٢) الأغاني، ١٧ / ٣٢٧ .
(٣) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٧٦٦ .
(٤) الأغاني، ١٧ / ٣٢٧ .
(٥) البكرى اللآلي، ٦٠٢ .
(٦) الأغاني، ١٧ / ٣٢٧ .
(٧) المصدر السابق، ١٧ / ٣٢٧ .

وأدرك السندى دولة بني العباس، فلم تكن له فيها نباهة فهجاهم، وكان من أحسن الناس بديهة وأشدهم عارضة، وتقدما، وهو من فحول طبقته والمعدوين من أهل عصره . (١)

وشهد السندى حرب بني أمية وبني العباس فأبلى، وقتل غلامه عطاء مع ابن هبيرة وانهزم هو .

وكان أبو عطاء السندى قد مدح أبا جعفر فلم يثبه، وأظهر الانحراف عنه لعلمه بمذهبه في بني أمية فعاوده بالمدح فقال له : يا ماص كذا من أمه، ألست القائل في عدو الله الفاجر نصر بن سيار ترثيه :-

فاضَتْ دموعي على نَصْرٍ وما ظَلَمَتْ ... عَيْنٌ تفيضُ على نَصْرِ بن سَيّار
يا نَصْرٌ مَنْ للقاءِ الحَرْبِ إن لقحت ... يا نَصْرُ بَعْدَكَ أو للضيفِ والجارِ
الخندفي الذي يحمي حقيقته ... في كُلِّ يَوْمٍ مخوف الشَرِّ والعَارِ
والقائِدُ الخيلَ قُبّاً في أعِنَّتِها ... بالقَوْمِ حَتّى تَلُفَّ الغارَ بالغَار
من كُلِّ أبْيَضَ كالمصباح من مُضَرٍ ... يجلو بِسُنَّتِهِ الظلماء للساري
ماضٍ عَلَى الهَوْلِ مقدام إذا اعتَرَضَتْ ... سُمْرُ الرِّماح وَولّي كُلُّ فَرَارِ
إنْ قال قَوْلا وَفَي بالقَوْلِ موعده ... إنّ الكنانيَّ وافٍ غيرُ غَدّارِ (٢)

والله لا أعطيك بعد هذا شيئا أبدا، فخرج من عنده وهجاه بعدة قصائد منها قوله :-

فَلَيْتَ جَوْرَ بَني مَرْوانَ عادَ لَنا ... ولَيْتَ عَدْلَ بني العباسِ في النّارِ (٣)

---

(١) البغدادي، خزانة الأدب، ٤ / ١٧٠ « بولاق » .
(٢) الأغاني، ١٧ / ٣٣٢ فما بعدها .
(٣) الأغاني، ١٧ / ٣٣٣، وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٧٦٩ .

وقولـــــه :ـ

أَلَـيْسَ اللهُ يَعْـلَمَ أَنَّ قَلْبِـي يُحِبُّ بني أمـيَّـة ما اسـتطَـاعَـا
ومـا بي أنْ يكـونـوا أهْـلَ عَدْلٍ ولـكـنيّ رأيْتُ الأمـرَ ضاعَـا (١)

وعنـدمـا ولي أبـو العباس السفاح وفد عليه أبو عطاء السندى ومدحه ومدح بني هاشم وبني العباس وهجا بني أمية على نحو ما نرى في قوله :ـ

إنّ الخـيـارَ من الـبَرِيّـة هاشِـمٌ وبـنـو أمـيـة أرْذَلُ الأشـرارِ
وبـنـو أمـيـة عودُهُـم من خِرْوعٍ ولهـاشـم في المَـجْـدِ عُودُ نُضَـارِ
أمـا الـدُّعـاةُ إلى الجنـان فهـاشِمٌ وبـنـو أميـةَ من دُعـاةِ النـارِ (٢)

وعندما خابت أمانيه في عطاء بني العباس هجاهم هجاء مؤلما على نحو ما نرى في قوله :ـ

بني هاشـمٌ عُودُوا إلـى نخـلاتِـكُـم فقـد قام سِعْـرُ التَّمْـرِ صاعَـاً بِدِرْهَم
فإنْ قُلْتُـم رَهْـطُ الـنبـيِّ وقَـوْمُـه فإنَّ النصـارَى رَهْـطُ عيسى بنِ مَرْيَم (٣)

ومـات أبـو عطـاء السندى في أواخر أيام الخليفة المنصور . (٤) وفي الأغاني أنه مات عام ١٦٨ هـ (٥) وفي الأعلام أنه توفي عام ١٨٤ هـ، وقيل توفي حوالي عام ٧٧٥ م عن خمسة وسبعين عاماً (٦)

---

(١) المصدر السابق، ١٧ / ٣٣٣ .
(٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٧٦٩ .
(٣) المصدر السابق، ٢ / ٧٦٩ فما بعدها .
(٤) اللآلي ، ٦٠٣ .
(٥) أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني، ١٦ / ٨٣ .
(٦) الزركلي، ١٢٣ .

ثالثـــا : شعراء الحزب العباسي :

ظهر الشعر العباسي على ألسنة نخبة عظيمة من الشعراء من أنصار العباسيين وحظي الحـــزب العبـــاسي بالكثـــير من الشعـــراء الـــذين كانـــوا يدورون في فلك الصـــراعـــات السيـــاسيـــة الأخـــرى ولا سيـــما بعـــد انتصار الانقلاب ، حيث وفدت جماعـــات الشعـــراء على قصر الخلافة من كل حدب وصوب لتعلن تأييدها للسلطة الجديدة أو براءتها من الأحزاب السياسية الأخرى وتلمع في هذه الفترة أسماء عدد من الشعـــراء من أمثـــال مروان ابن أبي حفصـــة ، ومنصـــور النمرى وإبان اللاحقي وأبي دلامة الأسدى وإبراهيم بن المهاجر البجلي وسلم الخاسر وغيرهم من شعراء الأحـــزاب الســـابقـــة وسنقف عنـــد ترجمـــات لحياة أهم هؤلاء الشعراء لنعرف بأهم الجوانب السياسية من حياتهم مما له علاقة بموضوع هذه الدراسة .

ولعـــل مروان بن أبي حفصـــة أشهـــر هؤلاء الشعـــراء وهـــو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة ، (١) مولى مروان بن الحكم (٢) واسم أبي حفصة يزيد (٣) وكـــان يهوديـــا ، فأسلم على يدى مروان بن الحكم ، وأهله ينكرون ذلك ويذكرون أنـــه من سبي اصطخـــر وأن عثمان اشتراه فوهبه لمروان بن الحكم (٤) ثم أعتقه يوم الدار لأنه أبلى يومئذ (٥) ويدلل مروان نفسه على ذلك بقوله :-

بنـــو مروان قومـــي أعْـــتَـــقـــونِي وكُـــلُّ النـــاس بَعْـــدُ لَهُمْ عبيـــدُ (٦)

---

(١) الأغاني، ١٠ / ٧١ وكذلك ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٤٢ والمرزباني، معجم الشعراء، ٣١٧ .
(٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٧٦٣ .
(٣) الأغاني، ١٠ / ٧١ ، والمرزباني، معجم الشعراء، ٣١٧ .
(٤) المصدر السابق، ١٠ / ٧١
(٥) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٤٢ وابن قتيبة ، الشعر والشعراء، ٢ / ٧٦٣، والأغاني ١٠ / ٧١ .
(٦) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٧٦٣ وابن المعتز، طبقات الشعراء مع اختلاف بين الروايتين .

ويقال أن أبا حفصة أثرى وكثر ماله، وكان جوادا، فتزوج خولة بنت مقاتل بن طلبه ابن قيس بن عاصم المنقري، سيد أهل الوبر فقال في ذلك القلاخ الشاعر يهجو مقاتل ابن طلبة :-

نبئت خَوْلَة قالت حين أنْكَحَها لطال ما كُنْتُ منك العارَ أنْتَظِرُ
أنكَحْتَ عَبْدَيْنِ تَرْجو فَضْلَ مالِهِمَا في فيك مما رَجَوْتَ التُّرْبُ والحَجَرُ
لله در جيادٍ أنْتَ سائِسُها بَرْذَنْتَها وبها التحجيلُ والغُرَرُ (١)

وكان يحيى بن أبي حفصة قد تزوج أيضا عمرة بنت إبراهيم بن النعمان بن بشير الأنصارى على صداق عشرين ألف درهم، وسير إليها مهرها قبل أن يبني بها، ولام الناس إبراهيم في ذلك، وقالوا : زوجت عبدا وفضحت نفسك وأباك. وأرادوه على انتزاعها فأبى وعظم الأمر في ذلك جدا ولما عيره الناس قال :-

فما تَرَكَتْ عشرون ألْفاً لقائِلٍ مقالاً ولم أحْفِلْ مقالَةَ لائِمِ
فإنْ كنتُ قَدْ زَوَجْتُ مَوْلى فَقَدْ مَضَتْ به سُنَّةٌ قبلي وحُبُّ الدَّراهِمِ(٢)

وأنجبت له ابنه يحيى الذى تزوج بنت زياد بن هوذة بن شماس وأنجبت له ابنه سليمان، ثم رزق سليمان بابنه مروان باليمامة سنة خمس ومائة للهجرة (٣) في شهر ربيع الأول وهي السنة التي مات فيها هشام، وكنيته أبو السمط وكان يلقب ذا الكمر، (٤) وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، ولكن أخباره في العصر الأموى قليلة وكل ما يعرف عنه في هذا العصر أنه قال الشعر وهو غلام لم يبلغ العشرون وأنه وفد على الوليد بن يزيد مع كل من الحسين بن مطير وطريح بن

---

(١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٧٦٣ فما بعدها وابن المعتز، طبقات الشعراء، ٤٤ .
(٢) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٤٤ وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٧٦٤ .
(٣) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٤ / ٢٧٦ ، والمرزباني، معجم الشعراء، ٣١٧ .
(٤) المرزباني، معجم الشعراء، ٣١٧ .

اسماعيل الثقفي وعدد من الشعراء، وتذهب أكثر الروايات التي نقلت الخبر إلى أن مروان بن أبي حفصة لم يمدح الوليد بن يزيد يومئذ لأنه أرتج عليه، إلا أن ابن عساكر يروى له قصيدة يمتدحه فيها ومنها قوله :

إنَّ بالشام بالمُوَقَّرِ عِزّاً ... ومُلوكاً مباركينَ شُهُودَا
سادةً من بني يزيدَ كراما ... سَبَقُوا الناسَ مَكْرُماتٍ وجُودَا
هانَ يا ناقَتي عَلَيَّ فسيري ... أنْ تموتي إذا لقيتِ الوليدَا (١)

وأما أخباره في العصرِ العباسي فكثيرة، ولكنها لا تنبيء بأنه يمم شطر أبي العباس السفاح ولا أبي جعفر المنصور، في نفس الوقت الذى تشير فيه تلك الأخبار إلى إقباله على ولاة المنصور في كل من مكة واليمن حتى ليكاد يستنفد شعره في مديحهما، وينال من عطاياهما الشيء الكثير في حياتهما وبعد موتيهما، ومما قاله مروان في تصوير شرف وسيادة معن بن زائدة :-

نِعْمَ المُنَاخُ لراغِبٍ ولراهِبٍ ... ممن تُصيبُ جَوائحُ الأزمانِ
مَعْنُ بنُ زائِدَة الذى زِيدتْ بِهِ ... شَرَفاً على شَرَفٍ بنو شَيْبَانِ
جَبَلٌ تلوذُ به نزارٌ كُلُّها ... صَعْبُ الذَرَى مُتَمَنِّعُ الأركانِ
إنْ عُدَّ أيامُ الفَعال فإنَّما ... يَوْماهُ يَوْمَ نَدَىً ويومُ طِعَانِ
تَمْضِي أسِنَّتُهُ ويُسْفِرُ وَجْهَهُ ... في الرَّوْعِ عِنْدَ تَغَيرِ الألوانِ
كِلْتَا يَدَيْك أبا الوليد إذا عَلَا ... رَهَجُ السَّنابِكَ والرِّماحُ دَوائِي
نَفْسي فداءُ أبي الوليد إذا عَلَا ... رَهَجُ السَّنابِكَ والرِّماحُ دَوائِي
ما زِلْتَ يوم الهاشمية مُعْلِمًا ... بالسَّيْفِ دون خليفةِ الرَّحْمنِ
فمنَعْتَ حَوْزَتَه وكُنْتَ وقَاءَهُ ... من وَقْعِ كُلِّ مُهَنَّدٍ وَسِنَانِ (٢)

---

(٤) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٣٣ / ٢٤٢ .
(١) د . حسين عطوان، شعر مروان بن أبي حفصة، ١٠٨ .

هذا بعض ما قاله في معن بن زائدة والي المنصور على اليمن فماذا قال في السرى ابن عبدالله والي المنصور على مكة؟ إنه يقول :

أصابَ الرَّدى قَوْمَاً تمنوا لك الرَّدى | لأنَّك أعطيتَ الجزيلَ وصَرَّدُوا
سَيَذْهَبُ ما ضُمَّت عليه أكُفُّهمْ | ويَبْقَى لَهُمْ في الناس ذَمٌ مُخَلَّدُ
وتَبْقَى أياديكَ الكريمةَ بَعْدَما | يواريكَ والجودَ الصَّفيحُ المُنَضَّدُ (١)

وعندما بويع للمهدى بالخلافة العباسية وفد عليه مروان بن أبي حفصة وامتدحه وأصبح يتردد على قصر الخلافة في كل عام ليحظي بعظيم الهبات، وأسنى الصلات ويزداد حماسه للعباسيين فينقطع لهم، ويمضي مدافعا عن سياستهم، داعيا لأحقيتهم بالخلافة، معرضا بالعلويين على نحوما نرى في أبياته التي امتدح بها المهدى ومنها قوله :

يا بنَ الذّي وَرِثَ النبيَّ محمداً | دون الأقارب من ذوى الأرحامِ
الوَحْيُ بَيْنَ بني البناتِ وبينكم | قَطَعَ الخصامَ فلات حينَ خِصَامِ
ما للنساءِ مع الرِّجال فريضَةٌ | نزلت بذلك سورةُ الأنعامِ
أنّي يكونُ ولَيْس ذاك بكائِنٍ | لبني البناتِ وَراثَةَ الأعمامِ
أُلْغَى سهامُهُم الكتابُ فحاولوا | أن يَشْرَعوا فيها بِغَيْرِ سِهَامِ
ظَفِرَتْ بنوساقي الحجيجِ بِحَقِّهم | وغُرِرْتُمُ بِتَوَهُّمِ الأحْلَامِ (٢)

فعارضه محمد بن يحيى بن أبي مرة التغلبي في ذلك بقوله :-

---

(١) ابن الشجرى، حماسة ابن الشجرى، ١١٠ .

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ١ / ٣٦٠ .

لِمْ لا يكـونُ وإنَّ ذاكَ لكـائِـنٌ ... لبـني الـبنـاتِ وراثـة الأعـمامِ
للبـنـتِ نِصْفُ كامِـلُ مِنْ مالِـه ... والـعَـمُّ متروكٌ بِغَـيْرِ سِهـامِ
ما للطَّـليـقِ ولـلتراثِ وإنَّـما ... صَلّى الطليقُ مخافَـةَ الصَّمْصَامِ (١)

وكـان مروان بن أبي حفصـة قد دخـل على المهـدي بعد وفاة معن بن زائدة في جماعـة من الشعـراء وأنشـده مديحا فيه فقال له : ومن أنت ؟ قال : شاعرك يا أمير المؤمنين وعبدك مروان بن أبي حفصة . فقال له المهدي : ألست القائل :

أقَـمْـنَـا باليـمامـة بَعْـدَ مَعْـنٍ ... مُقَـامَـاً لا نُريـدُ به زوالا
وقُـلْنـا أيْـنَ نَرْحَـلُ بَعْـدَ مَعْـنٍ ... وقـد ذَهَـبَ الـنَّـوالُ فلا نَوالا

قد ذهب النـوال كما زعمت فلم جئت تطلب نوالنـا؟ لا شيء لك عنـدنـا، ثم طرده من مجلسه، فلما كان من العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء فمثل بين يدي المهدي وأنشده قصيدته التي مطلعها :

طَرَقَـتْـك زائِـرَةً فَحَيِّ خيـالَهـا ... بيـضـاءُ تَخْلِطُ بالجـمالِ دَلالَهـا
قادَتْ فؤادَكَ فاستـقـادَ ومـثـلهـا ... قاد الـقـلوبَ إلى الصِّبـا فأمـالها

فأنصت الناس له حتى بلغ إلى قوله :

هل تَطْمِسُـون من السَّماءِ نجـومَهـا ... بأكُـفُـكـم أوْ تَسْـترونَ هلالَهـا
أو تَجْحَـدون مقـالَـةً من رَبِّـكُـم ... جبريـلُ بَلَّغَـهـا الـنبيَّ فقـالَهـا
شَهِـدَتْ من الأنـفـالِ آخـر آيـةٍ ... بتراثِـهـم فأرَدْتُـمُ إبطـالَهـا (٢)

---

(١) الأغاني، ١٠ / ٩٥ .
(٢) الأغاني، ١٠ / ٨٧ .

فاعجب المهدى بما سمع إعجابا عظيما وأمر له بمائة ألف درهم . فكانت أول مائة ألف درهم أعطيها شاعر في أيام بني العباس .

واغتاظ العلويون من احتجاجه عليهم مما حمل بعض شيعتهم المتطرفين على اغتياله في أيام الرشيد سنة اثنتين وثمانين بعد المائة الأولى من الهجرة ودفن في بغداد في مقابر نصر بن مالك الخزاعي وهي المعروفة بالمالكية ، (١) وبموته فقد الحزب العباسي شاعرا من أشد الشعراء حماسة للسياسة العباسية .

ومن الشعراء المدافعين عن السياسة العباسية أبو دلامة الأسدى ، وهو زند بن الجون ، (٢) وأكثر الناس يصحف اسمه فيقول زيد بالياء ، وذلك خطأ وهو زند بالنون (٣) وهو كوفي أسود ، مولى لبني أسد ، كان أبوه عبدا لرجل منهم يقال له فضافض فأعقته . (٤)

أدرك أبو دلامة آخر أيام بني أمية ، ولم يكن له في أيامهم نباهة ونبغ في أيام بني العباس فهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، ولكن حياته في العصر الأموى غامضة ، ويروى أنه اشترك في عسكر مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في بعض حروبه مع الخوارج . (٥) ومع ذلك فإننا لا نجد له مديحا في أحد من خلفاء بني أمية ، وربما كان السبب في ذلك ما روى من عدم نباهته من حيث ولاؤه كما أنه كان عبدا حبشيا وقد رأينا من قبل موقف الأمويين من أمثال هؤلاء الموالي .

---

(١) المرزباني ، معجم الشعراء ، ٣١٨ .
(٢) الأغاني ، ١٠ / ٢٣٥ وابن المعتز ، طبقات الشعراء ، ٥٤ وابن قتيبة ، الشعر والشعراء ٢ / ٧٧٦ .
(٣) ابن المعتز ، طبقات الشعراء ، ٥٤ والأغاني ١٠ / ٢٣٥ وابن خلكان وفيات الأعيان ، ١ / ٢٣٧ .
(٤) الأغاني ، ١٠ / ٢٣٥ .
(٥) المصدر السابق ، ١٠ / ٢٤٣ وابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ٢ /٧٧٧ .

وفي العصر العباسي سنحت له الفرصة عندما اشترك مع أبي مسلم الخراساني في بعض حروبه مع بني أمية . دعا رجل إلى البراز فقال له أبو مسلم : أبرز إليه فأنشأ يقول :-

ألا لا تَلُمْني إنْ فَرَرْتُ فإنّني	أخافُ على فُخّارَتي أنْ تَحطَّما
فلو أنّني في السوق أبْتاعُ مِثْلَها	وجَدِّكَ ما باليْتُ أنْ أتَقَدَّما (١)

وكان أبو دلامة كثير النوادر في الشعر، وكانت فيه بديهة ودعابة مما جعل الخلفاء يقدمونه ويصلونه ويستطيعون مجالسته ونوادره .

ولما توفي السفاح دخل أبو دلامة على أبي جعفر المنصور والناس عنده تعزيه فأنشأ يقول :-

أمْسَيْتَ بالأنبارِ يا بنَ مُحَمَّدٍ	لا تستطيعُ إلى البلادِ حَويلا
وَيْلي عَلَيْكِ وويلَ أهْلي كُلِّهم	وَيْلًا يكونُ إلى المماتِ طَويلا
ماتَ النَّدَى إذْ مُتَّ يا بنَ مُحَمَّدِ	فجَعَلْتُه لك في التُّرابِ عَديلا
إنّي سألْتُ الناس بَعْدَكَ كُلَّهُمْ	فَوَجدتُ أسمَحَ مَنْ رأيتُ بخيلا
ألِشقْوَتي أخَّرْتُ بَعْدَكَ للذى	يَدَعُ السمينَ من العِيالِ هِزيلا (٢)

فأبكى الناس قوله، فغضب المنصور غضبا شديدا وقال له : لئن سمعتك بعدها تنشد هذه القصيدة لأقطعن لسانك وما زال أبو دلامة يتلطف المنصور حتى عفا عنه وأجزل له العطاء .

---

(١) الأغاني، ١٠ / ٢٦٨ .
(٢) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٥٤ وديوانه، ١٣٢ مع اختلاف في بعض الأبيات .

وروى صاحب الأغاني أن أول ما حفظ من شعره وأسنيت الجوائز له به قصيدة مدح بها أبا جعفر المنصور وذكر قتله أبا مسلم وهي القصيدة التي يقول فيها :

أبـا مُسْـلِم خَوَّفْتَني القَتْـلَ فانْتَحى ... عليـك بما خَوَّفْـتَني الأسَـدُ الـوَرْدُ
أبـا مُسْـلِم ما غَيَّرَ اللهُ نِعْـمَـةً ... على عَبْـدِه حَتَّى يُغَـيِّرَهـا العَبْدُ
أفِي دَوْلَـةِ المَـهْـدِي حاوَلْتَ غَدْرَةً ... ألا إنَّ أهْـلَ الغَـدْرِ آباؤك الكُرْدُ (١)

وسرعان ما أصبح أبو دلامة قريبا من أبي جعفر المنصور حتى لم يصل إلى أحد من الشعراء ما وصل إلى أبي دلامة من المنصور .

وشارك أبو دلامة في معركة الصراع السياسي التي شهدها القرن الثاني الهجرى فزج بنفسه في أتون الصراع عندما وقف إلى جانب السياسة العباسية مدافعا وداعيا على نحو ما نرى في قوله :ـ

لو كان يَقْعُدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ ... قَوْمٌ لقيـل اقْعُـدوا يا آلَ عَبَّـاسِ
ثم ارتَقُوا في شُعاع الشَّمْسِ وارتَفِعُوا ... إلـى السـماء فأنْـتُم سادَةُ النَّـاسِ
وقَـدِّمُـوا القـائِمَ المَنْصُورَ رأسَكُم ... بالعَيْنِ والأنْفِ والأذنانِ في الراس (٢)

وقولـــه :

ديـنِي على ديـنِ بَنِّي الـعَبَّـاسِ ... ما خَتَمَ الطينُ على القرطاسِ (٣)

---

(١) الأغاني، ١٠ / ٢٣٥ ، وديوانه، ١٣٢ وفي رواية ابن قتيبة، الشعر والشعراء ٢ / ٧٧٨ « أبا مجرم » بدل أبا مسلم » . وكذلك في البيت الأخير « أفي دولة المنصور بدل « أفي دولة المهدى » حسب رواية ابن المعتز طبقات الشعراء، ٦٢ .

(٢) ديوانه، ١٣٧ .

(٣) الأغاني، ١٠ / ٢٥١ وديوانه، ١٣٨ .

وروى صاحب الأغاني أنه كان عند المهدى رجل من بني مروان فدخل إليه وسلم عليه فأتى المهدى بعلج، فأمر المرواني بضرب عنقه، فأخذ السيف وقام فضربه، فنبا السيف عنه، فرمى به المروائي وقال : لو كان من سيوفنا ما نبا، فسمع المهدى فغاظه حتى تغير لونه وبان فيه، فقام يقطين بن موسى البغدادي فأخذ السيف وحسر عن ذراعيه ثم ضرب العلج فرمى برأسه ثم قال : يا أمير المؤمنين إن هذه سيوف الطاعة، لا تعمل إلا في أيدى الأولياء، ولا تعمل في أيدى أهل المعصية ثم قام أبو دلامة فقال : يا أمير المؤمنين، قد حضرني بيتان من الشعر أفأقولهما؟ قال : قل : فأنشد :

أيُّهذا الامام سَيْفُكَ ماضٍ ... وبِكَفُّ الوَلِيِّ غيْرُ كَهَامِ
فإذا ما نَبا بِكَفٍّ عَلِمْنَا ... أنها كَفُّ مُبْغِضٍ للامامِ (١)

فسرى عن المهدى وقام من مجلسه وأمر حجابه بقتل الرجل المرواني، ولقد أغدق عليه الخلفاء العباسيون لأنهم كانوا في أمس الحاجة إلى كل ما يشتم منه التأييد لسياستهم، ومع ذلك فإننا نرى لأبي دلامة مساهمة في توجيه انتقادات ذكية ساخرة للسياسة العباسية على نحو ما يفهم من قوله بعد أن انتقلت إلى قصور الخلافة العباسية تقاليد الفرس الساسانيين وأزياؤهم :

وكُنَّا نُرَجِّي من إمام زِيادَةً ... فزاد الامام المُصْطَفَى في القلانِسِ
تراها على هام الرِّجالِ كأنها ... دنانُ يهودٍ جُلِّلَتْ بالبرانِسِ (٢)

وعلى نحو ما رأينا من قصيدته الرمزية التي ادعى أنه قالها في بغلته حيث لم يكن ليجرؤ على الحديث صراحة عن عيوب الخلافة العباسية ولا سيما ما كان مشهورا

---

(١) الأغاني، ٠ / ٢٧٣ .
(٢) ديوانه، ١٣٣ .

من قسوة الخلفاء العباسيين الذين كانوا يحفظون زلات خصومهم أو من ينحاز إلى هؤلاء الخصوم حتى لو رجع وأناب ثم يعاقبون عليها أشد العقاب .

وتروى لنا كتب الأدب كثيرا من نوادره في مجالس الخلفاء، ومجالس الشرب واللهو، مما يدل على فساد خلقه وتضيعه للفروض وارتكابه للمحارم، وظل على هذه الحال إلى أن توفي سنة إحدى وستين ومائة للهجرة، (١) أو بعد ذلك حيث روى ابن خلكان أن حياة أبي دلامة امتدت إلى أول عهد الرشيد وأيد الخطيب البغدادي هذا الرأى . (٢) ولكن معظم المصادر تلتقي عند قولي ابن خلكان وياقوت الحموى، وهما القائلان بوفاة أبي دلامة الأسدى في خلافة المهدى سنة إحدى وستين ومائة .

ومن أبرز شعراء الدعوة العباسية في القرن الثاني الهجرى سلم الخاسر، وهو سلم بن عمرو (٣) بن حماد (٤) وقد اختلف في سبب لقبه، فقيل : إن أباه عمرو بن حماد خلف له مالا كثيرا أنفقه على الشعر وفي اللهو، (٥) وقيل : سمي الخاسر لأنه باع مصحفا كان ورثه من أبيه واشترى بثمنه طنبورا (٦) وقيل باع مصحفا واشترى بثمنه دفتر شعر، فشاع في الناس خبره فسمي الخاسر بذلك (٧) وقد قيل : إنما فعل ذلك مجونا، ولم يكن ردىء الدين . وأما الذين زعموا أنه اشترى بثمن المصحف الشعر، فقد رووا في أخباره أنه لما أفاد من الخلفاء والبرامكة بشعره ما أفاد من الأموال الجليلة قال : أنا الرابح ولست بالخاسر .

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢ / ٧٧، وياقوت الحموى، معجم الأدباء، ١١ / ١٦٦ .
(٢) المصدر السابق، وفيات الأعيان، ٢ / ٧٧، والبغدادي، تاريخ بغداد ٨ / ٤٨٨ .
(٣) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٩٩ .
(٤) الأغاني، ٢١ / ٧٣ « طبعة الساسي » .
(٥) المصدر السابق، ٢١ / ٧٣ .
(٦) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٩٩ .
(٧) المصدره السابق، طبقات الشعراء، ١٠٠ .

وكـان سلم الخـاسـر « من الشعراء المطبوعين المجيدين ، وكان تلميذا لبشار بن برد، عنه أخذ ومن بحره اغترف ولى مذهبه ونمطه قال الشعر » . (١)

وروى سلم عن نفسه « هل أنا إلا جزء من محاسن بشار، وهل أنطق إلا بفضل منطقه . . إني لأروى له تسعة آلاف بيت ما يعرف أحد غيرى منها شيئا . (٢)

ومن جيد ما روى لسلم قصيدته في يحيى بن خالد وهي التي يقول فيها :

بقـاءُ الـدينِ والـدُّنيـا جميعَـاً ... إذا بَقِـيَ الخـليـفَـةُ والـوزيـرُ
يَغـارُ على حَمى الاسـلامِ يَحْيَ ... إذا ما شَيَّـع الحَـزْمَ الـغـيـورُ
ولَـيْسَ يقـوم بالاسـلامِ إلا ... معـار يُشْـتَـجـارُ ويُـسْتَـجـيرُ
كِلَا يَوْمَـيـك من نَفْـعٍ وضُـرٍ ... يحوط جِماهُما كَرَمٌ وخـيرُ
ومـا الْهـاكَ عَمّا أنْـتَ فيـه ... نَعيـمُ المُلْكِ والـوَطِيءُ الـوثـيرُ
إلـيـك سبيـلُنـا من كُلِّ وَجْـهٍ ... وكُـلُّ الأمْـرِ أنْـتَ به بَصِـيرُ
بلَوْتُ الـنّـاسَ من عَجَمٍ وعُـرْبٍ ... فما أحَـدٌ يَسـيرُ كما تَسـيرُ (٣)

ومما يستحسن لسلم رثاؤه لأبي جعفر المنصور وفيه يقول :

عَجَـبَـاً للذى نَعَـى الـنـاعـيـانِ ... كيـفَ فاهَـتْ بِمَـوْتِـهِ الـشفَتَـانِ
ليـتَ كَفَـاً حَثَـتْ عليـه تُرابَـاً ... لم تَعُـدْ في يمـيـنهـا ببنـانِ (٤)

ويصـوغ سلم أجمـل قصـائده في المهدى ويذهب في نظرته إلى المهدى على أنه المهدى الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه قوله :ـ

(١) الأغاني، ٢١ / ٧٣ .
(٢) المصدر السابق، ٢١ / ٧٣ .
(٣) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ١٠١ .
(٤) الأغاني، ٢١ / ٧٥ .

وإلى أمير المؤمنيـ ـن محمدٍ خيرِ الأنامِ
جَمَع الخلافة والسما حَة والشجاعةَ في نظامِ
مَلِكٌ ضريبةُ رأيه أمضى من السَّيْفِ الحُسَامِ
يَقْضي أميرُ المؤمنيـ ـنَ برأى حَزْمٍ واعتزامِ
قالت قريشٌ كُلُّها وهم الكرامُ بنو الكرَامِ
وخِيارُ مَنْ وطِيءَ الحَصَا من بَيْنِ كَهْلٍ أو غُلامِ
: فَضَلَ الملوكَ محمدٌ فَضْلَ الحَلالِ على الحَرَامِ
فاسْلَمْ أميرَ المؤمنيـ ـنَ فأنتَ رَهْنٌ بالسَّلامِ
ولَكَ المكارِمُ كُلُّها في دار ظَعْنٍ أو مُقَامِ
أمِنَ الحوادِثَ مَنْ تَعَلَّـ ـقَ ذمَّةَ المَلِكِ الهُمَامِ
يا خيْرَ من ضَمِنَتْ يَدَا هُ كَمْ في يَدَيْكَ من الذِّمَامِ
كَمْ في يَدَيْكَ من النَّدَى وضُروب ألوانِ الحِمَامِ
حِوْض الخليفة بالنَّدَى يُشْفِي الغَليلَ مِنَ الأوامِ
إنَّ الخليفَة في يَدَيْـ ـهِ سِجالُ عَفْوٍ وانتقامِ (١)

وكما مدح المهدى بتلك الصفات المنتقاة مضى يمدح ابنه موسى الهادى بمثل تلك الصفات القدسية الجليلة على نحو ما نرى في قوله:

وكَمْ قَدْ رَفَعْتُ ستورَ الملوكِ وزاولْتُ بالشِّعْرِ أزْوالَها
ونِلْتُ مجالسَ مَشْهورَةً يُنال الكرامُ بِمَنْ نالَهَا
لقد جَعَلَ الله في راحتَيْكَ حياةَ النفوسِ وآجالَها
وجَدْناكَ في كُتُب الأوليـ ـنَ مُحْيي النفوس وقَتَّالَها
وموسى شبيهُ أبي جَعْفَرٍ ومُعْطِي الرغائبَ سُؤَّالَها
ولَولا مكانُك مِنْ بَعْدِهِ لأنكَرَتِ العُوذُ أطْفَالَها (٢)

---

(١) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ١٠٣ فما بعدها .
(٢) المصدر السابق، طبقات الشعراء، ١٠٥

وقوله في الهادى أيضـــا :ـ

لولا هداكـــم وفـــضـــل أويـــكـــم لم تدر ما أصـــل دينهـــا العـــرب (١)

ثم يفد سلم على هارون الرشيد ويمتحده وينال عطاياه، وعندما جعل الرشيد ولايـة العهـد لابنـه الأمين راح سلم يعلن عن غبطته البالغة ويمتدح الخليفة وولي عهده ويقرر إجماع الناس على البيعة لولي العهد على نحو ما يرى في قوله :

قَدْ بايَـعَ الثقـلانِ في مَهْـدِي الهُـدَى لِمُحَمَّـدِ بنِ زبيـدةَ ابنـة جَعْفَـرِ (٢)

وكذلك فعل عندما عقد الرشيد البيعة لابنه المأمون بعد محمد الأمين .

وكـان سلم مدركـا للدور الخطـير الـذى يلعبـه الـبرامكـة على مسـرح الحياة العبـاسيـة فراح يمدحهم ويتقرب إليهم حتى كاد ينقطع لهم فمدح يحيى بن خالد وابنه الفضل بن يحيى والفضل بن الربيع وزير الرشيد ونال منهم ما لم يناله غيره من الشعـراء وغبطـه على ذلـك أستاذه وصديقه أبو العتاهية فراح يصفه بالبخل وشدة الحرص ومنه قوله :

تَعـــالَـــى الله يا سلْمُ بنَ عَمْـــرو أذَلّ الحـــرصُ أعْـنـــاقَ الـــرِّجَـــالِ
هَب الـــدُّنيـــا تُســـاقُ إليـــك عَفْـوَاً أَلَيْسَ مصـــيرُ ذاك إلى الـزوالِ (٣)

ولست أدرى كيف نسب أبـو العتـاهيـة البخل إلى سلـم وابن المعتز يقول فيه « وكـان سلم مزاحـا لطيفـا، مداحـا للملوك والأشراف، وكانوا يجزلون له في الثواب

(١) الأغاني، ٢١ / ٧٦ .
(٢) الأغاني، ٢١ / ٧٧ .
(٣) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ١٠٥ فما بعدها .

والعطيـة، فيأخـذ الكثـير وينفقـه على إخـوانـه وغـيرهم من أهل الأدب (١) إنه الحسد فلقد رأى أبو العتاهية الملوك والأشراف يغدقون على سلم دون غيره فراح يغبطه على ذلك ويتهمه دون أن يملك الدليل على الاتهام .

رابعـــا : شعراء حزب الموالــــي :

رأينـا كيف قام المـوالي في القـرن الثـاني الهجـرى بالعديد من الحركات في وجه السلطـة العبـاسية، وكيف مارسوا ألوانا شتى من الصراع بهدف استعادة نفوذهم وإظهـار نحلهم، وسنقف عنـد أشهر شعرائهم الذين راحوا يتحركون على مسرح الحيـاة العبـاسيـة في حريـة تامـة، يفخرون على العرب ويفضلون الفرس، وأبرز هؤلاء الشعراء، بشار بن برد، والخريمي وأبو نواس .

فأما بشار فهو بشار بن برد بن يرجوخ (٢) وكان يرجوخ من طخارستان من سبي المهلب بن أبي صفرة .

وكـان بشـار مولى لبني عقيل، ويقال مولى لبني سدوس (٣) ويكنى أبا معاذ . ويلقبب المـرعث (٤) . ولـد بشار في البصرة لأسرة اجتمع عليها ذل الولاء وهوان المنزلة الاجتماعية، فقد كان أبوه طيانا يضرب اللبن، كما كان أخواه قصابين .

وولد بشار أكمها، (٥) فكان العمى على ما يبدو نعمة له، حيث أعفته الزمانة من كثـير من تكـاليف الحيـاة وسـط تلك الأسـرة الكـادحة، مما هيأ له سبل الحياة الأدبية والعقلية وهو يشير إلى ذلك بقوله :-

---

(١) المصدر السابق، ١٠٥ .
(٢) الأغاني، ٣ / ١٣٥ .
(٣) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٧٥٧ .
(٤) الأغاني، ٣ / ١٣٩ وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٧٥٧ .
(٥) البغدادي، تاريخ بغداد، ٧ / ١١٤، والأغاني، ٣ / ١٤١

عَمِيْتُ جَنِيناً والذكاءُ من العَمَى		فجئتُ عجيبَ الظَّنِّ مَوْئِلا
وغاض ضياءُ العَيْنِ للعم رافِداً		لِقَلْبٍ إذا ما ضَيَّعَ الناسُ حَصَّلا
وشِعْرٍ كنورِ الرَّوْضِ لأمْتُ بَيْنَه		بِقَوْلٍ إذا ما أحْزَنَ الشعر أسْهَلا (١)

وكان بشار كثير التلون في ولائه، شديد الشغب والتعصب للعجم، فمرة يفتخر بانتمائه إلى أم رومية يقول :-

وقَيْصَرُ خالِي إذا عَدَدْتُ يَوْماً نَسَبِي (٢)

وذكر الجاحظ أن اسمها غزالة، (٣) ومرة أخرى يفتخر بولائه في قيس فيقول :

أمِنْتَ مَضَرَّةَ الفُحَشَاءِ أنِّي		أرَى قَيْساً تَضُرُّ ولا تُضَارُ
كأنَّ الناسَ حين تَغيبُ عَنْهُم		نباتُ الأرْضِ أخْطأهُ القِطَارُ
وقَدْ كانَتْ بِتَدْمُر خيلُ قَيْسٍ		فكان لِتَدْمُر فيها دَمَارُ
بِحَيٍّ مِنْ بني عَيْلانَ شُوسٍ		يسيرُ الموتُ حَيْثُ يقال سَارُوا
وما نَلْقَاهُم إلا صدَرْنَا		بَرِيٍّ مِنْهُم وهُم حِرَارُ (٤)

ومرة يتبرأ من ولاء العرب فيقول :-

أصْبَحْتُ مَوْلى ذِي الجَلالِ وبَعْضُهم		مَوْلى العُرَيْبِ فَخُذْ بِفَضْلِكَ فافْخَرِ
مولاكَ أكْرَمُ من تميمٍ كُلِّها		أهْلِ الفَالِ ومِنْ قُرَيْشِ المَشْعَرِ
فارْجِعْ إلى مَوْلاكَ غيرَ مُدافَعٍ		سبحانَ مَوْلاكَ الأجلِّ الأكْبَرِ (٥)

---

(١) الأغاني، ٣ /١٤٢ .
(٢) ديوانه، ١ / ٣٧٧ .
(٣) الجاحظ، الحيوان، ١ / ٣٥٤، ١ / ٣٥٤، ٤ / ٤٥٣ .
(٤) الأغاني، ٣ / ١٣٩ .
(٥) المصدر السابق، ٣ / ١٣٩ .

ومرة يفتخر بولاء بني عقيل :

إنّــي من بني عقــيــل بن كَعْــ ، موضِعَ السَّيْفِ من طُلَى الأعْناقِ (١)

وهكـذا اصطنـع بشـار لنفسـه نسبا عريقا ولكن عراقة النسب المصطنع لم تكن لترد عنه ألسنة الخصوم والمنافسين الذين راحوا يتسقطون أخباره فما أن يسمع حماد عجرد أن بردا أبا بشار كان طيانا يضرب اللبن حتى يهجوه بقوله :-

يا بنَ بُرْدٍ إخْسَأ إليـك فمثـلُ الـ كَلْبِ في النـاسِ أنْتَ لا الانســانِ
بل لَعَمْــرِى لأنْـتَ شَرٌّ من الـكَـلْـ ـبِ وأولــىَ منــه بِكُــلِّ هَوانِ
لريــحُ الخِــنْـزيــرِ أهْــوَنُ من ريـ ـحِكَ يا بنَ الطَّيَّـانِ ذي التُّبَانِ (٢)

ويكـاد الـرواة يجمعـون على سمـو مكـانـة بشـار الشعـرية وتقدمه في طبقات المحـدثـين وريـاسته عليهم ، وكان الأصمعي يعجب بشعر بشار لكثرة فنونه وسعة تصـرفـه ويقـول، « كان مطبـوعا لا يكلف طبعه شيئا متعذرا لا كمن يقول البيت ويحككـه أيـاما ، وكان يشبه بشارا بالأعشي والنابغة الذبياني » (٣) وقيل لبشار : « ليس لأحـد من شعـراء العـرب شعـر إلا وقـد قال فيـه شيئـا استنكرته العرب من ألفاظهم وشك فيه ، وأنه ليس في شعرك ما يشك فيه ، قال ومن أين يأتي الخطأ : ولدت ها هنا ونشأت في جحور ثمانين شيخا من فصحاء بني عقيل ، ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ ، وإن دخلت على نسائهم فنساؤهم أفصح منهم ، وأيفعت فأبديت إلى أن أدركت ، فمن أين يأتين الخطأ . (٤)

وروى أن أبـا عمـرو بن العـلاء لقي بعض الـرواة فقـال له : يا أبا عمرو، من أبدع الناس بيتا ؟ قال : الذى يقول :-

---

(١) المصدر السابق، ٣ / ١٣٩ .
(٢) الأغاني، ٣ / ١٣٧ .
(٣) المصدر السابق، ٣ / ١٤٩
(٤) المصدر السابق، ٣ / ١٥٠

لَمْ يَطُلْ لَيْلي ولكن لَمْ أَنَمْ ... ونَفَى عَنّيَ الكَرَى طَيْفُ أَلَمْ
رَوِّحِي عَنّي قليلا واعلمي ... أنّني يا عَبْدَ مِنْ لَحْمٍ ودَمْ

قال : فمن أمدح الناس ؟ قال الذى يقول :

لَمَسْتُ بِكَفّي كَفَّه أبْتَغِي الغِنَى ... ولَمْ أدْرِ أنَّ الجودَ من كَفِّه يُعْدِي
فلا أنا منه ما أفادَ ذوو الغِنَى ... أفَدْتُ وأعداني فأتلَفْتُ ما عِنْدِي

قال : فمن أهجي الناس قال : الذى يقول :

رأيْتُ السُّهَيْلين استوى الجودُ فيهما ... على بُعْدِ ذا من ذاك في حُكْم حاكِمِ
سهيل بن عثمان يجودُ بمالِه ... كما جادَ بالوَجْعا سُهَيْلُ بنُ سالِمِ

قال : وهذه الأبيات كلها لبشار . (١)

وهكذا شهد أبو عمرو بن العلاء بتفوق بشار على غيره من الشعراء في جملة من أغراض الشعر، ولذلك قال فيه ابن المعتز « كان شاعرا، مجيدا، مغلقا، ظريفا محسنا » . (٢) كما قال : « وكان بشار أستاذ أهل عصره من الشعراء، غير مدافع ويجتمعون إليه وينشدونه ويرضون بحكمه . (٣) ومرة ثالثة يقول : « وكان بشار يعد في الخطباء والبلغاء . ولا أعرف أحدا من أهل العلم والفهم دفع فضله ولا رغب عن شعره، وكان شعره أنقى من الراحة وأصفى من الزجاجة وأسلس على اللسان من الماء العذب » . (٤)

---

(١) الأغاني، ٣ / ١٥٠ فما بعدها .
(٢) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٢١
(٣) المصدر السابق، طبقات الشعراء، ٢٦ .
(٤) المصدر السابق، طبقات الشعراء، ٢٨ .

وعده البكرى « أشعر المحدثين، ورأس المطبوعين، غير المتكلفين » (١) ويبدو أن بشارا كان على مذهب عامة أهل البصرة من الأزوار عن دولة بني العباس في أيامها الأولى ولذلك رويت له قصيدة ميمية تدل على تأييده لثورة العلويين على العباسيين في أيام الخليفة العباسي الثاني وهي القصيدة التي وجه بها إلى إبراهيم بن عبدالله بن الحسن قائد الثورة في البصرة ويبدى فيها تأييده له، ويندد بالخليفة المنصور ومطلعها :

أبـا جَعْـفَـرٍ ما طولُ عَيْشٍ دائـمٍ ولا سَالِمٌ عَمّا قريـبٍ بِسَـالِمِ (٢)

ومـا أن تفشـل الثـورة العلوية حتى يغير الكنية في مطلع القصيدة، ويدعى أنه يوجه الحديث فيها إلى أبي مسلم الخراساني .

ثم يعمـل على الاتصـال بأبي جعفـر المنصور وأخيه العباس بن محمد ولكنه لا يصـل إلى أهـدافـه، فيتحول إلى الولاة وعمال الخلافة من أمثال عقبة بن سلم بن قتيبـة، وخـالـد الـبرمكي، وخـلال هذه الفـترة يمضي بشـار في تحقيره للعرب، وتهجمه عليهم، ويتمادى في تشهيره، ويغرق في المقارنة بينهم وبين قومه الفرس، ويـدعـو المـوالي إلى نبذ ولائهم للعرب، روى الأصفهاني أن رجلا من أشراف بني زيـد قال لبشـار : قد أفسـدت علينا موالينا، تدعوهم إلى الانتفاء منا وترغبهم في الرجوع إلى أصولهم وترك الولاء، وأنت غير زاكي الفرع، ولا معروف الأصل : فقال له بشار : والله لأصلي أكرم من الذهب، ولفرعي أزكى من عمل الأبرار، وما في الأرض كلب يود أن نسبك له بنسبه . (٣)

---

(١) البكرى، اللآلي، ١٩٦ .
(٢) الأغاني، ٣ / ١٥٦، ٢١٣ .
(٣) المصدر السابق، ٣ / ٢٠٣ .

وعندما قال له أعرابي : ما للموالي وللشعر ؟ غضب بشار وأنشد :ـ

خَليــلي لا أنــامُ على اقــتِـسَــار ... ولا آبــى على مَوْلَــىً وجَــارِ
سأخْــبِرُ فاخِــرَ الأعــراب عَنِّي ... وعَــنْــه حينَ تأذَنُ بالــفَــخَــارِ
أحــين كُسيــتَ بَعْــدَ العُــرْي خَزّاً ... ونــادَمْـتِ الـكــرامَ على الـعُـقَــارِ
تُفــاخِــرُ يا بنَ راعِــيَــةٍ وراعٍ ... بني الأحْــرارِ حَسْبُــكَ من خَسَــارِ
وكــنــتَ إذا ظَمِئْــتَ إلــى قَراحٍ ... شَركْتَ الـكَـلْبَ في وَلَــغِ الاطَــارِ
تريــغُ بِخُطْــبَــةٍ كِسَــرَ المــوالي ... ويُــنْــسيــكَ المكــارمَ صَيْــدُ فار
وتــغــدو للقــنــافِــذِ تَدَّريهــا ... ولَمْ تَعْــقِــل بدرّاجِ الــدِّيــارِ
وتَــتَّــشِــحُ المِّــالَ للابــســيــهــا ... وتَــرْعــى الـضأنَ بالـبَـلَدِ الـقِـفَــارِ
مقــامُــكَ بَيْــنَــنــا دَنَسٌ علينــا ... فَلَيْــتَــكَ غائِــبٌ في حَرِّ نارِ
وفَــخْــرُكَ بَيْنَ خِنْــزيــرٍ وكَــلْبٍ ... على مِثْــلي مِنَ الحَـدَثِ الكُبَـارِ (١)

ويتجـرأ على المجـاهرة بانسابه إلى الفرس في حضرة المهدى عندما يسأله « من أي العجم أصلك ؟ فيقول : من أكثرها في الفرسان، وأشدها على الأقران أهل طخارستان » . (٢)

ودخـل على المهـدى فقـال له : فيمن تعتد يا بشار ؟ فقال : أما اللسان والزى فعربيان، وأما الأصل فعجمي، كما قلت في شعري يا أمير المؤمنين :ـ

ونُــبِّئْــتُ قَوْمَــاً بِهِم جِنَّــةٌ ... يقــولــونَ : مَنْ ذا وكُــنْــتَ الـعَـلَمْ
ألا أيُّهــا الــســائِــلي جاهِــدَاً ... ليَــعْــرِفَــني أنــا أنْــفُ الــكَــرَمْ

(١) الأغاني، ٣ / ١٦٦ فما بعدها .
(٢) المصدر السابق، ٣ / ١٣٨ .

نَمَــتْ في الــكِــرام بني عامِــر   فُروعــي وأصْــلي قُرَيْشُ الــعَـجَمْ
فإني لأغْــني مقــامَ الــفَــتَــى   وأصْبـي الــفتــاةَ فما تَعْـتَصِمْ (١)

ولقد وقفنا عند كثير من شعره الشعوبي في دراستنا الموضوعية ولا حاجة بنا إلى تكرار النماذج التي تزخر بمعاني التمجيد للفرس وحضارتهم، والازدراء للعرب وتقشفهم والسخرية من حياتهم البدوية المتخلفة، وفي غضون ذلك كله يظهر بشار كثيرا من أنماط الزندقة والالحاد، ويتخبط في متاهات مذاهب المتكلمين والزنادقة فيمجد النار على الطين ويقول :ـ

الأرْضُ مُظْلِمَــةٌ والنــارُ مُشْــرِقَــةٌ   والنــارُ مَعْبــودَةٌ مُذْ كانَت النَّــارُ (٢)

ويتمادى إلى ما هو أبشع من هذا فيدين بالرجعة ويكفر جميع الأمة ويصوب رأى ابليس في تقديم النار على الطين . (٣) وهو مذهب المجوسية التي تؤله النار وتجعل لها بيوتا على نحو ما هو معروف في تاريخ العقائد الفارسية . (٤) وهو لا يجد حرجا في تفضيل ابليس المخلوق من النار على آدم المخلوق من الطين على نحو ما نرى في قوله :ـ

إبــليسُ أفْــضَــلُ مِنْ أبـيـكُـمْ آدَمٌ   فَتَــنـبَّـهــوا يا مَعْشَــرَ الــفُـجَّــارِ
الــنــارُ عُنْــصُــرُه وآدَمُ طيــنَــةٌ   والطــينُ لا يَسْمُــو سُمُــوَّ النَّــارِ (٥)

ولقد سئل بشار عن سوء مذهبه وميله إلى الالحاد والزندقة فأجاب : « لا أعرف إلا ما عاينته أو عاينت مثله » وأنشد :

(١) المصدر السابق، الصفحة ذاتها .
(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ١ / ١٦ .
(٣) المصدر السابق،
(٤) د . محمد مصطفى الشكعة، رحلة الشعر، ٥١٣ .
(٥) المعرى، رسالة الغفران، ٢ / ١٣٧ .

طُبِــعْــتُ عَلى ما فِيَّ غَيْرَ مُخَيَّرٍ هوايَ ولــو خُيِّرْتُ كُنْــتُ المُهَــذَّبــا
أريــدُ فلا أعْطَــى ولَمْ أرِدْ وغــيِّــب عَنِّي أنْ أنــالَ المُــغَــيَّبَــا
فأصْـرَفُ عَنْ قَصْـدِي وعلمي مُقَصِّرٌ فأمْسِي ومـا أعقَبْتُ إلا التعَجُّبَـا (١)

فهو يعلن صراحة حيرته واختلاطه ويشك في البعث والحساب والجنة والنار ولا يؤمن إلا بما تشهد به حواسه ولذلك أهدر زعيم المعتزلة واصل بن عطاء دمه وأعلن في إحـدى خطبـه « أمـا لهذا الأعمى الملحد، أما لهذا المشنف المكني بأبي معاذ من يقتله ؟ أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية لدسست إليه من يبعج بطنه في جوف منزله أو في حفلة » . (٢) ولذلك يهرب عن البصرة ولا يعود إليها إلا بعد موت واصل بن عطاء . (٣)

وعلى الرغم من تعدد الروايات وإجماعها على إلحاد بشار وزندقته إلا أن محقق ديـوانـه حاول أن ينفي تهمـة الالحـاد والزندقة عن بشار، واعتقد أن « شعر الالحاد والـزنـدقـة مدسـوس على شعر بشار، وأن كل صاحب ذكاء وفطنة وذوق سليم لا تروج عنده نسبة مثل هذا الشعر إلى بشار معنى ولا لفظا . (٤)

وعندما يتجرأ بشار على المهدى ووزيره يعقوب بن داود بالهجاء الذى يقول فيه :

بَني أمَــيَّــةَ هُبُّــوا طالَ نَوْمُــكُــم إنَّ الخَــليــفَــةَ يَعْــقــوبُ بنُ داوِدِ
ضاعَـتْ خلافَتُكُم يا قَوْم فالتَمِســوا خليفةَ اللهِ بَيْنَ الزِّقِ والعُودِ (٥)

---

(١) الأغاني، ٣ / ٢٢٧، والمرتضى، الأمالي، ١ / ١٣٩ .
(٢) الأغاني، ٣ / ١٤٦
(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ١ / ٢٥ .
(٤) محمد الطاهر بن عاشور، مقدمة ديوان بشار، ٢٤ .
(٥) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٢٤ .

يأمر المهدى بقتله .

ويروى الأصفهاني أن المهدى أمر بقتله بعد أن قامت عليه البينة بالزندقة وكانت وفاته ناهز ستين سنة ، وأنه لما مات بشار ألقيت جثته بالبطيحة في موضع يعرف بالخرارة فحمله الماء فأخرجه إلى دجلة البصرة ، فأخذ فأتى

ويروى الأصفهاني أن المهدى أمر بقتله بعد أن قامت عليه البينة بالزندقة وكانت وفاته ناهز ستين سنة ، وأنه لما مات بشار ألقيت جثته بالبطيحة في موضع يعرف بالخرارة فحمله الماء فأخرجه إلى دجلة البصرة ، فأخذ فأتى به أهله فدفنوه وأخرجت جنازته فما تبعها أحد إلا أمه له سوداء سندية عجماء لا تفصح ، ولما مات بشار ونعي إلى أهل البصرة تباشر عامتهم وهنأ بعضهم بعضا وحمدوا الله وتصدقوا . (١)

ثم عاد وناقض نفسه فقال : « مات بشار سنة ثمان وستين ومائة وقد بلغ نيفا وسبعين سنة . (٢)

وأما الخريمي فهو إسحاق بن حسان ، (٣) ويكنى أبا يعقوب (٤) وهو من شعراء العجم ، (٥) وكان أبو يعقوب من أكثر الناس اعتزازا بنسبه وهو القائل :

إنّي امرؤ من سُرَاة الصُّغْدِ أَلْبَسَني عِرْقُ الأعاجِمِ جِلْدَاً طيِّبَ الخَبَرِ (٦)

---

(١) الأغاني، ٣ / ٢٤٦ - ٢٤٨
(٢) المصدر السابق. ٣ / ٢٤٩ .
(٣) البغدادي، تاريخ بغداد، ٦ / ٣٢٦، وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٨٥٣ .
(٤) البغدادي، تاريخ بغداد، ٦ / ٣٢٦، وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٨٥٣ .
(٥) الحصرى، زهر الآداب، ٤ / ٢٠١ ، وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٨٥٣ .
(٦) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٨٥٣.

وكان مولى لابن خريم، الذي يقال لأبيه خريم الناعم (١) وهو خريم بن عمرو، من بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، وكان لخريم ابن يقال له عمارة، ولعمارة ابنان يقال لهما عثمان وأبو الهندام ابنا عمارة، وكان عثمان عظيم القدر وأحد القواد ولعثمان يقول أبو يعقوب :

جَزَى اللهُ عُثْمَانَ الخُرَيْمِّي خيرَ ما ... جَزَى صاحِباً جَزْلَ المواهِبُ مُفْضِلا
كَفَى جَفْوَةَ الاخوانِ طولَ حياتِه ... وأوْرَثَ مِمّا كان أعْطى وخَوَّلا (٢)

وعمي أبو يعقوب الخريمي بعد أن ما أسن، وكان يقول في ذلك :

فإنْ تَكُ عَيْني خبا نورُها ... فكَمْ قَبْلَها نورُ عَيْنٍ خَبَا
فلَمْ يَعْمَ قَلْبِي ولكِنَّمَا ... أرى نورَ عَيْني إليه سَرَى
فأسْرَجَ فيه إلى ضَوْئِهِ ... سراجاً من العِلْم يَشْفِي العَمَى (٣)

وكان الخريمي متصلا بمحمد بن منصور بن زياد، كاتب البرامكة، وله فيه مدائح جيدة، رثاه بعد موته فقال له أحمد بن يوسف كاتبه : مدائحك لمحمد بن منصور بن زياد، يعني كاتب البرامكة، أشعر من مراثيك فيه وأجود ؟ فقال : كنا يومئذ نعمل على الرجاء، ونحن اليوم نعمل على الوفاء وبينهما بون بعيد . (٤)

وشهد الخريمي الفتنة بين أنصار الأخويين المأمون والأمين سنة ١٩٦ هجرية فهزته الأحداث وأحزنته الفتنة فقال : ينتصر فيها للمأمون :

---

(١) المبرد، الكامل، ٣٢٨ .
(٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٨٥٣ .
(٣) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ٤ / ٥٧ .
(٤) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ١ / ٧٩، ٢ / ٨٥٤ .

يا بُؤْسَ بَغْدَادَ دارَ مَمْلَكَةٍ دارَتْ على أهْلِها دوائِرُها

أمْهَلَها الله ثم عاقَبَها لما أحاطَتْ بها كبائِرُها

رَقَّ بها الدينُ واستخف بذي الـ ـفَضْلِ وعَزَّ الرِّجَالَ فاجِرُها

وصار رَبَّ الجيرانِ فاسِقُهُم وابتز أمْرَ الدُروبِ شاطِرُها

يُحَرِّقُ هذا وذاك يَهْدِمُها ويَشْتَفِي بالنهابِ داعِرُها

والكَرْخُ أسواقُها مُعَطَلَةٌ يَسْتَنُّ شذانُها وعائِرُها

أخْرَجَتِ الحَرْبُ من أسَاقِطِهم آسَادَ غِيلٍ غُلْبَاً قَساوِرُها

من البواري تراسُها ومن الـ ـخُوصِ إذا استلامَتْ مغافِرُهَا

لا الرِّزْقَ تَبْغِي ولا العطاءَ ولا يَحْشُرُها بالعَنَاءِ حاشِرُها (١)

ومن شعره الشعوبي قولـه :ـ

أبا لِصُغْدِ بَأسٌ إذ تُعَسِّرُني جُمْلُ سَفَاهَاً ومن أخْلاقِ جارتي الجَهْلُ

فإنْ تَفْخَري يا جُمْلُ أوتَتَجَمَّلِي فلا فَخْرَ إلا فوقه الدينُ والعَقْلُ

أرَى الناسَ شَرْعَاً في الحياة ولا يُرَى لِقَبرٍ على قَبْرٍ عَلاءُ ولا فَضْلُ

وما ضَرَّني أنْ لم تَلِدْني يُحَابِرُ ولم تَشْتَمِلْ جَرْمٌ عَلَيَّ ولا عُكْلُ (٢)

فهو يكني بجمل عن العرب، ويسخر من إهتمامهم بالأنساب. وله أبيات أخرى تعبق برياح الشعوبية، والحقد على العرب وفيها يقول :ـ

ونادَيْتُ من مَرْوٍ وَبَلخٍ فوارسَاً لهم حَسَبٌ في الأكرمينَ حسيبُ

فيا حَسْرَتا لا دارُ قَوْمي قريبةٌ فَيَكْثُرُ منهم ناصِري ويَطيْبُ

وإنَ أبي ساسانُ كسرى بنُ هُرْمُزٍ وخاقانُ لي لَوْتَعْلَمينَ نَسيبُ

مَلَكْنا رقابَ النّاس في الشِّرْكِ كُلِّهم لنا تابعٌ طوعُ القيادِ جنيبُ

---

(١) الطبري، ١٠ / ١٧٦ فما بعدها وهي قصيدة طويلة تبلغ عدتها ١٣٥ بيتا .

(٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٨٥٧ فما بعدها .

نســـومُكُم خَسْفَـــاً ونَقْضِي عليكمـو بما شاءَ مِنـــا مُخْطــيءٌ ومُـــصيـــبُ
فلما أتـى الاســـلامُ وانـشَـــرَحَتْ له صدورٌ به نحـــو الأنـــام تُنِـيــبُ
تَبِـعْـنـــا رســـولَ الله حَتّـى كأنَّــــما سماءٌ علينـا بالـرِّجـالِ تَصُـوبُ (١)

وأما أبو نواس، فهو الحسن بن هانيء (٢) ولد بالأهواز سنة تسع وثلاثين ومائة (٣) على أرجح الأقوال .

كانت أمه أهـوازيـة يقـال لها جُلبـان ، (٤) وكان أبوه من جند مروان بن محمد مولى لآل الحكم بن الجـراح من بني سعـد العشـيرة ، (٥) قدم أبـوه الأهـواز أيـام مروان بن محمد لرباط الخيل ، فتزوج جلبان فأولدها عدة منهم أبو نواس ، (٦) فهو إذا كما يقول الدكتور شوقي ضيف « فارسي الأم والأب أيضا » . (٧)

مات والـده هانيء عنـدمـا كان أبو نواس صغيرا فنقلته أمه إلى البصرة وهو ابن ست سنـين ، (٨) وأرسلتـه إلى الكتـاب فحفـظ القـرآن ، وقـرأ الشعـر القـديم ، وسرعان ما تفتحت قريحته وهو في سن مبكرة ، روى ابن المعتز أن أبا النجم قال : « بلغني أن أبـا نواس وهـو في الكتـاب ـ وكـان مليحـا صبيحـا ـ مرت به صبية وضية الوجه ، فما زحته ساعة ، ثم رمت إليه بتفاحة معضضة وانصرفت فقال :

(١) الطبري ، ١٠ / ١٧٦ .
(٢) ابن المعتز ، طبقات الشعراء ، ١٩٤ ، والأغاني ، ١٨ / ٢ « طبعة الساسي » ، وابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ٢ / ٧٩٦ .
(٣) ابن المعتـز ، طبقـات الشعـراء ، ١٩٤ ، ابن منظـور ، أخبـار أبي نواس ، ٥ ولقـد رويت في سنـة ولادته عدة روايات فقيل ولد سنة ١٣٦ هجرية وقيل سنة ١٤٠ هجرية قيل سنة ١٤٥ هجرية وقيل سنة ١٤٩ هجرية .
(٤) ابن المعتز ، طبقات الشعراء ، ١٩٤ ، وابن منظور ، أخبار أبي نواس ، ٤ فما بعدها .
(٥) ابن المعتز ، طبقات الشعراء ، ١٩٤ ، وابن دريد ، الاشتقاق ، ٧٦ ، ٤٠٦ .
(٦) ابن المعتز ، طبقات الشعراء ، ١٩٤ ، وابن منظور ، أخبار أبي نواس ، ٤ فما بعدها .
(٧) د . شوقي ضيف ، العصر العباسي الأول ، ٢٢٠ .
(٨) ابن المعتز ، طبقات الشعراء ، ١٩٤ .

شَجَرَ التُّفَاحِ لا خِفْتَ القَحْلْ — لا ولا زلت لغاياتِ المثَلْ

تقبل الطِّيبَ إذا عُلّت به — وبها من غير طيب محتَمَلْ

وعَدتْني قُبْلَةً من سَيِّدِي — فتقاضَتْ سَيدي حين فَعَل

لَيْسَ ذاكَ العَضُّ من عَيْبٍ لها — إنّما ذاك سؤالٌ للقُبَلْ (١)

ومنذ نعومة أظفاره يتردد على المسجد الجامع إلى حيث حلقات العلم وأساطين الأدب ورواة الشعر والسير والتاريخ وجحافل رواد العلم وطالبو المعرفة فلا يترك أحدا من هؤلاء إلا وينصت إليه وينقل عنه ويفيد منه، (٢) وبذلك يصبح « منتفعا في العلم قد ضرب في كل نوع منه بنصيب، ونظر مع ذلك في علم النجوم » . (٣)

فلما ترعرع أبو نواس في البصرة خرج إلى الأهواز، وانقطع إلى والبة بن الحباب الشاعر، وكان والبة يومئذ مقيما بالأهواز عند ابن عمه النجاشي وهو واليها فأدبه وخرجه، (٤) « ولما مات والبة لزم خلفا الأحمر، وكان خلف أشهر أهل وقته وأعلمه، فحمل عنه علما كثيرا وأدبا واساعا، فخرج واحد زمانه في ذلك » . (٥) ويحثه خلف على الذهاب معه إلى الكوفة فيمضي معه . (٦) ويروى ابن المعتز أن الذى رَغَّبَ فيه على والبةَ بن الحُباب حتى أخذه غُلاما فأدَبه وخَرَّجه تِلْك الأبياتُ التي قالها النواسي على البديهة عندما مازحته الصبية ورمت إليه بتفاحة معضعضة، وقيل أيضا : إن الذى بعث أبا نواس على صُحْبة والبة وأرغبه فيه بيتا والبة وهما :ـ

---

(١) المصدر السابق، طبقات الشعراء، ٢٠٨ .

(٢) ابن منظور، أخبار أبي نواس، ٢١، وأبو هفان، أخبار أبي نواس، ١٠٩ .

(٣) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٧٩٨ .

(٤) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ١٩٤ .

(٥) المصدر السابق، ١٩٤ .

(٦) ابن منظور، أخبار أبي نواس، ٧ فما بعدها وبأو هفان، أخبار أبي نواس، ١٠٩

وَلَهـا ولا ذَنَـبٌ لها حُبُّ أطْـرافِ الـرمـاحِ
في الـقَـلْبِ يُجْرَح دائـما فالـقَـلْبُ مجروحُ النَّـواحِـي (١)

فإنه استحسنها ورَغب في الشعر .

وينفـرد ابن منظـور بروايـة أخـرى عن سبب ذهـابه مع والبة إلى الكوفة عندما يربط بين رحيله عن البصرة وبين سيرة أمه حيث كان يتأذى من أخبارها . (٢)

وفي الكـوفـة يلتقي بنفـر من أصـدقـاء السـوء من أمثـال مطيع بن أياس وحماد عجـرد، ويحضـر مجالس الشـراب، ويقع فريسة لنوازع الشر وأهواء الشيطان، ثم يخرج إلى باديـة بني أسـد ومضـارب الأعـراب فيتـزود بمعـين لا ينضب من اللغة الأصيلة وبعـد حول كامـل ييمم شطـر موطنه الأصلي البصرة، (٣) يعود إليها بعد أن خلت حيـاتـه من كل رقيب، فيغـرق في اللهـو والمجـون، ولكنه مع ذلك يأخذ بحـظ وافـر من التفسـير والحـديث والفقـه، روى ابن المعتز أن أبا نواس كان عالما فقيها، عارفا بالأحكام والفتيا، بصيرا بالاختلاف صاحب حظ ونظر ومعرفة بطرق الحديث، يعرف الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه (٤) كما روى أنه بدأ متكلما ثم انتقل إلى نظم الشعر . (٥)

ثم زحف أبـو نواس على مدينـة العجـائب، بغـداد، فلم تبخـل عليـه بلذة تشتهيها نفسه أو يصورها خياله، وكما تفننت المدينة في تقديم مغرياتها تفنن الشاعر بالتغني بلذائـذهـا فأصبـح سادرا لا يفيق ومخمـورا لا يرعوى إلى أن ترامت أخباره

---

(١) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٢٠٨ .
(٢) ابن منظور، أخبار أبي نواس، ٣٢ فما بعدها .
(٣) المصدر السابق، أخبار أبي نواس، ١٢ .
(٤) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ٢٠١ .
(٥) المصدر السابق، طبقات الشعراء، ٢٧٢ .

إلى هارون الرشيد فحبسه، (١) ولم يمض طويل وقت بعد خروجه من سجن الرشيد حتى عاد إلى سيرته الأولى مضيفا إلى ذلك ما استحق من أجله العودة إلى السجن ثانية (٢) ولا سيما تغنيه بأمجاد قحطان ومواليه اليمنيين، فتعصب لهم كثيرا على حين هجا عدنان، على نحو ما نرى في قصيدته التي يقول فيها :

فنحن أربابُ ناعطٍ ولنا ... صنعاءُ والمِسْكُ في محارِبِهَا
ودان أذواؤنا البريةَ مِنْ ... مُعْتَرِّهَا رَغْبَةً وراهِبِهَا
وكان منا الضّحاكُ يَعْبُده الـ ... ـخابِلُ والوحش في مسارِبها
ونحن إذ فارِسٌ تُدافِعُ بَهْـ ... ـرامَ الطَّرْفُ في مواكِبِهَا
حتى جَمْعَنَا إليه مملكةً ... يَجْتَمِعُ الطَّرْفُ في مواكِبَها
فافْخَرْ بِقَحْطانَ غيرَ مُكْتَئِبٍ ... فحاتِمُ الجودِ من مناقِبِها
إذْ لاذَ بَرْويزُ عِنْدَ ذاك بنا ... والحَرْبُ تمرى بِكَفٍّ حالِبِهَا
يَذُبُّ عَنْهُ بنو قُبيصة بالـ ... ـخطِّي والشُّهْبِ من قواضِبِها
ولا ترى فارِسًا كفارِسِها ... إذْ زالَتِ الهامُ عَنْ مناكِبِها
عمروَ وقَيْسٌ والأشْتَرانِ وزيـ ... ـدُ الخَيْلِ ـ أسْدٌ لَدَى ملاعِبِها
واهْجُ نِزارا وأفرِ جِلْدَتها ... وهَتِّكْ السِّتْرَ عَنْ مثالِبِها
وأحْبِبْ قُرَيْشا لِحُبِّ أحْمَدِها ... اشْكُرْ لها الجَزْلَ من مواهِبِهَا
إنَّ قُرَيْشا إذا هي انتسَبَتْ ... كان لنا الشَّطْرُ من مناسِبِها
فأم مَهْدِيِّ هاشمٍ أمُّ مو ... سَى الخَيْرِ مِنّا فافخَرْ وسامٍ بِهَا
بَلْ مِلْ إلى الصيد من أشاعِثِها ... والسادَةِ الغُرِّ مِنْ مَهالِبِهَا
أما تميمٌ فغيرُ راحِضَةٍ ... ما شَلْشَلَ العَبْدُ في شوارِبِها
وقَيْسُ عيلان لا أريدُ لها ... من المخازي سوى محارِبِها
وما لبكر بنِ وائلٍ عَصَمٌ ... إلا بحَمْقائِها وكاذِبِها

---

(١) أبو هفاف، أخبار أبي نواس، ١٠٠ .

(٢) ابن منظور، أخبار أبي نواس، ١٥ .

وتَـغْـلِبُ تَنْـدُبْ الطـلولَ ولَمْ   تثأرْ قليـلاً على ذنـائِـبِـهـا (١)

وفي بغـداد تربطـه بالـبرامكة علائق وثيقة فيغدقون عليه بعد روايات متضاربة عن علاقتـه بشـاعـرهم أبـان بن عبـد الحميد اللاحقي وهجائه الذى عم به سائر شعـرائهم ، ومـا أن تحل بالـبرامكـة نكبتهم المشهورة على يدى الرشيد سنة ١٨٧ هجرية حتى يرثيهم على نحو ما نرى في قوله :ـ

لم يظـلـم الـدهـرُ إذ توالـت   فيـهـم مصـيـبـاتُـه دِراكـا
كانـوا يجيـبـون من يُعـادى   منـه فعـاداهـمُ لذاكـا (٢)

ثم يتقرب من آل الربيع ويمدح زعيمهم الفضل بن الربيع ويشيد به ، وبسداد رأيه في مجلس الرشيد على نحو ما نرى في قوله :ـ

قولا لهارون إمـام الهُـدَّى   عِنْـد احتفـال المجلسِ الحـاشِدِ
نصيحـة الـفـضـل وإشفـاقـه   أخـلى له وجـهـك من حاسـد
بِصَـادِقِ الطـاعـةِ ديّـانُهـا   وواجِـد الـغـائِـب والـشـاهِـدِ
أنْـتَ على ما بِكَ مِنْ قُدْرَةٍ   فَلَسْتَ مِثْلَ الفَضْـلِ بالـواجِدِ (٣)

ومدائح أبي نواس للرشيد كثيرة ولعل أجملها قصيدته التي يقول فيها :ـ

تبـارَكَ مَنْ ساسَ الأمـور بِعِلْمِـه   وفَـضَّـلَ هارونـاً على الخُـلَفَـاءِ
نعيشُ بِخَـيْرٍ ما انطـوينا على التُقى   ومـا ساسَ دُنْـيـانـا أبـو الأمنـاءِ
إمـامٌ يخافُ الله حَتّـى كأنَّـه   يُؤمِّـلُ رؤيـاه صبـاحَ مسـاءِ
أشَـمُّ طوالُ الـسـاعِـدَيْن كأنَّمَا   يُنـاطُ نجـادَا سَيْـفِـهِ بِلِواءِ (٤)

---

(١) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ١٩٥ ـ ١٩٧
(٢) أبو هفان، أخبار أبي نواس، ١٢١ .
(٣) ديوانه، ٤٥٤ .
(٤) المصدر السابق، ٤٠٢ فما بعدها .

ثم يقصد الخصيب بن عبد الحميد في فسطاط مصر فيتدفق بالمديح ويتدفق الخصيب بالعطاء، يقول أبو نواس :

أنْتَ الخصيبُ وهذه مِصْرُ فتدَفَّقا فكلاكما بَحْرُ
ويَحِقُ لي إذْ صِرْتُ بَيْنَكُما ألا يَحُلَّ بساحَتِي فَقْرُ
النيلُ يُنْعِشُ ماؤه مِصْراً ونَداكَ يُنعِشُ أهْلَه الغَمْرُ (١)

ويستبد به الحنين إلى بغداد وحياتها اللاهية فيعود إليها ولا يلبث الرشيد أن ينتقل إلى جوار ربه فيخلفه الأمين فيمدحه النواسي بعدة قصائد تربو على ثلاثين قصيدة يحتويها ديوانه .

ويتمادى النواسي في عهد الأمين في مجونه ولهوه، مما يضطر معه الخليفة إلى زجه في غياهب السجن، ولكنه يتوسل إلى الفضل بن الربيع وزير الأمين فيتلطف له عند الخليفة إلى أن يطلق سراحه . (٢) وتذهب الروايات إلى أن أبا نواس قد اتهم بالزندقة وعد من كبار الثنويه حتى لقد شهد عليه بذلك أمام الأمين فحبسه في سجن الزنادقة .

ومن يقلب ديوانه يجد فيه عدة إشارات واضحة إلى مبادىء المانوية والمزدكية، كما يراه يثير الشكوك في العقيدة الاسلامية، ويهاجم الدين ويدعو إلى الاباحية المطلقة، ويتغزل بالمذكر، ويقرن ذلك كله يتعصب شديد للفرس، فيشيد بهم وبأمجادهم، على حين يحط من شأن العرب وعاداتهم وتقاليدهم، ويسفه أحلامهم ويسخر من أدبهم وأساليبهم على نحو ما نرى في قوله :-

---

(١) ديوانه، ٤٧٩ .

(٢) الحصرى، زهر الآداب، ٢ / ١١١ فما بعدها .

تُعَلَّلُ بالمُنى إذْ أنْتَ حَيٌّ ... وبَعْدَ المَوْتِ مِنْ لَبَنٍ وخَمْرِ
حياةٌ ثم مَوْتٌ ثم بَعْثٌ ... حديثُ خُرافَةٍ يا أمَّ عَمْرِو (١)

وقوله في محمد الأمين :

تنازَعَ الأحْمَدانِ الشَّبهُ فاشتَبَها ... خَلْقَاً وخُلْقَاً كما قُدَّ الشَّراكانِ
مِثْلانِ لا فَرْقَ في المَعْقُول بَيْنَهما ... مَعْنَاهُما واحِدٌ والعِدَّةُ اثنانِ (٢)

وقوله لغلام :

يا أحْمَدُ المُرْتَجَى في كُلِّ نائِبَةٍ ... قُمْ سَيِّدِي نَعْصِ جَبَّارَ السَّمواتِ (٣)

وسجل عليه الرشيد استخفافا بعصى موسى نبي الله اذ يقول :ـ

فإنْ يَكُ باقِي سِحْرِ فرعونَ فيكم ... فإنَّ عَصَى موسى بَكَفِّ خَصيبِ (٤)

وقوله :

دَعِ الأطْلَالَ تسفيها الجَنوبُ ... وتُبْلي عَهْدَ جدَّتِها الخُطُوبُ
ولا تأخُذْ عَنِ الأعرابِ لَهْواً ... ولا عَيْشَا فعَيْشُهُم جَديبُ
فأيْنَ البدوُ من إيوان كِسْرَى ... وأيْنَ من الميادِينِ الزروبُ (٥)

---

(١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٢ / ٨٠٧ .
(٢) المصدر السابق، الشعر والشعراء، ٢ / ٨٠٧ .
(٣) المصدر السابق، الشعر والشعراء، ٢ / ٨٠٧ .
(٤) المصدر السابق، الشعر والشعراء، ٢ / ٨٠٨ .
(٥) ديوانه، ١١ / فما بعدها .

وقولـــه :

عاجَ الـشَـقيُّ على رَسْم يسـائِلُهـا | وعُـجْـتُ أسْألُ عن خَمَّارَةِ الـبَـلَدِ
لا يُرْقـيءُ الله عَيْني من بَكَى حَجَـراً | ولا شَفَى وَجْـدَ مَنْ يَصْبـو إلى وَتِـدِ
ومـن تميـمٌ ؟ ومن قَيْسٌ وإخـوتُهم ؟ | ليس الأعاريبُ عَنْدَ الله من أحَدِ (١)

وقولـــه :

مسارِحُهـا الغَـرْبِيُّ من نَهْر صَرْصَـر | فقطـربلٌ فالـصـالِحِيَّـةُ فالـعَقْـرُ
تراثُ أنـو شروان كسـرى ولم تَكُـنْ | مواريـثُ ما أبْقَتْ تميمٌ ولا بَكْـرُ (٢)

وقولـــه :

غَاد المُـدَامَ وإنْ كانـت مُحَرَّمَـةً | فللكـبـائِـرِ عِنْـدَ الله غُفْـرانُ
بِبَـلْدَة لم تَصِـلْ كلبٌ بها طُنُـبَـاً | إلـى خبـاءٍ ولا عَبْسٌ وذُبْـيَـانُ
لَيْسَتْ لِذُهْـلٍ ولا شَيْبَـانِهـا وطَنَـاً | لَكِـنَّهـا لبـني الأحْـرارِ أوْطـانُ
أرْضٌ تَبَـنَّى بها كِسْـرى دسـاكِـرَه | فما بها مِنْ بَني الـرَّعْـنـاءِ إنسـانُ
ومـا بها من هشيم العُـرْبِ عَرْفَجَـةٌ | ولا بها من غداءِ الـعُـرْبِ خطبـانُ
لكـنْ بها جُلَّنـار قد تَفَـرَّعَـه | آسٌ، وكَـلَّله وَرْدٌ وسَـوْسَـانُ (٣)

وهكذا سخر أبو نواس من حياة العرب القاسية الجديبة الخشنة على حين افتتن بحياة الفرس الناعمة المونقة السعيدة، وشكك في العقيدة الاسلامية وهاجم الدين ودعا إلى إباحية مطلقة، وندد بشعراء العرب، وسخر من عواطفهم وازدرى أخيلتهم .

---

(١) ديوانه، ٤٦ .
(٢) المصدر السابق، ١٠٢ .
(٣) المصدر السابق، ١٢٦ فما بعدها .

ومن يدقق في أشعـاره ويقلب ديـوانـه لا يسعه إلا أن يصنفه ليس مع الشعوبية وحسب ولكن مع غلاتهم، ذلـــك بأن الشعـوبيـة عنـد غير أبي نواس عبـارة عن إشـارات ورمـوز ولكنهـا عنـد أبي نواس تخلع ثوب الأفعى وتتـزيـا بأزيـاء الفرس الساسانيين، وتتبلور في زندقة مقيتة .

الخاتمـــــة

بين الأمويـــة والعباسيـــة

بعد أن درسنا شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجرى دراسة تاريخية ثم موضـوعيـة ، وبعـد أن درسنا أهمَ الشعراء الذين كان لهم دور بارز في هذا الشعر، نجـد أن من حق هذه الـدراسـة علينا أن نعقد مقارنة بين حياة الشعر السياسي في الحقبـة الأمـويـة وحياته في الحقبة العباسية من القرن الثاني الهجرى، ومنذ البداية نقول أن الشعر السياسي كان في العصر الأموى من أبرز الفنون الأدبية حيث كانت الأحـزاب السيـاسيـة في هذا العصر تتبنى نظريات محددة وتتنافس فيما بينها لتثبيت تلك النظريات السياسية التي آمنت بها تلك الأحزاب المتصارعة، وكان طبيعيا أن يؤثر ذلك الصراع بين الأحزاب في حركة الشعر وأن يعود عليه بمزيد من الازدهار، على أن هذا الازدهار الذى شهده الشعر السياسي لا يمكن أن ينظر إليه بعيدا عن الكيـان العـام للأمـة، ومن المعلوم أن الـدولـة الأمـويـة وضعت سيـاسـة إقليمية واضحة، وأقرت نظاما عاما لكل إقليم من أقاليم الدولة العربية، وقد أشعل هذا النظـام وتلك السيـاسة نيران العصبية، وفي ظلال هذه العصبية برزت إرهاصات الشعـر السيـاسي وعـبرت عن الصـراع بين بني أميـة وبين بني عبد المطلب . وفي أعقاب موقعة صفين أزهرت أكمام الشعر السياسي فعبر عن آراء ومعتقدات أربعة أحزاب سياسية هي :

حزب الأمـويـين الحـاكم ثم حَزب الـزبـير يـين ثم حزب الشيعة وأخيرا حزب الخوارج، حيث استقطب كل حزب من هذه الأحزاب الأربعة عددا من الشعراء، فمضى هؤلاء الشعراء يؤدون الدور المعقود عليهم، ويعبرون عن تطور النظريات الحـزبيـة وهكـذا واكب الشعـر حركـة الصـراع السيـاسي وظل هذا الشعر شديد الالتصاق بالعصبية واستمد منها قوته فازدهر، إلا أن ما حققه الشعر السياسي من

ازدهـار يجب ألا يحول بيننـا وبـين النظر إلى هذا الشعر وقائليه نظرة فاحصة بحيث نتبـين التفـاوت الواضح بين أحاسيس ومشاعر أصحابه، لأن منهم من كان صادقا فيـما كان يصـــدره من قول ومنهم من كان كاذبـــا، فعلى حين كان معظم شعـراء الشيعـة والخـوارج صادقـين في عقائدهم وأحاسيسهم كانت هناك فئة من الشعراء تشـايـع بني أميـة تقليدا واستنشادا ورغبة في العطايا وتحاميا للأذى، ومع ذلك فإن هذا الشعر كان ثريا في ألفاظه ومعانيه، وثريا بمصطلحاته المذهبية .

ويكـاد يكـون من الأمور المتفق عليها في دوائر الباحثين المحدثين أن هذا الشعر قد انتـــابــه الضعف في العصـر العبـاسي على نحـو ما نرى في قول الـدكتـور طه حسين :ـ إن الشعر السياسي الذى أزهر أيام بني أمية قد أمحى ولم يخلفه في الشعر فن جديد، لأن الشعراء أكرهوا على أن يتركوا السياسة لأهل السياسة . (١) وقول الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى « أن الشعر السياسي قد ضعف ضعفا بينا في العصـر العبـاسي عموما حتى لم يعد له في الحياة الأدبية تلك المكانة الأولى » . (٢) وقـال الـدكتـور شوقي ضيف : « إذا تحولنـا إلى العصـر العباسي وجدنا هذا الشعـر يأخـذ في الضعف » . (٣) وأيـد الـدكتـور هدارة ذلك بقوله : « إن الشعر السيـاسي لم يكن من الاتجـاهـات القـويـة في شعر القرن الثاني مثلما كان في القرن الأول أو في عصر الدولة الأموية بالذات » . (٤)

وعلى الرغم مما قرره هؤلاء جميعا فإن ما أوردناه من نماذج هذا الشعر في الحقبة العبـاسيـة من القـرن الثـاني يقف دليـلا على أن هذا الشعر لم يمح وعلى أنه اتخذ اتجـاهـات جديـدة غير تلك الاتجاهات التي عرف بها في العصر الأموى، هذا من ناحيـة ومن ناحيـة أخـرى فإن معظم القـائلين بضعف الشعـر السياسي في العصر

(١) د . طه حسين، حديث الأربعاء، ٢ / ٢١ .
(٢) د . أحمد عبد الستار الجوارى، حياة الشعر في بغداد، ١١٤ .
(٣) د . شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ٢٩١ .
(٤) د. محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجرى، ٤١٧ .

العباسي إنما يقررون ذلك في ضوء ما وصل إليه الشعر في فنونه الأخرى من تقدم واضح وتطور ملموس نتيجة للتطورات الاجتماعية والعقلية، والحضارية وما أتت به هذه الحياة من الأنماط الجديدة، كما أنهم يعتمدون في تقرير تلك الأحكام على كثرة الأحزاب في العصر الأموى عنها في العصر العباسي، وأنه كان هناك الخوارج والشيعة والزبيريون والموالي وكان هنا الطالبيون فقط . (١) وردا على هذا نقول : إن العصر العباسي الذى شهد ضعف الحزب الخارجي والذى لم يشهد أي نشاط للزبيريين شهد ميلاد حزبين سياسيين قويين، هما الحزب العباسي الحاكم وحزب الموالي الشعوبي، هذا بالاضافة إلى أن حزب الزبيريين لم يكن قادرا على بمنافسة الأحزاب الأخرى في استمالة الشعراء إلى صفوفه واتخاذهم أبواقا لدعايته بسبب ما عرف به ابن الزبير من أنه لم يكن يبسط يده بالعطاء لهم على خلاف بني أمية ومن هنا فإن الحزب الزبيرى لم يحظ إلا بشاعر واحد هو عبدالله بن قيس الرقيات، وأن هذا الصوت الشعرى الفريد لم يعتمد في شعره على الأساليب المتعارف عليها في معاني وأساليب الشعر السياسي من احتجاج ومناظرة وتصوير، ولكنه اعتمد على معانى المدح والرثاء والفخر وأنه كان خلال هذه الفنون تقليديا إلى أبعد الحدود كما كان أشبه بالناثر منه بالشاعر .

كما أن الشعر السياسي الذى نفثه ألسنة الخوارج في العصر الأموى كان عبارة عن قصائد قصيرة أومقطوعات شعرية محدودة، وأنه باستثناء الطرماح بن حكيم لا نكاد نجد لأى من شعراء هذا الحزب ديوانا شعريا خاصا، على خلاف ما كان من شعراء الشيعة وشعراء الحزب العباسي وحزب الموالي، ويضاف إلى ذلك أن « شعراء الخوارج على الرغم من تفرغهم لفنهم الشعرى وعدم التكسب بالشعر إلا أنهم لم يكونوا من الفحول ولا المكثرين وأن شعرهم لم يتصل بالعقيدة السياسية من حيث هي وأن شعورهم الديني لم يكن شعور المفكرين من المتفلسفين وإنما كان

(١) أحمد الشايب، العامل السياسي في أدب العصر العباسي، ٣١ .

شعور أعراب سذج لم يدرسوا ولم يبحثوا أو يعللوا ويحللوا ولهذا نجد في شعرهم جدالا أو دفاعا بالحجج والبراهين وإنما نجد نفحا دينيا قويا في إيمانه » . (١) ومن هنا فإن القرن الثاني الهجرى وإن لم يشهد للخوارج نشاطا كبيرا في أعقاب هزيمتهم النكراء على يد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وإن امتدت ثوراتهم في عهود السفاح والمنصور والمهدى والرشيد إلا أن أثر هذه الثورات لم يظهر في الشعر وبالتالي فإن شعرهم لم يتطور .

وهكذا فإن القرن الثاني وإن اختفى منه الحزبان ، الزبيري والخارجي إلا أنه شهد ميلاد حزبين جديدين هما : الحزب العباسي الذى لم يكن له وجود من قبل لأن جهود العباسيين في العهد الأموى كانت متحدة في حركة سياسية واحدة مع العلويين وهي الحركة الهاشمية ، وأما في هذا العصر فقد تجسدت في حزب سياسي يرئسه الخليفة نفسه ، وأن هذا الحزب ظل موجودا حتى خلافة المعتصم ، كما أن هذا الحزب الجديد استطاع أن يستقطب من الشعراء ما لم يستقطبه حزب سياسي في عصر من العصور الاسلامية فتهادت إليه مواكب الشعراء من كل حدب وصوب من مختلف الاتجاهات السياسية التي كانت معروفة من قبل .

كما شهد القرن الثاني الهجرى ميلاد حزب سياسي ثان هو حزب الموالي الشعوبي الذى اعتمد على ما يبدو على توجيهات العناصر الفارسية من وزراء وكبار رجال الدولة على حين اكتفى هذا الحزب في العصر الأموى بمظاهر الاحتجاج ومقاومة الظلم والتستر وراء الثورات التي أشعلتها الأحزاب الأخرى ، وأما في هذا القرن فقد تطورت أفكاره وأصبحت فخرا واضحا بالأعجمية وازدراء وسخرية بالعرب ، ونتيجة لذلك شهد القرن الثاني الهجرى ميلاد حركة عربية مناهضة للشعوبية تزعمها أمراء الجيوش من رجالات العرب على نحو ما كان من معن بن زائدة ويزيد بن مزيد الشيبانيين وأبي دلف وحميد الطوسي وغيرهم ، كما

---

(١) د. سهير القلماوى ، أدب الخوارج في العصر الأموى ، ٤١ .

شهـد إطـلالـة العصبية القبلية من جديد، وقد ساهم دعبل الخزاعي في إثارة هذه العصبيــة عنــدمـا رد بنقيضـة على « مذهبـه الكميت » ولكن هاتـين الحـركتـين السيـاسيتـين لم تحدثـا ردود فعل واسعة وإنما أشرنا إليهما كي يتضح أن القرن الثاني الهجرى كان كغيره من العصور قد شهد نشاطا سياسيا واسعا، وأن حياة المسلمين طوال هذا القـرن كانت مضطـربـة مختلطـة يكثـر فيها الفساد والاضطراب العقلي والسياسي، وأنها لم تنعم بالاستقرار إلا بعد عهد المأمون، (١) وكانت نتيجة ذلك كله أن تأثـرت حركـة الشعـر السيـاسي فأخـذت نفسـا جديـدا ووجـدت بعض الأحزاب السياسية القديمة مجالا أرحب مما وجدته في العصر الأموى وظلت تمارس نشـاطهـا السيـاسي كما ظل شعـراؤ هـا يعبر ون عن نظرياتهم ويتفاعلون مع تلك الأحداث على نحو ما كان من الحزب العلوى الذى ظل يمارس نشاطه السياسي وينـاضـل عن نظـريته في الخلافة طوال العصر العباسي وأن آثار ذلك قد تجلت في تلك النماذج الشعرية الشيعية الكثيرة التي تزخر بها كتب الأدب عامة وكتب الشيعة خاصة، وفي تلك الأسماء الكثيرة للشعراء الذين تشيعوا لآل البيت وآمنوا بحقهم في الخـلافـة وآزروهم بأشعـارهم ودافعوا عن حقوقهم وتوجعوا لما أصابهم من ظلم وما لحق بهم من حيف، وتقربوا إلى أئمتهم بالمديح وهاجموا خصومهم السياسيين ومنْ ينظـر في تائيـة دعبـل الخـزاعي يجدهـا نمـوذجـا صادقـا لهذا الشعر السياسي العلوى الذى حفل بالمشاعر الملتهبة والأحاسيس الصادقة تجاه ما أصاب آل رسول الله في مختلف ديـارهـم ومـا انتاب حياتهم السياسية من نكسات وكوارث . وتذكرنا هذه التـــائيـــة بما كان من تجاوب آل البيت مع هذا الشعـر العلوى، روى صاحب الأغاني أن الامام أبي الحسن علي بن موسى الرضا بكى حتى الاغماء ثلاث مرات أثنـاء استـماعـه لبعض أبيـاتهـا . (٢) وتـدفعنـا هذه التـائية إلى القول بأن دعبلا الخـزاعي استطـاع أن ينهض بالجـانب التصـويـرى في شعـر السيـاسة العلوي كما استطـاع السيـد الحمـير ى أن ينهض بالجانب القصصي والشعبي لهذا الشعر تماما

(١) د . طه حسين ، من حديث الشعر والنثر، ٨٥ .

(٢) الأغاني، ١٨ / ٤٢ « طبعة ساسى » ومعجم الأدباء، ٤ / ١٩٤ .

كما نهض الكميت بالجانب الجدلي والعقلي لشعر الشيعة في العصر الأموى ومعنى ذلك أن الشعر السياسي العلوى في القرن الثاني الهجرى قد شهد ميلاد نماذج من هذا الشعر كانت من أحسن أنواع الشعر وفاخر المدائح المقولة في أهل البيت . (١) وليس أدل على ذلك من دهشة الخليفة العباسي المأمون وإعجابه بدعبل قائل هذه القصيدة التائية وبراعته فيها فقد ظلت نفس المأمون تتوق إلى سماعها من دعبل نفسه وظلت القصيدة تتردد في صدره حتى قدم عليه دعبل فقال له :
« أنشدني قصيدتك التائية ولا بأس عليك ولك الأمان من كل شيء فيها : فإني أعرفها وقد رويتها إلا أني أحب أن أسمعها من فيك فأنشده والمأمون يبكي حتى أخضل لحيته بدمعه » . (٢) يضاف إلى ذلك كله أن الحزب الشيعي ظل قائما يمارس نشاطه السياسي حتى أيامنا هذه في كل من إيران والخليج العربي والعراق واليمن ولبنان وشمال فلسطين وسوريا وما زالت قيثارات شعرائه تعزف ألحانها الحزينة الخافتة كلما مرت بهم ذكر استشهاد الحسين وغيرها من المناسبات التي تحرص الشيعة على إحيائها .

ومجمل القول : أن الشعر السياسي في هذا القرن لم يمح ولم يضعف وأن سلك اتجاهات جديدة وصيغ في معاني المديح للخلفاء باعتبارهم رأس السلطة السياسية وزعماء الحزب السياسي الحاكم وفي معاني الرثاء والتوجع بسبب ما مني به العلويون من نكسات وما شهدته هذه الحقبة من هوان أمر بني أمية وزوال حكمهم بعد أن عصفت بهم رياح التمزق والصراع الداخلي ، كما صيغ الشعر السياسي في معاني هجاء الخصوم السياسيين وشاعت في هذا الشعر المعاني الاسلامية وراح الشعراء يقتبسون من لغة القرآن الكريم وألفاظه وأساليبه ، فعبروا عن آرئهم السياسية بشعر تخللته المصطلحات المذهبية وألفاظ المتكلمين والفلاسفة ، وشاعت فيه ألفاظ

(١) المصدر السابق ، ١٨ / ٢٩ ، ومعجم الأدباء ، ٤ / ١٩٤ .
(٢) تاريخ ابن عساكر ، ٥ / ٢٣٤ .

جديـدة مولـدة ودخلتـه بعض الألفـاظ غير العربية وأتيح لهؤلاء الشعراء حظ أوفر للتعبير عن تطور الحياة في مختلف النواحي الاجتماعية والعقلية والحضارية والسياسية .

وبهـذا تكـون هذه الـدراسـة قد توصلت إلى بعض النتائج الجديدة فأوضحت بعض المـواقف الغـامضـة من حياة المسلمين المضطربة طوال القرن الثاني الهجرى وأعـادت النظـر في الـرأى القائل بضعف الشعر السياسي في القرن الثاني وناقشت بعض الأحكام التي أصدرها الدارسون عن عدد من شعراء السياسة في هذه الحقبة من أمثـال كثـير عزة والكميت بن زيـد من شعراء الشيعة في العهد الأموى والسيد الحميرى ودعبل الخزاعي من شعرائهم في العهد العباسي وأبي دلامة الأسدى من شعراء الدعوة العباسية كما لفتنا الأنظار إلى خطورة التقليل من شأن الشعوبية عند أبي نواس .

وبعـد فأرجـو أن لا أكـون مبـالغـا في هذه النتـائـج التي تمخضت عنها الدراسة وحسبي أنني اجتهدت في إصدار هذه الأحكام وبالله التوفيـــق .

المصـــادر والمراجـــع

نورد في هذا الثبت بالمصـادر والمـراجـع أهم المـؤلفـات التي اعتمـدت عليهـا الدراسة وقد رتبت أسماء مؤلفيها بحسب أحرف الهجاء .

أولا : المصادر الأساسيـــة :

١ـ الآمدى : المؤتلف والمختلف (مطبعة القدسي بالقاهرة سنة ١٣٠٣هـ .) .

٢ـ الأخطل : ديوان الأخطل ـ بتحقيق الأب أنطون صالحاني اليسوعي (بيروت سنة ١٩٢٥)

٣ـ ابن الأثير : الكامل في التاريخ (طبعة القاهرة سنة ١٣٠٣ هـ) .

٤ـ ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة (طبعة جميعة المعارف ـ لندن سنة ١٢٨٦ هـ) .

٥ـ الأشعري : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين (مكتبة النهضة بمصر سنة ١٩٥٠ بتحقيق محي الدين عبد الحميد) .

٦ـ الأصفهاني (أبو الفرج) : الأغاني (طبعات دار الكتب وساسي وبولاق) وقد أشرنا إلى ذلك في هوامش الدراســة .

٧- الأصفهاني (أبو الفرج) : مقاتل الطالبيين (دار إحياء علوم الدين - بيروت سنة ١٩٦١ بتحقيق ابراهيم الزين) .

٨- الأصفهاني (أبو القاسم) : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء (المطبعة الشرقية سنة ١٣٢٦ هـ .

٩- بشار بن برد : ديوان بشار بن برد (بتحقيق محمد الطاهر بن عاشور طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر-القاهرة سنة ١٩٥٠، ١٩٥٤، ١٩٥٧) .

١٠- البغدادي (الخطيب) : تاريخ بغداد (مطبعة السعادة القاهرة سنة ١٩٣١م) .

١١- البغدادي (عبد القاهر) : الفرق بين الفرق (القاهرة سنة ١٢٢٨ هـ، ١٩١٠م) .

١٢- البغدادي (عبد القاهر) : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٧ هـ) .

١٣- البكـــــرى : التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه (مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦) .

١٤- البـــــلاذرى : أنساب الأشراف، (الخزانة الملكية بالرباط والجزء الرابع طبعة ٥ القدس سنة ١٩٣٦ م) .

١٥- البـــــلاذرى : فتوح البلدان (ليدن سنة ١٨٦٦ م)

١٦- البلخـــــي : البدء والتاريخ بتحقيق مظهر بن طاهر (بغداد - مكتبة المثنى سنة ١٨٩٩م) .

١٧- ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٩) .

١٨- الجاحـــظ : البيان والتبيين (مطبعة الفتوح الأدبية - القاهرة ١٣٣٢ هـ) .

١٩- الجاحـــظ : الحيوان (مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة سنة ١٩٣٨ م) .

٢٠- الجاحـــظ : القول في البغال (مطبعة الحلبي سنة ١٩٦٥ م) .

٢١- جــريــــر : ديوان جرير (مطبعة دار صادر بيروت) .

٢٢- الجهشيــــارى : الوزراء والكتاب (القاهرة سنة ١٩٣٨م) .

٢٣- ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة (بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم سنة ١٩٦٣ م) .

٢٤- ابن حــــزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل (مطبعة التمدن بمصر ٧ سنة ١٣١٧هـ .

٢٥- ابن خلـــدون : المقدمة (مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر) .

٢٦- ابن خلكـــان : وفيات الأعيان (مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٤٩م) .

٢٧- دعبل بن على الخزاعي : ديوان دعبل بن على الخزاعي - بتحقيق د . عبد الكريم الأشتر (طبعة المجمع اللغوى بدمشق سنة ١٩٦٣) .

٢٨- أبو دلامة الأسدى : القلامة من شعر أبي دلامة - بتحقيق محمد بن شنب (طبعة الجزائر سنة ١٩٢٢م) .

٢٩- الدينـــــورى : الأخبار الطوال (نشرة فلاديمير جرجاس سنة ١٨٨٨م في لندن) .

٣٠ ابـن رشيـــق : العمدة في صناعة الشعر ونقده (نشر مكتبة الخانجي سنة ١٩٠٧م) .

٣١- الزمخشـــرى : أساس البلاغة (دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٢، ١٩٢٣م) .

٣٢- ابـــن سعـــد : كتاب الطبقات الكبير (ليدن سنة ١٣٢٣ هـ) .

٣٣- ابـــن ســـلام : طبقات الشعراء الجاهليين والاسلاميين (طبعة ليدن سنة ١٩١٣م)

٣٤- السيـوطـــي : تاريخ الخفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة (المطبعة المنيرية سنة ١٣٥١هـ) .

٣٥- ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات (مطبعة السعادة بمصر، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) .

٣٦- الشريف الرضي : نهج البلاغة - المنسوب للامام علي

ابن أبي طالب وعليه ايضاحات من شرح ابن أبي الحديد (طبعة بيروت).

٣٧- الشعراني : لواقح الأنوار (المطبعة الميمنية - القاهرة سنة ١٣٠٨ هـ).

٣٨- الشهرستاني : الملل والنحل (مكتبة الحسين التجارية - الطبعة الأولى سنة ١٩٤٨ م).

٣٩- الصفدي : نكت الهميان في نكت العميان المطبعة الجمالية بمصر سنة ١٩١١م)

٤٠- الصولي : أخبار الشعراء - قسم من كتاب الأوراق (مطبعة الصاوى سنة ١٩٣٤م).

٤١- الصولي : أشعار أولاد الخلفاء - قسم آخر من كتاب الأوراق (مطبعة الصاوي سنة ١٩٣٦م).

٤٢- الطبري : تاريخ الأمم والمولك (دار القاموس الحديث بيروت).

٤٣- الطرماح بن حكيم : ديوانه - (تحقيق عزة حسن دمشق سنة ١٩٦٨م).

٤٤- العباسي : معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (القاهرة سنة ١٢٧٤هـ).

٤٥- ابن عبد ربه : العقد الفريد (القاهرة سنة ١٩٤٥م)

٤٦- أبو العتاهية : ديوان أبي العتاهية - نشرة لويس شيخو (المطبعة الكاثوليكية - بيروت سنة ١٩١٤ م).

٤٧ـ ابن عذارى : أبو عبدالله المراكشي ، البيان المغرب في أخبار المغرب ، في جزأين (ليدن سنة ١٩٤٨ م) .

٤٨ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق (مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٤٩٢) (تاريخ)

٤٩ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (مطبعة الصدق الخيرية القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ) .

٥٠ـ العيني : شرح الشواهد الكبرى على هامش خزانة الأدب (طبعة بولاق بمصر سنة ١٢٩٩هـ) .

٥١ـ الفرزدق : ديوان الفرزدق (طبعة دار صادر بيروت) .

٥٢ـ ابن قتيبة : الشعر والشعراء ـ بتحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر (دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٦م .) .

٥٣ـ قدامة بن جعفر : نقد الشعر (نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٩٤٨م .) .

٥٤ـ القيرواني : زهر الآداب وثمر الألباب (المكتبة التجارية بمصر سنة ١٩٢٩ م .) .

٥٥ـ كثير عزة : ديوان كثير عزة ـ جمعه وشرحه د. إحسان عباس (دار الثقافة بيروت سنة ١٩٧١م .) .

٥٦- كثير عزة : ديوان كثير عزة (نشره هنرى بيرس - باريس سنة ١٩٢٨م.) .

٥٧- الكشي : أخبار الرجال (مطبعة الآداب - النجف سنة ١٩٦٣م) .

٥٨- الكميت بن زيد : شرح الهاشميات وهي ديوان الكميت بن زيد الأسدى - لمحمد محمود الرافعي الطبعة الثانية (مطبعة التمدن الصناعية سنة ١٩١٢م.) .

٥٩- الكندي : الولاة والقضاة (ليدن سنة ١٩٠٨م) .

٦٠- ابن المبارك : منتهى الطلب من أشعار العرب (مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣ أدب ش.) .

٦١- المبرد : الكامل في اللغة والأدب ، نشرة وليم رايت (طبعة ليبزج سنة ١٨٦٤م.) .

٦٢- المرتضى : أمالي السيد المرتضى (مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٠٧م.) .

٦٣- المرزباني : أخبار السيد الحميرى بتحقيق الشيخ محمد هادى الأميني (النجف سنة ١٩٦٥

٦٤- المرزباني : أخبار شعراء الشيعة بتحقيق محمد هادى الأميني (النجف سنة ١٩٦٨م.) .

٦٥- المرزباني : معجم الشعراء (مطبعة القدسي بمصر سنة ١٣٥٤ هـ) .

٦٦- مروان بن أبي حفصة : شعر مروان بن أبي حفصة جمعه وحققه د. حسين عطوان (طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٥م.) .

٦٧ـ المسعـــــودي : التنبيه والاشراف (ليدن ـ مطبعة بريل سنة ١٨٩٣م .) .

٦٨ـ المسعـــــودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر (القاهرة سنة ١٩٣٨م) .

٦٩ـ مسلم بن الوليد : صريع الغواني ، ديوانه ، (طبعة ليدن سنة ١٩٠٦م) .

٧٠ـ ابن المعتـــز : طبقات الشعراء بتحقيق عبد الستار أحمد فراج (دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٦م .) .

٧١ـ المقدســـــي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (طبعة دى غويه ليدن سنة ١٩٠٦م .) .

٧٢ـ المقريـــــزي : النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم (القاهرة سنة ١٩٣٧

٧٣ـ ابن منظـــور : لسان العرب (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٠٨هـ .) .

٧٤ـ ابن منظـــور : مختار الأغاني في الأخبار والتهاني (الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٥م .

٧٥ـ المهزمـــــي : أخبار أبي نواس (مكتبة مصر سنة ١٩٥٣م .) .

٧٦ـ ابن النديــــم : الفهرست (نشرة فلوجل طبعة ليبزج سنة ١٩٧٢ م) .

٧٧ـ أبو نـــــواس : ديوان أبي نواس بتحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي (طبعة مصر سنة ١٩٥٣م .) .

٧٨- النوبختي : فرق الشيعة (استانبول مطبعة الدول سنة ١٩٣١م .) .

٧٩- ياقوت الحموى : معجم الأدباء (مطبعة المأمون بمصر

٨٠- ياقوت الحموى : معجم البلدان (مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٦م .) .

٨١- اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي (طبعة دار صادر بيروت سنة ١٩٦٠م .) .

٨٢- نبذة من كتاب التاريخ للمؤلف المجهول : مخطوطة بالمجمع العلمي العراقي - بغداد) .

ثانيا : المراجع الحديثة :

١- أحمد أمين : فجر الاسلام (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة سنة ١٩٤٥ م) .

٢- أحمد أمين : ضحى الاسلام (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٥ م) .

٣- أحمد الربيعي : كثير عزة .... حياته وشعره . (دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٧م .) .

٤- أحمد الشايب : بحث في العصور السياسية والأدبية للدولة العباسية (القاهرة سنة ١٩٥٠م .) .

٥- أحمد الشايب : تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني الهجرى (مكتبة النهضة المصرية الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٦م) .

٦- أحمد الشايب : العامل السياسي في أدب العصر العباسي الأول مطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٩٥٠ م .).

٧- د. أحمد عبد الستار الجوارى : الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجرى (نشرته وزارة المعارف العراقية ببغداد سنة ١٩٦٥)

٨- بندلي جوزي : من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام (مطبعة بيت المقدس سنة ١٩٢٨م .).

٩- د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي (مصر سنة ١٩٤٨م .).

١٠- رشدي علي حسن : أبو دلامة الأسدى - حياته وشعره (رسالة ماجستير بجامعة القاهرة سنة ١٩٧٤ م .).

١١- د. سهير القلماوي : أدب الخوارج في العصر الأموي (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة سنة ١٩٤٥ م .).

١٢- السيد محسن الأمين العاملي : أعيان الشيعة (مطبعة الانصاف بيروت سنة ١٩٥٠م .).

١٣- د. شوقي ضيف : التطور والتجديد في الشعر الأموي (دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٣م - الطبعة الخامسة).

١٤- د. شوقي ضيف : العصر العباسي الأول (دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٩ م الطبعة الثانية).

١٥- د. طه حسين : تجديد ذكرى أبي العلاء المعرى

(مطبعة المعارف بمصر سنة ١٩٣٧م) .
١٦ـ د. طــه حسيـــن : حديث الأربعاء (دار المعارف بمصر سنة ١٩٥١م) .
١٧ـ د. طــه حسيـــن : من حديث الشعر والنثر (دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥ م.) .
١٨ـ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي : الغدير في الكتاب والسنة والأدب (مطبعة الحيدري ـ طهران سنة ١٣٧٢هـ
١٩ـ عبد الحليم عباس : أبو نواس (دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثانية) .
٢٠ـ عبد القادر بدران : تهذيب تاريخ ابن عساكر (مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٤٩هـ .
٢١ـ د. عبــده بـدوي : الشعراء السود وخصائصهم الشعرية (رسالة دكتوراة بجامعة القاهرة ـ كلية دار العلوم) .
٢٢ـ فان فلوتـــن : السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن ومحمد إبراهيم (مطبعة السعادة ـ القاهرة سنة ١٩٣٤م.) .
٢٣ـ محمد الحسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها (مطبعة دار البحار بيروت سنة ١٩٦٠م) .
٢٤ـ د. محمد ضياء الدين الريـــس : النظريات السياسية الاسلامية (مكتبة الأنجلو المصرية ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢م.) .
٢٥ـ د. محمد مصطفى هدارة : اتجاهات الشعر العربي في القرن

الثاني الهجرى (دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٣م).

٢٦- د. مصطفى الشكعة : رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية (دار النهضة العربية - بيروت سنة ١٩٧١م).

٢٧- د. نعمان القاضي : الفرق الاسلامية في الشعر الأموى (دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٠م).

٢٨- د. يوسف خليف : حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني الهجرى (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة سنة ١٩٦٨م).

٢٩- يوليوس ولهاوزن : تاريخ الدولة العربية (لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة سنة ١٩٨٥م).

٣٠- يوليوس ولهاوزن : الخوارج والشيعة (القاهرة سنة ١٩٥٨م).

ثالثا : الكتب الأجنبية :

1 - Brockelman; C. History of the Islamic Peoples, (New York, 1947).
2 - Brown; Edward G., Literary History of Persia, (Cambridge, 1909 - 1930).
3 - Mac Donald; Development of Muslim Theology, Jurisprudence and Constitutional Theory.
4 - Muir; The Caliphate its Rise, Decline and Full (Edinburgh 1924).
5 - Nicholson; R.A. Literary History of the Arabs, (Cambridge, 1953).
6 - The Encyclopaedia of Islam; (Leiden 1954 - 1960).
7 - Wellhausen; The Arab Kingdom and its Fall (Calcutta 1923).

الفهـــــرس

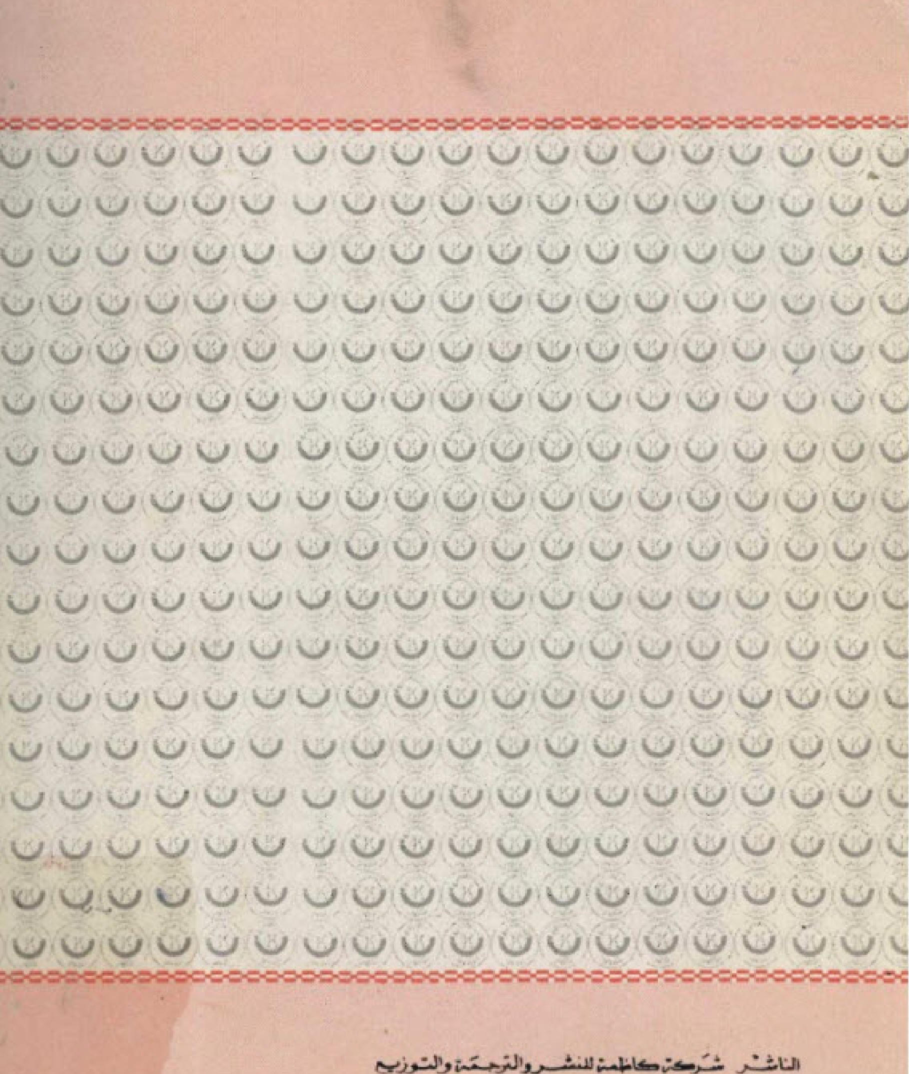
الصفحـــــة

منشورات شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع

	إسم الكتاب	إسم المؤلف
١	أحوال العامة في حكم المماليك	د. حياة ناصر الحجي
٢	العلاقات الفرنسية العربية	د. أحمد سعيد نوفل
٣	التراجع الضعيف أم انتقام الأرشيف	محمد أحمد يوسف
٤	هموم النفط	د. علي الكواري
٥	بيروت البكاء ليلاً (رواية)	شوقي عبد الحكيم
٦	شعر الصراع السياسي في القرن الثاني الهجرى	د. إبراهيم شحاتة الخواجه
٧	قصص شعبية عراقية	د. داود سلوم د. عبدالله أحمد المهنا
٨	المعجم الموسوعي لعلوم المكتبات	د. عبد التواب شرف الدين د. عبد الفتاح الشاعر
٩	الأصول المالية الخارجية لدول الجزيرة العربية	د. عبد الوهاب الثمار وآخرون.
١٠	تصميم الوحدات النسقية للتدريب السمعي والبصري	ميرغني دفع الله أحمد
١١	يوميات الحرب	ليلى السائح
١٢	العلاقات الصهيونية النازية وأثرها على فلسطين	د. نظام عباسي
١٣	القضايا القومية في شعر المرأة الفلسطينية	هاشم صالح مناع

١٤	Construction Accounting System	حسين شعبان
١٥	اختيارات ابن الورد (شعر)	مؤيد الشيباني
١٦	أجراس المتاريس (شعر)	ماجد الشيخ
١٧	في الأدب الفلسطيني الحديث	د. عبد الرحمن ياغي
١٨	نظام الوزارة في العصر العباسي	
١٩	الأول	د. إبراهيم سلمان الكروى
٢٠	كم عمر الغضب	د. فؤاد زكريا
٢١	قضايا في التنمية	د. عبد الرسول الموسى
٢٢	انتقام الغـــزال	محمد كعوش
٢٣	عودة المنتصر	محمد كعوش
٢٤	الأصول في علم الاجتماع	د. إبراهيم عيسى عثمان
٢٥	تحقيق حول مجزرة صبرا وشاتيلا	أمنون كابليوك
٢٦	القانون الدولي وقضية فلسطين	د. سيف الوادي الرمحي
٢٧	في رحاب الروح	يحي أنيس زيتونة
٢٨	لو أنبأني العراف (شعر)	لميعة عباس عمارة
	أســـرى البقاع	نـــوال حلاوة
٢٩	الاستراتيجية الدولية في عالم	
٣٠	متغير «قضايا ومشكلات»	د. إسماعيل صبري مقلد
	الخليج ليس نفطا	د. محمد الرميحي
٣١	الحركة العمالية والنقابية في	
	فلسطين	د. فائق حمدي طهبوب
٣٢	شعر الأرض المحتلة في الستينات	د. عبد الرحمن ياغي
٣٣	ديوان الوجدانيات (شعر)	د. عصام صدقي العمد

٣٤	التبشير في منطقة الخليج العربي	د. عبد المالك خلف التميمي
٣٥	الحب والطبيعة في شعر أبو سلمى	محمـــود بركات
٣٦	النقود والبنوك	د. سامي خليل
٣٧	النظريات والسياسات النقدية والمالية	د. سامي خليل
٣٨	أحاديث الغـــزاة	خليل السواحري
٣٩	معركة الكرامة	عبد العزيز السيد
٤٠	معلقة العودة على صدر بير وت	محمد نوفل العزة
٤١	العلاقات الانسانية ودورها في السلوك الانساني	عوض حسين الشلالدة
٤٢	التخطيط لتنمية عربية أفاقة وحدوده ج ١	د. شاكر مصطفى وآخرون
٤٣	التخطيط لتنمية عربية أفاقة وحدوده ج ٢	طيب تيزيـــني
٤٤	مقهى الباشورة	خليل السواحرى
٤٥	التطور العمراني والتخطيط في الكويـــت .	د. عبد الرسول الموسى



الناشر شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع

ص . ب (٢٤٢٦٧) ت (٢٥٥٥٩٦٨ - ٢٥٤٣٣٢٩)

الكويت